

تابع
الحلفاء الرشيدون

ودولة بني أمية

المعروف بالامامة والسياسة

تأليف

الامام المؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

وقف على طبعه جماعة من أدباء العصر

يطلب عن المكتبة البخارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لنا صمما : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى
صاحب المكتبة البخارية الكبرى بمصر

ع
١٨٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى :

نفتح كلامنا بحمد الله تعالى ونقدس ربنا بذكره والثناء عليه لا إله إلا هو
لا شريك له الذي اتخذ الحمد لنفسه ذكرا . ورضى به من عباده شكرا . وصلى الله
على سيدنا محمد الذي أرسله بالهدى . وختم به رسل الله السعداء . صلاة زكية .
وسلم تسليما كثيرا أبدا .

فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

حدثنا ابن أبي مريم قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا وكيع عن يونس بن
أبي إسحاق عن الشعبي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : كنت جالسا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال علي
السلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين
والمرسلين عليهم السلام ولا تنبئهما يا علي . حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني رضي
الله عنه حدثنا أحمد بن حواش الحنفي قال حدثنا ابن المبارك عن عمر بن سعيد
عن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول : وضع عمر رضي الله
عنه على سريرته فكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع فلم يرعني إلا رجل
قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت فإذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يترحم
على عمر رضي الله عنه وقال : والله ما خلفت أحدا أحب لي أن ألقى الله تعالى
بمثل عمله منك يا عمر وإيم الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك
وذاك أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر

M A LIBRARY, A M U



AR18606

عنهما وغلام يقال له ثوبان ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وقال للغلام اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار فأحدقوا بالباب وقالوا للغلام ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عنده نساؤه رضى الله تعالى عنهن فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم فقال من هؤلاء فقيل له الأنصار يكون شرج صلى الله عليه وسلم متوكئاً على علي والعباس فدخل المسجد واجتمع الناس إليه فقال صلى الله عليه وسلم إنه لم يمت نبي قط إلا خلف وراءه تركة وإن تركتني فيكم الأنصار «رضى الله عنهم» وهم كرشى التي أوى إليها . أوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان إليهم فقد علمتم أنهم شاطروكم وواسوكم في العسر واليسر ونصروكم في النشاط والكسل فاعرفوا لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئتهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله وهو معصوب الرأس شديد الوجع فلما كانت الصلاة أتى بلال المؤذن رضى الله عنه يدعو إلى الصلاة ففتح صلى الله عليه وسلم عينه وقال للنساء : ادعني لي حبيبي فعرفت عائشة رضى الله عنها أنه يريد أبا بكر فقالت أرسل إلى عمر فان أبا بكر رجل رقيق وإن قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم افتضح من البكاء وعمر أقوى منه فأرسلت إلى عمر رضى الله عنه فأتى فسلم ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فرد السلام ثم أطرق عنه فعرف عمر أنه لم يرده فلما خرج أقبل صلى الله عليه وسلم عليهن وقال : ادعني لي حبيبي فقالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق فلو أمرت عمر يصلي بالناس فقال صلى الله عليه وسلم إنكن صواحبات يوسف «عليه السلام» ادعني لي حبيبي إنما أفعل ماؤمر فدعى أبو بكر رضى الله تعالى عنه فلما جاء قال له . اذهب مع المؤذن فصل بالناس فلم يزل أبو بكر رضى الله عنه يصلي بالناس حتى كان اليوم الذي مات فيه رسول الله وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فأمروا فقال قائل يدفن رسول

وعمر و كنت أنا وأبو بكر وعمر وإني كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما .
وأخبرنا ابن أبي شبة قال حدثنا يزيد بن الحباب عن موسى بن عبيد قال أخبرني
أبو معاذ وأبو الخطاب عن علي رضي الله عنه قال بينما أنا جالس مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال يا علي هذان
سيدا كهول أهل الجنة إلا ما كان من الأنبياء عليهم السلام ولا تخبرهما . حدثنا
الوليد بن مسلم عن عبد الله بن عبد الله العجلي عن القاسم بن أبي عبد الرحمن
رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . لقد هممت أن أبعث إلى
الأمم رجالا يدعونهم إلى الإسلام ويرغبونهم في الدين فابعث أبي بن كعب وسالم
مولي أبي حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى بن مريم عليهما السلام فقالوا
يا رسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم . هما مني بمنزلة
السمع والبصر . وحدثنا قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن الزبير قال
أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري رحمهما الله تعالى أسأله إن كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضي الله عنه . فأتيته فاستوى
جالسا وقال : أي والذي لا إله إلا هو استخلفه وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله
تعالى من أن يتوكل عليهم لولم يأمره

استخلاف رسول الله أبا بكر رضي الله عنه

عن ابن أبي مريم قال حدثنا الغرياني عن أبي عون بن عمرو بن تيم الأنصاري
وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا بقصة
استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها
من القول والتنازع بين المهاجرين والأنصار وبعضهم يزيد على بعض في الكلام
فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج في مرضه الذي قبض فيه متوكئا على الفضل بن العباس رضي الله

صوته لكي يسمع قومه . فكان مما قال رضى الله عنه بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه : يا معشر الأنصار إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب إن رسول الله صلى الله عليه لبث في قومه بضعة عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان فما آمن به من قومه إلا قليل والله ما كانوا يقدرون أن يمتنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن أنفسهم حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولأصحابه والاعزاز لدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف منه منكم وأثقله على عدوكم من غيركم حتى استقاموا لأمر الله تعالى طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً حتى أثخن الله تعالى لنبيه بكم الأرض ودانت بأسياضكم له العرب توفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين فشددوا أيديكم بهذا الأمر فانكم أحق الناس وأولاهم به فأجابوه جميعاً أن قد وفقنا في الرأي وأصبنا في القول وكفى بعد ذلك ما رأيت بتوليتك هذا الأمر فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضى . قال فأتى الخبر إلى أبي بكر رضى الله عنه ففرع أشد الفرع وقام ومعه عمر رضى الله عنهما فخرجا مسرعين إلى سقيفة بنى ساعدة فلقيا أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فانطلقوا رضى الله عنهم جميعاً حتى دخلوا سقيفة بنى ساعدة وفيها رجال من الأشراف معهم سعد بن عباد رضى الله عنه فأراد عمر رضى الله عنه أن يبدأ بالكلام وقال : خشيت أن يقصر أبو بكر رضى الله عنه عن بعض الكلام فلما تيسر عمر للكلام تجهز أبو بكر رضى الله عنه وقال له على رسلك فستكفي الكلام فتشهد أبو بكر رضى الله عنه وانتصب له الناس فقال إن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فدعا إلى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا إلى مادعا اليه فمكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما والناس لنا فيه تبع ونحن

الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يصلى فى مقامه فقال أبو بكر رضى الله عنه . معاذ الله أن نجعله وثناً نعبد . وقال قائل ندفنه صلى الله عليه وسلم فى البقيع حيث دفن إخوانه من المهاجرين والأنصار فقال أبو بكر إنا نكره أن نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا إلى البقيع قالوا فما ترى يا أبا بكر قال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول . ما قبض نبي قط إلا دفن جسده حيث قبض روحه . قالوا فأنت والله رضى ومقتنع وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قد لقي علياً فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فأسأله إن كان الأمر لنا بينه وإن كان لغيرنا أوصى بنا خيراً فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ابسط يدك أبايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعك أهل بيتك فان هذا الأمر إذا كان لم يقل (١) فقال له على ومن يطلب هذا الأمر غيرنا وقد كان العباس رضى الله عنه لقي أبا بكر فقال هل أوصاك رسول الله بشيء قال لا ولقي العباس أيضاً عمر فقال له مثل ذلك . فقال عمر لا فقال : العباس لعلى رضى الله عنه . ابسط يدك أبايعك ويبايعك أهل بيتك

ذكر السقيفة وما جرى فيها من القول

وحدثنا قال حدثنا ابن عفير عن أبي عون عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى رضى الله عنه أن النبي عليه السلام لما قبض اجتمعت الأنصار رضى الله عنهم إلى سعد بن عباد فقالوا له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض فقال سعد لابنه قيس رضى الله عنهما إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلاماً لم رضى ولكن تلقى منى قولى فأسمعهم . فكان سعد يتكلم ويحفظ ابنه رضى الله عنهما قوله فيرفع

(١) من الاقالة لامن القول انه رحمه الله

لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة . وإنما كانت حجارة منحوتة وخشبا منجورة فاقروا
إن شئتم « إنكم وماتعبدون من دون الله . ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم
ولا يضرهم ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقالوا « ما نعبدكم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى » فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين
الأولين رضى الله عنهم بتصديقه والايمان به والمواساة والصبر معه على الشدة
من قومهم وإذلالهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس مخالف عليهم يزأر لهم فلم
يستوحشوا قلة عدتهم وإزراء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله
فى الأرض . وأول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم أولياؤه
وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم وأنتم يامعشر الأنصار
من لا ينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم فى الاسلام . رضىكم الله تعالى أنصارا
لدينه ولرسوله وجعل اليكم مهاجرة فليس بعد المهاجرين الأولين أحد عندنا
بمزلتكم فحن الأمراء وأنتم الوزراء لا نفقات دونكم بمشورة ولا تنقضى دونكم
الأمور فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام رضى الله عنه فقال : يامعشر
الأنصار املكوا على أيديكم فأنما الناس فى فيسكم وظلالكم ولن يجبر مجبر على
خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم . أنتم أهل العز والثروة وأولو العدد
والنجدة وإنما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وتقطعوا
أموركم أنتم أهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم فى السابقين الأولين مثل ما لهم
وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ما عبدوا الله علانية إلا فى بلادكم
ولا جمعت الصلاة إلا فى مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام إلا بأسيا فكم فأنتم
أعظم الناس نصيبا فى هذا الأمر وإن أبى القوم فمنا أمير ومنهم أمير فقام عمر
رضى الله عنه فقال : هيات لا يجمع سيفان فى غمد واحد إنه والله لا ترضى العرب
أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت

عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا ليست
قبيلة من قبائل العرب إلا ولقریش فيها ولادة وأنتم أيضا والله الذين آووا ونصروا
وأنتم وزرأؤنا في الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم إخواننا في كتاب
الله تعالى وشركاؤنا في دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سرأ وضرأ والله ما كنا
في خير قط إلا كنتم معنا فيه فأنتم أحب الناس إلينا وأكرمهم علينا . وأحق
الناس بالرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لأمر الله عز وجل لما ساق لكم ولاخوانكم
المهاجرين رضی الله عنهم وأحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم
حين الخصاصة والله ما زلتم تؤثرون إخوانكم من المهاجرين وأنتم أحق الناس أن
لا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم وأبعد أن لا تحسدوا إخوانكم على خير
ساقه الله تعالى إليهم وإنما أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم
ولهذا الأمر وكلاهما له أهل . فقال عمر وأبو عبيدة رضی الله عنهما ما ينبغي لأحد
من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر أنت صاحب الغار ثاني اثنين وأمرك رسول الله
صلى الله عليه بالصلاة فأنتم أحق الناس بهذا الأمر فقال الأنصار والله ما نحسدكم
على خير ساقه الله اليكم وإنما لسنا وصفت يا أبا بكر والحمد لله ولا أحد من خلق
الله أحب إلينا منكم ولا أَرْضى عندنا ولا أَيْمَنَ ولكننا نشفق مما بعد اليوم ونحذر
أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منا ورجلا
منكم بايعنا ورضينا على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الأنصار فاذا هلك اخترنا آخر
من المهاجرين أبدا ما بقيت من هذه الأمة كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد
صلى الله عليه وسلم وأن يكون بعضنا يتبع بعضا فيشفق القرشي أن يرفع فينتقض
عليه الأنصاري ويشفق الأنصاري أن يرفع فينتقض عليه القرشي فقام أبو بكر
فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا إلى خلقه
وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحده وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها

وايم الله لا يرانى أنازعهم هذا الأمر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تخادعوهم

بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال ثم إن أبابكر قام على الأنصار فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبى عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر : معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الأمر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل منا في المال وأنت أفضل المهاجرين وثانى اثنين وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل دين الاسلام فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ويتولى هذا الأمر عليك ابسط يدك أبايحك فلما ذهبيا يبايعانه سبقهما اليه قيس الأنصارى فبايعه فناداه الحباب ابن المنذر : يا قيس بن سعد عاقلك عاقل ما اضطرك إلى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الامارة : قال لا والله ولكنى كرهت أن أنازع قوماً حقاً لهم فلبارأت الاوس ما صنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا اليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير رضى الله عنه لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لازالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبداً ففقهوا فبايعوا أبابكر رضى الله عنه فقاموا اليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه فبادروا اليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة فقال : فعلتموها يا معشر الأنصار أما والله لكأنى بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأ كفهم ولا يسقون الماء . قال أبو بكر : أمنا نخاف يا حباب قال ليس منك أخاف ولكن من يحى بعدك ، قال أبو بكر : فإذا كان ذلك كذلك فالأمر إليك وإلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة . قال الحباب : هيات يا أبابكر إذا ذهبت أنا وأنت جامنا بعدك من يسومنا الضيم .

النبوة فيهم وأولى الأمر منهم . لنا بذلك على من خلفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا تعدل بباطل أو متجانف لأثم أو متورط في هلكة . فقام الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال . يامعشر الأنصار املسكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيديكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتهم فأجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم فأتهم والله أولى بهذا الأمر منهم فانه دان لهذا الأمر من لم يكن يدين له بأسلافنا (١) أما والله إن شئتم لتعيدنها جذعة والله لا يرد على أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف قال عمر بن الخطاب . فلما كان الحباب هو الذى يجينى لم يكن لى معه كلام لأنه كان بينى وبينه منازعة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاني عنه فخلقت أن لا أكله كلمة تسوؤه أبدا . ثم قام أبو عبيدة فقال : يامعشر الأنصار أتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير .

مخالفة قيس بن سعد

قال وإن قيساً لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال . يامعشر الأنصار أما والله لئن كنا أولى الفضيلة فى جهاد المشركين والسابقة فى الدين ما أردنا إن شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكرام لأنفسنا . وما ينبغى أن نستطيل بذلك على الناس وما نبتغى به عرضاً من الدنيا فإن الله تعالى ولى النعمة والمنة علينا بذلك ثم إن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه

(١) فى رواية أنا جديها المحسك وعذيقها المرجب أما والله الخ والجذيل مصغر جذل عود ينصب للجربى لتحتك به وعذيق مصغر عذوق قنوق النخلة والمرجب المعظم

الرحمن بن عوف فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين . فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد يابح الناس أبا بكر قال لهم عمر : مالي أراكم مجتمعين حلقتا شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار فقام عثمان بن عفان ومن معه من بنى أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بنى زهرة فبايعوا . وأما علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بنى هاشم فأنصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب إليهم عمر في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام رضى الله عنه بالسيف فقال عمر رضى الله عنه : عليكم بالرجل نخذه فوثب عليه سلمة ابن أشيم فأخذ السيف من يده فضرب به الحضار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضاً فبايعوا

إنابة على كرم الله وجهه بيعة أبي بكر رضى الله عنهما
ثم إن علياً كرم الله وجهه أتى به إلى أبي بكر وهو يقول أنا عبد الله أخو رسول الله فقيل له بايع أبا بكر فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقراءة من النبي صلى الله عليه وسلم وتأخذوه منا أهل البيت غصباً أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلخوا إليكم الامارة فاذا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبؤءوا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر : إنك لست متروكا حتى تبائع فقال له علي احلب حلباً لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غداً ثم قال : والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه فقال له أبو بكر فان لم تبائع فلا أكرهك فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه يا ابن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأموار

تخلف سعد بن عبادۃ رضى الله عنه عن البيعة

فقال سعد بن عبادۃ أما والله لو أن لى ما أقدر به على النهوض لسمعت منى فى
أقطارها زئيراً يخرجك أنت وأصحابك ولألحقك بقوم كنت فىهم تابعاً غير
متبوع خاملاً غير عزيز فبايعه الناس جميعاً حتى كادوا يطأون سعداً فقال سعد .
قتلتمونى فقتلوه قتل الله فقال سعد : احمولنى من هذا المكان فحملوه فأدخلوه
داره وترك أياماً . ثم بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه أن أقبل فبايع فقد بايع
الناس وبايع قومك فقال : أما والله حتى أرميكم بكل سهم فى كنانتى من نبل
وأخضب منكم سنانى ورمحى وأضربكم بسيفى ما ملكت يدى وأقاتلكم بمن معى
من أهلى وعشيرتى ولا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم
حتى أعرض على ربى وأعلم حسابى . فلما أتى بذلك أبو بكر من قوله قال عمر :
لا تدعه حتى يبايعك . فقال لهم قيس بن سعد إنه قد أبى ولح وليس يبايعك حتى
يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وعشيرته ولن تقتلوه حتى
يقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس فلا تفسدوا على أنفسكم
أمراً قد استقام لكم فتركوه فليس تركه بضاركم وإنما هو رجل واحد فتركوه
وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه . فكان سعد لا يصلى
بصلاتهم ولا يجمع بجمعتهم ولا يفيض بافاضتهم ولو يجد عليهم أعواناً لصال
بهم ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفى أبو بكر رحمه الله
الله تعالى وولى عمر بن الخطاب خرج إلى الشام فسات بها ولم يبايع لأحد رحمه
الله : وإن بنى هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى على بن أبى طالب ومعهم
الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وإنما كان يعد
نفسه من بنى هاشم وكان على كرم الله وجهه يقول ما زال الزبير منا حتى نشأ بنوه
فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية إلى عثمان واجتمعت بنو زهرة إلى سعد وعبد

ولا أضع ثوبي على عاتق حتى أجمع القرآن فوقفت فاطمة رضى الله عنها على بابها فقالت لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمنونا ولم تردوا لنا حقاً فأتى عمر أبا بكر فقال له ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر لئن نفذ وهو مولى له . فادع لي علياً قال فذهب إلى علي فقال له ما حاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال على لسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال فبكي أبو بكر طويلاً فقال عمر الثانية أن لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر رضى الله عنه لئن نفذ . عد إليه فقل له أمير المؤمنين (١) يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به فرفع على صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكي أبو بكر طويلاً . ثم قام عمر فشى معه جماعة حتى أتوا فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فضوا به إلى أبي بكر فقالوا له بايع فقال إن أنا لم أفعل فمه قالوا إذا والله الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك قال إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله قال عمر : أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا وأبو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك فقال لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه . فلحق على بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح ويبكى وينادى . يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوننى فقال عمر لأبي بكر رضى الله عنهما . انطلق بنا إلى فاطمة فانا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا

(١) في متن هذه الرواية اضطرابات كثيرة منها هذا فقد ثبت من غير وجهان

أول من لقب بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً واستطلاعاً فسلم
لأبي بكر هذا الأمر فأنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليف وحقيق
في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصرك . فقال على كرم الله
وجهه : الله الله يامعشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره
وقعر بيته إلى دوركم وقور يوتسكم وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقه
فوالله يامعشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأننا أهل البيت ونحن أحق بهذا
الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن
رسول الله المتطلع لأمر الرعية الدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية
والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً .
وقال بشير بن سعد الأنصاري : لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي
قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت عليك قال : وخرج على كرم الله وجهه يحمل
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلا في مجالس الأنصار تسألهم
النصرة فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن
زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به فيقول على كرم الله وجهه :
أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس
بسلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا
ما الله حسيهم وطالبهم

كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

قال وإن أبا بكر رضى الله عنه تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله
وجهه فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار على فأبوا أن يخرجوا فدعا بالخطب
وقال والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لا تحرقن علي من فيها فليل له يا أبا حفص
إن فيها فاطمة فقال وإن فخرجوا فبايعوا إلا علياً فإنه زعم أنه قال حلفت أن لا أخرج

ولا نفاسة عليك ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبددت علينا ثم ذكر على قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر . فقال أبو بكر رضى الله عنه لقرابة رسول الله أحب إلى أن أصل من قرابتي وإنى والله لأدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته إن شاء الله تعالى فقال على : موعذك غداً في المسجد الجامع للبيعة إن شاء الله . ثم خرج فأتى المغيرة ابن شعبه فقال . أتري يا أبا بكر إن تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على على وبنى هاشم إذا كان العباس معكم قال فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى دخلوا على العباس رضى الله عنه فحمد الله وأبو بكر وأثنى عليه ثم قال . إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً وللمؤمنين ولها فمن الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له الله ما عنده نفلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصالحهم متفقين لاختلافهم فاختاروني عليهم واليا ولا مؤرم راعيا وما أخاف بحمد الله وهنا ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم عليه توكلت واليه أُنيب وما زال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لحافاً فاحذروا أن تكونوا جهد المنيع فلما دخلتم فيما دخل فيه العامة أودعتموهم عما مالوا اليه وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك إذ كنت عم رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم على رسلكم بنى عبدالمطلب فإن رسول الله منا ومنكم : ثم قال عمر أى والله وأحرى إنالم نأتسكم حاجة منا اليكم ولكننا كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتكم . فبكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . إن الله بعث محمداً كما زعمت نبياً وللمؤمنين ولها فمن الله بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له ما عنده نفلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين

علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندهما حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي . وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده . أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت أرايتكما إن حدثكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به قالوا نعم فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني . قالوا : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت . فاني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتاني وما أرضيتاني ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه . فقال أبو بكر . أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول والله لا أدعون الله عليك في كل صلاة أصليها ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس فقال لهم : ببیت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتوني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم أقبلوني بيعتي قالوا يا خليفة رسول الله إن هذا الأمر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك إنه إن كان هذا لم يقم لله دين فقال . والله لو لا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة مابت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة قال فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها ولم يمكث بعد أبيها إلا خمسا وسبعين ليلة . قال فلما توفيت أرسل على إلى أبي بكر أن أقبل إلينا فأقبل أبو بكر حتى دخل على علي وعنده بنو هاشم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أبا بكر فانه لم يمنعنا أن نبايعك إنكاراً لفضيلتك

لهذا المسكان ان اكون خيركم ولوددت أن بعضكم كفانيه ولئن اخذتموني بما كان الله يقيم به ورسوله من الوحي ما كان ذلك عندي وما أنا الا كأحدكم فاذا رأيتموني قد استقمتم فاتبعوني وإن زغت فقوموني واعلموا أن لي شيطانا يعتريني أحيانا فاذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر بأشعاركم وإيشاركم ثم نزل ثم دعا عمر والواجاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما ترون لي من هذا المال فقال عمر أنا والله أخبرك مالك منه أما ما كان لك من ولد قد بان عنك ومالك أمره فسمه كرجل من المسلمين وأما ما كان من عيالك وضعفة أهلك فتقوت منه بالمعروف وقوت أهلك . فقال يا عمر : اني لأخشى أن لا يحل لي أن أطعم عيالي من فيء المسلمين فقال عمر يا خليفة رسول الله انك قد شغلت بهذا الأمر عن أن تكسب لعيالك فلما تمت البيعة لأبي بكر واستقام له الأمر اشترأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم أبو بكر الحرب وأراد قتالهم فقالوا نصلي ولا تؤدى الزكاة فقال الناس إقبل منهم يا خليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع إنا قد سمعنا رسول الله يقول . أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر هذا من حقها لا بد من القتال فقال الناس لعمر إخل به فكلمه لعله يرجع عن رأيه هذا فيقبل منهم الصلاة ويعفيهم من الزكاة فخلا به عمر نهاره اجمع فقال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم أجد أحداً أقاتلهم به لقاتلتهم وحدي حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث شهادة أن لا إله إلا الله واقام الصلاة وآيتاء الزكاة فوالله الذي لا إله إلا هو لأقصر دونن فضرب منهم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس في الاسلام طوعا وكرها وحمدوا رأيه وعرفوا فضله . قال أبو رجاء العطاردي

للحق لا مائلين عنه بزيع الهوى فان كنت برسول الله طلبت لحقنا أخذت وإن كنت بالمؤمنين طلبت فتحن منهم متقدمون فيهم وإن كان هذا لا أمر إنما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين فأما ما بذلت لنا فان يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه وإن يكن حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم وإن كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض وأما قولك إن رسول الله منا ومنكم فانه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأتم جيرانها . قال ثم خرج أبو بكر إلى المسجد الشريف فأقبل على الناس فغذر علياً بمثل ما اعتذر عنده ثم قام على فعضم حق أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فأقبل الناس على علي فقالوا أصبت يا أبا الحسن وأحسن . قال فلما تمت البيعة لأبي بكر أقام ثلاثة أيام يقيّل الناس ويستقيّلهم يقول قد أقتلكم في بيعتي هل من كاره هل من مبغض فيقوم على في أول الناس فيقول والله لا نقتلك ولا نستقيلك أبداً قد قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد ديننا من ذا الذي يؤخرك لتوجيه ديننا

خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ثم إن أبا بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن الله الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمداً بالحق وأتم معشر العرب كما قد علمت من الضلالة والفرقة ألف بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ومكن لكم دينكم وأورثكم سيرته الراشدة المهديّة فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به ألفتكم ويقيم به كلمتكم فأعينوني على ذلك بخير ولم أكن لأبسط يداً ولا لساناً على من لم يستحل ذلك إن شاء الله وإيم الله ما حرصت عليها ليلاً ولا نهاراً ولا سألتها الله قط في سر ولا علانية ولقد قلت أمراً عظيماً مالى به طاقة ولا يد ولوددت أنى وجدت أقوى الناس عليه مكاني فأطيعوني ما أطعت الله . فانذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ثم بكى وقال اعلّموا أيها الناس أنى لم أجعل

قتلته ذبيحا أو أطلقته نجيجا ولم أكن أحرقته بالنار وأما اللاتي تركتهن وليتني كنت فعلتهن حين أتيت بالأشعث بن قيس أسيرا أني قتلته ولم أستحيه فأنى سمعت منه واره لا يرى غيا ولا شرا الا أعان عليه وليتني حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام أني كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق فأكون قد بسطت يدي جميعا في سبيل الله وأما اللاتي كنت أود أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتني سألته لمن هذا الأمر من بعده فلا ينازعه فيه أحد وليتني كنت سألته هل للانصار فيها من حق وليتني كنت سألته عن ميراث بنت الأخ والعمة فان في نفسي من ذلك شيئا ثم دخل عليه اناس من أصحاب رسول الله فقالوا يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طيبا ينظر اليك فقال قد نظر الى قالوا فماذا قال ؟ قال إنني فعال لما أريد ثم قال لهم أنظروا ماذا أنفقت من بيت المال فظفروا فإذا هو ثمانية آلاف درهم فأوصى أهله أن يؤدوها الى الخليفة بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب عهدي فكتب عثمان وأملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحا عنها وأول عهده بالآخرة داخلها فيها أني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان تروه عدل فيكم ظني به ورجائي فيه وان بدل وغير فالخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل عليه المهاجرون والانصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا فكيف إذا وليت عنا وأنت لاق الله عز وجل فسألك فما أنت قائل ؟ فقال أبو بكر لئن سألتني الله لأقولن استخلفت عليكم خيرهم في نفسي قال ثم أمر أن يجتمع له الناس فاجتمعوا فقال أيها الناس قد حضرني من قضاء الله ما ترون وانه لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقال عدوكم ويقسم فيكم وإن شئتم اجتمعتم فأتهم ثم وليتم عليكم من أردتم وإن شئتم اجتهدت لكم رأيي ووالله الذي لا إله إلا هو لا آلوكم في نفسي.

وأيت الناس مجتمعين وعمر يقبل رأس أبي بكر ويقول أنا فداؤك لولا أنت
لهلكنا فحمد له رأيه في قتال أهل الردة

(مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنه)

قال ثم إن أبا بكر عمل سنتين وشهوراً ثم مرض مرضه الذي مات فيه
فدخل عليه أناس من أصحاب النبي عليه السلام فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال
له : كيف أصبحت يا خليفة رسول الله فاني أرجو أن تكون بارئاً قال أترى
ذلك قال نعم قال أبو بكر : والله اني لشديد الوجع ولما ألقى منكم يا معشر
المهاجرين أشد علي من وجعي إني وليت أمركم ولست خيركم في نفسي فكلكم
مورم أنفسه (١) ارادة أن يكون هذا الأمر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت أما
والله لتتخذن نضائد (٢) الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف
الاذري كما يألم أحدكم النوم على جنبك السعدان والله لئن يقدم أحدكم فضرب
عنقه في غير حدث خيراً له من أن يخوض غمرات الدنيا فقال له عبد الرحمن
ابن عوف خفض عليك من هذا يرحمك الله فان هذا يهضك على ما بك وانما
الناس رجلان رجل رضى ما صنعت فراه كرايك ورجل كره ما صنعت فأشار
عليك برأيه ما رأينا من صاحبك الذي وليت إلا خيراً وما زلت صالحاً مصلحاً
ولا أراك تأسي على شيء من الدنيا فانك قال أجل والله ما آسى إلا على ثلاث
فعلتهم ليتني كنت تركتهم وثلاث تركتهم ليتني فعلتهم وثلاث ليتني سألت رسول
الله عنهم فأما اللاتي فعلتهم وليتني لم أفعلهن فليتني تركت بيت علي وان كان أعان
على الحرب وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين أذى عيده
أو عمر فكان هو الأمير وأنا الوزير وليتني حين أتيت بالفجأة السلي أسيراً اني

(١) ودم أنفسه أي امتلاً غضباً قال الشاعر : ولا يراج اذا ما أنفه ورما

أي لا يكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدها نضيدة وهي الوسادة

إلى قال فعمل عمر عشر سنين بعد أبي بكر فوالله ما فارق الدنيا حتى أحب ولايته
من كرهها لقد كانت أمارته فتحا وإسلامه عزاً ونصراً اتبع في عمله سنة صاحبه
وآثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه ثم اختار الله له ما عنده

قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال عمر بن ميمون شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما معنى أن أكون في
الصف الأول إلا هيته فكنت في الصف الذى يليه وكان عمر لا يكبر حتى
يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلاً متقدماً من الصف أو متأخراً
ضربه بالدرّة الذى معنى من التقدم قال فأقبل لصلاة الصبح وكان يغلس
بها فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر
وهو يقول دونكم الكلب فانه قد قتلنى وماج الناس فخرج عشرة رجال وصاح
بعضهم ببعض دونكم الكلب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس
فقال قاتل الصلاة عباد الله طلعت الشمس فدفعت عبد الرحمن بن عوف فضلى
يا قصر سورتين فى القرآن واحتمل عمر ومات من الذين جرحوا ستة أو سبعة
وجرى الناس الى عمر فقال يا ابن عباس أخرج فنادى فى الناس اعن ملا ورضى
منهم كان هذا فخرج فنادى فقالوا معاذ الله ما علمنا ولا أطلعنا قال فأتاه الطبيب
فقال اى الشراب أحب اليك قال النبيذ فسقوه النبيذ فخرج من بعض طعناته فقال
الناس صديد اسقوه لبنا فخرج اللبن فقال الطبيب لا ارى ان تمسى فما كنت فاعلا
خافعل فقال لابنه عبد الله ناولنى الكتف فلو اراد الله ان يمضى ما فيه امضاء
فمحاها بيده وكان فيها فريضة الجدم دخل عليه كعب الاحبار فقال يا امير المؤمنين
الحق من ربك فلا تسكونن من المهمتين قد كنت أنبأتك انك شهيد قال ومن
أين لى بالشهادة وانا بجزيرة العرب ثم جعل الناس يثنون عليه ويدكرون فضله
فقال إن من غررتموه لمغرور انى والله وددت ان اخرج منها كفافا كما دخلت

خيرا فبكي وبكى الناس وقالوا يا خليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلينا فاختر لنا
قال سأجتهد لكم رأيي واختار لكم خيركم ان شاء الله . قال ثفرجوا من عنده
ثم أرسل الى عمر فقال يا عمر أحبك محب وأبغضك مبغض وقديما يحب الشر
ويبغض الخير فقال عمر لا حاجة لي بها فقال أبو بكر لكن بها إليك حاجة والله
ما حبوتك بها ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب واخرج به إلى الناس
وأخبرهم انه عهدى وسلمهم عن سمعهم وطاعتهم ثفرج عمر بالكتاب واعلمهم
فقالوا سمعا وطاعة فقال له رجل ما في الكتاب يا أبا حفص قال لا أدري
ولكني أول من سمع وأطاع قال لكني والله أدري ما فيه أمرته عام أول
وأمرك العام

(ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

قال ولما توفي أبو بكر وولى عمر وقعد في المسجد مقعد الخلافة أتاه رجل
فقال يا أمير المؤمنين أدنو منك فان لي حاجة قال عمر لا قال الرجل اذا أذهب
فيغنيى الله عنك فولى ذاهبا فاتبعه عمر بيصره ثم قام فأخذه بثوبه فقال له
ما حاجتك فقال الرجل بغضك الناس وكرهك الناس قال عمر : ولم ويحك فقال
الرجل للسانك وعصاك قال فرفع عمر يديه فقال اللهم أحبيهم الى وحببني اليهم
قال الرجل فما وضع يديه حتى ما على الأرض أحب الى منه وكان أهل الشام قد
بلغهم مرض أبي بكر واستبطأوا الخبر فقالوا انا لنخاف أن يكون خليفة رسول
الله قد مات وولى بعده عمر فان كان عمر هو الوالى فليس لنا بصاحب وانا نرى
خاخه قال بعضهم فابعثوا رجلا ترضون عقله قال فانتخبوا لذلك رجلا فقدم على
عمر وقد كان عمر استبطأ خبر أهل الشام فلما أتاه قال له كيف الناس قال
سالمون صالحون وهم كارهون اولائتك ومن شرك مشفقون فارسلونى انظر
لأحلو أنت أم مر قال فرفع يديه الى السماء وقال اللهم حببني الى الناس وحببهم

طوعا وكرها ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ثم وليت بخير ما يلي أحد من الناس . مصر الله بك الامصار وجي بك الأموال ونفى بك العدو وأدخل الله على أهل كل بيت من المسلمين توسعة في دينهم وتوسعة في أرزاقهم ثم ختم الله لك بالشهادة فنيئا لك فصب الله الثناء عليك صبا فقال اتشهد لى بهذا يا عبد الله عند الله يوم القيامة قال نعم فقال عمر اللهم لك الحمد

(تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده لإلهم)

قال ثم أن المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه وهو فى البيت من جراحته تلك فقالوا يا أمير المؤمنين استخلف علينا قال والله لا احمكم حيا وميتا ثم قال أن استخلف فقد استخلف من هو خير منى يعنى أبو بكر وأن ادع فقد ودع من هو خير منى يعنى النبي عليه السلام فقالوا جراك الله خيرا يا أمير المؤمنين فقال ما شاء الله راغبا وددت أن انجو منها لا لى ولا على فلما أحس بالموت قال لابنه اذهب الى عائشة واقترئها منى السلام واستأذنها ان أقبر فى بيتها مع رسول الله ومع ابى بكر فأتاها عبد الله بن عمر فأعلمها فقالت نعم وكرامة ثم قالت يا بنى ابلغ عمر سلامى وقل له لا تدع أمة محمد بلا راع استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا ذنى أخشى عليهم الفتنة فأتى عبد الله فاعلمه فقال ومن تأمرنى ان استخلف لو أدركت ابا عبيدة بن الجراح باقيا استخلفته ووليته فاذا قدمت على ربي فسألنى وقال لى من وليت على أمة محمد قلت أى ربي سمعت عبدك ونيك يقول : لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته فاذا قدمت على ربي فسألنى من وليت على أمة محمد قلت أى ربي سمعت عبدك ونيك يقول : أن معاذ بن جبل يأتى بين يدى العلماء يوم القيامة ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته فاذا قدمت على ربي فسألنى من وليت على أمة محمد قلت أى ربي سمعت عبدك ونيك يقول : خالد بن سيف من سيوف الله سلمه

فيها والله لو كان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس لاقتديت به من هول المطلاع فقال يا أمير المؤمنين لا بأس عليك فقال ان يكن القتل بأسا فقد قتلتني أبو اؤاؤة قالوا فان يكن ذلك فجزاك الله عنا خيرا فقال لا أراكم تغبطوني بها فوالذي نفس عمر بيده ما أدري على ما أهجم ولوددت اني نجوت منها كفافا لي ولا على فيكون خيرها بشرها ويسلم لي ما كان قبلها من الخير ودخل على بن ابي طالب فقال يا علي اعن ملامتكم ورضي كان هذا فقال على ما كان من ملامنا ولا رضى ولوددنا ان الله زاد من أعمارنا في عمرك . قال وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله فقال له ضع خدي بالأرض فلم يفعل فلحظه وقال ضع خدي بالأرض لا أم لك فوضع خده بالأرض فقال الويل لعمر ولآم عمر ان لم يغفر الله لعمر ثم دعا عبد الله بن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له : يا بن عباس اني لا اظن ان لي ذنبا ولكن احب ان تعلم لي اعن ملامتهم ورضي كان هذا فخرج بن عباس فجعل لا يرى ملا من الناس الا وهم سيكون كأنما فقدوا اليوم انصارهم فرجع اليه فأخبره بما رأى قال فمن قتلتني قال أبو اؤاؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبه قال عبد الله فأريت البشر في وجهه فقال الحمد لله الذي لم يقتلني رجل محاجني بلا إله إلا الله يوم القيامة ثم قال يا عبد الله الا لو ان لي ما طلعت عليه الشمس وما غربت لاقتديت به من هول المطلاع وما ذاك والحمد لله ان اكون رايت الاخيرا فقال له ابن عباس فان يك ذاك يا أمير المؤمنين فجزاك الله عنا خيرا ليس قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعز الله بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة فلما اسلمت كان اسلامك عزاً أعز الله به الاسلام وظهر النبي واصحابه ثم هاجرت الى المدينة فكانت هجرتك فتحا ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله من قتال المشركين وقال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ثم قبض رسول الله وهو عنك راض ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج رسول الله وضربتم من ادبر بمن أقبل حتى دخل الناس في الاسلام

المستقيم . أوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم واحذرته مثل مضجعي هذا وأخوفه
يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية
ثم غشى عليه حتى ظنوا أنه قضى فجعلوا ينادونه ولا يفيق اغماؤه فقال قائل ان
كان شيء بنه فالصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين الصلاة ففتح عينه فقال : الصلاة
ها أناذا ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه يشعب دما ثم التفت
إليهم وقال قد قومت فيكم الطريق فلا تعوجوه ثم التفت إلى علي بن أبي طالب
فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله
وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فليستخلفونك فإن وليت هذا الأمر فأتق
الله يا علي فيه ولا تحمل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس ثم التفت إلى عثمان
فقال يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك
وسابقتك فيستخلفونك إن وليت هذا الأمر فلا تحمل أحداً من بني أمية على رقاب
الناس ثم دعا صهيباً فقال : يا صهيب صل بالناس ثلاثة أيام ويجتمع هؤلاء النفر
ويتشاورون بينهم اخرجوا عنى اللهم ألفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على أعقابهم
وولي أمر أمة محمد خيرهم فخرجوا من عنده . وتوفي رحمه الله تعالى من يومه
ذلك ودفن وصلى عليه صهيب

(ذكر الشورى وبيعة عثمان رضى الله عنه)

ثم أنه بعد موت عمر اجتمع القرم خلوا في بيت أحدهم واحضروا عبد الله
ابن عباس والحسن بن علي وعبد الله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا
فتيلاً فلما كان اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف أتدرون أى يوم هذا ؟
هذا يوم عزكم عليكم أمراً قالوا وما تعرض قال ان تولوني أمركم وأهب لكم
نصبي فيها واختار لكم من انفسكم قالوا اعطيناك الذى سألت . فلما سلم القوم
قال لهم عبد الرحمن اجعلوا امركم إلى ثلاث منكم فجعل الزبير أمره إلى علي

على المشركين ولكنى سأستخلف النفر الذين يوفى رسول الله وهو عنهم راض فأرسل اليهم فجمعهم وهم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير ابن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم وكان طلحة غائبا فقال يامعشر المهاجرين الأولين انى نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام فان جاءكم طلحة الى ذلك والا فأعزم عليكم بالله أن لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فان أشرتم بها الى طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صبيب هذه الثلاثة أيام التى تتشاورون فيها فانه رجل من الموالى لا ينازعكم امركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من أمركم شيء واحضروا معكم الحسن بن على وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة وارجوا لكم البركة فى حضورهما وليس لهما من أمركم شيء ويحضر ابى عبد الله مستشارا وليس له من الأمر شيء قالوا يا أمير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعا فاستخلفه فانا راضون به فقال : حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الأمر شيء ثم قال يا عبد الله إياك ثم إياك لا تتلبس بها ثم قال إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابى عبد الله فلاى الثلاثة قضى والخليفة منهم وفهم فان أبى الثلاثة الآخر من ذلك فاضربوا اعناقهم . فقالوا قل فينا يا أمير المؤمنين مقال نستدل فيها برأيك ونقتدى به فقال والله ما يمنعنى ان استخلفك ياسعد إلا شدتك وغلظتك مع انك رجل حرب وما يمنعنى منك يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة وما يمنعنى منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعنى من طلحة إلا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه فى أصبع امرأته وما يمنعنى منك يا عثمان الا عصبيتك وحبك قومك وما يمنعنى منك يا على إلا حرصك عليها وانك احرى القوم ان وليتها تقيم على الحق المبين والصراف

لا غير . ثم أخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعا . قال : فكان عثمان .
رضي الله عنه ست سنين في ولايته وهو أحب الى الناس من عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وكان عمر رجلا شديدا قد ضيق على قريش انفاها لم ينل احدا
معه من الدنيا شيئا اعظاما له واجلالا ناسيا به واقتداء فلما وليهم عثمان ولي
رجل لين قال حسن البصري : شهدت عثمان وهو يخطب وانا يومئذ قد راهقت
الحلم فما رأيت قط ذكرا ولا انثى اصح وجها ولا أحسن نصرة منه فسمعتة يقول
ايها الناس اغدوا على اعطياتكم فإخذونها وافية ، ايها الناس اغدوا على كسوتكم
فيغدون فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت أذناى يامعشر المسلمين اغدوا
على السمن والعسل فيقسم بينهم السمن والعسل ثم يقول يامعشر المسلمين
اغدوا على الطيب فيغدون فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره والعدوان
والله منفى والاغطيال داره والخير كثير وما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا
من لقي في أى البلدان فهو أخوه وأليفه وناصره ومؤدبه فلم يزل المال متوفرا
حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقا وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير
بألف والنخلة الواحدة بألف ثم انكر الناس على عثمان اشياء شراً وبطراً . قال
ابن عمر لقد عيبت عليه أشياء لو فعلها عمر ما عيبت عليه

(ذكر الانكار على عثمان رضي الله عنه)

قال عبد الله بن مسلم حدثنا بن أبي مريم وابن غفير قالوا حدثنا بن عون قال
أخبرنا المخول بن ابراهيم وأبو حمزة الثمالي وبعضهم يزيد على بعض والمعنى واحد
فجمعتهم وألفته على قولهم ومعنى ما أرادوا عن علي بن الحسين قال . لما انكر
الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أما بعد فإن
لكل شيء آفة ولكل نعمة عاهة وإن آفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيابون
طمانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون أما والله يا معشر المهاجرون
والانصار لقد عبت على أشياء ونقمتم أمورا قد أقررت لابن الخطاب مثله

وجعل طلحة امره الى عثمان وجعل سعد امره إلى عبد الرحمن بن عوف . قال
الموسور بن مخزومة فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى
الناس في أنقاب المدينة مثلما لا يعرفه أحد فترك أحدا من المهاجرين والانصار
وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاهم إلا سألهم واستشارهم أما أهل الرأي فأتاهم
مستشيرا وتلقى غيرهم سائلا يقول : من ترى الخليفة بعد عمر ؟ فلم يلق أحدا
يستشيره ولا يسأله إلا ويقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان
قال الموسور جازى الله عنه عشاء فوجدني نائما فخرجت اليه فقال : الأراك
نائما فوالله ما ا كنتحلت عيني بنوم منذ هذه الثلاثة ادع لي فلانا وفلانا (نفرا
من المهاجرين) فدعوني فاجاهم في المسجد طويلا ثم قاموا من عنده فخرجوا
ثم دعا عليا فاجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لي عثمان فدعوته
فاجاه طويلا حتى فرق بينهما ان آتت صلاة الصبح فلما صلوا جميعهم فأخذ كل
واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعتك لتقيم كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبك
من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وأيضا لئن بايعت غيرك
لترضين ولتسلسن وليكون سيفك معي على من أبي فأعطوه ذلك من عهودهم
ومواثيقهم فلما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك
لتقيم لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبك وشرط عمر أن لا تجعل أحدا
من بني أمية على رقاب الناس فقال عثمان نعم ثم أخذ بيد علي فقال له : ابايعك
على شرط عمر أن لا تحمل احدا من بني هاشم على رقاب الناس . فقال علي عند
ذلك مالك ولهذا اذا جعلتها في عنق فان على الاجتهاد لامة محمد حيث علمت القوة
والأمانة استغنت بها كان في بني هاشم او غيرهم : قال عبد الرحمن : لا والله حتى
تعطيني هذا الشرط قال علي والله لا اعطيك ابا فتركة فقاموا من عنده فخرج
عبد الرحمن إلى المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني نظرت
في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان فلا تجعل يا علي سبيلا إلى نفسك فانه السيف .

ولعل لا القاك إلا في خير .

(ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضى الله عنهما)

قال وذكروا ان ابن عباس قال خرجت الى المسجد فاني لجالس فيه مع علي حين صليت العصر اذ جاء رسول عثمان يدعوا علياً فقال علي نعم فلما أن ولي الرسول اقبل علي فقال : ثم تراه دعاني قلت له دعاك ليكلمك فقال انطلق معي فأقبلت فاذا طلحة والزبير وسعد واناس من المهاجرين فيجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان ايضاً فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض فحمد الله عثمان ثم قال : اما بعد فان ابن عمي معاوية هذا قد كان غائباً عنكم وعن ما نلت مني وما عاتبتم عليه وعاتبوني وقد سألتني ان يكلمكم وان يكلمه من أراد فقال سعد بن ابى وقاص : وما عسى ان يقال لمعاوية او يقول الا ما قلت وقيل لك فقال علي ذلكم تكلم يامعاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد يامعشر المهاجرين وبقية الشورى فاياكم اعنى وإياكم أريد فمن اجابني بشيء فنيكم واحد فاني لم أرد غيركم . توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع الناس احد المهاجرين التسعة ثم دفنوا نبيهم فأصبحوا سالماً امرهم كان نبيهم بين أظهرهم فلما ايس الرجل من نفسه بايع رجلاً من بعده احد المهاجرين فلما اختصر ذلك الرجل شك في واحد ان يختاره فجعلوا في ستة نفر بقية المهاجرين فاخذوا رجلاً منهم لا يألون عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون الى الذي هو كائن من بعده لا يشكون ولا يعترو . مهلاً مهلاً معشر المهاجرين فان وراءكم من ان دفعتموه اليوم اندفع عنكم ومن أن فعلتم الذي اتم فاعلوه دفعكم فأشد من ركنكم وأعد من جمعكم ثم استن عليكم يستنكم ورأى ان دم الباقي ليس تمتنع بعد دم الماضى فسدوا ورافقوا لا يغلبكم على امركم من حذرتكم . فقال علي بن أبى طالب كأنك تريد نفسك يا ابن اللخاء لست هنالك فقال معاوية مهلاً عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائك .

ولكنه وقعكم وقعكم ولم يجترى أحد ملاماً بصره منه ولا يشير بطرفه إليه. أما والله لانا أكثر من ابن الخطاب عدداً وأقرب ناصراً وأجدر . الى ان قال لهم اتفقدون من حقوقكم شيئاً فما لى لا أفعل فى الفضل ما اريد فلم كنت أما ما اذا أما والله ما عاب على من عاب منكم أمراً أجمله ولا أتيت الذى أتيت الا وانا اعرفه قال وقدم معاوية بن أبى سفيان على أثر ذلك من الشام فأتى مجلساً فيه على ابن أبى طالب وطلحة بن عبيد أو الزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم يامعشر الصحابة اوصيكم بشيخى هذا خيراً فوالله لئن قتل بين اظهركم لاملأنها عليكم خيلاً ورجالاً ثم اقبل على عمار ابن ياسر . فقال : يا عمار ان بالشام مائة الف فارس كل يأخذ العطا مع مثلهم من ابنائهم وعبدانهم لا يعرفون علياً ولا قرابته ولا عماراً ولا سابقته ولا الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون بن عوف ولا ماله ولا يتقون سعداً ولا دعوته فايالك يا عمار ان تقع غدا فى فتنة تنجلي فيقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل على . ثم قبل على ابن عباس فقال : يا ابن عباس انا كنا وإياكم فى زمان لانرجو فيه ثواباً ولا يخاف عقاباً وكنا أكثر منكم فوالله ما طلبناكم ولا قهرناكم ولا اخرجناكم عن مقام تقدمناه حتى بعث الله رسوله منكم فسبق اليه صاحبكم فوالله ما زال يكره شركنا ويتغافل به عنا حتى ولى الأمر علينا وعليكم ثم صار الأمر اليك فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه ثم غير فنطق ونطق على لسانه فقد او قد تم ناراً لا تطفأ بالماء فقال بن عباس كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولى الأمر علينا وعليكم ثم صار الأمر اليك واليكم فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه ولما هو افضل من سنه فوالله ما قلنا إلا ما قال غيرنا ولا نطقنا الا بما نطق به سوانا فتركتم الناس جانبا وصيرتمونا بين ان اقنا متهمين او نزعنا معتبين وصاحبنا من قد علمت والله لا يهتجج مهتجج الا ركه ولا يرد حوضاً الا أفرطه وقد اصبحت أحب منك ما أحببت وأكره ما كرهت

ثلاث خصال قال عثمان وما هي قال معاوية ارتب لك ههنا أربعة آلاف من خيل
اهل الشام يكونون لك رداء وبين يديك يدا قال عثمان ارزقهم من أين قال من
بيت المال قال عثمان ارزق أربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز
دمي لا فعلت هذا . قال فثانية قال وما هي قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان
في مصر واحد واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكونوا دبر بعير احدهم اهم
عليه من صلاته قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين وكبار اصحاب
رسول الله وبقية الشورى اخرجهم من ديارهم وافرق بينهم وبين اهلهم وأبنائهم
لا أفعل هذا قال معاوية فثالثة قال وما هي قال اجعل لي الطلب بدمك إن
قتلت قال عثمان نعم هذه لك ان قتلت فلا يطل دمي . قال ثم خرج
عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس
إن نصيحتي كذبتني ونفسي متنى وقد سمعت رسول الله يقول لا تتبادوا في
الباطل فإن الباطل يزاد من الله بعدا من أساء فليتب ومن أخطأ فليتب وأنا أول
من اتعظ والله لأن ردني الحق عبدا لا تتسبن نسب العبيد ولا أكونن كالرفوق
الذي ان ملك صبر وان اعتق شكر ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة
ودخل معه مروان بن الحكم فقال : يا أمير المؤمنين اتكلم او اسكت فقالت له
نائلة : بل اسكت فوالله لأن تكلمت لتغرته ولتوبقته فالتفت اليها عثمان مخضيا
فقال اسكتي تكلمي يا مروان فقال مروان : يا أمير المؤمنين انك والله لو قلت
وانت في عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذي قلت وقد بلغ السيل الزبى وجاوز
الحزام الطيين فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة

(ما انكر الناس على عثمان رحمه الله)

قال وذكروا انه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله عليه السلام كتبوا
كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان

يا معشر المهاجرين وولادة هذا الامر ولا لكم الله إياه فاتم أهله وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه وإنما ينظر التابعون إلى السابقون والبلدان إلى البلدين فإن استقاموا استقاموا وأيم الله الذى لا إله إلا هو لئن صفقت إحدى اليدين على الأخرى لا يقوم السابقون للتابعين ولا البلدان للبلدين وليسلين امركم وليتقن الملك من بين أظهركم . وما اتم في الناس إلا كالشامة السوداء في النور الأبيض فاني رأيتمكم نشبتم في الطعن على خليفتمكم وبطرتهم معيشتكم وسفهمتم أحلامكم وما كل نصيحة مقبولة والصبر على بعض المسكروه خير من تحمله كله قال ثم خرج القوم وامسك عثمان بن عباس فقال له عثمان يا ابن عمي ويا ابن خالتي فانه لم يبلغني عنك في امرى شيء أحبه ولا أكرهه على ولا لي وقد علمت أنك رأيت بعض ما رأى الناس فمنعك عقلك وحملك من ان تظهر ما أظهروا وقد أحببت ان تعلمني رأيك فيما بيني وبينك فاعتذر . قال ابن عباس فقلت يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليتني بعد العافية وأدخلتني في الضيق بعد السعة ووالله إن رأيي لك ان يحل سنك ويعرف قدرك وسابقتك ووالله لو ددت أنك لم تفعل ما فعلت مما ترك الخليفان قبلك فان كان شيئاً تركاه لما رأى انه ليس لهما علمت انه ليس كما لم يكن لهما وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة ان ينال منها مثلي الذى نيل منك تركته لما تركاه له ولم يكونا احق باكرام أنفسهما منك باكرام نفسك ، قال فما منعك ان تشير على بهذا قبل ان افعل ما فعلت قال وما على أنك تفعل ذلك قبل ان تفعل قل فهب لي صمتاً حتى ترى رأيي . قال فخرج ابن عباس فقل عثمان لمعاوية : ما ترى فان هؤلاء المهاجرين قد استحلوا القدر ولا بد لهم مما في أنفسهم فقال معاوية الرأي أن تأذن لي بضرب اعناق هؤلاء القوم قال من ؟ قال على وطلحة والزبير قال عثمان . سبحان الله اقتل اصحاب رسول الله بلا حدث احدثوه ولا ذنب ركبهه قال معاوية فان لم تقتلهم فانهم سيقتلوك قال عثمان لا أكون أول من خاف رسول الله في أمته باهراق الدماء قال معاوية فاختر مني إحدى

عليه السلام فادخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال اما والله ان مات عمار من ضربه هذا لاقتلن به رجلاً عظيماً من بني امية فتعال عثمان لست هناك . قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذا هر بعلى وهو شاك معصوب الراس فقال عثمان والله يا ابا الحسن ما ادرى اشتهى موتك ام اشتهى حياتك فوالله لئن مت ما احب ان ابقى بعدك لغيرك لاني لا اجد منك خلفاً ولئن بقيت لا اعدم طاعياً يتخذك سلباً وعضداً ويعبدك كهفاً ولمليحاً لا يمنعني منه إلا مكانه منك ومكانك منه فانا منك كالابن العاق من ابيه ان مات فجعه وان عاش عقه . فاما سلم فنسلم واما حرب فتجارب فلا تجملني بين السماء والارض فانك والله ان قتلتنى لا تجد مني خلفاً ولئن قتلتك لا اجد منك خلفاً وان يعلى أمر هذه الامة بادىء فتنة . فقال على : ان فيما تكلمت به جواباً ولست اكنى عن جوابك مشغول بوجيى فانا أقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . قال مروان انا والله اذا لمكسرنا رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الامر خير لمن بعدنا فقال له عثمان . اسكت ما انت وهذا فقام اليه رجل من المهاجرين فقال له يا عثمان ارايت ما حيت من الحمى الله اذن لكم ام على الله تفترون فقال عثمان انه قد حمى الحمى قبلى عمر لا بل الصدقة وانما زادت فزدت فقام عمرو بن العاص فقال : يا عثمان انك ركبت بالناس نهائير من الامر فتب الى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا الى الله من كل ذنب اللهم انى اول من تاب اليك ثم قام رجل من الانصار فقال يا عثمان ما بال هؤلاء نفر من أهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون فى سبيل الله وانما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه إلا من كان من هذه الشيوخ من أصحاب محمد عليه السلام فقال عثمان فاستغفر الله وأتوب اليه ثم قال يا اهل المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فانا والله لا نعطي مال الله الا لمن غزا فى سبيله الا من كان من هذه الشيوخ

(م ٣- الامامة)

من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوى القربى واليتامى
والمساكين وما كان من تطاوله فى البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة
داراً لثلاثة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته وبنان مروان القصور بذى
خشب وعمارة الأموال بها من الخس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه
العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أمية أحداث وغلبة لا صحة لهم من
الرسول ولا تجربة لهم بالأمر . وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى
بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربعة ركعات ثم قال لهم : ان شتم أن
أزيدكم ركعة زدتكم . وتعطيله إقامة الحد عليه وتأخير ذلك عنه وتركه
المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شىء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن
رأيهم وما كان من الحى الذى حى حول المدينة وما كان من ادارته القطاعات
والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحة من النبى عليه السلام
ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط وانه أول من
ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفين قبله بالدرة والخيزران
ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن
باصر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى
عثمان والكتاب فى يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقى وحده ففضى حتى
جاء دار عثمان فاستأذن عليه فاذن له فى يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن
الحكم وأهله من بنى أمية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له أنت كتبت هذا
الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال معى نفر تفرقوا فرقا منك قال ومن
هم قال لا أخبرك بهم قال فلم اجتأت على من بينهم فقال مروان يا أمير المؤمنين
إن هذا العبد الأسود (يعنى عمارا) قد جرأ عليك الناس وانك ان قتلتهم نكلت
به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه
فغشى عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبى

قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين هل جئتم عليا قلنا نعم فلم نخلص اليه فارسل طلحة الى الاشتر فأتاه فقال لي أخبره فأخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دعت عيناه والله قضى ماعليه أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال تبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وها هو ذا فأخرج كتابا فيه . بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجرين الاولين وبقية الشورى الى من بمصر من الصحابة والتابعين أما بعد أن تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها فإن كتاب الله قد بدلا وسنة رسوله قد غيرت واحكام الخليفين قد بدلت فنشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين باحسان الا قبل الينا واخذ الحق لنا واعطائنا فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وقيموا الحق على المنهج الواضح الذي فارقم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيتنا وحيل بيننا وبين أمرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهي اليوم ملكا عضودا من غلب على شيء اكله . أليس هذا كتابكم الينا؟ فبكي طلحة فقال الاشتر لما حضرنا اقبلتم تعصرون اعينكم والله لا نفارقه حتى تقتله وانصرف . قال ثم كتب عثمان كتابا بعثه مع نافع بن طريف الى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين الى من حضر الحج من المسلمين . أما بعد فاني كتبت اليكم كتابي هذا وانا محصور أشرب من برئ القصر ولا آكل من الطعام ما يكفيني خيفة ان تنفذ ذخيرتي فأموت جوعا انا ومن معي لا ادعى الى توبة أقباها ولا تسمع مني حجة أقولها فانشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابي الاقدم على فأخذ الحق في ومنعني من الظلم والباطل . قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه . وكتب الى أهل الشام عامة والى معاوية وأهل دمشق خاصة : أما بعد فاني في

من الصحابة . قال فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم عليه الحد (يعنى الوليد بن عتبة) فقال عثمان لعل دونك ابن عمك فاقم عليه الحد فقال على للحسن قم فاجلده فقال الحسن ما انت وذاك هذا لغيرك قال على لا ولكنك عجزت وفشلت يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده فقام فضربه وعلى يعد فلما بلغ اربعين امسك وقال جلد رسول الله اربعين وأبو بكر اربعين ولما عمر ثمانين وكل سنة

(حصار عثمان رضى الله عنه)

قال وذكروا انه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه على في بعض بواديه يثبتي اليها فأذن له واشتد الطعن على عثمان بعد خروج على ورجا الزبير وطلحة ان يميلا الهمما قلوب الناس ويغلبا عليهم واغتما غية على فكتب عثمان الى على اذ اشتد الطعن عليه : اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطيين وارفع امر الناس فى شأنى فوق قدره وزعموا انهم لا يرضون دون دمي وطمع فى زمن لا يدفع عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال : اكل السبع خير من افتراس الثعلب . فاقبل على اولى

فان كنت مأكولا فكُنْ خير آكل * والا فأدركنى ولما امزق

قال حويطب بن عبد العزى : ارسل الى عثمان حين اشتد حصاره فقال : قد بدا لى ان أتهم نفسى لهؤلاء فأنت عليا وطلحة والزبير فقال لهم هذا أمركم تولوه واصنعوا فيه ما شئتم فخرجت حتى جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مغلق لا يدخل عليه احد ثم انصرفت فاتيت الزبير فوجدته فى منزله ليس ببابه أحد فاخبرته بما أرسلنى به عثمان فقال قد والله قضى ما عليه أمير المؤمنين هل جئت عليا قلت نعم فلم أخلص اليه . فقمنا جميعا فاتينا طلحة ابن عبيد الله فوجدناه فى داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ما قال عثمان فقال طلحة

انه لعثمان قتال له محمد الى من أرسلك قال الى عامل مصر قال بماذا قال
أما معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا قال وكانت معه أداة قد
يبست فيها شيء يتقلقل فحركه ليخرج فلم يخرج فشقوا أدواته فاذا فيها كتاب
من عثمان الى عبد الله بن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين
والأنصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه : اذا أتاك محمد بن أبي بكر
وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتبهم وأقر على عملك حتى يأتيك رأيي فلما رأوا
الكتاب فرعوا منه ورجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين
كانوا معه ودفعه الى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً
وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبرهم
بقصة الغلام وقرأهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حقق على عثمان
وقام أصحاب النبي فلاحقوا منازلهم وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء
والخروج ومن كان معه وأجلب عليه محمد بن أبي بكر

(حصار أهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله)

قال وذكروا أن أهل مصر أقبلوا الى علي فقالوا ألم تر عدو الله ماذا كتب
فينا قم معنا اليه فقد أحل الله دمه فقال علي لا والله لا أقوم معكم قالوا فلم كتب
الينا قال ما كتب اليكم كتاباً قط فنظر بعضهم الى بعض ثم أقبلوا لاشتر النخعي
من الكوفة في ألف رجل وأقبل ابن أبي حذيفة من مصر في اربعمائة رجل فأقام
أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً وطلحة يحرض الفريقين جميعاً
على عثمان ثم أن طلحة قال لهم ان عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل اليه
الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه .

(مخاطبة عثمان من أعلى القصر طلحة وأهل الكوفة وغيرهم)

قال وذكروا أن عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى في أعلاه ثم

قوم طال فيهم مقامى واستعجلوا القدر فى وقد خيرونى بين ان يعملونى على شارب
من الابل الدخيل وبين ان انزع بينهم رداء الله الذى كسانى وبين ان أقيدهم من
قتلت . ومن كان على سلطان يخطىء ويصيب فياغوثاه وياغوثاه ولا أمير عليكم
دونى فالعجل العجل يا معاوية وادرك ثم ادرك وما أدراك تدرك

(تولية محمد بن أبى بكر على مصر)

قال وذكروا ان اهل مصر جاؤوا يشكون ابن ابى سرح عاملهم فكتب
اليه عثمان كتابا يتهد فيه فأبى ابن ابى سرح ان يقبل ما نباه عنه عثمان وضرب
بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله فخرج من أهل مصر
بسبعائة رجل فنزلوا فى المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله فى مواقيت الصلاة
ما صنع بهم ابن أبى سرح فقام طلحة وتكلم بكلام شديد وارسلت عائشة الى
عثمان فقالت له قد تقدم اليك أصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل
فأبيت إلا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك . ودخل عليه على
وكان مستكلم القوم فقال له انما يسألونك رجلا . كان رجل وقد ادعوا قبله دما
فأعزله عنهم واقض بينهم فان وجب لهم عليه حق فأنصفهم منه فقال اختاروا رجلا
أوله عليهم فقالوا استعمل محمد بن أبى بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد
من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن ابى سرح واهل مصر فخرج محمد
ومن معه حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فاذا هم بسلام اسود
عل بعير محبط البعير كأنه رجل يطالب أو يطالب فقال له اصحاب محمد ما قصتكم
وما شأنك كذا قال طالب أو هارب فقال انه غلام أمير المؤمنين وجهنى الى عامل
مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا أريد فاخبر محمد بأمره
فبعث فى طلبه رجلا فجاء به اليه فقال له غلام من أنت فاقبل مرة يقول
انا غلام مروان ومرة يقول انا غلام أمير المؤمنين حتى عرف رجل

عليك فان أحببت فالحق بمكة وان أحببت أن تخرق لك بابا من الدار فتلحق بالشام ففيها معاوية وأنصارك من أهل الشام وان أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى فقال عثمان أما ما ذكرت من الخروج الى مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الأمة من الانس والجن فلن أكون ذلك الرجل ان شاء الله وأما ما ذكرت من الخروج الى الشام فان المدينة دار هجرتي وجوار قبر النبي عليه السلام فلا حاجة لي في الخروج من دار هجرتي وأما ما ذكرت من محاكمة هؤلاء القوم الى الله فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته باهراق الدم ثم قال اني رأيت أبا بكر وعمر أتاني الليلة فقالا لي ضم فانك مفطر عندنا الليلة واني أصبحت صائما وإني أعزم ما كان يؤمن بالله واليوم الآخر إلا اخرج من الدار سالما فقالوا إنا إن أخرجنا لم نأمن على أنفسنا منهم فاذن لنا ففسكون في موضع من الدار فلما رأى ذلك على بعث لي طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب محمد كلهم بدرى ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلالم والبعر فقال على الغلام غلامك والبعر بعيرك فقال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال فالحاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وكتاب عليه خاتمك لاتعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم في أمر عثمان وعلموا إنه لا يحلف بباطل فقال قوم منهم لا يبرأ عثمان عن قلوبنا إلا إن يدفع الينا مروان حتى نعرف كيف يأمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله وقطع أيديهم بغير حق فان كان عثمان كتبه عزلناه وإن كان مروان كتبه نظرنا في أمره وما يكون في أمر مروان فأنصرفوا القوم ولزموا بيوتهم وأنى عثمان إن يخرج لهم مروان وخشى عليه القتل فبلغ عليا إن عثمان يراد قتله إنا أردنا مروان فأما قتل عثمان

نادى أين طلحة فأتاه فقال يا طلحة أما تعلم أن بر رومة كانت لفلان اليهودي لا يسقى أحداً من الناس منها قطرة إلا بشمن فاشتريتها بأربعين ألفاً فجعلت رشاقى فيها كرشاء رجل من المسلمين لم استأثر عليهم ؟ قال نعم : قال فهل تعلم أن أحداً يمنع أن يشرب منها اليوم غيرى لم ذلك قال لأنك بدلت وغيرت . قال فهل تعلم أن رسول الله قال من اشترى هذا البيت وزاده فى المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين ألفاً وأدخلته فى المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم احداً يمنع فيه من الصلاة غيرى قال لا قال لم لأنك غيرت وبدلت ثم انصرف عثمان وبعث الى على يخبره انه منع من المامويستغيث به فبعث اليه على ثلاث قرب بماء فمادت تصل اليه فقال طلحة : ما أنت وهذا وكان بينهما فى ذلك كلام شديد فبينما هم كذلك إذ أتاهم آت فقال لهم ان معاوية قد بعث من الشام يزيد بن أسيد ممدداً لعثمان فى أربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ما أتمم صانعون والا فانصرفوا وكان معه فى الدار مائة رجل ينصرونه منهم عبد الله ابن الزبير ومروان بن الحكم والحسن بن على وعبد الله بن سلام وأبو هريرة فلما سمع القوم إقبال أهل الشام قاموا فألهبوا النار يباب عثمان فلما نظروا أهل الدار الى النار نصبوا للقتال وتهيئوا فسكره ذلك عثمان قال لا أريد أن تهرق فى محجمة دم وقال بلبيع من فى الدار أتمم فى حل من بيعتى لا أحب أن يقتل فى أحد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال يا أمير المؤمنين مع من تأمرنى أن أكون ان غلب هؤلاء القوم عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فإن كانت الجماعة هى التى تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت ثم دخل عليه الحسن ابن على فقال مرني بما شئت فأتى طوع يدبك فقال له عثمان ارجع يا بن أخى اجلس فى بيتك حتى يأتى الله بأمره ثم دخل عليه أبو هريرة متقلداً سيفه فقال طاب الضراب يا أمير المؤمنين قد قتلوا منا رجلاً وقد ألهبوا النار فقال عثمان عزمتم عليكم يا أبا هريرة الا ألقى سيفك قال أبو هريرة فألقيته فلا أدري من أخذه قال ودخل المغيرة بن شعبه فقال له يا أمير المؤمنين ان هؤلاء قد اجتمعوا

يقيدوني بكل رجل أصبت خطأ أو عمداً وإما أن أعتزل عن الأمر فيؤمروا أحداً وإما أن يرسلوا إلى من أطاعهم من الجنود وأهل الأمصار فأرسلوا اليكم فأتيتم لتبتزوني من الذي جعل الله لي عليكم من السمع والطاعة فسمعتهم منهم وأطعتموهم والطاعة لي عليكم دونهم فقلت لهم أما إقادة من نفسي فقد كان قبلي خلفاء ومن يتولى السلطان يخطيء ويصيب فلم يستفد من أحد منهم وقد علمت أنهم يريدون بذلك نفسي وإما أن أتبرأ من الأمر فإن يصلبوني أحب إلى من أن أتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي . يا عثمان إن الله تعالى سيقتلكم قيصاً بعدى فإن أراذك المنافقون على خامه فلا تخلعه حتى تلقاني ولم أكن استسكركم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الأمة ومن يكن منهم يبتغي الدنيا فلن ينال منها إلا ما كتب له فاتقوا الله فإني لأرضى لكم إن تكثروا عهد الله وإني أنشدكم الله والاسلام أن لاتأخذوا الحق ولاتعطوه منى وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي وإني عاقبت أقواماً وما أبتغي بذلك إلا الخير وإني أتوب إلى الله من كل عمل عملته وأستغفره . أما والله لقد علمتم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث الردة عن الاسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ما كان ذلك منى في جاهلية ولا اسلام أو رجل قتل رجلاً فيفاد به . فقال بعضهم إنه لا يقول مقالا وقال آخر لئن سمعت منه ليصرفنكم فأبوا ورموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستقبل مثله ثم اشرف عليهم عبد الله بن سلام وكان من أهل الدار فقال يامعشر من حاصردار عثمان من المهاجرين والأنصار ممن أنعم الله عليهم بالاسلام لا تقتلوا عثمان فوالله إن حقه على كل مؤمن كحق الوالد على ولده ووالله إن على حوائط المدينة اثني عشر ألف ملك منذ أمد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم ووالله إئن قتلتموه ليسخطن عليكم ربكم ولتفرقن ملائكته عنكم وليقتلن بقتله أقواماً هم في

فلا ثم قال للحسن والحسين إذهبا بسيفكما حتى تقوموا على باب عثمان ولا تدعيا أحداً يصل إليه وبعث الزبير ابنه على كره وبعث طلحة ابنه كذلك وبعث عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس يدخلون على عثمان ويسألوه إن يخرج مروان فأشرف عليهم عثمان من أعلى القصر فقال : يا معشر المسلمين أذكركم الله أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب دار بني فلان ليوسع بها للمسلمين في مساجدهم فاشتريتها من خالص مالي وأتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيه أذكركم الله يا معشر المسلمين أستم تعلمون إن بر رومة كانت تباع القرية منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالي فبعثت رشائي كرشاء واحد من المسلمين وأنتم تمنعوني أن أشرب من ماءها وأنا اشتريتها حتى إنى ما أفطر إلا على ماء البحر أستم تعلمون إنكم تقتسم على أشياء فاستغفرت الله وتبت إليه منها وتزعمون إنى غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين وإلا فأخلف بالله الذى لا إله إلا هو ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا إطاعت عليه . يا قوم لا يجر منكم شقاقى إن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح يا قوم لا تقتلوني فأنكم إن قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه يا قوم إن الله رضى لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه فأنكم إن فعلتم الذى أنتم فاعلون لا تقوم الصلاة جميعا ويسلط عليكم عدوكم وإنى أخبركم إن قوما ظهروا للناس إنهم إنما يدعوننى إلى كتاب الله والحق فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم عمرى واستعجلوا القدر بى وقد كانوا كتبوا اليكم إنهم قد رضوا بالذى أعطيتهم ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئاً وكانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود وترك المظالم وردها إلى أهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ومثلهما من ذوى القوة والامانة وكل ذلك فعلت فلم يرضوا وحالوا بينى وبين المسجد فابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة وهم يخبروننى بين إحدى ثلاث إما إن

أهل السكوفة بمشقص في يده فوجأ بها منكبه مما يلي الترفوة فأدماء ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجاه بقائم سيفه فغشى عليه ومحمد بن أبي بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش المساء على وجهه فأفاق فدخل محمد بن أبي بكر وقد أفاق فقال له أى نعل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ للحيته فتتف منها خصلة وسل سيفه وقال أفرجوا لى فعلاه بالسيف فتلقيه عثمان بيده فقطعها فقال عثمان أما والله إنها أول يد خطت المفصل وكتبت القرآن . ثم دخل رجل أزرق قصير مجدر ومعه جزر من حديد فغشى اليه فقال على أى ملة أنت يا نعل فقال لست بنعل ولسكنى عثمان بن عفان وأنا على ملة ابراهيم حنيفاً وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه بالجزر على صدغه الايسر فغسله الدم وخر على وجهه وحالت نائلة بنت الفرافصة زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة وألقت بنت شيبه نفسها عليه ودخل عليه رجل من أهل مصر ومعه سيف مصلت فقال والله لأقطعن أنفه فعالج امرأته عنه فمكشفت عنها درعها فلما لم يصل اليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يارباح غلام لعثمان أسود ومعه سيف أعن عنى هذا فضربه الأسود فقتله ثم دخل الآخر معه سيف فقال أفرجوا لى فوضع ذباب السيف فى بطن عثمان فأمسكت نائلة زوجته السيف فخر أصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان فقتله فخرجت امرأته وهى تصيح وخرج القوم هاربين من حيث دخاوا فلم يسمع صوت نائلة لما كان فى الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معها فوجدوا عثماناً مقتولاً قد مثل به فأكبوا عليه ليكون وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولاً فبلغ علياً الخبر وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخاوا عليه واسترجعوا وأكبوا عليه ليكون ويعولون حتى غشى على على ثم أفاق فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأتما

الأصلا ب والأراحام وما خلقوا . وانى لأجده فى التوراة التى أنزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده عز وجل اليكم بالعبرانى وبالعربرى خليفتم المظلوم الشهيد والذى نفسى بيده لئن قتلتموه لا تؤدى بعده طاعة إلا عن مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتلن به الرجال ومن فى الأصـلاب فقالوا له أيا يهودى أشبع بطنك وكسى ظهرك والله لا ينطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال أما الشاتان والديكان فصدقتم ولكن التيسان الأكران يتناطحان فيه فخصبوه ورموه حتى شجوه فالتفت الى عثمان فقال له زعموا أنك أشبعت وكسوت ظهرى فأصبر يا أمير المؤمنين فوالذى نفسى بيده انى أجذك فى كتاب الله تعالى المنزل الخليفة المظلوم الشهيد فرميت بالسهم من كل جانب وكان الحسن بن على حاضرأ فأصابه سهم فخصبه الدم وأصاب مروان بسهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قبر مولى على فخشى محمد بن أبى بكر أن يفضب بنو هاشم للحسن فيسيرونها فنته .

(قتل عثمان رضى الله عنه وكيف كان)

وذكروا أن محمد بن أبى بكر لما خرج الحسن بن على أخذ بيد رجائين فقال لهما ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن قوموا حتى تنسور عليه فنقلته من غير أن يعلم أحد فتسور هو وصاحبا ه من دار رجل من الأنصار حتى دخوا على عثمان وما يعلم أحد من كان معه لأن كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فدخل عليه محمد بن أبى بكر فصرعه وقعد على صدره وأخذ باحيتيه وقال يانعل ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك بن عامر وابن أبى سرح فقال له عثمان : لورآنى أبوك رضى الله عنه لبكائى ولساءه مكانك منى فتراخت يده عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفنا فوضعه فى حجره ليتحرم به ودخل عليه رجل من

تعالى عليه وملائكته فقال له رجل منهم ان كنت نأدخلك الله مدخله فقال له حشرني الله معه قال له ان الله حاشرك مع الشياطين والله ان تركناكم به لعجز منا فقال القوم لا بل الجهم اسكت عنهم وكف فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كما نرى اسمع وقع رأسه على الروح حتى وضعوه في اذنى البقيع فأتاهم جيلة بن عمر والساعدي من الانصار فقال لا والله لا تدفنوه في بقيع رسول الله ولا تترككم تصلون عليه : فقال أبو الجهم انطلقوا بنا ان لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في حق حتى اذا اتوا به جسر كوكب حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمرهم جبير بن مطعم ثم دلوه في حفرة فلما رأت ابنته صاحت فقال ابن الزبير والله لأن لم تسكني لاضر بن الذي فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه بلين وسثوا عليه التراب حشوا

(بيعة على كرم الله وجهه وكيف كانت)

قال وذكروا انه لما كان في الصباح اجتمع الناس في المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان رحمه الله وسقط في أيديهم وأكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان فقال الناس لها أيها الرجلان قد وقعتما في أمر عثمان فخليا عن أنفسكما فقام طلحة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انا والله ما نقول اليوم إلا ما قلناه أمس إن عثمان خاطأ الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته وكرهنا إن نقتله وسرنا ان نسكناه وقد كثر فيه اللجاج وأمره إلى الله ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الله قد رضى لكم الشورى فاذهب بها الهوى وقد تشاورنا فريضنا عليا فبايعوه وأما قتل عثمان فانا نقول فيه إن أمره إلى الله وقد أحدث إحداثا والله وليه فيها كان . فقام الناس فأتوا عليا في داره فقالوا نبايعك فد يدك لا بد من أمير فأنت أحق بها فقال ليس ذلك اليكم إنما هو لأهل الشورى وأهل بدر فن رضى به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة

على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله ابن الزبير وخرج على وقد سلب عقله لا يدري ما يستقبله من أمره فقال طلحة مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال يا طلحة يقتل أمير المؤمنين ولم نقم عليه بيته ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال على لو دفع مروان قتل قبل أن تقوم عليه حكومة فخرج على ذاتي منزله وأغلق الباب . وكتبت نائلة بنت الفرافصة الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان وأخذ المصحف ليتحرم به وما صنع محمد بن أبي بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجا بالدم ممزقا وبالخصلة التي تنفخها محمد بن أبي بكر من لحية فتدنت الشعر في زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الانصاري فبعثته الى معاوية ومضى بالقميص حتى أتى على يزيد بن أسيد مددا لعثمان بعثه معاوية في أربعة آلاف فأخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام قال ثم دخل أهل ممر الدار فلما رأوا عثمان مقتولا ندموا واستحيوا وكره أكثرهم ذلك وثار أهل الدار في وجوههم فأخرجوهم منها ثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع .

(دفن عثمان بن عفان رضى الله عنه)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن اذهر قال لم أكن دخلت في شيء من أمر عثمان لا عليه ولا له فأتى جالس بفناء دارى ليلا بعد ما قتل عثمان بليلة اذ جاءني المنذر بن الزبير فقال ان اخي يدعوك فقممت اليه فقال لى إنا اردنا ان ندفن عثمان فهل لك قالت والله ما دخلت في شيء من شأنه وما اريد ذلك فانصرف عنه ثم اتبعته فاذا هو في نفر فيهم جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن ابى بكر وعبد الله بن الزبير فاحتماوه على باب وان راسه ليقول طق طق فوضعوه في موضع الجنائز فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لا تصلون عليه فقال أبو الجهم الا تدعون نصلى عليه فقد صلى الله

ما صنع الناس قال قتلوا عثمان قالت ثم ما صنعوا قال بايعوا علياً ثم أتوني فأكرهوني وليبوني حتى بايعت قالت وما لعلى يستولى على رقابنا لا أدخل المدينة ولعلى فيها سلطان فرجعت وكان الزبير خارجاً لم يشهد قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع عليه راكب من الحجاز فقال ما وراءك قال تركت عثمان محصوراً فقال عمرو قد يضطر البعير والمكواة في النار ثم لبث أياماً فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو وما الخبر قال قتل عثمان قال فما فعل الناس فقال بايعوا علياً قال فما فعل على في قتل عثمان قال دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال ما أمرت ولا نهيت ولا سرني ولا ساءني قال فما فعل بقتل عثمان فقال آوى ولم يرض وقد قال له مروان إن لا تكن أمرت فقد توليت الأمر وإن لا تسكن قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط والله أبو الحسن قال ثم كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب إليه سعد : إنك سألتني من قتل عثمان وإني أخبرك إنه قبل بسيف سلمته عائشة وصقله طلحة وسمه ابن أبي طالب وسكت الزبير وأشار بيده وأمسكنا نحن ولو شئنا دفنناه عنه ولكن عثمان غير وتغير وأحسن وأساء فإن كنا أحسننا فقد أحسننا وإن كنا أسأنا فاستغفر الله وأخبرك إن الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطله بذنبه وطلحة ليريجد إن يشق بطنه من حب الامارة لشقه قال وكان ابن عباس غائباً بمكة المشرفة فأقبل إلى المدينة وقد بايع الناس علياً قال ابن عباس فوجدت عنده المغيرة بن شعبه فجلست حتى خرج ثم دخلت عليه فسألني وسألته ثم قلت له ما قال لك الخارج من عندك آنفاً قال قال قبل هذه الدخلة أرسل إلى عبد الله بن عامر يعهدده على البصرة وإلى معاوية يعهدده على الشام فانك تهديء عليك البلاد وتسكن عليك الناس ثم أناأت الآن فقال لي إني كنت أشرت عليك برأي لم أتعبه فلم أرى ذلك رأياً وإني أرى إن تنذب إليهما العداوة فقد كفك الله عثمان وهما أهون مودة منه فقال له ابن عباس أما المرة الأولى

فنجتمع وننظر في هذا الأمر فأبى إن يبايعهم فأنصرفوا عنه وكلم بعضهم بعضاً فقالوا يمضى قتل عثمان في الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون إنه ببيع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم في ناحية فلا نأمن إن يكون في ذلك الفساد . فارجعوا إلى علي فلا تتركوه حتى يبايع فيسير مع قتل عثمان بيعه على فيطمئن الناس ويسكنون فرجعوا إلى علي وترددوا إلى الاشترا النخعي فقال لعل أبسط يدك نبايعك فقال له مثل ما قال لهم فقال الاشترا والله لتمدن يدك لنايعك أو لتعصرن عينك عليها ثالثة ولم يزل به يكلمه ويخوفه الفتنة ويدكر مثله إنه ليس أحد يشبهه فد يده فبايعه الاشترا ومن معه ثم أتوا طلحة فقالوا له اخرج فبايع قال من ؟ قالوا علياً قال تجتمع الشورى وتنظر فقالوا أخرج فبايع فامتنع عليهم فجاؤا به يلبونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال أبو ثور كنت فيمن حاصر عثمان فكنت آخذ سلاحي وأضعه وعلى ينظر إلى لا يأمرني ولا ينهاني فلما كانت البيعة له خرجت في أثره والناس حوله يبايعونه فدخل حائطا من حيطان بني مازن فألجأوه إلى نخلة وحاولوا بيني وبينه فظطرت إليهم وقد أخذت أيدي الناس ذراعه تختلف أيديهم على يده ثم أقبل إلى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه يده وكانت أصابعه شلا فتطير منها على فقال ما أخلقها أن تنكث ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعا ثم نزل فدعا الناس وأمر بطلب مروان فهرب منه وطلب نفراً من بني أمية وابن أبي معيط . فهربوا وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله فقال لها عمار بالأمس تحرضين عليه الناس واليوم تبكينه ثم جاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل عليه رجالا لا أعرفهم إلا إن أرى وجوههم وكان معهم محمد بن أبي بكر فدعا علي محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فدكر لي أبي فقامت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتله ولا أمسكته فقالت صدق ولكن هو أدخلهم قال ثم خرج طلحة فلقى عائشة فمالت له

يا أباي ليظنن عليك معاوية لأنه من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فقال
على يابني وما علينا من ظلمة والله ما ظلمناه ولا أمرنا ولا نصرنا عليه ولا
كتبنا فيه إلى أحد سواداً في بياض وانك لتعلم أن أباك أبرأ الناس من دمه ومن
أمره فقال له الحسن . دع عنك هذا والله اني لا أظن بل لا أشك أن ما في المدينة
عائق ولا عذراء ولا صبي إلا وعليه كف من دمه فقال يابني انك لتعلم أن أباك
قد رد الناس عنه مراراً أهل الكوفة وغيرهم وقد أرسلتكم جميعاً بسيفكم لتصرانه
وتموتان دونه فيها كما عن القتال ونهى أهل الدار أجمعين وأيم الله لو أمرني بالقتال
لقاتلت دونه أو أموت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين
عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، قال ثم دخل المغيرة بن شعبة فقال له
على أهل لك يا مغيرة في الله قال فأين هو يا أمير المؤمنين قال تأخذ سيفك فتدخل
معنا في هذا الأمر فتدرك من سبقك وتسبق من معك فاني أرى أموراً لا بد
للسيوف أن تشخذ لها وتقطف الرؤس بها فقال المغيرة اني والله يا أمير المؤمنين
ما رأيت عثمان مصيباً ولا قتله صواباً وانها لمظلمة تتلوها ظلمات فاريد يا أمير
المؤمنين ان أذن لي أن أضع سيفي وأنا في نيتي حتى تتجلى الظلمة ويطلع قمرها
فسرى مبصرين تقفوا آثار المهتدين وتتبي سبيل الجائرين قال على قد أذنت لك
فكن من أمرك على ما بدالك . فقام عمار فقال معاذ الله يا مغيرة تعهد أعنى بعد
أن كنت بصيراً يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته أنظر ما ترى وما تفعل فاما
فلا أكون إلا في الرعيل الأول . فقال له المغيرة يا أبا القيثان إياك أن تكون
كقاطع السلسلة فر من الضحل فوق في الرمصا فقال على لعمري فانه لن
يأخذ من الآخرة إلا ما خالطته الدنيا أما والله يا مغيرة انها المؤيدة تؤدى
قام فيها الى الجنة ولما احتار بعدها فاذا غشيناك قم في بيتك فقال المغيرة أنت
والله يا أمير المؤمنين اعلم مني ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك قان يكن
ما فلت صواباً قاياه أردت وان حطاً فنه نجوت ولي ذنوب كثيرة لا قبل لي بها
إلا الاستغفار منها .

فقد نصحك فيها وأما الثانية فقد غشك فيها قال فاني قد ولتلك الشام فسر اليهما قال قلت ليس هذا برأى أترى معاوية وهو ابن عم عثمان غنيا بيني وبين عمله ولست آمن أن أظفرني أن يقتلني بعثان وأدنى ما هو صانع أن يحبسني ويحكم علي ولكن أكتب الى معاوية فنه وعده فإن استقام لك الأمر فابعثني قال ثم أرسل بالبيعة الى جميع الأمصار فجاءته البيعة من كل مكان إلا الشام فانه لم يأتها منها بيعة . فأرسل الى المخيرة بن شعبة فقال له سر الى الشام فقد وليتسكا قال تبعثني الى معاوية وقد قتل ابن عمه ثم آتبه واليا فيظن اني من قتلة ابن عمه ولكن ان شئت ابعث اليه بعده فانه بالحرى اذا بعثت له بعده يسمع ويطيع فكتبت على الى معاوية : أما بعد فقد ولتلك ما قبلك من الأمر والمال فبايع من قبلك ثم أقدم الى ألف رجل من أهل الشام فلما أتى معاوية كتاب علي دعا بطومار فكتب فيه من معاوية الى علي : أما بعد فانه .

ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلي وضرب الرقاب فلما أتى عليا الكتاب ورأى ما هو مشتمل عليه كره ذلك وقام فأتى منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال له : اما والله قد كنت امرتك فعصيتني فقال له علي وما امرتني به فعصيتك فيه قال امرتك ان تركب رواحلك فتلحق بمكة المشرفة فلا تنهم به ولا تحمل شيئا من امره فعصيتني وامرتك حين دعيت الى البيعة ان لا تبسط يدك إلا على بيعة جماعة فعصيتني وامرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ان لا تسكرهما على البيعة وتخلي بينهما وبين وجههما وتدع الناس يتشاورون عاما كاملا فوالله لو تشاوروا عاما ما زويت عنك ولا وجدوا منك بداً وأنا آمرك اليوم أن تقلبهما بيعتهما وترد الناس أمرهم فان رفضوك رفضتهم وان قبلوك قبلتهم فاني والله قد رأيت القدر في رؤوسهم وفي وجوههم النكث والكراهية . فقال له علي أنا اذا مثلك لا والله يابني ولكن أقاتل بمن أطاعني من عصائي وأيم الله ما زلت مبغياً على منذ هلك جددك فقال له الحسن وأيم الله

على لا ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد قال
وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق وطلحة في اليمين فلما استبان لهما أن علياً
غير موليهما شيئاً أظهر الشكاة فتكلم الزبير في ملا من قريش فقال هذا جزاؤنا
من على قناله في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس
في بيته وكفى الأمر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا فقال طلحة ما اللوم إلا
أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا
ما في يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا . قال فأنتهى تولها الى على .

(خلاف عائشة رضي الله عنها على)

قال وذكروا أن عائشة لما أتتها أنه ببيع لعلى وكانت خارجة عن المدينة
فقبل لها قتل عثمان وبايع الناس علياً فقالت ما كنت أبالي أن تقع السماء على
الأرض قتل والله مظلوماً وأنا طالبة بدمه فقال عبيد أن أول من طعن عليه
وأطمع الناس فيه لأنك ولقد قلت اقتلوا نعلنا فقد جفرت عائشة قد والله
قلت وقال الناس وآخر قولي خير من أوله فقال عبيد عذر والله ضعيف يا أم
المؤمنين . ثم قال

منك البداء ومنك الخير * ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الاما * م وقلت لنا انه قد فجر

فبينما أطعناك في قتله * وقاتله نمدنا من أمر

قال فلما أتت عائشة خبر أهل الشام أنهم ردوا بيعة علي وأبوا أن يبايعوه أمرت

فعمل لها هودج من جديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير

وطلحة وعبد الله ابن الزبير ومحمد بن طلحة .

(خطبة على بن أبي طالب كرم الله وجهه)

قال وذكروا أن البيعة لما تمت بالمدينة خرج على إلى المسجد الشريف
قصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعد الناس من نفسه خيراً وتألّفهم جهده :
ثم قال : لا يستغنى الرجل وإن كان ذا مال وولد عن عشيرته ودفاعهم عنه
بأيديهم وألستهم . هم أعظم الناس حيلة من ورائه واليهم سعيه وأعطفهم عليه
إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور ومن يقبض يده عن عشيرته
فانه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن بسط يده بالمعروف
ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ما أنفق في دينه ويضاعف له في آخرته .
واعلموا أن لسان صدق يجعله الله للبر في الناس خير له من المال فلا يزداد
أحدكم كبرياء ولا عظمة في نفسه ولا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصالحها بالذي
لا يزيدها أن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه واعلموا أن الدنيا قد أدبرت والآخره
قد أقبلت إلا وأن المضمار اليوم والسبق غداً إلا وأن السبق الجنة والغاية النار
إلا أن الأمل يشهى القلب ويكذب الوعد ويأني بغفلة ويورث حسرة فهو غرور
وصاحبه في عناء فافزعوا إلى قوام دينكم وإتمام صلاتكم وإداء زكاتكم والنصيحة
لأمامكم وتعلموا كتاب الله وصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم وأدوا الأمانات إذا ائتمتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا
عذابه واعلموا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير

(اختلاف الزبير وطلحة على كرم الله وجهه)

قال وذكروا أن الزبير وطلحة أتيا علياً بعد فراغ البيعة فقالا هل تدري على
ما بايعناك يا أمير المؤمنين قال على نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه
أبا بكر وعمر وعثمان فقالا لا : ولكننا بايعناك على أنا شريكك في الأمر قال

(هروب مروان بن الحكم من المدينة المنورة)

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما يبيع على هرب من المدينة فليحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة ما ورامك فقال مروان غلبنا على أنفسنا

(خروج على من المدينة)

قال وذكروا ان عليا تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب اليه كتابا بعد كتاب منيه ويعدّه أولا ثم كتابا يخوفه فيه ويتوعده فخبس معاويه جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير ما يحب فلما أتاه ذلك شخص من المدينة في تسعة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس واستخلف على المدينة فثم بن عباس وكان له فضل وعقل وامره ان يشخص اليه من أحب الشخصوس ولا يحمل أحداً على ما يكره فخبف الناس الى على بعده ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان في بعض الطريق اتاه كتاب اخيه عقيل بن ابى طالب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد يا اخى كلاك الله والله جائرك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه على كل حال وانى خرجت مبتمرا فلقيت بمائسة منها طلحة والزبير وذو وهما متوجهون الى البصرة قد اظهروا الخلاف ونكثوا البيعة وركبوا عليك قتل عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم واوباشهم ثم مر عبد الله بن ابى سرح فى نحو من أربعين راكبا من أبناء الطلقاء من بنى امية فقلت لهم وعرفت المتكر فى وجوههم ابعادية لتحقون عداوة . والله انها منكم ظاهرة غير مستسكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمر الله فاسمعنى القوم واسمعتمهم ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون ان الضحالك بن قيس اغار على الحيرة واليمامة فاصاب

(اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة)

﴿ عن مشاهدة علي وحروبه ﴾

قال وذكروا أن عمار بن ياسر قام إلى علي فقال يا أمير المؤمنين أنتن لي آتي عبد الله بن عمر فأكله لعله يخف معناني هذا الأمر فقال علي نعم فأتاه فقال له يا أبا عبد الرحمن انه قد بايع عليا المهاجرون والأنصار ومن أن فضلناه عليك لم يسخطك وإن فضلناك عليه لم يرضك وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة وقد علمت أن علي القاتل القتل وعلى المحسن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا يقتل بالحجارة وإن عليا لم يقتل أحداً من أهل الصلاة فيلزمه حكم القاتل فقال ابن عمر يا أبا اليقظان إن ابن جمع أهل الشورى الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عنهم راض فكان أحقهم بها على غير انه جاء أمر فيه السيف ولا عرفه لكن والله ما أحب أن لي الدنيا وما عليها وإني أظهرت واضمرت عداوة علي قال فأنصرف عنه فآخبر عليا بقوله فقال علي لو أتيت محمد بن مسلمة الانصاري فاتاه عمار فقال له محمد مرحبا بك يا أبا اليقظان علي فرقة ما بيني وبينك والله لولا ما في يدي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبايعت علياً ولو أن الناس كانوا عليهم لسكنت معه ولكنه يا عمار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأي فقال عمار كيف قال قال رسول الله إذا رأيت المسلمين يقتتلون أو إذا رأيت أهل الصلاة فقال عمار فإن كان لك إذا رأيت المسلمين فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفهما ابداً وإن كان لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك إنما أنت أحد الشامدين فتردد من رسول الله قولاً بعد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم وأموالكم عليكم حرام إلا بحدث فتقول يا محمد لا تقتتلوا المحمديين قال حسبك يا أبا اليقظان قال ثم أتى سعد بن أبي وقاص فكلّمه فآخبره الكلام القبيح فأنصرف عمار إلى علي فقال له علي : دع هؤلاء الرهط أما ابن عمر فضعيف وأما سعد فحسود وذنبى إلى محمد بن مسلمة أتى قتلت أخاه يوم خيبر • رجب اليهود

به مسيرك الى بينك وبنى أليك فلا حاجة لى فى ذلك فذرهم راشدا مهديا فوالله ما احب
ان تهلكتوا معى ان هلكت . وانا كما قال أخو بنى سليم
فان تسألينى كيف صبرى فأنى * صبور على ريب الزمان صليب
عزيز على إن أرى بكاءة * فيشمت واش أو يساء حبيب
(كتاب أم مسلمة إلى عائشة)

قال وذكروا إنه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير
ونصّبهم الحرب لعلّي وتالفهم الناس كتبت أم مسلمة إلى عائشة : أما بعد فانك
مسدة بين رسول الله وبين أمته وحجابك مضروب على حرمة قد جمع القرآن
الكريم ذيلك فلا تبدليه وسكن عتيرتك فلا تصيحيه والله من وراء هذه الأمة
قد علم رسول الله مكانك لو أراد إن يعهد إليسك وقد علمت إن عمود الدين
لا ينب بالنساء إن مال ولا يراب بهن أن انصدع خرات النساء غص الأبار
وضم الذبول ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك باطراف
الجبان والفاوات على قود من الابل من منهل إلى منهل أن يعين الله مهواك وعلى
رسول ان صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابك الذى ضرب الله عليك
عهيداه ولو أتيت الذى تريدن ثم قيل لى أدخل الجنة لاستحييت إن القى الله
هاتكة حجابا قد ضربه على فاجعلى حجابك الذى ضرب عليك حصنك فابغيه
هزلا لك حتى تلقيه فان أطوع ماتكونين إذا ما لزمته وأنصح ماتكونين إذا
ما قعدت فيه ولو ذكرتك كلاما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتى نهش
الحية والسلام . فكتبت عائشة : ما أقبلنى لو عظك وأعلمنى بنصحك وليس مسيرى
على ما تظنين ولنعلم المطلاع مجامع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فان أقدر فنى
غير حرج وإن أخرج فلا غنى لى عن الازدياد منه والسلام

(استنصار عدى بن حاتم قومه لنصرة على رضى الله عنه)

قال وذكروا إن ابن حاتم قام إلى على فقال يا أمير المؤمنين لو تقدمت إلى قومي

ماشاء من أموالها ثم انكفار راجعا الى الشام فاف لحياة في زهو جرا عليك الضحك وما الضحك الا فقع بقرقرة فظننت حين بلغني ذلك ان أنصارك خذلوك فاكتب الى يابن امي برأيك وامرك فان كنت الموت تريد تحملت اليك بنى أخيك وولد أليك فمشتنا ما عشت وميتنا معك اذا مت فوالله ما احب ان ابقى بعدك فولله الاعز الاجل ان عيشا اعيشه بعدك في الدنيا لغير هنىء ولا مرىء ولا نجيع والسلام . فكتب اليه على كرم الله وجهه . أما بعد يا أخى فكلاك الله كلاءته من بخشاء انه حميد مجيد قدم على عبد الرحمن الازدى بكتابك تذكر فيه انك لقيت بن أبى سرح فى أربعين من أبناء الطلائع من بنى أموية متوجهين الى المغرب وابن أبى سرح يا أخى طال ما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصد عن كتابه وسنته وبغضاها عوجا فدع ابن أبى سرح وقريشا وتركاضهم فى الضلال فان قریشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهاروا حتى وجدوا فضلى ونصبوا الى الحرب وجدوا فى اطفاء نور الله اللهم ناجز قریشاعنى بفعلها فتاة قتلعت رحى وظاهرت على وسابتنى سائمان ابن عمى وسلمت ذلك لمن ليس فى قرابتى وحق فى الاسلام وسابقتى التى لا يدعى مثلاً مدع الا ان يدعى مالا أعرف ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيرا . واما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة فهو اذل والام من ان يكون مر بها فضلا عن الغارة ولكن جاء فى تخيل جريده فسرحت اليه جندا من المسلمين فلما باخه ذاك ولي هاربا فأتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للاياب فاقتتلوا وقتلوا من اصحابه بضعة عشر رجلا ونجا هاربا بعد ان أخذ منه بالخنق فلولوا الليل مانجا واما ما سالت ان اكتب اليك منه برأى فان رأيت جهاد المحلين حتى التى الله لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزة ولا تفرقهم عنى وحشة لاني محق والله مع الحق وما اكراه الموت على الحق لان الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا الى الحق : واما ما عرضت

ضمن لعلى قومه فأجابوه وقضوا عنه ذمامه قلم يغتل الغنى بالغنى ولا الفقير بالفقر
وواسى بعضهم بعضا حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة والأنصار فى الأثرة وهم
جيرانكم فى الديار وخطاؤكم فى الأموال فأنشدكم الله لا يقول الناس غدا نصرت
طىء وخذلت بنوا سدوان الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل فان خفتم فتوسعوا
فى بلادهم وانضموا إلى جبلهم وهذه دعوة لهما ثواب من الله فى الدنيا والآخرة
فقام إليه رجل منهم فقال يا زفر إنك لست كعدى ولا أسد كطىء إرتدت العرب
فتبت طىء على الاسلام وجاء عدى بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لو نفرت
طىء بأجمعها لمحت رعائوها دارها ولو أن منعنا أضعافنا لخنقنا على دارنا فان
كان لا يرزقك منا إلا ما أرضى عديا من طىء فليس ذلك عندنا وإن كان
لا يرزقك قدر ما يرد عنا عذر الخذلان وأثم المعصية فلك ذلك منا فسار معه
من أسد جماعة ليست كجماعة طىء حتى قدم بها على

(توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة)

قال وذكروا إنه لما اجتمع طلحة والزبير وذو وهما مع عائشة وأجمعوا على المسير
من مكة اتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم إلى النصرة ووعدهم الرجال والأموال
فقال سعيد بن العاصى لطلحة والزبير ان عبد الله بن عامر يدعوكا إلى النصرة
وقد فر من أمابا فرار العبد الأبق وهم فى طاعة عثمان ويريد ان يقاتل بهم عليا
وهم فى طاعة على وخرج من عندهم اميرا ويعود اليهم طريدا وقد وعدكم الرجال
والأموال فاما الأموال فعنده واما الرجال فلا رجل فقال مروان بن الحنظل
أيها الشيخان ما يمنعكما ان تدعوا الناس إلى بيعة مثل بيعة على فان أحابوكم
عارضته بيعة كبيعتهم وان لم يجيبوكا عرفتما مالكم فى انفس الناس فقال طلحة
منعنا ان الناس بايعوا عليا بيعة عامة فيما تنقضها ؟ وقال الزبير ومنعنا أيضا من
ذلك تمافلنا عن نصرة عثمان وخففتنا إلى بيعة على . فقال الوليد بن عتبة ان كتبنا
اسما فقد أحسبنا وان كتبنا اخطأتما فقد أصبنا وأتينا اليوم خير منكما امس

أخبرهم بمسيرك وأستغفرهم فإن لك من طيء مثل الذي معك فقال على نعم فافعل
فتقدم عدى إلى قومه فاجتمعت إليه رؤساء طيء : فقال لهم : يا معشر طيء إنكم
أمسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشرك ونصرتهم الله ورسوله
في الاسلام على الردة وعلى قادم عليكم وقد ضمنتم له مثل عدة من معه منكم
تخففوا معه وقد كنتم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا فقاتلوا في الاسلام على الآخرة
فإن أردتم الدنيا فعند الله منامكم كثيرة وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة وقد
ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فأجيبوا قولي فإنكم أعز العرب داراً
لكم فضل معاشكم وخيلكم فاجعلوا فضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد
وقد أظلمكم على والناس معه من المهاجرين والبدريين والأنصار فكروا أكثرهم
عدداً فإن هذا سبيل للحى فيه الغنى والسرور وللقليل فيه الحياة والرزق نصاحت
طيء نعم نعم حتى كاد أن يصم من صياحهم . فلما قدم على طيء أقبل شيخ من
طيء قد هرم من السكبر فرفع له من حاجبيه فنظر إلى على فقال له أنت ابن أبى
طالب ؟ قال نعم . قال مرحباً بك وأهلاً قد جعلناك بيننا وبين الله وعدياً بيننا
وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو أتينا غير مبايعين لك لنصرتناك لقرابتك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامك الصالحة ولئن كان ما يقال فيك من
الخير حقاً إن في أمرك وأمر قريش لهجراً إذا خرجوك وقدموا غيرك . سر
فوالله لا يتخلف عنك من طيء إلا عباء أو دعى إلا باذنك فشخص معك من
طيء ثلاثة عشر ألف راكب

(إستنفار زفر بن زيد قومه لنصرة على)

قال وذكروا إن زفر بن زيد بن حذيفة الأسدى وكان من سادة بنى أسد قام
إلى على فقال يا أمير المؤمنين إن طيأ إخواننا وجيراننا قد أجابوا عدياً ولى قومي
طاعة فاذن لى فأتهم قال نعم فأتاهم بغيرهم وقال . يا بنى أسد إن عدي بن حاتم

واقف عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعيان أشنى لك من الخبر والسلام . وكتبنا الى المنذر . أما بعد فان أباك كان رئيسا في الجاهلية وسيدا في الاسلام وانك من أهلك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد أو لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام . فلما وصلت كتبهما الى القوم قام زياد بن مضر والنعيمان بن شوال وعزوان فقالوا مالنا ولهذا الحى من قريش ليريدون ان يخرجونا من الاسلام بعد ان دخلنا فيه ويدخلونا فى الشرك بعد ان خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا عليا لهم مالمهم وعليهم ماعليهم وكتب كعب بن سور الى طلحة والزبير . أما بعد فاننا غضبان لعثمان من الاذى والعر باللسان فجاء أمر الخير فيه بالسيف فان يك عثمان قتل ظالما فما لكما وله وان كان قتل مظلوما فخير كما أولى به وان كان أمره اشكل على من يشهده فهو على من غاب عنه اشكل . وكتب الاحنف اليهما . أما بعد فانه لم يأتنا من قبلكم أمر لانشك فيه الا قتل عثمان وان كنتم قادمون علينا فان يكن فى العيان فضل نظرنا فيه ونفارتهم والا يكن فيه فضل فليس فى أيدينا ولا فى أيديكم ثمة والسلام . وكتب المنذر . أما بعد فانه لم يلحقنى أهل الخير الا ان أن أكون خيرا من أهل الشر وانما أوجب حق عثمان اليرم حقه أمس وقد كان بين اظهركم فخذلتموه فتمى استبظتكم هذا العلم وبدا لكم هذا رأى فلما قرأ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا . ثم خدا مروان الى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينيب . فعاوداه فتكلم طلحة . فقال يا أبا عبد الرحمن انه والله لرب حق ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالخط ان عليا يرى انفاذ بيعه وان معاوية لا يرى ان يبايع له وانا نرى ان نردها شورى فان سرت منا ومع أم المؤمنين صلحت الامور وإلا فهى الهاكة . فقال ابن عمر . إن يكن قولكما حقا ففضلا ضيعت وإن يكن باطلا فمتر منه نجوت واعلمنا أن بيت عائشه خير لها من هودجها وأتما

فقال مروان اما انا فهاى الشام وهو اكما البصرة وأنا معكم وان كانت الهلكة
فقال سعيد بن العاصي أما أنا فراجع الى منزلى فلما استقام أمرهم واجتمعت
كلتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس شيء انفع ولا يبلغ في استمالة اهواء
الناس من ان تشخص لعبد الله بن عمر فاتياه فقولوا يا ابا عبد الرحمن ان امنا
عائشة خفت لهذا الامر رجاء الاصلاح بين الناس فاشخص معنا فان لك بها اسوة
فان بايعنا الناس فانت أحق بها فقال ابن عمر أيها الشيخان اتريدان ان تخرجاني
من بيتي ثم تلقياى بين مخالف بن أبي طالب ان الناس إنما يخدعون بالدينار
والدرهم وانى قد تركت هذا الامر عيانا في عافية أنالها فانصرفا عنه . وقدّم يعلى
بن منبه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فاخرج اربعة مائة بعير ودعا الى الجملان
فقال الزبير دعنا من إبلنا واقرضنا من هذا المال فاقرض الزبير ستين الفا وأقرض
طلحة أربعين الفا ثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال وعليها
منازلة وهو ابن عم الرجل ومتى نجتمع يولنا عليه وقال عبد الله بن عامر البصرة
فان غلبتم عليا فلكم الشام وان غلبكم علي كان معاوية لكم جنة وهذه كتب
أهل البصرة الى فقال يعلى بن منبه وكان ذاهبا اليها الشيخان قدرا قبل ان ترحلا
ان معاوية قد سبقكم الى الشام وفيها الجماعة وانتم تقدمون عليه غدا في فرقه وهو
ابن عم عثمان دونكم رأيتم ان دفعكم عن الشام أو قال اجعلها شورى ما أتم
صانعون اتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجوا منها وأقبح من ذلك ان تأتيا
رجلا في يديه أمر قد سبقكما اليه وتريدان ان تخرجاه منه فقال القوم قال أين
قال الى البصرة فقال الزبير لعبد الله ابن عامر من رجال البصرة ؟ قال ثلاثة
كلهم سيد مطاع كعب بن سور في اليمن والمنذر بن ربيعة في ربيعة والاحنف
بن قيس في البصرة فكتب طلحة والزبير الى كعب ابن سور أما بعد فانك قاضى عمر
ابن الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيد أهل اليمن وقد كنت غضبت لعثمان من الاذى
فاغضب له من القتل والسلام . وكتبنا الى الاحنف بن قيس : أما بعد فانك

بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله ما معهما مثل ما معك ولا يقدمان على مثل ما تقدم عليه فسر فان الله معك وتتابع الانصار فقالوا وأحسنوا . قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد بن العاصي على تحيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبه فنزل وتوكلأ على قوس له سوداء فألقى عائشة فقال لها أين تريدن يا أم المؤمنين قالت أريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت أطلب بدم عثمان قتل فهو لاء قتلة عثمان معك ثم أقبل على مروان فقال له وأين تريد أيضا قال البصرة قال وما تصنع بها قال أطلب قتلة عثمان قال فهو لاء قتلة عثمان ممك إن هذين الرجلين قتلا عثمان « طلحة والزبير » وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلما غلبا عليه قالوا نغسل الدم بالدم والحبوبة بالتوبة . ثم قال المغيرة بن شعبه . أيها الناس إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم فارجموها خيراً لكم وإن كنتم غضبتم لعثمان فروؤسواكم فقتلوا عثمان وإن كنتم تقسمتم على شيء فبينوا ما تقسمتم عليه أنشدكم الله فقتلن في عام واحد فأبوا إلا أن يمضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصي باليمن ولحق المغيرة بالطائف فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفين فلما اتبعا إلى ماء الحوآب في بعض الطريق ومعهما عائشة نبجها كلاب الحوآب فقالت لمحمد بن طلحة أي ماء هذا قال هذا ماء الحوآب فقالت ما أراني إلا راجعة قال ولم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه : كآني باحدا كن قد نبجها كلاب الحوآب وإياك أن تكوني أنت يا حيراء . فقال لها محمد بن طلحة تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول . وأنى عبد الله بن الزبير يخاف لها بالله لقد خلفته أول الليل وأتاهما ببنه زور من الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الاسلام فلما انتهى إتيانهم على أهل البصرة ودنوا منها قام عثمان بن حنيف عامل البصرة . لعلي بن أبي طالب فقال : يا أيها الناس إنما بايعتم الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً

المدينة خير لكما من البصرة والذل خير لكما من السيف ولن يقاتلا عليا إلا من كان خيرا منه وأما الشورى فقد والله كانت فقدم وأخرتما ولن يردھا إلا أولئك الذين حكموا فيها فاكفيا أنفسيك فأنصرفا . فقال مروان استعينا عليه بحفصة فأتيا حفصة فقالت لو أطاعني أطاع عائشة دعاه فاتركاه وتوجهنا الى البصرة واتهما عبد الله بن خلف فقال لهما . إنه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه في عثمان شئ إلا وقد بلغ أهل العراق وقد كان منكبا في عثمان من التخليب والتأليب ألا يدفعه جحود ولا ينفعكم فيه عذروا أحسن الناس فيكم قولاً من أزال عنكم القتل وألزمكم الخذل وقد بايع الناس عليا بيعة عامة والناس لا قوكا غدا فما تقولان فقال طلحة نكر القتل ونكر بالخذلان ولا ينفع الاقرار بالذنب إلا مع الندم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا . وقال الزبير بايعنا عليا والسيف على أعناقنا حيث توائب الناس بالبيعة اليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأ فوجب علينا الدية ولا عداً فيجب علينا القصاص . فقال عبد الله بن خلف عذركما أشد من ذنبكما قال فتبياً القوم للسير فقال طلحة والزبير أسرعوا السير لعائنا نسبتى عليا من خلاف طريقه الى البصرة قال وكتب قثم بن عباس الى علي يخبره أن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم يخف معهم إلا من لا يعتد بمسيره ومن خالفت بعدك فعلى ما تحب . فلما قدم على علي كتابه غم ذلك وأعظمه للناس وسقط في أيديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال : يا أمير المؤمنين إنه والله ما غنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة لأن هذين الرجلين حلال الدم عندنا لبيعتهما ونكحتهما ولأن عائشة من علبت مقامها في الاسلام ومكانها من رسول الله مع فضلها ودينها وأمومتها منا ومنك ولكمهما يقدمان البصرة وليس كل أهلها لها وتقدم السكونة وكل أهلها لك ونسير بحقك إلى باطلهم ولقد كنا نخاف أن يسير إلى الشام فيقال صاحب رسول الله وأم المؤمنين فيشتد البلاء وتعظم الفتنة فأما اذا أتيا البصرة وقد سبقت اليه طاعتك وسبقوا إلى

هذا الأمر غيره وليس على هذا بايعناه وأيم الله ليسفكن دمه : فقال أبو الأسود يا عمر أن أما هذا فقد صرح أنه إنما غضب للملك . ثم أتيا الزبير فقالا يا أبا عبد الله إنا أتينا طلحة قال الزبير إن طلحة وإياي كروح في جسدين وإنه والله يا هذان قد كانت منا في عثمان فلتأت احتجنا فيها إلى المذاير ولو استقبلنا من أمرنا ما إستدبرنا نصره ثم أتيا فدخلوا على عائشة فقالا يا أم المؤمنين ما هذا المسير أمعك من رسول الله به عهد قالت : قتل عثمان مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نخضب لعثمان من القتل فقال أبو الأسود وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقال يا أبا الأسود بلغني أن عثمان بن حنيف يريد قتلى فقال أبو الأسود نعم والله قتالا أهونه تنذر منه الرأس . وأقبل غلام من جبهة إلى محمد بن طلحة فقال حدثني عن قتله عثمان قال نعم دم عثمان على ثلاثة ثلاث ثلاث على صاحبة اليهودج وثلاث على صاحب الجمل الأحمر وثلاث على علي بن أبي طالب فضحك الجهمي ولحق بعلي ابن أبي طالب وبلغ طلحة قول ابنه محمد وكان محمد من عباد الناس فقال له يا محمد أنزع عننا قولك إني قاتل عثمان كذلك تشهد على أهلك كن كعبد الله ابن الزبير فوالله ما أنت بخير منه ولا أبوك بدون أبيه كف عن قولك وإلا فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد وفسادك فساد عامة فقال محمد ما قلت إلا حقاً ولكن أعود

(نزول علي بن أبي طالب الكوفة)

قال وذكروا أن علياً لما نزل قريباً من الكوفة بعث عمار بن ياسر ومحمد ابن أبي بكر إلى أبو موسى الأشعري وكان أبو موسى عاملاً لعثمان على الكوفة فبعثهما على اليه وإلى أهل الكوفة يستفهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فدعوا الناس إلى الذئرة لعل فلما أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى فقالوا ما ترى أنخرج مع هذين الرجلين إلى صاحبهما

والله لو علم على ان أحداً أحق بهذا الأمر منه ما قبله ولو بايع الناس غيره لبايع من بايعوا وأطاع من ولوا وما به إلى أحد من صحابة رسول الله حاجة وما بأحد عنه غنى ولقد شاركهم في محاسنهم وما شاركوه في محاسنهم واتقد بايعه هذان الرجلان وما يريد الله فاستعجلا الفطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل وطلبا ثواب الله من العباد وقد زعموا أنهما بايعا مستكرهين فان كان استكرها قبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لما أن يقولوا ولا يأمر إلا وان الهدى ما كانت عليه العامة والامة على بينة على فأتروا أيها الناس ؟ فقام حكيم بن جبل العبدى : فقال ترى أن دخلا علينا قاتلناهما وإن وقفنا تلقيناها والله ما أبالي أن أقاتلها وحدى وإن كنت أحب الحياة وما أخشى في طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشا ولا سوء منقلب الى بعث وانها لدعوة قتلها شهيد وحيها فائز والتعجيل الى الله قبل الأجر خير من التأخير فى الدنيا رهذه ربيعة معك

(نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة)

قال وذكروا أن طلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف تعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وأبا الاسود الدؤلى فأرسلهما الى طلحة والزبير فذهبا اليهما فناديا يا طلحة فأجابهما فتكلم أبو الاسود الدؤلى فقال يا أبا محمد انكم قتلتهم عثمان غير مؤمرين لنا فى قتله وبايعتم عليا غير مؤمرين لنا فى بيعته فلم تغضب لعثمان إذ قتل ولم تغضب لعلى إذ يبيع ثم بدا لكم فأردتم خلع على ونحن على الأمر الأول فبايعكم المخرج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال يا طلحة إنكم قتلتهم عثمان ولم تغضب له إذ لم تغضبوا ثم بايعتم عليا وبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صوابا فسيركم لماذا وإن كان خطأ فخطاكم منه الأوفرو نصيبكم منه الأوفى فقال طلحة يا هذا إن صاحبكما لا يرى أن معه فى

والزبير أهون سيرة فيهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فأتته له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين وهما أول من بايعني على ما بويح عليه من كل قبلي ثم استأذنا إلى العمرة فأذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب وأخرجنا أم المؤمنين من بيتها ليتخذها فتنة وقد سارا إلى البصرة اختيارا لأهلها ولعمري ما إياي ينجيئون ما تجيئون إلا الله . وقد بعثت ابني الحسن وابن عمي عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم والله المستعان فسار الحسن ومن معه حتى قدموا الكوفة على أبي موسى فدعوه إلى نصرة على فبايعهم ثم صعد أبو موسى المنبر وقام الحسن أسفل منه فدعاهم إلى نصرة على وأخبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير إياه ونكثهما عهده وأقرأهم كتاب على فقام شريح بن هانئ فقال لقد أردنا أن نركب إلى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد أتانا الله به في بيوتنا فلا تخالفوا عن دعوته والله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سبعا وطاعة ثم قام الحسن بن علي فقال : أيها الناس إنه قد كان في مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما قد بلغكم وقد أتيناكم مستنصرين لأنكم جبهة الأنصار ورؤس العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما بلغكم وتعلمون أن وهن النساء وضعف رأيهن إلى التلاشي ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء وإيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية فانصروا الله ينصركم ثم قام عمار بن ياسر فقال يا أهل الكوفة إن كان غائب عنكم أنبأونا فقد انتهت إليكم أمورنا إن قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك وقد جمعوا كتاب الله بينهم وبين محاجبهم . فيه أحيا الله من أحياء وأموات من أموات . وإن طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر وكانا أول من بايع علياً فلما أخطأهما ما أملاه نكثا بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن قد عرفتموه وقد جاء يستنصركم وقد

(م ٥ - الامامة)

أم لا ؟ فقال أبو موسى : أما سبيل الآخرة ففي ان تلوذوا بيوتكم وأما سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم فاطاعوه فنباطأ الناس على علي وبلغ عماراً ومحمد أما أشار أبو موسى على أولئك الرهط فأتياه فأغاظا له في القول قال أبو موسى إن يبعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكم ولنن أردنا القتال مالنا إلى قتال أحد من سبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان . ثم خرج أبو موسى فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس إن أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وإن لسكم حقاً على أن تؤديه إليكم . إن هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي والساعي خير من الراكب فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلي هذه الفتنة . فقام عمار ابن ياسر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أن أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين وما صدق فيما قال وما رضى الله من عباده . قال الله عز وجل . « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصالحوا بينهما فان بخت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاعت فأصالحوا بينهما بالعدل وأقسطوا » وقال « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » فلم يرض من عبادة بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا في بيوتهم ويخاوا الناس فيفسدك بعضهم دماء بعض فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه فان أصلح الله أمرهم رجستم مأجورين وقد قضيتم حق الله وإن بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفتنة الباغية فقاتلتموها حتى تفيء إلى أمر الله كما أمركم الله واقترض عليكم ثم قعد . فلما انصرف إلى علي من عند أبي موسى وأخبراه بما قال أبو موسى بعث إليه الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وعمار ابن ياسر وقيس بن سعد وكتب معهم إلى أهل الكوفة . أما بعد فاني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سامعه كمن عاينه إن الناس طعنوا على عثمان فكنت رجلاً من المهاجرين أقل عية وأكثر استعابة وكان هذان الرجلان طلحة.

ونقض بيعته قال أرأيتا أن أتانا بعدكما من يدعونا إلى ما ندعون إليه ما نصنع ؟
 قال لا تبايعه قال ما انصفتما أتأمراني أن أقاتل علياً وانقض بيعته وهي في
 أعناقكما وتبنياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما أما إنا فقد بايعنا علياً فان شئنا
 بايعتكما يبسار أيدينا . ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة
 مع طلحة والزبير ثم جاء جارية بن قدامة فقال : يا أم المؤمنين لتقتل عثمان كان
 أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون إنه كانت لك من الله
 تعالى حرمة وستر فتهكت سترك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك فقد رأى قتلك
 فان كنت يا أم المؤمنين أتيتينا طائفة فارجعي إلى منزلك وإن كنت أتيتينا
 مستكرهة فاستعبي .

(قتل أصحاب عثمان بن حنيف عامل على البصرة)

قال وذكروا أنه لما اختلف القوم اصطالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار
 الامارة ومسجدها وبيت المال وأن ينزل أصحابه حيث شاؤوا من البصرة وأن
 ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاؤوا حتى يقدم على فان اجتمعوا دخلوا
 فيما دخل فيه الناس وأن يهزقوا يلحق كل قوم بأهوائهم عليهم بذلك عهد الله
 وميثاقه وذمة نبيه راشدوا شهوداً من الفريقين جميعاً فانصرف عثمان فدخل
 دار الامارة وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنزلهم ويضعوا سلاحهم واقترق الناس
 وكتبوا ما في أنفسهم غير بني عبد القيس أظهروا نصرة على وكان حكيم بن جبلة
 رئيسهم فاجتمعوا إليه فقال لهم : يا معشر عبد القيس ان عثمان بن حنيف دمه
 مضمون وأمانته مؤداة وأيم الله لو لم يكن على أميراً لمنعناه لمكانته من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فكيف له الولاية والجواب فاشخصوا بأبصاركم واجاهدوا
 العدو فاما أن تموتوا كراماً وإما أن تعيشوا أحراراً فسكر عثمان بن حنيف في
 الدار أياماً ثم أن طلحة والزبير مروان بن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة

دلكم على في المهاجرين والبصريين والانصار الذين تبوءوا النار والايمن فانصروا
الله ينصركم . ثم قام قيس بن سعد : فقال : أيها الناس ان الامر لو استقبل به
أهل الشورى كان على أحق بها وكان قتال من أبي ذلك حلالا فكيف والحجة
على طلحة والزبير وقد بايعاه رغبة وخالفاه حسدا وقد جاءكم المهاجرين والانصار .

(دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة)

قال وذكروا أنه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطفاهن لها الناس في
الطريق يقولون يا أم المؤمنين ما الذي أخرجك من بيتك فلما أكرهوا عاها
تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس خمدت الله وأثنت عليه . ثم قالت :
أيها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ولقد قتل مظلوما . غضبنا
لكم من الصوت والبصا ولا ننضب لعثمان من القتل وان من الرأي ان
تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم برد هذا الامر شورى على ما جعله عمر بن
الخطاب . فن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون
ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبيناهم كذلك أتاهم رجل من أشرف
البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التاليب على قتل عثمان فتمال لطلحة هل تعرف
هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت أمس تكتب
الينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا الى الطلب بدمه وقد زعما ان عايأ
دعا كما الى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتم أسن منه فأبيتا الا ان تقدماه
لقرابته وسابقتهم فبايعتهما فكيف تمكثان يبعثكما بعد الذي عرض عليكما قال
طلحة دعانا الى البيعة بعد اغتصابها وبإياديه الناس فعلما حين عرض علينا انه غير
فاعل ولو فعل أبي ذلك المهاجرون والانصار وخفنا أن ترد بيعته فقتل فبايعناه
كارهين قال فما بدالكما في عثمان قال ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلنا إياه
فلم نجد من ذلك مخرجاً للطلب بدمه قال ما تأمراني به قال بايعناه على قتال على

فانك خرجت غاضبة لله ولرسوله تتطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس تتطلبين بدم عثمان ولعمري لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم اليك ذنباً من قتل عثمان وما غضبت حتى أغضبت وما هجعت حتى هيجت فاتق الله وارجعي الى بيتك. فأجابته طلحة والزبير انك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفي نفسك منه حاجة فامض لأمرك أما أنت فلست راضياً دزن دخولنا في طاعتك ولست ابداً خلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض وكتبت عائشة . جل الأمر عن العتاب والسلام . قال ورجعت رسل على من البصرة فمنهم من أجاب وأتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير وبعث الاحنف بن قيس الى علي . ان شئت أتيتك في مائتي رجل من أهل بيتي وإن شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل اليه على بل كف عن أربعة آلاف سيف وكفى بذلك ناصراً . فجمع الاحنف بن تميم فقال يامعشر بني تميم ان ظهر أهل البصرة فهم اخوانكم وان ظهر على فلم يهيجكم وكنتم قد سلمتم . فكف بنو تميم ولم يخرجوا الى أحد الفريقين . قال ولما كتب علي الى طلحة والزبير أتى زمعة بن الاسود الى طلحة والزبير فقال لهما ان علياً قد أرسل اليكما الرسل كأنه طمع فيكما وأطمعتماه في أنفسكما فاتقيا الله ان كنتما بايعتماه طائعين واتقيا الله عليهما وعلى أنفسكما فان اللبن في الضرع ومثي يحلب لا يرجع وان كنتما بايعتماه مكرهين فاخرقا هذا الرطب وادفعا هذا فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل . قال فخرج طلحة والزبير وعائشة وهي على جبل عليه هودج قد ضرب عليه صفائح الحديد وبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفية البصرة فلما توافقوا للقتال أمر على منادياً ينادي في أصحابه لا يرمين احد سهما ولا هجرا ولا يعطن برمح حتى أعذر الى القوم فاتخذ عليهم الحججة البالغة قال فكلم علي طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما استحلقتا عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها أربع خصال ان تصدق فيها . هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله

معهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس
فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فأسره وقتل أصحابه فأخذه مروان
فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه فنظر عثمان بن حنيف إلى مروان فقال له أما أنك
إن فتني بها في الدنيا لم تفتني بها في الآخرة

(تعبئة الفتن للقتال)

وذكروا أنه لما تعبأ القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة
وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقدمة مروان وعلى
ورجال الميمنة عبد الرحمن بن عباد على الميسر وهلال بن وكيع فلما فرغ الزبير من
التعبئة قال : أيها الناس وطنوا أنفسكم على الصبر فإنه يلقاكم غدا رجل لا مثيل له
في الحرب ولا شبيه ومعه شجعان الناس فلما بلغ عليا تعبئة القوم عيا الناس للقتال
فاستعمل على المقدمة عبد الله بن عباس وعلى الساقة هند المرادي وعلى جميع الخيل
عباس بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن أبي بكر ثم كتب إلى طلحة والزبير .
أما بعد فقد علمت أني لم أجد الناس حتى أراذوني ولم أبايعهم حتى أبايعوني وانكأ
لمن أراود وبايع وأن العامة لم تبايعني لسامان غاص فان كنتما بايعتاني كارهين فقد
جعلتني عليكما السيل باظهاركما الطاعة واسراركما المصيبة وإن كنتما بايعتاني
طائعين فأرجعنا إلى الله من تريب . أنت يا زبير لنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحواريه وأنت يا مائة الشيخ المهاجرين زان فاعلموا هذا الأمر قبل أن
تدخلوا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بد اقراركم به وقد زعمت أني
قتلت عثمان فبني وبنيك في بعض من يقاتل حتى وعظمتكم من أهل المدينة
وزعمت أني أودت قتلة عثمان فبؤلام بنو عثمان فليخاروا في طاعتكم ثم يخلصوا إلى
قتلة أبيهم وما أنتما وثمان إن كان قتل ظالماً أو مثارماً ولقد بايعتاني وأتتني بين
خصلتين قبيلتين نسكت بيعتكم وإخراجكم أمكم . وكتب إلى عائشة . أما بعد

فى الشرك ولا فى الاسلام الاولى فىه رأى وبصيرة غير هذا الموطن فانه لا رأى
لى فىه ولا بصيرة وانى لعلى باطل . قالت عائشة أبا عبد الله خفت سيوف بنى
عبد المطلب فقال أما والله إن سيوف بنى عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية
أنجاد ثم قال لابنه عبد الله عليك بحربك أما أنا فراجع الى بيتى فقال له ابنه
عبد الله . الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا
منها فقال الزبير لابنه لا تعد هذا منى جنبنا فوالله ما فارقت أحداً فى جاهلية ولا
إسلام قال فما يردك قال يردنى ما ان علمته كسرك . فقام بأمر الناس عبد الله بن الزبير

(قتل الزبير بن العوام)

قال وذكروا أن الزبير لما انصرف راجعا الى المدينة أتاه ابن جرهموز فنزل
به فقال يا أبا عبد الله أحيت حربا ظالما أو مظلوما ثم تنصرف أنائب أنت أم
عاجز ؟ فسكت ثم عاوده فقال له يا أبا عبد الله حدثني عن خصال خمس اسألك
عنها فقال هات قال خذ لك عثمان ويبيعتك عليا وإخراجك أم المؤمنين وصلاتك
خلف ابنك ورجوعك عن الحرب . فقال الزبير نعم أخبرك . أما خذلي عثمان
فأمر قدر الله فيه الخطيئة وأخر التوبة وأما بيعتي عليا فوالله ما وجدت من ذلك
بدا حيث بايعه المهاجرون والأنصار وخشيت القتل وأما إخراجنا أمنا عائشة
فأردنا أمرا وأراد الله غيره وأما صلاتي خلف ابني فانما قدمته عائشة أم المؤمنين
ولم يكن لى سوى صاحبي أمر وأما رجوعي عن هذا الحرب فظننى ما شئت
غير الجبن فقال ابن جرهموز والهاه على ابن صفية أضرمها نارا ثم أراد أن
يلحق بأهله قتلنى الله إن لم أقتله : ثم أتاه فقال له يا أبا عبد كالمستصح له . إن
دون أهلك فيافى نفذ نجيبى هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاعدان عليك بما
تكرك فقال الزبير أنظر فى ذلك ليلتى ثم ألح عليه فى فرسه ودرعه فلم يزل حتى
أخذهما منه وإنما أراد ابن جرهموز أن يلقاه خاسرا لما علم بأسه ثم انى ابن جرهموز

واسلامي قبل كافة الله أجمعين وكفائي رسول الله كفار العرب بسيفي ورعي
وعلى براءتي من دم عثمان وعلى اني لم استكره احدا على بيعة وعلى اني لم اكن
أحسن قولاً في عثمان منكما . فأجابه طلحة جواً با غليظاً ورق له الزبير ثم رجع
علي الى أصحابه فقال يا أمير المؤمنين . بهم كلبت الرجاءين فقال علي ان شأنهما
لمختلف أما الزبير فقاده اللجاج ولن يقاتلكم وأما طلحة فسألته عن الحق فأجابني
بالباطل ولقيته باليقين ولقيني بالشك فوالله ما نفعه حتى ولا ضرني بأمله مما
غدا في الرعي الاول . قال ثم خرج علي على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفيين
وهو حاسر قتال ابن الزبير فخرج اليه حتى إذا كان بين الصفيين اعتقت كل واحد
منهما صاحبه وبكى ثم قال علي يا عبد الله ما جاء بك ههنا قال جئت أطلب دم
عثمان . قال علي تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان أنت ذلك الله يا زبير هل تعلم
انك مررت بي وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على يديك
فسلم علي رسول الله وضحك ل ثم التفت اليك فقال لك يا زبير انك تقاتل علياً
وأنت له ظالم قال الا ايم نعم قال علي فعلام تقانني قال الزبير نيتي والله ولو
ذكرتها ما خرجت اليك ولا قاتلتك فانصرف علي الى أصحابه فقال يا أمير
المؤمنين مررت الى رجل في سلاحه وأنت حاسر قال علي أتدرون من الرجل ؟
قالوا لا قال ذلك الزبير بن صفية عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد
أعطى الله عهداً انه لا يقاتلكم اني ذكرت له حديثاً قاله رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لو ذكرته ما أتيتك . فقالوا الحمد لله يا أمير المؤمنين ما كنا نخشى في هذا
الحرب غيره ولا تنق سواه انه لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه
ومن عرفت شجاعته وبأسه معرفته بالحرب فاذا قد كفانا الله فلا نند من سواه
الا صرعى حول الهودج .

(رجوع الزبير عن الحرب)

قال وذكروا أن الزبير دخل على عائشة فقال : يا أماء ما شهدت موطناً قط

غيرك كنت رجلا من المسلمين قال علي أو لم تباعني يا أبا محمد طائعا غير مكره
فما كنت لأترك بيعتي قال طلحة بايعتك والسيف على عنقي قال ألم تعلم اني ما أكرهت
أحدا على البيعة ولو كنت مكرها أحدا لأكرهت سعد أو ابن عمر ومحمد بن
مسلمه أبو البيعة واعتزلوا فتركهم قال طلحة كذا في الشورى ستة فأتا اثنان
وقد كرهناك ونحن ثلاثة قال علي إنما كان لسكنا أن لا نرضيا قبل الرضى وقبل
البيعة وأما الان فليس لكما غير ما رضىتما به إلا أن تخرجا بما بويعت عليه يحدث
فان كنت أحدث حدثا فسموه لى وأخرجتم أمكم عائشة وتركتن نساءكم فهذا
أعظم الحدث منكم أَرْضَى هذا لرسول الله أن تهتكوا ستره ضربه عليها
وتخرجوها منه فقال طلحة إنما جاءت للإصلاح قال علي هي لعمر الله إلى من
يصلح لها أمرها أخوج أيها الشيخ أقبل النصح وارض بالتوبة مع العار قبل أن
يكون العار والنار

(التحام الحرب)

قال وذكروا انه بينما كان الناس وقوفا إذ رمى رجل من أصحاب علي فجىء
به إلى علي فقالوا يا أمير المؤمنين هذا أخونا قد قتل فقال علي اعذروا الى القوم
فقال عبد الرحمن بن أبي بكر الى متى تد والله أعذرنا واعذرت إن كنت تريد
الاعذار والله لتأذن لنا في لقاء القوم أو لننصرفن . إلى متى نستهدف نحورنا
للقتال والسلاح يقتلونا رجلا رجلا فقال علي قد والله ارنا اعذرنا ابن محمد ابني
فقال هأنذا أى بنى خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذها فاخرهما عنها
وكان علي يؤخرهما شفقة عليهما فأخذ محمد الراية ثم قام على فركب بنقلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها ثم قال
أحزموني فحزم بإجماع أسفل من سرتيه ثم خرج وكان عظيم البطل فقال لابنه
تقدم وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك فينا هم كذلك إذ سمعوا صوتاً

الأخنف بن قيس فساره بمكان الزبير عنده وبقوله فقال له الأخنف أقتله قتله الله مخادعا . وأتى الزبير رجل من كلب فقال له يا أبا عبد الله أنت لى صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا الحرب مخافة الله ولما كره أن يخالف الأخنف وقد ندم الأخنف على خذله عاليا ولعله أن يتقرب بك إليه وقد أخذ منك درعك وفرسك وهذا تصديق ما قلت لك فبت عندي الليلة ثم أخرج بعد نومه فأنك ان فتهم لم يطلبوك فتهاون بقوله ثم بدا له فقال له فما ترى يا أخا كلب قال أرى أن ترجع إلى فرسك ودرعك فتأخذهما فان أحدا من الناس لا يقدم عليك وأنت فارس أبدا فأصبح الزبير عاريا وسار معه ابن جرموز وقد كثر على الدرع فلما انتهى إلى وادى السباع استخفله فطعنه ثم رجع برأسه وسلبه إلى قومه فقال له رجل من قومه يا ابن جرموز فضحت والله اليمن بأسرها قتلت الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله لو قتله في حرب لعز ذلك علينا ولما نأ عارك فكيف فى جوارك وذمتك والله لا يزيدك على أن يبشرك بالنار فغضب ابن جرموز وقال والله ما قتله إلا له والله ما أخاف فيه قصاصا ولا أهرب فيه قريشا وإن قتله على لمين

(مخاطبة على طلحة بين الصنفين)

قال وذكر أن عليا نادى طلحة بعد انصراف الزبير فقال له يا أبا محمد ما جاء بك قال أطلب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة خل بيننا وبين من قتل عثمان أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما يحمل دم المؤمن فى أربع خصال زان فيرجم أو محارب لله أو مرتد عن الاسلام أو مؤمن يقتل مؤمنا عمدا فهل تعلم أن عثمان أتى شيئا من ذلك فقال على لا قال طلحة فأنت أمرت بقتله قال على اللهم لا قال طلحة فاعتزل هذا الأمر ونجعله شورى بين المسلمين فان رضوا بك دخلت فما دخل فيه الناس وإن رضوا

واقبل علي وعمار والاشتر والانصار معهم يريدون الجبل فاقتتل القوم حوله حتى حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام وإن علياً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه إلى السماء وقال اللهم إن كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه فخذ له اليوم مناحي ترضى قال فسامضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخر وثبتت عائشة وحماها مروان في عصاة من قيس ومن كنانة وبني أسد فأحرق بهم علي بن أبي طالب ومال الناس إلى علي وكلما وثب رجل يريد الجبل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتى قطع نحو عشرين يداً من أهل المدينة والحجاز والكوفة حتى أتى مروان من خلفه فضرب ضربة فوق عرقب الجبل الذي عليه عائشة وانهمز الناس واسرت عائشة وأمر مروان الحكم وعمر بن عثمان وموسى بن طلحة وعمر بن سعيد بن العاصي فقال عمار لعلي يا أمير المؤمنين اقتل هؤلاء الأسرى فقال علي لا أقتل أسير أهل القبلة إذا رجع ونزع فدعا موسى بن طلحة فقال الناس هذا أول قتيل يقتل فلما أتى به علي قال تبائع وتدخل فيما دخل فيه الناس قال نعم فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم وسأل الناس علياً ما كان عرض عليهم قبل ذلك فأعطاه ثم أمر المنادي فنادى لا يقتلن الدبر ولا يجز علي جريح ولستم ما في عسكركم وعلى نسائهم العدة وما كان لهم من مال في أهلهم فهو ميراث على فرائض الله فقام رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف تحمل لنا أموالهم ولا تحمل لنا نسائهم ولا أبناءهم فقال لا يحمل ذلك لكم فلما اكثروا عليه بذلك قال اقترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال أيكم يأخذ أمكم عائشة في سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وأنا أستغفر الله قال ثم أن علياً مر بالقتلى فنظر إلى محمد بن طلحة وهو صريع في القتلى وكان يسمى السجادة لما بين عينيه من أثر السجود فقال رحمك الله يا محمد لقد كنت في العبادة مجتهداً إنا الدليل قواماً وفي الحروب صواماً ثم والتفت إلى من حوله فقال هذا رجل قتله برأيه فاختلفوا في طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل فشهدت عائشة

فقال علي ورفع بصره إلى السماء لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل . وقد كان
على عبأ الناس أثلاثا فجعل مضرب قلب العسكر والبن ميمنته وربعة ميسرته وعبأ
أهل البصرة مثل ذلك فاقتتل القسوم قتالا شديداً فهزمت يمن البصرة يمن على
وهزمت ربعة البصرة ربعة على قال حية بن جبهين نظرت على وهو يخفق نعاسا
فقلت له تالله ما رأيت كالיום قط ان بازائنا لمائة الف سيف وقد هزمت ميمنتك
وميسرتك وانت تنفق نعاسا فانتبه ورفع يده وقال اللهم انك تعلم اني ما كتبت
في عثمان سواداً في بياض وان الزبير وطلحة ألبا واجلبا على الناس اللهم أولانا
بدم عثمان فخذنه اليوم . ثم تقدم على ونظر إلى أصحابه يزهون ويقتلون فلما
نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية أن اقتحم فأبطأ وثبت فأنى على من خلفه
فضربه بين كتفيه وأخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم وأن الميمنتين
والميسرتين تضربان في أحدهما عمار وفي الأخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي
بكر قال فتفق على في عسكر القسوم يلعن ويقتل ثم خرج وهو يقول الماء الماء
فأناه رجل باداة فيها غسل قتال له يا أمير المؤمنين أما الماء فانه لا يصالح لك في
هذا المقام ولسكن اذرك هذا السبل قتال هات فحما منه حسوة ثم قال . ان عسالك
لطائفى قال الرجل لسببها منك والله يا أمير المؤمنين لما رقتك الثلاثينى من غيره
في هذا اليوم وقد بلغت القارب الحناجر فقال له على انه والله يا ابن أخي ما ملا
صدر عمك شيء قط ولا هابه شيء ثم أعطى الراية لابنه وقال هكذا فاصنع فتقدم
محمد بالراية ومعه الأتباع حتى انتهى إلى الجبل والهودج وهزم ما يليه فاقتتل
الناس ذلك اليوم قتالا شديداً حتى كانت الواقعة والضرب على الركب وحمل
الاشتر النخعي وهو يريد عائشة فاقبه عبد الله بن الزبير فضربه الاشر واعتقه
عبد الله فصرعه وقعد على صدره ثم نادى عبد الله : اقتلوني وهلكا . فلم يدرك الناس
من مالک نافلت الاشر منه فلما رأى كعب بن سور الهزيمة أخذ بخطام البعير
ونادى أيها الناس الله الله فقاتل وقاتل الناس معه وعطفت الازد على الهودج .

رسول الله فيما حدثت عنه فقال علي أنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عايه أما أن يكون عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت في أمري فإذا الخليفان اللذان أخذها من رسول الله قد هلكا ولا عهد لهما وإذا الخليفة الذي أخذها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت رنقته من عنقي لأنه قتل ولا عهد له . قال ابن الكواء صدقت وبررت واسكن ما بال طلحة والزبير ولم استحللت قاتلها وقد شاركك في الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الشورى مع عمر بن الخطاب ؟ قال علي : بأبغى بالحجاز ثم خالفني بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك مع أبي بكر وعمر لقاتلتهما .

(مباينة أهل الشام بالخلافة معاوية)

قال وذكروا أن النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وما صنع محمد بن أبي بكر من نفي لحية في كتاب رقت وأبلغت حتى إذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه وبقميص عثمان مخضبا بالدم بمنزقا وعقدت شعر لحية في زر القميص . قال فصعد المنبر معاوية بالشام وجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ما صنعوا بعثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم أن تزهق ثم دعاهم إلى الطلب بدمه فقام إليه أهل الشام فقلوا هو ابن عمك وأنت وليه ونحن الطالبون معك بدمه فبايعوه أميرا عليهم وكتب وبعث الرسل إلى كور الشام وكتب إلى شرحبيل بن السمط السكندى وهو بمصر يأمره أن يبايع له بمصر كما يبايع أهل الشام فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناسا من أشرف أهل حمص فقال لهم ليس من قبل عثمان بأعظم جرما من يبايع لمعاوية أميرا وهذه ستة . ولكننا نبايع له بالخلافة ولا نطالب بدم عثمان مع غير خليفه . فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص ثم كتب إلى معاوية . أما بعد

لمحمد أنها رأته بعد قتل أبيه فورثوا ولده في مال طلحة . قال وأتى محمد بن أبي بكر
فدخل على أخته عائشة رضى عنها قال لها أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : علي مع الحق والحق مع علي ثم خرجت تقاطلينه بدم عثمان ، ثم دخل
عليهما علي فسلم وقال يا صاحبة الهودج أمرك الله أن تقعدى في بيتك
ثم خرجت تقاطلن أترتلى قالت ارتحل فبعث معها علي رضى الله عنه
أربعين امرأة وأمرهن أن يلبسن العمام وتقلدن السيوف وإن يكن من الذين
يلبهن ولا تطلع على أنهن نساء فجعلت عائشة تتول في الطريق فعل الله في ابن
أبي طالب وفعل بعث معي الرجال فلما قدم المدينة وضعن العمام والسيوف
ودخلن عليها فقالت جزى الله ابن أبي طالب الجنة . قال ودفن طلحة في ساحة
البصرة فأتى عائشة في المنام فقال حوليني في مكانكما فإن البرد قد آذاني فقلته .
وقال عبد الله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفي بضع وثلاثون بين ضربة وطلعة
وما رأيت مثل يوم جرح الجمل قط وما ينهزم منا أحد ولا يأخذ أحد منا بخطام
الجمل إلا قتل أو قطعت يده حتى ضاع النظام من يد بني ضبة ففقر الجمل . قال
دخل موسى بن طلحة على علي فقال له علي أنى لأرجو أن أكون أنا وأبوك
من قال الله فيهم « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين »
وأمسى علي بالبصرة ذلك اليوم الذى أناه فيه موسى بن طلحة فقال ابن الكواء
أمسيت بالبصرة يا أمير المؤمنين فقال كان عندى ابن أخى قال ومن هو قال
موسى بن طلحة فقال ابن الكواء لقد شقينا إن كان ابن أخيك . فقال علي
ويحك إن الله قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . ثم
قال ابن الكواء يا أمير المؤمنين من أخبرك بمسرك هذا الذى سرت فيه تضرب
الناس بعضهم ببعض وتستولى بالأمم عليهم أرى رأيت حين تفرقت الأمة
واختلفت الدعوة فرأيت أنك أحق بهذا الأمر منهم لقرابتك فإن كان رأيا رأيت
تجنبك فيه وإن كان عهدا عهدك إليك رسول الله فأنتم الموثوق به المؤمنون على

(قدوم عقيل بن أبي طالب على معاوية)

قال وذكروا ان عقيل بن ابي طالب قدم على أخيه علي بالكوفة فقال له علي مرحبا بك وأهلا ما اقدمك يا اخي قال تأخر العطاء عنا وغلاء السعر ببلدنا وركبنا دين عظيم فحثت لتصني فقال علي والله مالي مما تر شيئا الا عطاء فاذا خرج فهو لك فقال عقيل وانما شغوصي من الحجاز اليك من أجل عائلتك وماذا يبلغ مني عطاؤك وما يدفع من حاجتي ؟ فقال علي دل تعلم لي مالا غيره ام تريد ان يخرجني الله في نار جهنم في صلتك بأموال المسلمين ؟ فقال عقيل والله لأخرجن الى رجل هو أوصل لي منك « يريد معاوية » فقال له علي راشدا أمهديا فخرج عقيل حتى أتى معاوية فلما قدم عليه قال له معاوية مرحبا وأهلا بك يا بن أبي طالب ما اقدمك علي فقال قدمت عليك لدين عظيم ركبني فخرجت الى أخى ليصلي فزعم انه ليس له مما يلي الا عطاؤه فلم يقع ذلك مني موقدا ولم يسد مني مسدا فأخبرته اني سأخرج الى رجل هو أوصل منه لي فجهشك . فآزاد معاوية فيه رغبة وقال يا أهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها عرف الذي فيه أخوه من الخواية والضلالة فاتاب الى أهل الدعاء الى الحق واسكني أزعم ان جميع ماتحت يدي لي فإنا أعطيت فقره الى الله وما أمسكت فلا جناح علي فيه فإغضب كلامه عقيل لما سمعه ينتقص اخاه فقال : صدقت فخرجت من عند اخي علي هذا القول وقد عرفت من في عسكره لم افقد والله رجلا من المهاجرين والانصار ولا والله ما رأيت في عسكر معاوية رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاوية عند ذلك يا أهل الشام اعظم الناس من قريش عليكم حقا ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد قريش ها هو ذا تبرأ من الله مما عمل به أخوه قال وأمر له معاوية بثلاثة الف دينار قال له هذه مائة الف تقضى بها ديونك ومائة الف تصل بها رحمتك ومائة توسع بها على نفسك .

فانك اخطأت خطأ عظيماً حين كتبت إلى أن أبايع لك بالأمرة وإنك تريد أن
تطلب بدم الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة .
فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك ودعا الناس وصعد المنبر وأخبرهم بما قال
مُرحبيل ودعاهم الى بيعته بالخلافة فأجابوه ولم يختلف منهم أحد فلما بايع القوم
له بالخلافة واستقام له الأمر كتب إلى علي : سلام الله على من اتبع الهدى أما
بعد فانا كنا نحن وإياكم يدا جامعة وألفة أليفة حتى طمعت يا ابن أبي طالب
تغيرت وأصبحت تعد نفسك قويا على من عاد إلا بطعام أهل اليمامز وأوباش
أهل العراق وحقى الفسقاط وغوغاء السواد وأيم الله ليجنبن عنك حقها
وليتشعن عنك غوغاؤها انتشاع السحاب عن السماء . قتلت عثمان بن عفان
ورقيت سلماً أطامك الله عليه مطاع سوء عليك لآل . وقتلت الزبير وطلحة
وشردت أمك عائشة ونزلت بين المصريين فنييت وتمنييت وخيل لك أن الدنيا
قد سخرت لك بخيلها ورجلها وإنما تعرف أمنيته لو قد زرتك في المهاجرين من
أهل الشام بنية الاسلام فيحيطون بك من ورائك ثم يقتضى الله عليه فيك والسلام
على أولياء الله . فأجابه علي : أما بعد فقدرد الأمور تقدير من ينظر انفسه دون
جنده ولا يشتعل بالهزل من قوله فلعمري ان كانت قوتي بأهل السراق أوثق
عندي من قوتي بالله وموتى به ليس عند الله تعالى يقين من كان على هذا ففاج
نفسك مناجاة من يستخفى بالجد دون الهزل فان القول . . . ولن يعذر مثلك
فيما طمح اليه الرجال . وأما ما ذكرت من أنا كنا وإياكم يدا جامعة فكنا
كما ذكرت فتمرق بيننا وبينكم ان الله بعث رسوله منا فأدنا به وكفرتم . ثم
زعمت انى قتلت طلحة والزبير فذلك أمر غبت عنه ولم تنهه ولو حضرته
لعلمته فلا عليك ولا البذر فيه اليك وزعمت أنك زائر في الامميين وقد انقطعت
المجرة حين أسر أبوك فان فيك عجل فاستبقه وإن أيزرك أن يكون الله
يعنى عليك للثمة منك والسلام .

صاغرا داحراً فانظروا في ثلاث وثلاث شم اقضوا على أنفسكم . أين الشام من الحجاز وأين معاوية من علي وأين أتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان . قال فغضب معاوية لقوله وقال يا حجاج أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار قال نعم فإن كان بلغك وإلا أحدك قال هات قال أشرف علينا زيد ابن ثابت وكان مع عثمان في الدار وقال يا معشر الانصار أنصروا الله مرتين فقلت يا زيد إنا نكره أن نلقى الله فنقول كما قال القوم (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكرهنا فأضلونا السيل) فقال معاوية انصرف إلى علي وأعلمه أن رسولاً على أشرك ثم إن معاوية انتخب رجلاً من عبس وكان له لسان فكاتب معاوية إلى علي كتاباً عنوانه . من معاوية إلى علي وداخله بسم الله الرحمن الرحيم : لا غير . فلما قدم الرسول دفع الكتاب إلى علي فعرف علي ما فيه وإن معاوية محارب له وأنه لا يجيبه إلى شيء مما يريد وقام رسول معاوية خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هل ههنا أحد من أبناء قيس عيلان وبنى عبس ذبيان قالوا نعم هم حولك قال فاسمعوا ما أقول لكم : يا معشر قيس إني أحلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ خاضعين لحاكم من دهم أعينهم تحت قبض عثمان رافعيه على الرماح مخضوباً بدمائه قد أعطوا الله عهداً أن لا يغمدوا سيوفهم ولا يغمضوا جفونهم حتى يقتلوا قتلة عثمان يوصى به الميت الحي ويرثه الحي من الميت حتى والله نشأ عليه الصبي وهاجر عليه الاعراب وترك القوم تعس الشيطان وقالوا تعسا لقتلة عثمان وأحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل إثننا عشر ألفاً فانظروا كم الشهب وغيرها فقال له علي ما يريدون بذلك قال يريدون بذلك والله خبط رقبتك فقال علي تربت يداك وكذب فوك أما والله لو أن رسولاً قتل لقتلتك فقام الصلت بن زفر . فقال : ليس وافد أهل الشام أنت ورائد أهل العراق ونعم العون لعلي وبش العورد معاوية يا أخا عبس أتخوف المهاجرين والانصار بخضر الخيل وغضب الرجال إنا والله ما نخاف غضب رجالك ولا خضر خيلك فأما بقاء أهل

(نهي عثمان بن عفان الى معاوية)

قال عبد الله بن مسلم وذكر ابن عفير عن عون بن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري قال قدم الحجاج بن حزيمة للشام بكتاب معاوية بعد قتل عثمان بأيام فقال أتعرفني قال نعم انت ابن الحجاج حزيمة فما ورامك فقال الحجاج أنا نذير العريان أنهي إليك أمير المؤمنين عثمان ثم قال اني كنت ممن خرج معينا لعثمان مع يزيد بن اسد فتقدمت الى الربرة فلقينا بها رجلا حدثنا عن قتل عثمان وزعم انه من قتله فقتلناه واني اخبرك يا معاوية أنك تقوى على علي بدون ما يقوى به عليك لأن من معك لا يقولون اذا قلت ولا يسألون اذا أمرت ولأن من مع علي يقولون اذا قال ويسألون اذا أمر فقليل ممن معك خبير من كثير ممن معك . واعلم ان عليا لا يرضيه إلا انرضا وان رضاه يستخطك ولست وعلي بالسواء لا يرضى علي بالعراق دون الشام ورضاؤك بالشام دون العراق . قال وذكروا انه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعا وبايع له أهل العراق واستقام له الامر بها كتب الى معاوية : أما بعد فان الفضاء السابق والنذر اللاحق ينزل من السماء وفيه تلزم المعتزات معنى أحكامه عز وجل وتنبذ شيعته بخير تناب المنوقين إلا رضا الأدميين وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله وبجة الناس عامة إياي ومعارض الأكسين لي فادخل فيما دسلك الناس فيه والإفأنا الذي عرفت وحولي من قدامه والسلام . فلما قدم علي معاوية كتاب علي من الحجاج بن عدى الأنصاري التاه وهو يخطب الناس بدمشق فلما قرأه اغتم بذلك وأعطاه واسره عن أهل الشام ثم قام الحجاج بن عدى خنبايا شيدا لله واثني عليه ثم قال : يا أهل الشام ان أمر عثمان اشكل على من حضره الخبر عنه كالأبني والسميع كالاصم تابه قوم قتلوه ونذرده قوم فلم ينزروه فسكذبوا الغيب واتوا الشاهد وقد بايع الناس عليا على منبر رسول الله بيعة عامة من رغب عنها ردالها

ثم سار إلى البصرة فبرز إليه القوم طلحة والزبير وأصحابهما فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى صرعههم الله وأبرزهم إلى مضاجعهم ثم صارت البصرة ومن حولها في كفة قال وتركته وليس له هم إلا أنت والشام فانسكس معاوية لقوله وقال والله ما أظنه إلا عينا لعلني أخرجه لا يفسد أهل الشام ثم قال معاوية وكيف لا يضيع عثمان ويقتل وقد خذله أهل ثقاته وأجمعوا عليه أما والله لئن بقينا لهم لندرسنهم درس الجمل هشيم اليبس

(استعمال علي عبد الله بن عباس على البصرة)

قال وذكروا إن علياً لما سار من البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبد الله بن عباس وقال له . أوصيك بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاك الله أمره اتسع الناس بوجهك وعلبك وحكمك وإياك والاحن فانها تيمت القلب والحق . اعلم أن ما قربك من الله بعدك من النار وما قربك من النار بعدك من الله . أذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين . فلم يلبث علي حين قدم الكوفة وأراد المسير إلى الشام أن انضم إليه ابن عباس واستعمل على البصرة زياد بن أبي سفيان

(ما أشار به الأحنف بن قيس على علي)

قال وذكروا إن الأحنف بن قيس قام إلى علي : فقال يا أمير المؤمنين أنه إن يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فإن ينصروا عليك غيرك وقد عجزوا من نصرك يومئذ وعجزوا اليوم عن خذلك لأنهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في عمرو ومعاوية وإن عشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا إليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم من الناس وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس . وهذا جمع تد حشره الله عليك بالتقوى لم تستكره شاخصاً ولم تشخص فيه مقيماً ومن كان معك نافعك

الشام على قيصر عثمان فوالله ما هو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام لقد خذلوه بالحجاز وأما قتالهم علياً فان الله يصنع في ذلك ما أحب . قال وإن العبي أقام بالعراق عند علي حتى اتهمه معاوية ولقيه المهاجرون والأنصار فأشربوه حب علي وحدثوه عن فضائله حتى شك في أمره

(قدوم ابن عم عدى بن حاتم بالشام)

قال وذكروا إن عدى بن حاتم قدم إلى علي بالكوفة قبل أن يسير إلى البصرة فقال يا أمير المؤمنين لسنا نخاف أحدا إلا معاوية وعندي رجل من قومي يريد أن يزور ابن عم له بالشام يقال له حابس بن سعد فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام فقال له علي افعل فأغروه بذلك فلما قدم على ابن عمه وكان سيد طيء بالشام سأله فأخبره إنه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع علي إلى الكوفة وكان له لسان وهيبة فغدا به حابس إلى معاوية فقال هذا ابن عمي قدم من الكوفة وكان مع علي وشهد قتل عثمان بالمدينة وهو ثقة فقال معاوية حدثنا عن أمر عثمان قال نعم : وليه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وتجرد في أمره ثلاث نفر عدى بن حاتم والأشتر النخعي وعمرو بن الحصين ودب في أمره رجلان طلحة والزبير وأبرأ الناس منه علي بن أبي طالب ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النبل وسقط الرداء ووطئ الشيخ . ولم يذكروا عثمان ولم يذكروه ثم تهافت باللبس ثقف معه المهاجرون والأنصار وكره القتال معه ثلاث نفر عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة فلم يستكروه أحداً واستغنى بمن خف عن ثقل ثم سار حتى انتهى إلى جبل طيء فأماه منهم جماعة عظيمة حتى إذا كان في بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة فصرح رسله إلى الكوفة فأجابوا بدعوته ثم قدمها فخلوا إليه الصبي ودبت إليه العجوز وخرجت إليه العروس فرحاً به وسروراً وشوقاً إليه

وام يعطفك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه واسكن توسطت أمراً فقيوت فيه
الظن وأضعفت فيه الرجاء فكان اولاهما عندك إن قلت أفوز بالمال والحق
بمعاوية ولعمرونا ما استبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بريعة ولا معاوية
بعلي ولا أصبت دنيا تنها بها ولا حظاً تحسد عليه وإن أقرب ما تكون مع الله
أبعد ما تكون مع معاوية فارجع الى مصرك فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنب
واحتمل النقل واعلم إن رجعتك اليوم خيراً منها اليوم وإن كان عليك حياء من
أبي الحسن فما انت فيه أعظم فقبض الله أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة . فلما انتهى
كتابهم الى مصقلة وكان لرسولهم عقل ولسان فقال الرسول : يا مصقلة انظري فما
خرجت منه وفيما صرت اليه وانظر من أخذت ومن تركت وانظر من جاورت
ومن زابت ثم اقض بعقلك دون هواك . قال وإن مصقلة مضى الى معاوية
بالكتاب فاقرأه إياه فقال معاوية يا مصقلة انك عندى غير ظنين فاذا أتاك شيء
فاستره عني فانصرف مصقلة الله منزله فدعا الرسول فقال يا أخا بكر إنما هربت
بنفسى من علي ولا والله ما يطول لسانى بغيبته ولا قلت فيه قط حرفاً بسوء اذهب
يكتابى هذا الى قومى

(جواب مصقلة الى قومه)

قال وذكرا ان مصقلة كتب الى قومه . اما بعد فقد جاءنى كتابكم وانى اخبركم
انه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد علمتم الأمر الذى قطعنى من علي
وأضافنى الى معاوية وقد علمت انى لو رجعت الى علي وإليكم لكان ذنبى مغفوراً
ولكنى أذنبت الى علي وصحبت معاوية فلو رجعت الى علي أحدثت عيباً وأحييت
عاراً وكنت بين لا ئمين أولها خيانة وآخرها غدر ولكنى أقيم بالشام فإن غلب
معاوية فدارى العراق وإن غلب علي فدارى أرض الروم فاما الهوى فالىكم طائر

ووب مقيم خير من شاخص . وإنما نشوب الرجاء بالخفاقة ووالله لوددنا إن أمواتنا رجعوا إلينا فاستعنا بهم على عدونا وليس لك إلا من كان معك ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام

(كتاب الاحنف الى قومه يدعهم به الى نصره على)

قال وذكروا ان علياً قال للاحنف بن قيس اكتب الى قومك قال نعم فكتب الاحنف الى بني سعد : أما بعد فإنه لم يبق أحد من بني تميم الا وقد شقوا برأى سيدهم غيركم وعصمكم الله برأى حتى نلتهم ما رجوتهم وامنتم مما خفتهم فأصبحتهم منقطعين من أهل البلاء لاحقين بأهل العافية واني اخبركم إنا قدمنا على تميم بالكوفة فأخذوا علينا بنضالهم مرتين مسيرهم الينا مع علي وتبؤهم للسير الى الشام ثم انحسروا معهم فصرنا كأننا لانعرف الا بهم فأقبلوا الينا ولا تتكلموا علينا فان لهم أعدادنا من رؤسائهم فلا تبطلوا عنا فان من تأخير العطاء حرمانا ومن تأخير النصر خذلاناً . فحرمان العطاء القلة وخذلان النصر الإبطاء . ولا تنقض الحقوق إلا بالرضى وقد يرضى المضطر بدون الامل . فلها أنى كتاب الاحنف الى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة

(كتاب أهل العراق الى مصقلة)

قال وذكروا أنه قام الى علي بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة رجوه بكر بن وائل فقالوا يا أمير المؤمنين ان نعيماً أئماً مصقلة يستجى منك لما صنع مصقلة وقد أئانا اليقين انه لا يمنع مصقلة من الرجوع اليك إلا الحياء واليسط هذ فارقتا لسانه ولا يده ذو كتنا اليه كتاباً وبشنا من قبلنا رسولا فانا نستجى أن يكفونا فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق الى معاوية قال على اكتبوا فكتبوا أنا بعد لقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضى بدينه ولا رغبة في دنياه

فأصبحنا على ما نحب بين ماضٍ مأجورٍ وراجعٍ معذورٍ وإن بالشام الداء العضال
رجلا لا يسلمها أبداً إلا مقتولا أو مغلوبا فعاجله قبل أن يعاجلك وانبد إليه
قبل الحرب

(ما أشار به الاشترا على علي)

قال وذكروا أن الاشترا النخعي قام إلى علي فقال يا أمير المؤمنين إنما لنا
أن نقول قبل أن نقول فإذا عزمتم لم نقل فلو سرت بنا إلى الشام بهذا الحد والجهد
لم يلقوك بمثله فإن القلوب اليوم سليمة والأبصار صحيحة فبادر بالقلوب القسوة
وبالأبصار العمى

(كتاب علي إلى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا أن علياً كتب إلى جرير بن عبد الله وكان على ثغر همدان كان
استعمله عليه عثمان فكتب علي إليه مع زفر بن قيس . أما بعد فإن الله لا يغير
ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من
دونه وال . ثم اني أخبرك عنا وعن سرينا اليهم من جمع طلحة والزبير عند
نكثهما بيعتهما وما صنعا بعاملي عثمان بن حنيف اني هبطت من المدينة بالمهاجرين
والأنصار حتى إذا كنت ببعض الطريق بعثت الى الكوفة الحسن ابني وعبد الله
ابن العباس ابن عمي وعبد الله بن ياسر وقيس بن سعد بن عباد فاستنفرتهم بحق
الله وحق رسوله فأجابوا وسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعذرت في الدعاء
وأقلت في العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فأجابوا الا قتالي فاستعنت الله عليهم فقتل
من قتل وولوا مدبرين الى مصرهم فسألوني ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء
فقبلت العافية ورفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبد الله بن عباس وبعثت
اليك زفر بن قيس فأسأله عنا وعنهم

وكانت فرقتي علياً على بعض العذر أحب إلى من فرقتي معاوية ولا عذر لي . ثم
ثم قال للرسول يا بن أخي استعرض الناس عن قولي في علي فقال قد سألت فقالوا
خيراً قال فاني والله عليه حتى أموت فرجع الرسول بالكتاب فأقرأه علياً فقال
كفوا عن صاحبكم فليس تراجع حتى يموت فقال حصين اما والله ما به إلا الحياء

(لحوق عبد الله بن عامر)

قال وذكروا أن عبد الله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية وخاف يوماً
كيوم الجمل فبعث إليه معاوية أن يأتيه وألح عليه فكتب ابن عامر . أما بعد فاني
أخبرك اني أقحمت طلحة والزبير الى البصرة وانا أقول اذا رأى الناس أم
المؤمنين مالوا اليها وإن فر الناس لم يفر الزبير وإن غدر الناس لم يندر مروان
فغضبت عائشة ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالى بما فيه والناس
أشباه واليوم كأمس فان اتبعتهى هوأى وإلا ارتحل عنك والسلام . فكتب
معاوية اليه . أما بعد فانك قلدت أمر دينك قتلة عثمان وأنتقت مالك لعبد الله
ابن الزبير وآثرت العراق على الشام فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين ليس
لك حظ الحق ولا ثار القتل فلما انتهى كتابه الى ابن عامر أثناء فغمس يده معه
وبايعه فلاطفه معاوية وعرف له قرابته من عثمان

(ماأشاره به عمار بن ياسر على علي)

قال وذكروا أن عمار بن ياسر قام الى علي . فقال يا أمير المؤمنين إنما بايعناك
ولا نرى أحداً يقاتلك فقاتلك من بايعك وأعطاك الله فيهم ما وعد في قوله عز
وجل « ومن بغى عليه لينصرنه الله » وقوله « يا أيها الناس إنما بغيناكم على أنفسكم »
وقوله « ومن نكث فانما ينكث على نفسه » وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا

أتقيت الله وقد كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك وذان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نقضنا بيعتي على غير حدث وأخرجنا أم المؤمنين إلى البصرة فصرت بهما في المهاجرين والأنصار فالتقينا فدعوتهما إلى أن يرجعا إلى ما خرجنا منه فأبيا فأبلغت في الدعاء وأحسنيت في البقاء وإن عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة في عنقك والمال مال الله وأنت من خزاني عليه حتى تسلمه إلى أن شاء الله وعلى أن لا أكون شر ولا نك .

(خطبة زياد بن كعب)

قال وذكروا أن الأشعث بن قيس لما قرأ كتاب علي قام زياد بن كعب خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أيها الناس إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ولم يشف منه الخبر غير أن من سمعه ليس كمن عاينه وإن المهاجرين والأنصار بايعوا عليا راضين به وإن طلحة والزبير نقضنا بيعته علي على غير حدث وأخرجنا أم المؤمنين على غير رضى فسار إليهم ولم ينلهم فتركهم وما في نفسه منهم حاجة فأورثته الله الأرض وجعل له عاقبة المتقين .

(خطبة الأشعث بن قيس)

قال فقام الأشعث بن قيس خطيبا . فقال أيها الناس إن عثمان رحمه الله ولائي أذريجان وهالك وهى في يدي وقد بايع الناس عليا وطاعتنا له لازمة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك

(مشورة الأشعث ثقاته في اللحق بمعاوية إلى الشام)

قال وذكروا أن الأشعث رجع إلى منزله فدعا أهل ثقتة من أصحابه فقال

(خطبة زفر بن قيس)

قال وذكروا أنه لما قدم زفر على جرير بكتاب علي وقرأه جرير قام زفر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أيها الناس إن علياً كتب إليكم بكتاب لا يقول بعده إلا رجياً من القول إن الناس بايعوا علياً بالمدينة غير محاباة ببيعتهم لعلهم بكتاب الله ويرى الحق فيه وإن طلحة والزبير نقضا بيعته علي على غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبأ له الحرب والبا عليه الناس وأخرجأ أم المؤمنين عائشة من ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم علياً فأتتهما فاعذر في الدعاء وخشى البغي وحمل الناس على ما يعرفون فهذا عيان ما غاب عنكم وإن سألتهم الزيادة زدناكم

(خطبة جرير بن عبد الله البجلي)

قال وذكروا أن جرير بن عبد الله قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم وأئتم الله على أنفسيته وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان ولو جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان على أحقها إلا وإن البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وعلى حاملكم ما استقمتم له فإن ماتم أقام ميلكم قال الناس سمعوا وطاعة ورضانا رضى من بعدنا .

(كتاب علي إلى الأشعث بن قيس)

قال وذكروا أن علياً كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن كعب والأشعث يومئذ بأذربيجان عاملاً لعثمان كان استعمله علياً . أما بعد فاولاهنات كن فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس فلعل أمراً يجعل بعضه بعضاً ان

فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على كل رجل فسموه إماما كان ذلك لله رضا فان خرج منهم خارج ردوه إلى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وأولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وإن طلحة والزبير بايعاني بالمدينة ثم نقضا بيعتهما فكان نقضهما كردهما فجاهدتهما بعد ما أدبرت إليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب أموركم إلى العافية إلا أن تتعرض للبلاء فان تعرض للبلاء قاتلتك واستغنت بالله عليك وقد أكرثت الكلام في قتل عثمان فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم اني أحملك وإياهم على كتاب الله فأما التي تريدتها فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان واعلم يا معاوية انك من الطلقاء الذين لا تحمل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الامامة ولا تعرض فيهم الشورى وقد بعثت اليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة السابقة فبايع ولا قوة إلا بالله

(قدوم جرير الى معاوية)

قال وذكروا أن جرير لما قدم علي معاوية بكتاب علي قام جرير بالشام خطيبا فقال أيها الناس ان أمر عثمان قد أعيا عليا ومن شهدته فما ظنكم بمن غاب عنه أن الناس بايعوا عليا وإن طلحة والزبير كانا ممن بايع ثم نقضا بيعته إلا وأن هذا الدين لا يحتمل الغبن إلا وأن هذا الدين لا يحتمل السيف وقد كانت البصرة ملحمة أن يشفع العلاء بمثلها فلا بقاء للناس وقد بايعت العامة عليا ولو ما سكتنا أمرنا لم نختار لها غيره فمن خالف هذا استعجب فادخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه فان قلت أن عثمان ولاني ولم يعزني فان هذا لو كان لم يقم لله دين وكان لكل امرئ ما هو فيه .

لهم إن كتاب على جاءني وقد أوحشني وهو آخذني بمل أدريجان وأنا لأحق
بماوية . فقال القوم الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك
وتكون ذنبا لأهل الشام

(کتاب بحریر الی الاشعث)

قال وذكروا أن جريراً كتب إلى الأشعث . أما بعد فإنه أتتني بيعة على قبيلتها ولم أجد إلى دفعها سبيلاً وإني نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان فلم أجد له يلزمني وقد شهدته المهاجرون والأنصار فكان أوثق أمرهم فيه الوقوف فأقبل ببيعته فانك لا تلتفت إلى خير منه . واعلم أن بيعة على خير من ميسارع أهل البصرة وقد تحاب النافذة الضجور ويجلس العود على البعير الدبر فانظر لنفسك والسلام

(ارسال على جريرا الى معاوية)

قال وذكروا أن جريرا لما قدم على علي قال له يا جرير انطلق إلى معاوية بكتابتى هذا وكن عند ظنى نيك واعلم يا جرير أنك ترى من حولى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن المهاجرين والبدريين والعقبين وإنى اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ذى يمن جرير فاذهب إلى معاوية بكتابتى هذا ورسالتى فإن دخل فيه المسلمون وإلا فابذ إليه بالحرب واعلمه أنى لا أرضى به أميراً ولا العامة ترضى به وإيا : فقال جرير انى لأكره أن أمتنعك معوتى وما أطمع لك فى معاوية ويضع الله ما يشاء

(كتاب على الى معاوية مرة ثانية)

قال وذكروا أن عليا كتب إلى معاوية مع جرير أنها بعد فإن بيعتي بالمدينة
لزمك وأنت بالشام لأنه بايعني الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان علي ما بايعوا

اكتب إلى علي أن يجعل لي الشام ومصر فان حضرته الوفاة لم يجعل لأحد من بعده في عتقي بيعة وأسلم إليه هذا الأمر واكتب إليه بالخلافة قال جرير اكتب ماشئت وإنما أراد معاوية في طلبه الشام ومصر أن لا يكون لعلي في عتقه بيعة وأن يخرج نفسه مما دخل فيه الناس فكتب إلى علي يسأله ذلك فلما أتى علياً كتاب معاوية عرف إنها خدعة منه

(كتاب علي إلى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا إن علياً كتب إلى جرير. أما بعد فان معاوية إنما أراد بما طلب ان لا يكون لي في عتقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحب وقد كان المغيرة ابن شمة أشار علي وأنا بالمدينة ان أستعمله على الشام فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلين عضداً فان بايعك الرجل وإلا فاقبل

(استشارة عمرو بن العاص لإبنه وهو إليه)

قال وذكروا أنه لما انتهى إلى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين استشار إبنه عبد الله ومحمداً وقال : يا بني إنه قد كان مني في أمر عثمان قتلان فلم أستقبلها بعد وقد كان من هروبي بنفسى حين ظننت أنه مقتول ماقد احتمله معاوية عني وقد قدم على معاوية جرير بيعة علي وقد كتب إلى معاوية بالقدوم عليه فما تريان ؟ فقال عبد الله وهو الأكبر : أرى والله إن نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك وقتل عثمان وأنت غائب عنه فأقم في منزلك قلت مجبولا خائفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة وستهلكا فتستورا فيها جميعا . وقال محمد : أرى إنك شيخ قریش وصاحب أمرها فان ينصرم هذا الأمر وأنت فيه حامل يصغر أمرك فالحق ببجاعة أهل الشام واحلب بدم عثمان فانك به تستميل إلى بنى أمية فقال عمر : أما أنت يا عبد الله فأمرتنى

(اشارة الناس على على بالمقام بالكوفة)

قال وذكروا أن عليا استشار الناس فأشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامة ذلك غير الأشتر النخعي وعدى بن حاتم وشريح بن هانئ فانهم قاموا الى على فتكلموا بلسان واحد فقالوا إن الذين أشاروا عليك بالمقام إنما خوفوك بحرب الشام وليس في حربهم شيء أخوف من الموت ونحن نريده فقال لهم ان استعدادى لحرب الشام وجريص صارف لهم عن خير إن أرادوه ولكنى قد وقت له وقتا لا يقيم بعده إلا أن يكون مخدوعا أو عاصيا ولا أكره لكم الأعداد وأبطل جريز على علي بالشام حتى يثس منه وإن جريزا لما أبطلأ عليه معاوية برأيه استجبه بالبيعة فقال معاوية لجريز : يا جريز ان البيعة ليست بخلسة وانته أمر له ما بعد فابلغنى ريتى .

(مشورة معاوية أهل ثنثته)

قال وذكروا أن معاوية دعا أهل ثنثته فاستشارهم فقال عتبة ابن أبى سفيان استعن على هذا الأمر بعمر بن العاص فانه من قد عرفت وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالا إلا أن ترضيه

(كتاب معاوية الى عمرو بن العاص)

قال وذكروا أن معاوية كتب الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين : أما بعد فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط علينا مروان بن الحكم فى رافضة من أهل البصرة وقدم على جريز بن عبد الله فى بيعة على وقد حسبت نفسى عليك فاقدم على بركة الله والسلام .

(ما سأل معاوية من على من الاقرار بالشام ومصر)

قال وذكروا إن معاوية قال لجريز إنى قد رأيت رأيا قال جريز هات قال

لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكني مع معاوية فقال الفتى لم ترد مع معاوية
ولكنك تريد دنياه ويريد دينك فبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلاحق بعلي
وحدث علياً بأمر معاوية وعمره وما قاله فسر علي بذلك وقربه

«مشورة معاوية عمرأ رضى الله عنهما»

قال وذكروا أن معاوية قال لعمره يا أبا عبد الله طرقتني في ليلتي هذه ثلاثة
أخبار ليس فيها إيراد ولا صدر : منها ان ابن أبي حذيفة كسر سجن مصر
ومنها ان قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها ان علياً قد تهيأ
للحجىء الينا فسا عندك ؟ قال عمرو كل هذا عظيم أما ابن أبي حذيفة فخرج في
أشياعه من الناس فان تبعث اليه يقتل وان يقتل فلا يضرب وأما قيصر فأهدله من
وصائف الروم ومن الذهب والفضة واطلب اليه المراءعة تجده اليها سريعاً وأما
على فوالله إن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من الناس وإنه لصاحب الأمر
قال معاوية صدقت ولكني أقاتله على ما بأيدينا ونلزمه دم عثمان فقال عمرو :
واسوأناه ان أحق الناس أن لا يذكروا عثمان لأننا وأنت قال معاوية ولم فقال عمرو :
أما أنت فخذله ومعك أهل الشام واستغاثك فأبطأت عليه وأما أنا فتركته عياناً
وهربت الى فلسطين قال معاوية دعني من هذا هلم فبايعني فقال عمرو لا والله
لا أعطيك من ديني حتى آخذ من دينك قال معاوية صدقت سل تعط قال عمرو
مصر طعمة . فغضب مروان بن الحكم وقال ما بالي لا أشتري فقال معاوية
اسكت : يا بن العم فاتما نشترى لك الرجال . فكتب معاوية لعمره مصر طعمة

(كتاب معاوية الى أهل مكة والمدينة وجوابها)

قال وذكروا أن معاوية قال لعمره : اني أريد أن أكتب الى أهل مكة والمدينة

بما هو خير لي في ديني وأما أنت يا محمد فقد أمرتني بما هو خير لي في دنيائي . ثم دعا غلاما له يقال له وردان وكان داهيا فقال له عمرو ياوردان احطط ياوردان إرحل ياوردان احطط ياوردان ارحل فقال وردان : أما إنك إن شئت نبأتك بما في نفسك فقال عمرو هات ياوردان فقال اعرضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت مع علي الآخرة بلا دنيا ومع معاوية الدنيا بغير آخرة فأنت واقف بينهما فقال عمرو ما أخطأت ما في نفسي فما ترى ياوردان فقال أرى إن تقيم في منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك . فقال عمرو الآن حين شهرتني العرب بمسيرى إلى معاوية

(قدوم عمرو إلى معاوية)

قال وذكروا إن عمرو بن العاص لما قدم إلى معاوية وعرف حاجته اليه باعده وكأيد كل واحد منهما صاحبه فقال عمرو لمعاوية اعطني مصر فتسلكا معاوية وقال ألم تعلم أن مصر كالشام قال بلى ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك وإنما تكون لك إذا طلبت عليا على العراق وقد بعث أهلها بسلامتهم إلى علي فدخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية فقال أما أترضى إن تشتري عمرا بمصر إن هي صفت لك أيتك لا تغلب على الشام فلما سمع معاوية قول عتبة بعث إلى عمرو فأعطاه مصر ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب في أسفل الكتاب : ولا ينقض شرط طاعة وكتب عمرو : ولا تنقض طاعة شرطاً وكأيد كل واحد منهما صاحبه وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً به عجب ابن أخيه من سروره فقال يا عمرو ألا تخبرني بأى رأى تعيش في قريش وقد أعطيت دينك غيرك أترى أهل مصر وهم قلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعلي حتى أوتراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذك بالجدل الذى تدمه فقال عمرو يابن أخى إنه لأمر الله دون معاوية وعلي يابن أخى

(جوابه)

فكتب اليه عبد الله بن عمار : أما بعد فإن الرأي الذي أطمعك في هذا هو الذي صيرك الى مصيرك . تركت علياً في المهاجرين والأنصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعتك من اتباعك وأما قولك إنى طعنت على علي فلعمري ما أنا كعلي في الاسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أحدث أمراً لم يكن لنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ففرغت الى الوقوف وقلت إن كان هذا فضلاً تركته وإن كان ضلاله فشر منه نجوت فافغن عنى نفسك

(كتاب معاوية الى سعد بن أبي وقاص)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعد بن أبي وقاص . أما بعد فإن أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشام والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر والشورى ونظيراك في الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تسكرهن ما ركبوا ولا تردن ما قبلوا فانما نريدها شورى بين المسلمين

(جواب سعد بن أبي وقاص لمعاوية)

قال وذكروا أن سعدا كتب اليه . أما بعد فإن أهل الشورى ليس منهم أحق بهامن صاحبه غير أن علياً كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه فشاركنا في محاسنها ولم نشاركه في محاسنه وكان أحقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفها عنه حيث شاء لعلمه وقدره . وقد علمنا انه أحق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام في ذلك والتشاجر فدع ذا . وأما أمرك يا معاوية فانه أمر كرهنا أوله

(م ٧ - الامامة)

كتابا أذكر فيه قتل عثمان فاما ان ندرك حاجتنا أو نسكرتهم عن المسير . فقال له عمرو الى من تسكتب قال : الى ثلاثة نفر رجل لعلي لا يريد غيره ولا يزيد كتابا فيه إلا بصيرة أو رجل يهوى عليا فلا نرده عما هو عليه أو رجل معتزل لا يريد القتال قال عمرو على ذلك قال نعم قال اكتب فسكتب الى أهل مكة والمدينة : أما بعد فإنه مهما غاب عنا فإنه لم يفت علينا ان عليا قتل عثمان والدليل على ذلك ان قتلاته عنه وإنما نطلب بدمه حتى تدفع الينا قتلاته فنقتلهم بكتاب الله تعالى فان دفعهم الينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عمر بن الخطاب فأما الخلافة فلنسا نطلبها فأعينونا يرحمكم الله وانهمضوا من ناحيتكم

(جوابهما)

قال وذكروا انه لما قرئ عليهم كتابه اجتمع رأيهم على ان يسندوا أمرهم إلى المسور ابن مخزومة فجأوب عنهم فسكتب اليه . أما بعد فإنك أخطأت خطأ عظيما وأخطأت مواضع النصرة وتناوتها من مكان بعيد وما أنت والخلافة يا معاوية وأنت طليق وأبوك من الأحزاب . فسكتب عنا فليس لك قبلنا ولى ولا نصير

(كتاب معاوية الى ابن عمر)

قال وذكروا أن معاوية كتب الى ابن عمر كتابا خاصا دون كتابه الى أهل المدينة : أما بعد فإنه لم يكن أحد من قريش أحب الى أن يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان فذكرت خذلك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك على خلافك عليا وطعنك عليه وردني اليك بعض ما كان منك فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فاني لست اريد الامارة عليك ولسكني أريدها لك فان أئين أبيت كانت شورى بين المسلمين

(كتاب معاوية إلى علي رضي الله عنه)

قال وذكروا إن معاوية كتب إلى علي . أما بعد فاعمرى لوبايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فإذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين وقد كان أهل الحجاز أعلا الناس وفي أيديهم الحق فلما تركوه صار الحق في أيدي أهل الشام ولعمرى ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير لأن أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أحد من أهل الشام وأن طلحة والزبير بايعاك ولم أبايعك وأما فضلك في الاسلام وقرابتك من النبي عليه السلام فلعمرى ما أدفعه ولا أنكره

(جواب علي إلى معاوية)

قالوا فكتب إليه علي . أما بعد فقد جاءني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجاب به وقاده فاستقاده. زعمت أنه أفسد عليك يعني خطيئتي في عثمان ولعمرى ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضرهم بالعبي وما أمرت فيلزمني قصاص القتال . وأما قولك أن أهل الشام هم الحكم على الناس فهات رجلاً من قريش الشام يقول في الشورى أو تحل له الخلافة فإن سميت كذبتك المهاجرون والأنصار وإلا أتيتك من قريش الحجاز وأما قولك نرفع اليك قتلة عثمان فما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بني أمية وبنو عثمان أولى بعثمان منك فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم

وآخره . وأما طاحه والزبير فلو لزمنا بيعتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين

(كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة الانصارى)

وكان فارس الأنصار رضى الله عنهم وذا النجدة فيهم : أما بعد : فاني لم أكتب اليك وأنا أرجو مبايعتك واسكني اذ كرك النعمة التي خرجت منها انك كنت فارس الأنصار وعدة المهاجرين فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا لم تستطع منه الامضاء فهذا أعنى وعن قتال أهل الصلاة فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضا أو ترى ان عثمان وأهل الدار ليسوا بمسلمين وأما قولك الانصار فقد عصوا الله تعالى وخذلوا عثمان وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذي كان يوم القيامة .

(جوابه)

قال وذكروا ان محمد بن مسلمة كتب اليه . أما بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي في يدي وقد أخبرت بالذي هو كائن قبل ان يكون فلما كان كسرت سينى ولزمت بيتى واتهمت الراى على الدين اذا لم يصح لى امر بمعروف آمر به ولا منكر أنهى عنه ولعمري يامعاوية ما طلبت إلا الدنيا ولا اتبعت إلا الهوى ولئن كنت نصرت عثمان ميتا لقد خذلته حيا ونحن ومن قبلنا من المهاجرين وأنصار أولى بالصواب : قال : فلما أجاب القوم معاوية بما أجابوه من الخلاف الى ادعاهم اليه قال له عمرو وكيف رأيت يامعاوية رأيتى ورأيتك أخبرتك بالأمر قبل أن يقع قال معاوية رجوت ما خفت

مقدمته أبا الأعور السلي وعلى ساقته بشير بن ارطاة وعلى الخيل عبيد الله بن عمرو ودفع اللواء الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الميمنة يزيد العباسي وعلى المسيرة عبد الله ابن عمرو بن العاص ثم قال يا أهل الشام أنكم قد سرتتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ولعمري ما للشام رجال العراق وأموالها ولا لأهل العراق بصر أهل الشام ولا بصائرهم مع أن القوم بعدهم غيرهم مثاهم وليس بعدكم غيركم فإن غلبتوهم فلم تغلبوا إلا من قد أتاكم وإن غلبوكم عاقبوا من بعدكم والقوم لا قومكم ببصائر أهل الحجاز ورقة أهل اليمن وقسوة أهل مصر وكيد أهل العراق وإنما يبصر غدا من اليوم فاستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ثم سار معاوية في ثلاثة آلاف وثمانين ألفا حتى نزل بصفين وذلك في نصف محرم وسبق الى سهولة الأرض وسعة المناخ وقرب الفرات وكتب الى علي يخبره بمسيره

(تهيئة على أهل العراق للقتال)

قال وذكروا أن عليا لما باغى تاهب معاوية قال : أيها الناس إنما بايع معاوية أهل الشام وليس له غيرهم ولي ولا نصير وإنكم أهل الحجاز وأهل العراق وأهل اليمن وأهل مصر وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله وليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وقد وادع القوم الروم فان غلبتموهم استعانوا بهم ولحقوا بأرضهم وإن غلبوكم فالنأية الموت والمنزى الى الله العزيز الحكيم . وقد زعم معاوية أن أهل الشام أهل صبر ونصر ولعمري لا تتم أولى بذلك منهم لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان وإنما الصبر اليوم والنصر غدا . قال فجند الناس ونشطوا وتأهبوا فصار على بالناس من السكوفة في مائة الف وتسعين الفا فجعل علي المقدمة الأشتر النخعي وعلى ساقته شريح بن هانئ وعلى المهاجرين والأنصار محمد بن أبي بكر وعلى أهل البصرة عبد الله بن عباس وعلى السكوفة عبد الله بن جعفر وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلى القباب الحسن بن علي .

الى وأما تمييزك بين الشام والبصرة وذ كرك طلحة والزبير فلعمري ما الأمر إلا واحد إنها بيعة عامة لا ينتفى عنها البصير ولا يستأنف فيها الخيار وأما ولوعك في أمر عثمان فوالله ما قلت ذلك عن حق العيان ولا عن تيقن الخبر وأما فضلي في الاسلام وقرابتي من رسول الله عليه السلام وشرفي في قریش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته

(قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية)

قال وذكروا أن عبيد الله بن عمر قدم على معاوية الشام فسر به سرورا شديدا وسر به أهل الشام وكان أشد قریش سرورا به عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو ما منع عبد الله أن يكون كعبيد الله فضحك عمرو وقال شبهت غير شبيه إنما أتاك عبيد الله مخافة أن يقتله على بقتلة الهرمزان ورأى عبد الله أن لا يكون عليك ولا لك ولو كان معك لنفعاك أو عليك لضرك

(تعبئة معاوية أهل الشام لقتال علي)

قال وذكروا أن معاوية بعث الى رؤساء أهل الشام يسألهم ثم قال أتم أهل أهل الفضل فليقيم كل رجل منكم يتكلم فقام رجل فقال : أما والله لو شهدنا أمر عثمان فهرقنا قتله باعيانهم ما استغنينا عن أخبار الناس ولكن أنت دقك على ما غاب عنا وإنا أبغض الناس إلينا من يتناول علي بن أبي طالب لقدومه في الاسلام وعلمه بالحرب ثم قام حوشب فقال : والله ما إلالك تنصر ولا نذهب ولا عنك نحامى ما تنصر إلا الله ولا نذهب إلا للخليفة ولا نحامى إلا عن الزام فلف الخيل بالخيول والرجال والرجال وتد دعونا قومنا الى ما دعوتنا اليه أمس وأمرناهم بما أمرتنا به فجاءوك ببنا وبين الله ونحن بينك وبيننا شربنا بما يحب وانما عسا تذكره : قال فلما عزم معاوية على المسير الى صفين عبا أهل الشام بفعل علي

يعلو الفرات في الخيل حتى أمره بأمرى فقال على ذلك لك فانصرف الأشعث
فنادى في الناس من كان يريد الماء فيعاهدها الصبح فاني ناهض الى الماء فأجابه بشر
كثير فتقدم الأشعث في الرحالة والأشتر في الخيل حتى وقفا على الفرات فلم
يزل الأشعث في الرحالة يمضى حتى خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادى : أنا
الأشعث بن قيس خلوا عن الماء . فقال أبو الأعور أما والله قبل أن تأخذنا
وإياكم السيوف فلا . فقال الأشعث أظنها والله قد دنت منا ومنكم قال وبعث
إلى الأشتر أن اقحم الخيل فاقحمها الأشتر حتى وضع سنايها في الفرات وحمل
الأشتر في الرجال فأخذ القوم السيوف فأنكشف أبو الأعور وأصحابه وبعث الأشتر
إلى على هلم يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء فلما غلب أهل العراق على
الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال يا معاوية ما ظنك أن منعك على الماء
كما منعته أمس أترأى ضاربهم كما ضربوك . فقال دع ما مضى عنك فان علياً
لا يستحل منك ما استحلت منه وإن الذي جاء له غير الماء

(دعاء على معاوية الى البراز)

قال وذكروا أن الناس مكثوا بصغين أربعين ليلة يغسدون إلى القتال
ويروحون فأما القتال الذي كان فيه الفناء فتلاثة أيام . فلما رأى على كثرة القتال
والقتل في الناس برز يوماً من الأيام ومعاوية فوق التل فنادى بأعلى صوته
يا معاوية فأجابه فقال ما تشاء يا أبا الحسن قال علي علام يقتل الناس ويذهبون
على ملك إن نلتهم كان لك دونهم وإن نلتهم أنا كان لي دونهم أبرز إلى ودع الناس
فيكون الأمر لمن غلب قال عمرو بن العاص : أنصفك الرجل يا معاوية فضحك
معاوية وقال طمعت فيها يا عمرو فقال عمرو : والله ما أراه يحمل بك إلا أن
تبارزه فقال معاوية ما أراك إلا مازحاً نلقاه بجمعنا

وسار حتى نزل صفين وقد سبقه معاوية الى سهولة الأرض وسعة المناخ وقرب
الفرات .

(منع معاوية الماء من أصحاب علي)

قال وذكروا أنه لما نزل معاوية بصفين بعث أبا الأعور بمن معه ليحولوا
بينهم وبين الفرات وإن أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلبانهم ليستقوا لهم من الفرات
فحالت خيل معاوية بينهم وبين الماء فانصرفوا فساروا إلى علي فأخبروه فقال علي
للاشعث اذهب إلى معاوية فقل له إن الذي جئنا له غير الماء ولو سبقناك إليه لم
نحل بينك وبينه فإن شئت خليت عن الماء وإن شئت تناجزنا عليه وتركنا ما جئنا
فانطلق الاشعث إلى معاوية فقال إنك تمنعنا الماء وأيم الله لنشربه فمرهم يكفوا
عنه قبل أن تغاب عليه والله لا نموت عطشا وسيوفنا على رقابنا فقال معاوية
لأصحابه ما ترون فقال رجل منهم نرى أن تقتلهم عطشا كما قتلوا عثمان ظلما . فقال
عمرو بن العاص لا تظن يا معاوية أن عليا يظما وأعنة الخيل بيده وهو ينظر
إلى الفرات حتى يشرب أو يموت دونه خل عن القوم يشربوا . فقال معاوية
هذا والله أول الظفر لاسقاني الله من حوض الرسول أن شربوا منه حتى يغلبوني
عليه . فقال عمرو وهذا أول الجور أما تعلم أن فيهم العبد والأجير والضعيف
ومن لا ذنب له لقد شجعت الجبان وحملت من لا يريد قتالك على قتالك

(غلبة أصحاب علي على الماء)

قال وذكروا أن معاوية لما غاب على الماء اغتم علي لما فيه الناس من العطش
فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم إلى بعض مخافة أن يغاب أهل الشام على الماء
فقال الاشعث يا أمير المؤمنين أيمننا القوم الماء وأنت فينا ومعنا السيوف خل
عنا وعن القوم فوالله لا أرجع إليك حتى أردته أو أموت دونه وأمر الأشعث أن

(قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية وعلى)

قال وذكروا أن أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين فوعظاه وقال يا معاوية علام تقاتل عليا وهو أحق بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة لأنه رجل من المهاجرين الأولين السابقين بإحسان وأنت طليق وأبوك من الأحزاب أما والله ما نقول لك أن تكون العراق أحب إلينا من الشام ولكن البقاء أحب إلينا من الفناء والصلاح أحب إلينا من الفساد . فقال معاوية لست أزعم أني أولى بهذا الأمر من علي ولكني أقاتله حتى يدفع إلى قتلة عثمان عثمان فقالا إذا دفعهم إليك ماذا يكون . قال أكون رجلا من المسلمين فأتيا عليا فان دفع اليكما قتلة عثمان جعلتهما شوري فقدمما على عسكر علي فأتاهاما الاشتهر فقال يا هذان إنه لم ينزلكما السام حب معاوية وقد زعمتا أنه يطلب قتلة عثمان فعمى أخذتما ذلك فلقبتهما أعمى قيله نصدقتهوهم على الذنب كما صدقتموهم على القتل أم عن نصره فلا شهادة لمن جر إلى نفسه أم عن اعتزل إذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله أو عن معاوية وقد زعم أن عليا قتله . اتقيا الله فانا شهدنا وغبتما ونحن الحكماء على من غاب فانصهرنا ذلك اليوم ذليلا أصبحا أتيا عليا فقالا له إن لك فضلا لا يدفع وقد سرت مسير فتى إلى سنيته من السفهاء ومعاوية يسألك أن تدفع اليه قتلة عثمان فان فعلت ثم قاتلك كما معك قال علي أتعرفانهم قالوا نعم قال فخذاهم فأتيا محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والأشتر : فقالا . أنتم من قتلة عثمان وقد أمرنا بأخذكم نخرج اليهما أكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان فقالا نرى أمرا شديدا ألبس عليا الرجل . وإن

أبا هريرة وأبا الدرداء انصرفا إلى منزلهما بحمص فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة فقال : العجب منكما أنكما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لئن كلفتما أيديكما ما كلفتما

(براز عمرو بن العاص لعلی)

قال وذكروا أن عمراً قال لمعاوية أئجبن عن علي وتهمني في نصيحتي إليك والله لأبارزن علياً ولو مت ألف موته في أول لقائه . فبارزه عمرو فطعنه على فصرعه فأتقاه بعورته فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه . وكان علي رضى الله عنه لم ينظر قط إلى عورة أحد حياء وتكرماً وتبرهاً عما لا يحل ولا يحل بمثله كرم الله وجهه

(قطع الميرة من أهل العراق)

قال وذكروا أن علياً دعا زحر بن قيس فقال له سر في بعض هذه الخيل إلى القطقطانة فاقطع الميرة عن معاوية ولا تقتل إلا من يحل لك قتله وضع السيف موضعه . فبلغ ذلك معاوية فدعا الضحاك بن قيس فأمره أن يأتى زحر بن قيس فيقاتله فسار الضحاك فلقته زحر فبرمه وقتل من أصحابه وقطع الميرة عن أهل الشام ورجع الضحاك إلى معاوية منهزماً فجمع معاوية الناس فقال : أتانى خبر من ناحية من نواحي أمر شديد فقالوا يا أمير المؤمنين لسنأ في شيء مما أتاك إنما علينا السمع والطاعة وبلغ علياً قول معاوية وقول أهل الشام فأراد أن يعلم ما رأى أهل العراق فجمعهم فقال أيها الناس إنه أتانى خبر من ناحية من نواحي فقال ابن السكوء وأصحابه إن لنا في كل أمر رأى فما أتاك فاطلعنا عليه حتى نشير عليك فبكي ثم قال : خفر والله ابن هند باجتماع أهل الشام له واختلافكم على والله ليغابن باطله حتى يأتى أن زحر بن قيس خفر بالضحاك وقطع الميرة وأتى معاوية مزينة صاحبه فقال يا أهل الشام إنه أتانى أمر شديد تقلدوه أمرهم واختالفتم على نقام قيس بن سعد فقال أما والله لئذن كنا أولى بالتسام من أهل الشام

الشام عن نصرته لأنت وإن الذين قتلوه غير الأنصار والسلام

(ما خاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد)

قال وذكروا أن النعمان بن بشير الأنصاري وقف بين الصفيين . فقال : يا قيس بن سعد أما أنصفكم من دعاكم إلى ما رضى لنفسه إنكم يامعشر الأنصار أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار وقتلكم أنصاره يوم الجمل واتحامكم على أهل الشام بصفيين فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم علياً كان هذا بهذا ولكنكم خذلتهم حقاً ونصرتهم باطلاً ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى شعلتم الحرب ودعوتهم إلى البراز فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعاً إلى برازكم غير أنسكات عن حربكم ثم لم ينزل بعلي أمر قط إلا هوتتم عليه المصيبة ووعدتهم الظفر وقد والله اخلفتموه وهان عايناً بأسكم وما كنتم لتخلوا به أنفسكم من شدتكم في الحرب وقدرتكم على عدوكم وقد أصبحتم أذلاء على أهل الشام لا يرون حربكم شيئاً وأنتم أكثر منهم عدداً ومدداً وقد والله كثروكم بالقلّة فكيف لو كانوا مثلكم في الكثرة والله لا تزالون أذلاء في الحرب بعدها أبداً إلا أن يكون معكم أهل الشام وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم ونحن أحسن بقية وأقرب إلى الظفر قاتقوا الله في البقية . فضحك قيس وقال والله ما كنت أراك يانعمان تجترىء على هذا المقام أما المنصف الحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش لنفسه المبطل فيما انتصح غيره . أما ذكر عثمان فإن كان الانجاز يكفيك فخذ . قل عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار وأما قولك أنا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نلتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقا إعرابيا أو يمانيا مستدرجا وانظر

ألسنتكما أنأتان عليا ونطلبان اليه قتلة عثمان وقد علمتا أن المهاجرين والأنصار لو حرموا دم عثمان نصره وبايعوا عليا على قتله فهل فعلوا وأعجب من ذلك رغبتكما عما صنعوا وقولكما لعل يجعلها شورى وإخاءها من عنقك وانكما لتعلمان أن من رضى بعلي خير ممن كرهه وإن من بايعه خير ممن لم يبايعه ثم صرتما رسولي رجل من الطلقاء لا تحل له الخلافة . ففشى قوله وقولهما ففهم معاوية بقتله ثم راقب عشيرته

(وقوع عمرو بن العاص في علي)

قال وذكروا أن رجلا من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمرأ يقع في علي فقال له يا عمرو ان أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه . فحق ذلك أم باطل فقال عمرو حق وأنا أزيدك أنه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب علي ففرع الفتى فقال عمرو إنه أفسدها بأمره في عثمان فقال برد هل أمر أو قتل قال لا ولكننه أوى ومنع قال فهل بايعه الناس عليها قال نعم فما أخرجك من بيعته قال اتهمى إياه في عثمان قال له وأنت أيضا قد اتهمت قال صدقت فيها خرجت إلى فلسطين فرجع الفتى إلى قومه فقال إن أتينا قوما أخذنا الحجة عليهم من أفواههم . علي على الحق فاتبعوه

(كتاب معاوية إلى أبي أيوب الأنصارى)

قال وذكروا أن معاوية كتب إلى أبي أيوب الأنصارى وكان أشد الأنصار على معاوية : أما بعد فاني نسيتك ما لا تنسى الأشياء . فلما قرأ كتابه أتى به عليا فأقرأه إياه قال علي معنى الأشياء المرأة الشمطاء لا تنسى ثكل ابنها فانا لا أنسى قتل عثمان . فسكت اليه أبو أيوب . انه لا تنسى الأشياء ثكل ولدها وضربتها مثلا لقتل عثمان فما نحن وقتله عثمان ان الذي تربص بعثمان وثبط أهل

والرماء إعظام أهل الدين وأظهرت فيها كراهية أهل الورع لا تريد بذلك إلا تمهيد الحرب وكسر أهل الدين فان كنت تريد الله فدع مصر وارجع إلى بيتك فان هذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي بدأها علي باحق وانتهى فيها إلى العذر وبدأها معاوية بالبغى وانتهى فيها إلى السرف وليس أهل الشام فيها كأهل العراق بايع أهل العراق عليا وهو خير منهم وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ولست أنا وأنت فيها سواء أردت الله وأنت أردت مصر . وقد عرفت الشيء الذى باعدك منى ولا أعرف الشيء الذى قربك من معاوية فان ترد شرا لاتفتنا به وان ترد خيرا لاتسبقتنا اليه

(امر معاوية مروان بحرب الأشر)

قال وذكروا أن معاوية دعا مروان بن الحسك فقال يامروان ان الأشر قد عمى فاخرج بهذه الخيل فقاتله غدا فقال مروان ادع لها عمراً فانه شعارك دون دثارك . قال معاوية وأنت نفسى دون وزيرى . قال مروان لو كنت كذلك الحقنى به العطاء والحقته بن الحرمان وليكنك أعليته عافى يدك ومنيتنى مافى يدى غيرك فان غلبت طاب المقام وان غلبت خف عليك المهرب . قال معاوية يغنى الله عنك قال أما اليوم فلا . ندعا معاوية عمراً فأمره بأمره فقال : أما والله لئن فعلت لقد قدمتنى كافياً وأدسلتنى زحماً وقد غمك القوم فى مصر فان كان لا يرضيهم إلا أخذها فنحذها عليها لعنة الله أما والله يا أمير المؤمنين ان مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبى الله إلا ان يقربنا إليك

(كتاب معاوية الى ابن عباس)

قال وذكروا أن معاوية كتب الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أما بعد فانكم مبعث بنى هاشم لستم الى أحد أمرع منكم بالمساءة الى أنصار عثمان فان يك

أين المهاجرون والأَنْصار والتابعون بإحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه
ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحك ولستما والله بدرين ولا عقبين
ولا لكما سابقة في الاسلام ولا آية في القرآن

(كتاب عمرو إلى ابن عباس)

قال وذكروا أن معاوية قال لعمرو بن العاص ان رأس أهل العراق مع علي
عبد الله بن عباس فلو القيت اليه كتابا ترفق فيه فان قال شيئا لم يخرج منه علي
وقد أكلتنا هذه الحرب ولا أرانا نطيق العراق إلا بهلاك الشام . فقال له عمرو
ان ابن عباس لا يمدح ولو دامت في علي قال معاوية على ذلك فكتب عمرو إلى
ابن عباس . أما بعد فان الذي نحن وأنت فيه ليس أول أمر قاده البلاء وساقته
العافية وانك رأس هذا الجمع بعد علي فانظر فيما بقي بغير ما مضى فوالله ما أبقت
هذه الحرب لنا ولحكم حياة ولا صبرا واعلم أن الشام لا تملك إلا بهلاك العراق
وأن العراق لا تملك إلا بهلاك الشام فإخبارنا بعد اعدادنا منكم وما خبركم
بعد اعدادكم منا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولا يمكننا نقول ليتها لم تكن وان
فيها لمن يكره البقاء كما فيكم وانما هي ثلاثة أمير مالح أو مأهور مطيع أو مشاور
مأمون . ذأما العاصي السفیه فليس بأهل ان يدعى في ثبات أهل الشورى ولا
خوإص أهل النجوى

(جواب عبد الله بن عباس إلى عمرو بن العاص)

قال وذكروا أنه لما انتهى كتاب عمرو إلى ابن عباس أتى به إلى علي فأقرأه
إياه فقال علي قال الله ابن العاص أجبه . فكتب اليه . أما بعد فإني لأعلم رجلا
أقل حياء منك في العرب إنك مال بك الحموى إلى معاوية وبعته دينك بالثمن
الأوكس ثم خبطت الناس في عتواء طمعا في هذا الملك فلما ترامينا أعظمت الحرب

(خطبة على كرم الله وجهه)

قال وذكروا أن علياً قام خطيباً فقال : أيها الناس ألا ان هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كل نفس بما كسبت من زيادة أو نقصان في أهل أو مال فمن أصابه نقصان في أهل أو مال فلا يغش نفسه ، الا وإنما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام وقد دخل في هذا العسكر طمع من معاوية فضعوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها فان نازعتكم أنفسكم الى غير ذلك فردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء فوالله أن أرجى ما أرجوه الرزق من الله من حيث لا تحسب وقد فارقكم مصقلة بن هيرة فأثر الدنيا على الآخرة وفارقكم بشر بن ارطاة فأصبح ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال وفارقكم زيد بن عدى بن حاتم فأصبح يسأل الرجعة . وأيم الله لودت رجال مع معاوية انهم معي فبايعوا الدنيا بالآخرة . ولودت رجال معي انهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا

(قدوم ابن أبي محجن على معاوية)

قال وذكروا أن عبد الله بن أبي محجن الثقفي قدم الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين إني أتيتك من عند الغي الجبان البخيل ابن أبي طالب فقال معاوية : لله أنت تدري ما قلت ، أما قولك الغي فوالله لو أن ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفها لسان علي وأما انه جبان فشككتك أمك هل رأيت أحداً قط بارزه إلا قتله ، وأما قولك انه بخيل فوالله لو كان له بيتان أحدهما من تبر والآخر من تبر لا نقد تبره قبل تبره . فقال الثقفي فعلى ما تقاتله إذأ ؟ قال على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذي من جعله في يده جازت طينته واطعم عياله وادخر لأهلها . فضحك الثقفي ثم لحق بعلي فقال يا أمير المؤمنين هب لي يدي

ذلك لسلطان بني أمية فقد ورثها عدى وتيم وقد وقع الأمر ما قد ترى وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استوفينا فيها أطمعكم فينا أطمعنا فيكم وما أياكم منا أيا سنا منكم وقد رجونا غير الذي كان وخشينا دون ما وقع ولستم ملاقينا اليوم بأحد من جدكم أمس وقد منعنا بما كان منا الشام رقد منعم بما كان منكم العراق اتقوا الله في قريش فما بقي من رجالها إلا ستة : رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز : فأما اللذان بالحجاز فسعد وعبد الله بن عمر : وأما اللذان بالشام فأنار وعمر ووأما اللذان بالعراق فعلي وأنت ، ومن الستة رجلان ناصبان لك وآخران واقفان عليك وأنت رأس هذا الجمع اليوم وغداً ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا أسرع اليك منا إلى علي

(جوابه)

قال وذكروا أنه لما أتى كتاب معاوية إلى ابن عباس ضحك ثم قال حتى متى يخطب إلى معاوية عتلى وحتى متى أجهجم له عما في نفسي فكتب إليه : أما بعد فقد جامنى كتابك فأما ما ذكرت من سرعتنا بالمساة إلى أنصار عثمان لسلطان بني أمية فاعمرى لقد أدركت في عثمان حاجتك لقد استنصرك فلم تنصره حتى صرت إلى ما صرت إليه وبينى وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عتبة ، وأما قولك أنه لم يبق من رجال قريش غير ستة فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا إلا من خذلك ، وأما إغراؤك إيانا بعدى وتيم فأبو بكر وعمر كانا خيراً منك ومن عثمان كما أن علياً خير منك ، وأما قولك إنا إن نلتك إلا بالقيناك به فقد بقي لك منا يوم ينسبك ما قبله وتخاف له ما بعده ، وأما قولك أنه لو بايع الناس استقامت فقد بايعوا علياً وهو خير منى فلم تستقم له وإن الخلافة لاتصلح إلا لمن كان في الشورى فما أنت والخلافة وأنت طابق الإسلام وابن رأس الأسراب وابن أكلة الأكباد من قتي بدر

عبد الله بن عمرو بن العاص انه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا فان تك للدين فقد والله أسرفنا وأسرفتم وإن تك للدنيا فقد والله أعذرنا وأعذرتكم وقد دعوناكم لأمر لو دعوتونا إليه أجبناكم فان يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله وإلا فاغتنموا هذه الفرصة لعل الله أن ينعمش بها الحى وينسى بها القتل فان بقاء المقلد بعد الهالك قليل . فقال علي لسعيد بن قيس أجب الرجل وقد كان عبد الله بن عمرو قاتل يوم صفين بسيفين وكان من حجته أن قال أمرني رسول الله أن أطيع أباي فتقدم سعيد بن قيس حتى إذا كان بين الصفين نادى . يا أهل الشام أنه كانت بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا وقد دعوتونا إلى ما قتلناكم عليه أمس ولم يكن له ليرجع أهل العراق إلى عراقهم ولا أهل الشام إلى شامهم بامر أجل منه فان يحكم فيه بما أنزل الله فالأمر في أيدينا وإلا فنحن ونحن وأتم أتم وان الناس ثاروا إلى علي عند كلام عبد الله بن عمرو فقالوا أجب القوم إلى ما دعوك إليه فانا دعونا عثمان إلى ما دعاك القوم إليه فقاتلناه . فبعث على الأشعث إلى أهل الرايات يأمرهم أن ينقضوها ويرجعوا إلى رجالهم حتى يبرموا رأيهم

(ما خاطب به عتبة بن أبي سفيان الأشعث بن قيس)

قالوا وذكروا أن معاوية دعا عتبة فقال له ألن إلى الأشعث كلاما فانه إن رضى بالصلح رضيت به العامة فخرج عتبة حتى اذا وقف بين الصفين نادى الأشعث فأتاه فقال عتبة أيها الرجل ان معاوية لو كان لاقياً أحداً غيرك وغير علي لقيك أنك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن ومن قد سلف إليه من عثمان ما قد سلف إليه من الصبر والعمل ولست كأصحابك أما الأشعث فقتل عثمان ، وأما عدى فض ، وأما سعيد بن قيس فقتل عليا دينه : وأما شريح بن هانئ وزحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى وأما أنت فخافيت عن أهل العراق تكريماً وحاربت أهل الشام حمية وقد والله بلغنا منك ما أردنا وبلغت منا ما أردت وإننا لا ندعوك إلا ما يكون منك

يجرمي لادنيا أصبت ولا آخرة غنمك . فضحك علي ثم قال : أنت منها على رأس أمرك وإنما يأخذ الله العباد بأحد الأمرين

(رفع أهل الشام المصاحف)

قال وذكروا أن أهل العسكرين باتوا بشدة من الألم ونادى علي أصحابه فأصبحوا علي راياتهم ومصافهم فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال قال لعمر بن العاص يا عمرو ألم تزعم أنك مارقت في أمر قط إلا وخرجت منه قال بلى قال أفلا تخرج مما ترى . قال والله لادعوتهم إن شئت إلى أمر آخر فرق به جمعهم ويزداد جمعك إليك اجتماعاً إن أعطوك واختلفوا وإن منعوكم اختلفوا ، قال معاوية وما ذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فتترفع ثم تدعوهم إلى ما فيها فوالله لئن قبله لفترق عنه جماعته ولئن رده ليكنرنه أصحابه . فدعا معاوية بالمصاحف ثم دعا رجلاً من أصحابه يقال له ابن هند فشره بين الصفين ثم نادى الله الله في دمائنا ودمائكم البقية بيننا وبينكم كتاب الله . فلما سمع الناس ذلك ناروا إلى علي فقالوا قد أعطاك معاوية الحق ودعاك إلى كتاب الله فأقبل منه . ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول بيننا وبينكم هذا المصحف ثم تلى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ثم نادى من الفارس من الروم فقال الأشعث والله لاناقي هذه أبداً ونرضى مملك أو نقاتل معك وتابعه أشراف أهل اليمن وركنوا إلى الصلح وكرهوا القتال

(ما تكلم به عبد الله بن عمرو وأهل العراق)

قال وذكروا أن معاوية دعا عبد الله بن عمرو بن العاص فأمره أن يكلم أهل العراق فأقبل عبد الله بن عمرو حتى إذا كان بين الصفين نادى : يا أهل العراق أنا

(جوابه)

فلما انتهى كتابه الى علي دعا كاتبه عبيد الله بن رافع فقال اكتب : أما بعد فقد جاءني كتابك تذكري انك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنبها بعضنا على بعض وأنا وإياك في غاية لم نبلغها بعد ، وأما طلبك الى الشام فاني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس ، وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فانك لست أمضى على الشك مني على اليقين وليس أهل الشام بأحرص من أهل العراق على الآخرة وأما قولك ان ابني عبد مناف فكذلك ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب لعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب والمهاجر كالطليق ولا الحق كالمبطل وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام . فلما أتى معاوية الكتاب أقراه عمرأ فشمته به عمرو ولم يكن أحد أشد تعظيماً لعلي من عمرو بن العاص بعد يوم مبارزته فقال معاوية لعمرو وقد علمت أن أعظماك لعلي لما فضحك قال عمرو لم يفتضح امرؤ بارز علياً وإنما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه

(اختلاف اهل العراق في المواعدة)

قال وذكروا أنه لما عظم الأمر واستمر القتال قال له رأس من أهل العراق ان هذه الحرب قد أكلتنا وأذهبت الرجال والرأى المواعدة . وقال بعضهم لا بل نقاتلهم اليوم على ما قتلناهم عليه أمس وكانت الجماعة قد رضيت المواعدة وجنحت الى الصلح والمسالمة فقام على خطيباً فقال : أيها الناس إنه لم أزل من أمرى على ما أحب حتى قد احتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهم . وقد كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت اليوم منها فليس لي أن أحملك على ما تكرهون

(مارد كردوس بن هانيء على)

قال وذكروا أن كردوس بن هانيء قام قتال . أيها الناس إنه والله ماتولينا

من تركك عليا ولا نصرة معاوية ولكننا ندعوك الى البقية التي فيها صلاحك
وصلاحنا

(فتكلم الاشعث)

فقال : يا عتبة أما قولك أن معاوية لا يأتي إلا عليا فهو لقيني ما زاد ولا عظم في
عيني ولا صغرت عنه وان أحب ان أجمع بينه وبين علي لأنعمان ، وأما قولك إني
رأس أهل العراق وسيد أهل الدين فالرأس الأمير والسيد المطاع وهاتان لعلي ،
وأما ما سلف إلى من عثمان فوالله ما زادني صهره شرفا ولا عمله غنى ، وأما عليك
أصحابي فإن هذا الأمر لا يقربك مني وأما محاماتي عن العراق فن نزل ببناحيناه
وأما البقية فلسنا بأحوج منها اليكم

(كتاب معاوية الى علي رضي الله عنهما)

قال وذكروا أن عليا أظهر انه مصباح معاوية للقتال فبلغ ذلك معاوية ففزع
أهل الشام فانكسروا لذلك فقال معاوية لعمره إني قد رأيت رأيا أن أعيد الى
علي كتابا أسأله فيه الشام . فضحك عمرو ثم قال أين أنت يا معاوية من جرعة
علي . فقال معاوية ألسنا بنى عبد مناف فقال بلى ولكن لهم النبوة دونكم فان شئت
أن تكتب فاكتب . فكتب معاوية الى علي : أما بعد فإني أظنك أن لو علمت
أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض وإنما كنا قد غلبنا على
عقولنا فلنا منها ما نذم به ماضى ونصلح ما بقى وقد كنت سألتك أن لا يلزمي
لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك على فأعطاني الله ما منعت وإني أدعوك الى ما
دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ولا تخاف من الفناء إلا
ما أخاف وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال ونحن بنى عبد مناف ليس
لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستدل به عزيز ولا يسترق به حر

(ما قاله الحصين بن المنذر)

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سناً فقال : أيها الناس إنما بنى هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ولا تهدموه بالشبهة وأنا والله لو أنا لا نقبل من الأمور إلا ما نعرف لأصبح الحق في الدنيا قليلاً ولو تركنا وما نهوى لأصبح الباطل في أيدينا كثيراً وإن لنا راعياً قد حمدنا ورده وصدّره وهو المأمون على ما قال وفعل فإن قال لا قلنا لا : وإن قال نعم قلنا نعم

(ما قال عثمان بن حنيف)

ثم قام عثمان بن حنيف وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامل لعلي على البصرة وكان له فضل فقال : أيها الناس اتهموا رأيكم فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديدية يوم أبي جندل وأنا لنريد القتال إنكاراً للصالح حتى ردنا عنه رسول الله وإن أهل الشام دعوا إلى كتاب الله اضطراباً فأجبناهم إليه إعداداً فلسنا والقوم سواء أنا والله ما عدلنا الحى بالحق ولا القتل بالقتل ولا الشامى بالعراقى ولا معاوية بعلى وإنه لأمر منعه غير نافع واعطاؤه غير ضائر وقد كلف البصائر التى كنا نقاتل بها وقد حمل الشك اليقين الذى كنا نؤل إليه وذهب الحياء الذى كنا نمارى به فاستظلموا فى هذا الفىء واسكنوا فى هذه العافية فإن قاتلنا قاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس هيئات ذهب والله قياس أمس وجاء غداً . فأعجب علينا قوله وانتصرت به الأنصار ولم يقل أحد بأحسن من مقالته

(ما قال عدى بن حاتم)

ثم قام عدى بن حاتم فقال : أيها الناس إنه والله لو غير علي دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان وفى يده من

معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من علي منذ توليناه وإن قتلنا لشهيد وإن جينا
لفائز وإن عليا على بيته من ربه وما أجاب القوم إلا أنصافا وكل بحق منصف
فمن سلم له نجا ومن خالفه هوى

(ما قاله سفيان بن ثور)

قال وذكروا أن سفيان بن ثور قال : أيها الناس إنا دعونا أهل الشام إلى
كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم وإنهم دعونا إلى كتاب الله فان ردناه عليهم
حل لهم منا ما حل لنا منهم ولسنا نخاف أن يخيف الله علينا ورسوله وإن عليا
ليس بالراجع الناكص وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحرب
ولا نرى البقاء إلى المودة

(ما قال حريث بن جابر)

ثم قام حريث بن جابر فقال : أيها الناس أن عليا لو كان خلوا من هذا
الامر لكان المرجع اليه فكيف وهو قائده وسابقتة وإنه والله ما قبل من القوم
اليوم إلا الامر الذي دعاهم اليه أمس ولورده عليهم كنتم له أعيب ولا يلحد في
هذا الامر إلا راجع على عتبيه أو مستدرج مخرور وما بيننا وبين من طعن
علينا إلا السيف

(ما قال خالد بن معمر)

ثم قام خالد بن معمر فقال يا أمير المؤمنين إنا والله ما أخرجنا هذا المقام
أن يكون أحد أوفى به منا واسكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كذبنا مؤنه فأما إذا
استغينا فانا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم اليه اليوم إن رأيت ذلك وإن لم
تره فرأيك أن نضل

فسر علي كرم الله وجهه بقوله وأنتى خيراً

(ثم قام صعصعة بن صوحان)

فقال : ياأمير المؤمنين إنا سبقنا الناس اليك يوم قدوم طلحة والزبير عليك فدعانا حكيم إلى نصره عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه فقاتل عدوك حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانتا كنفهم مثل اكف الابل وجباههم مثل ركب المعز فاسر الحى وسلب القتل فسكننا أول قتيل وأسير ثم رأيت بلاءنا وقد كلت البصائر وذهب الصبر وبقي الحق موفوراً وأنت بالغ هذا حاجتك والأمر اليك ما أراك الله فمرنا به

(ما قال المنذر بن الجارود)

ثم قام المنذر بن الجارود فقال : ياأمير المؤمنين انى أرى أمراً لا يدين له الشام إلا بهلاك العراق ولا يدين له العراق إلا بهلاك الشام ولقد كنا نرى ان مازدنا نقصهم وما نقصنا ضرهم فاذا فى ذلك أمران فان رأيت غيرك قضينا والله ما يفعل به الحد ويرد به الكلب وليس لنا معك ابراد ولا صبر

(ما قال الأخنف بن قيس)

ثم قام الأخنف بن قيس فقال ياأمير المؤمنين ان الناس بين ماض وواقف وقائل وساكنت وكل فى موضعه لحسن وإنه لو يكل الآخر عن الأول لم يقل شيئاً إلا ان يقول اليوم ما قد قيل أمس ولكنه حق يقضى ولم نقاتل القوم لنا ولا لك إنما قاتلناهم لله فان حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله فانك أولى بالحق وأحقنا بالتوفيق ولا أرى إلا القتال

(ما قال عمير بن عطار)

ثم قام عمير بن عطار فقال : ياأمير المؤمنين ان طلحة والزبير وعائشة كانوا

الله سبب وإنه وقف عن عثمان بشبهة وقتل أهل الجبل على السكك وأهل الشام على البغي فانظروا في أموركم وأمره فإن كانت له عليكم فضل فليس لكم مثله فسلوا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لاسلم الناس بهما . ولئن كان إلى الاسلام إنه لآخونى الله والراسخ فى الاسلام . ولئن كان إلى الزهد والعبادة لأنه أظهر الناس زهداً وأنهم عبادته ولئن كان إلى العقول والنجائز إنه لأشد الناس عقلاً وأكرمهم نجيزة ، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كان إلى الرضى لقد رضى المهاجرون والأنصار فى شورى عمر رضى الله عنهم وبايعوه بعد عثمان ونصروه علي أصحاب الجبل وأهل الشام فما الفضل الذى قربكم إلى الهدى وما النقش الذى قرب به إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد لأتاه الله له من يقاتل لأمر ماض وكتاب سابق فاعترف أهل صفين لهدى بن حاتم بعد هذا المقام ورجع كل من تشعب على علي رضى الله عنه

(ما قال عبد الله بن حجل)

ثم قام عبد الله بن حجل فقال يا أمير المؤمنين إنك أمرتنا يوم الجبل بأمر مختلف كانت عندنا أمراً واحداً فقبلناها بالتسليم وهذه مثل تلك الأمور ونحن أولئك أصحابك وقد أكثر الناس فى هذه القضية وأيم الله ما المنكر المنكر بأعلم بها من المقل المحترف وقد أخذت الحرب بأنفاسنا فلم يبق إلا رجاء ضعيف فإن تجب القوم إلى ماديك اليه فأنت أولنا إيماناً وآخرنا نبي الله عهداً وهذه سيوفنا على أعناقنا وقلوبنا بين جوارحنا وقد أعطيناك بيميننا وشرحت بالطاعة صدورنا ونفدت فى جهاد عدوك بصيرتنا فأنت الوالى المطاع ونحن الرعية الاتباع أنت أعلمنا بربنا وأقربنا بنبينا وخيرنا فى ديننا وأعظمنا حقاً فينا ، فسد رأيك تتبعك واستخر الله تعالى فى أمرك واعزم عليه برأيك فأنت الوالى المطاع . قال

وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك وليس بعد الجزع إلا ما تحب ناجز القوم .

(ما قال الأشتر وأشار به)

ثم قام الأشتر نقلاً : يا أمير المؤمنين ما أجبتك لدنيا إن معاوية لا خلف له من رجاله ولكن بحمد الله الخلف لك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرتك فافرج الحديد بالحديد واستعن بالله

(ما قال عمرو بن الحمق)

ثم قام عمرو بن الحمق فقال يا أمير المؤمنين ما أجبتك لدنيا ولا نصرناك على باطل ما أجبتك إلا الله تعالى ولا نصرناك إلا للحق ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه لسكبر فيه اللجاج وطالت له النجوى وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأى

(ما قال الأشعث بن قيس)

ثم قام الأشعث بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين أنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ولست أدري كيف يكون غداً وما القوم الذين كلموك باحد لأهل العراق عني ولا باوتر لأهل الشام مني فأجب القوم إلى كتاب الله فانك أحق به منهم وقد أحب الله البقيا

(ما قال عبد الرحمن بن حارث)

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال يا أمير المؤمنين امض لأمر الله ولا يستحلفنك الذين لا يوقنون . احكم بعد حكم وأمر بعد أمر مضت دماؤنا ودمائهم ومضى حكم الله علينا وعليهم

(ما رآه على كرم الله وجهه)

قال فقال على إلى قول الأشعث بن قيس وأهل اليمن فأمر رجلاً ينادى إنا

أحب الناس إلى معاوية وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام وكان القوم الذين
وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً من الذين وثبوا
عليك من أصحاب معاوية اليوم فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف
فقاتل القوم أنامعك

(ما قال علي كرم الله وجهه)

ثم قام علي خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انه قد بلغكم
وبعدوكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلا آخر نفس وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر
آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى باغوا منكم ما بلغوا وأنا
غاد عليهم بنفسى بالعداء فاحاكمهم بسيفى هذا إلى الله

(نداء أهل الشام واستغاثتهم علياً)

قال فلما بلغ معاوية قول عمرو بن العاص فقال له ياعمر بن الخطاب هي الليلة حتى
يغدوا علينا علي بنفسه فما ترى قال عمرو ان رجالك لا يقومون لرجاله ولا أنت
ولا أنا لا نقوم له . أنت تقاتله علي أمر ويقا تلك علي غيره وأنت تريد البقاء
وعلي يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام من علي ما يخاف منك أهل العراق وان
هاكتم . ولكن ادعهم إلى كتاب الله فانك تقضى منه حاجتك قبل ان ينسب
مخلبه فيك . فأمر معاوية أهل الشام أن ينادوهم فنادوا في سواد الليل نداء معه
صراخ واستغاثة يقولون يا أبا الحسن من لذرارينا من الروم ان قتلنا الله الله
البقياء كتاب الله بيننا وبينكم . فاصبحوا وقدرفعوا المصاحف على الرماح وقلوبها
أعناق الخيل والناس على رايانهم قد أصبحوا للقتال

(ما اشار به عدى بن حاتم)

فقام عدى بن حاتم فقال : يا أمير المؤمنين أن أهل الباطل لا تعوق لأهل الحق

أو نحن قتلناه إنما قتله الذين جاؤوا به ثم التفت إلى أهل الشام فقال . إنما نحن
الفتنة الباغية التي تبغى دم عثمان فلما قتل عمار اختلط الناس حتى ترك أهل الرايات
مرا كزهم وأفحم أهل الشام وذلك من آخر النهار وتفرق الناس عن علي فقال
عدى بن حاتم : والله يا أمير المؤمنين ما أبقت هذه الواقعة لنا ولا لهم عيداً
فقاتل حتى يفتح الله تعالى لك فان فينا بقية فقال علي يا عدى قتل عمار بن باسر ؟
قال نعم فبكي علي . وقال . رحمك الله يا عمار استوجب الحياة والرزق الكريم
كم تريدون ان يمشي عمار وقد نيف على التسعين

(هزيمة أهل الشام)

ثم أقبل الأشتر جريماً فقال يا أمير المؤمنين خيل كخييل ورجال كرجال
ولنا الفضل إلى ساعتنا هذه فعد إلى مكانك الذي كنت فيه فان الناس إنما
يطلبون حيث تركوك . وان علياً دعا بفرسه التي كانت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم دعا ببعلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ثم تعصب بعمامة رسول الله
صلى الله عليه وسلم السوداء ثم نادى : من يبيع نفسه اليوم يريح غداً يوم له ما بعده
وان عدوكم قد قدح كما قدحتم فاتتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر الفا
واضعي سيوفهم على عواتقهم وتقدموا فحمل علي والناس حملة واحدة فلم يبق
لأهل الشام صف إلا اُخذ حتى أفضى الأمر إلى معاوية وعلي يضرب بسيفه ولا يستقبل
أحداً إلاولى عنه فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله في الركاب نظر إلى عمرو بن
العاص فقال له يا بن العاص . اليوم صبرو وغداً نفر قال صدقت فترك الركوب وصبر وصبر
القوم معه إلى الليل فبات الناس يتحارسون وكرهوا القتال وهو اليوم الذي فيه
البلاء العظيم يوم قتل عمار وكل يظن أن الدائرة عليه وأسرف الفريقان في القتل
ولم يكن في الاسلام بلاء ولا قتل أعظم منه في تلك الثلاثة الأيام وإن علياً نادى
بالرحيل في جوف الليل فلما سمع معاوية رضى الله عنه رغاء الابل دعا عمرو

أجبننا معاوية إلى مادعانا إليه . فأرسل معاوية إلى علي إن كتاب الله لا ينطق ولكن تبعث رجلاً منا ورجلاً منكم فيحكما بما فيه . فقال علي قد قبلت ذلك

(ما قال عمار بن ياسر)

فلما أظهر علي أنه قد قبل ذلك قام عمار بن ياسر فقال : يا أمير المؤمنين أما والله لقد أخرجها إليك معاوية بيضاء من أقر بها هلك ومن أنكرها هلك مالك يا أبا الحسن أشكسكتنا في ديننا ورددتنا على أعقابنا بعد مائة ألف قتلاؤنا ومنهم أفلا كان هذا قبل السيف وقبل طلحة والزبير وعائشة قد دعوك إلى ذلك فأبيت وزعمت أنك أولى بالحق وإن من خالفنا منهم ضال حلال الدم وقد حكم الله تعالى في هذا المال ما قد سمعت فإن كان القوم كفاراً مشركين فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يفيؤوا إلى أمر الله وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى لا نكون فتنة ويكون الدين كله لله والله ما أسلبوا ولا أدوا الجزية ولا فأؤا إلى أمر الله ولا طفت الفتنة فقال علي والله إنى لهذا الأمر كاره

(قتل عمار بن ياسر)

قال فلما رد علي عمار أنه كاره للقضية وأنه ليس من رأيه نادى عمار : أيها الناس هل من رآب إلى الجنة فخرج إليه خمسمائة رجل منهم أبو الهيثم وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين فاستسقى عمار الماء فأناه غلام له بأداة فيها لبن فلما رآه كبر وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آخر زادك لبن » ثم قال عمار اليوم التي الأعبة محمدأ وحزبه . ثم حمل عمار وأصحابه فالتقى عليه رجلان فقتلاه وأقبلا برأسه إلى معاوية يتنازعا فيه كل يقول أنا قتلته فقال لهما عمار بن العاص : والله إن تتنازعا إن إلا في النار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول . تقتل عماراً الفئة الباغية فقال معاوية قبحك الله من شيخ فما نزال تزلق في قولك

الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة . فامض على القضية
واتهم في هذا الصلح

(ما قال الاشتر وقيس بن سعد)

قال فأنكرها الاشتر وقيس بن سعد وكانا أشد الناس على علي فيها قولاً
فكان الذين عملوا في الصلح الأشعث بن قيس وعدى بن حاتم وشريح بن هانئ
وعمر بن الحقيق وزحر بن قيس ومن أهل الشام زيد بن أسد ومخارق بن الحارث
وحزمه بن مالك فلما رأى ذلك أبو الأعور قام إلى معاوية فقال يا أمير المؤمنين
إن القوم لا يجيبوا إلى ما دعوناهم إليه حتى لم يجدوا من ذلك بداً وانهم إن
ينصرفوا العام يعودوا في قبائل في سنة يبرأ الجريح وينسى القتل وقد أخذت بالحرب
منا ومنهم غير أنهم اختلفوا على علي ولم يختلف عليك أحد والخلاف أشد من
القتل ناجز القوم . فقال بشر بن أرطاه والله إن الشام خير من العراق لعلي وما
في يدك لك وما في يد علي لأصحابه دونه فان كنت إنما سألت المدة لا أعداد العدة
وانتظار المدد ففهم وإن كنت سألتها بفضا للحرب وبقياً على أهل الشام فلا

(ذكر الاتفاق على الصلح وإرسال الحكمين)

قال ، وذكروا أن معاوية قال لأصحابه حين استقامت المدة ولم يهيم الحكمين
من ترون علياً تختار فأما نحن فصاحبنا عمرو بن العاص . قال عتبة بن أبي سفيان
أنت أعلم ببلي منا فقتل معاوية : إن لعلي خمسة رجال من ثقاته منهم عدى بن حاتم
وعبد الله بن عباس وسعد بن قيس وشريح بن هانئ والأحنف بن قيس وأنا
أصفهم لك : أما عباس فانه لا يتوى ، وأما عدى بن حاتم فبرد عمرأ سائلاً ويسأله
مجيئاً ، وأما شريح بن هانئ فلا يدع لعمروا حياضاً ، وأما الأحنف بن قيس
فبديته كرويته ، وأما سعد بن قيس فاو كان من قریش بايعه العرب ومع هذا إن الناس

بن العاص فقال ما ترى هاهنا قال عمرو أظن الرجل هاربا فلما أصبحوا اذا على وأصحابه إلى جانبهم قد خالطوهم فقال معاوية كلا زعمت يا عمرو إنه هارب فضحك وقال من فعلاته والله فعندها أيقن معاوية بالهلكة ونادى أهل الشام كتاب الله بيننا وبينكم ويومئذ استبان ذل أهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف وصاحوا لا ترد كتاب الله يا أبا الحسن فانك أولى به منا وأحق من أخذ به

(ما قال الأشعث بن قيس)

قال فأقبل الأشعث بن قيس في أناس كثير من أهل اليمن فقالوا لعل لا ترد ما دعاك القوم قد أنصفك القوم والله لئن لم تقبل ههنا منهم لا وفاء معك ولا نرمي معك بسهم ولا حجير ولا نقف معك موقفا

(ما قال الفراء)

قال فلما سمع علي قول الأشعث ورأى حال الناس قبل التضيعة وأجاب إلى الصلح وقام إلى علي أناس وهم القراء منهم عبد الله بن وهب الراسبي في أناس كثير قد اخترطوا سيوفهم ووضعوها على عواتقهم فقالوا لعل اتق الله فانك قد أعطيت العهد وأخذته منا لفنيين أنفسنا وللفنيين عدونا أو يفىء إلى أمر الله وإنا نراك قد ركنت إلى أمر فيه الفرقة والمعصية لله والذل في الدنيا فانهب بنا إلى عدونا فلنذركه إلى الله بسيفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لا حكومة الناس

(ما قال عثمان بن حنيف)

ثم قام عثمان بن حنيف فقال يا أيها الناس اتهموا رأيكم فانا والله قد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو رأينا قتالا قاتلنا وذلك في الصلح

علياً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وانها بيعة هذا ولم يقاتل إلا عاصياً أو ناكثاً . فقال أبو موسى : رحمك الله أما والله انى لواقف عند ما أرى ولرضاء الله تعالى أحب إلى من رضاء الناس وما أنا وأنت إلا بالله تعالى

(ما قال أهل الشام لأهل العراق)

قال وذكروا أن أهل الشام قالوا لأهل العراق اعطونا رجالاً نسميهم لكم يكونون شهوداً على ما يقوله صاحبنا وصاحبكم بيننا وبينكم صحيفة فقال علي سموا من أحببتهم فسموا ابن عباس والأشعث بن قيس وزيد بن كعب وشرح بن هاني وعدي بن حاتم وحجر بن عدي وعبد الله بن الطفيل وسفيان بن ثور وعروة بن عامر وعبد الله بن حجر وخالد بن معمر وطلب أهل العراق من أهل الشام عتبة ابن أبي سفيان وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ويزيد بن أسيد وأبا الأعور وحصين بن نمير وحمزة بن مالك ويسر بن أرطاه والنعمان بن بشير ومخارق بن الحارث فلما سمى أهل العراق رجال أهل الشام وسمى أهل الشام رجال أهل العراق قال معاوية أين يكون هذين الرجلين فرضى الناس أن يكونا بدومة الجندل

(ما قال الأحنف بن قيس لعلي)

قال فلم يبق إلا السكتاب قال الأحنف بن قيس لعلي يا أمير المؤمنين ان أبا موسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فأبعثني معه فوالله لا يحل لك عقدة إلا عقدت لك أشد منها فان قلت انى لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبعث بن عباس وأبعثني معه

(ما قال علي كرم الله وجهه)

فقال على أن الأنصار والقراء أتوني بأبي موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضينا ولا نريد سواه والله بالغ أمره

قد ملوا هذه الحرب ولم يرضوا إلا رجلاً له تقية وكل هؤلاء لا تقية لهم ولكن
انظروا أين أنتم من رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمنه أهل
الشام وترضى به أهل العراق فقال عتبة ذلك أبو موسى الأشعري

(اختلاف أهل العراق في الحكمين)

قال وذكروا أن علياً لما استقام رأيهُ على أن يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو
ابن العاص قام إليه الأشعث بن قيس وشريح بن هانئ وعدى بن حاتم وسعد
ابن قيس ومعهم أبو موسى الأشعري فقالوا يا أمير المؤمنين هذا أبو موسى
الأشعري وافد أهل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب مغانم أبي بكر
وعامل عمر بن الخطاب وقد عرضنا على القوم أن عباس فزعوا أنه قريب القرابة
منك ضنين في أمرك وأيم الله لو لقيت به عمر لأخذ بصره ونغم صدره . ولكن
الناس قد رضوا برجل يثق أهل العراق وأهل الشام بتقيته . فتكلم شبيب بن ربي
فقال أنا والله إن خفنا على أبي موسى من عمرو ما لا يخافه أهل الشام على عمرو
من أبي موسى فلعل ما خفناه لا يضرنا ولعل ما يرجوا لا ينفعهم فان قلت في أبي
موسى ضعف فضعه وتناه خيره من قوة عمرو وفجوره فأغلقت به البلاء وافتح به
العافية ثم تكلم ابن السكوء فقال يا أمير المؤمنين انك جبت الله فأجنتك ولكننا
نقول الله يبتلي بينك إن كنت تخشى من أبي موسى عجزاً فشر من أرسلت الخائن
العاجز ، ولست نحتاج من عقله إلا إلى حرف واحد أن لا يجعل حَقَّك لغيرك
فيدرك حاجته منك . واعلم أن معاوية طليق الاسلام وأن أباه رأس الأحزاب
وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فان صدقك فقد حل خلعه وإن كذبك فقد
حرم عليك كلامه وإن ادعى أن عمر وعثمان استعملاه فقد صدق استعمله عمر
وهو الوالي بمنزلة الطبيب من المريض يحميمه ما يشتهي ويوجره ما يكرهه ثم
استعمله عثمان وما كان من استعماله ثم لم يدع الخلافة ومهما نسيته فلا تنس أن

انقضائهم فلهما أن يقولوا عن تراض منهما على أن يرجع أهل العراق إلى العراق وأهل الشام إلى الشام فيكون الاجتماع إلى دومة الجندل فإن رضيا أن يجتمعا بغيرهما فلهما أن لا يحضرها إلا من أحبا ولا يشهد إلا من أرادا وهؤلاء نفر من أهل العراق وأهل الشام ضامنون بالوفاء إلى هذه المدة فكتب أهل العراق بهذا كتابا لأهل الشام وكتب أهل الشام كتابا بهذا لأهل العراق عمرو بن عباد كاتب معاوية وشهد شهود أهل الشام على أهل العراق وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام فلما كتب السكتان أقبل برجل من بني يشكر على فرس له أبلق حتى وقف بين الصفيين على علي فقال أيا علي أكفر بعد إسلام ونقض بعد توكيد وردة بعد معرفة أنا من صحيفتك برىء ومن أقرها برىء ثم حمل على أصحاب معاوية فطعن فيهم حتى إذا عطش أتى عسكر على فاستسقى فسقى ثم حمل على عسكر علي فطعن فيهم حتى إذا عطش أتى عسكر معاوية فاستسقى فسقى

(ماوصى به شريح بن هانيء أبا موسى)

قال وذكروا أن شريح بن هانيء أخذ بيد أبي موسى فقال : يا أبا موسى أنك نصبت لأمر لا يجبر صدعه ولا تستقال فلتته ومهما ثقل من شيء لك أو عليك يبت حقه ويزيل باطله أنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معاوية ولا بأس لأهل الشام إن ملكها علي فانظر في ذلك نظر من يعرف هذا الأمر حقا

(ماوصى به الأحنف بن قيس أبا موسى)

قال ثم جاء الأحنف بن قيس فأخذ بيده ثم قال . يا أبا موسى أعرف خطب هذا المسير واعلم أن لك ما بعده وإنك إن ضيعت العراق فلا عراق لك فاتق الله فانك تجمع بذلك دنيا وأخرى . إذا لقيت عمرأ غدا فلا تبادره بالسلام فليس

(الاختلاف في كتاب صحيفة الصلح)

قال فوضع الناس السلاح والتقوا بين العسكرين فلما جرىء بالكتاب قال علي اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان فقال معاوية على م قاتلناك إذ كنت أمير المؤمنين اكتب : علي بن أبي طالب . فقال الأشعث اطرح هذا الاسم فانه لا يضرك فضحك علي ثم قال . دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين صده المشركون عن مكة فقال يا علي اكتب هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش فقال سهيل بن عمرو ولقد ظلمناك إذا يا محمد ان قاتلناك وأنت رسل الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال صلى الله عليه وسلم اكتب محمد بن عبد الله راني رسول الله . وكنت إذ أمرني بشيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرع وإذا قال مشركو قريش أبطلت به وإذا كتبت شيئاً قال نبي الله اسمها فتعاضى ذلك . فدعا بمقرض فقرضته وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فقال أبو الأعور أو معاوية وعلى فقال الأشعث لا لعمر الله ولكن نبدأ بأولهما إيماناً وهجرة وأدناهما من الغلبة فقال معاوية : قدموا وأخروا تقاضوا على أن علياً ومن معه من شيعته من أهل العراق ومعاوية ومن معه من أهل الشام إنما نزل عند حكم الله وكتابه من فاتخته إلى خاتمته ما أحيا القرآن أحييناه وما أمات القرآن أماته فلما لم يجد عبد الله بن قيس وعمر بن الناص في القرآن حكماً بما يجدان في السنة العادلة غير المفرقة وعلى علي ومعاوية وتبعتهما وضع السلاح إلى انقضاء هذه وهي من رمضان إلى رمضان رعى أن عبد الله بن قيس وعمر أماناً على دماهما وأموالهما وحريةهما والأمة على ذلك أنساروا وعليهما مثل الذي أخذنا أن يقضيا بما في كتاب الله تعالى وما لم يجد في كتاب الله قضياً بما يجدان في السنة وعامهما أن لا يؤخرا أمرهما عن هذه المدة فإن أحبا أن لا يوقلا قبل

وطأة هذا الأمر لصاحبك ولك فسكن عند ظننا بك

(اجتماع ابى موسى وعمرو)

قال وذكروا أن أبا موسى وعمرو لما اجتماعا بدومة الجندل وحضرهما من
يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين فلما التقيا استقبل عمرو أبا موسى فأعطاه
يده وضم عمرو أبا موسى الى صدره فقال يا أخى قبح الله أمراً فرق بيننا ثم أقعد
أبا موسى على صدر الفراش وأقبل عليه وجهه والناس مجتمعون فلم يزالا حتى
تفرقا ومكثا أياما يلتقان فى أمرهما سرّاً وجهراً وأقبل الأشعث بن قيس وكان
من أحرص الناس على إتمام الصلح والراحة من الحرب فتال يا هذان إنا قد
كرهنا هذه الحرب فلا ترداها إلينا فانها مرة للرضاع وللقطام فكفهاها بما شئتما

(ما قال سعيد بن قيس للحكمين)

قال فأقبل سعيد بن قيس وكان من النصحاء لعلي كرم الله وجهه فقال : أها
الرجلان أنى أراكما قد أبطأتما بهذا الأمر حتى آيس القوم منكما فان كنتما
اجتمعتما على خير فأظهراه نسمعه ولنشهد عليه وإن كنتما لم تجتمعا رجعنا
الى الحرب

(ما قال عدى بن حاتم لعمر و)

قال وذكروا أن عديا قال لعمر و اما والله يا عمرو انك لعير مأمون الغناء
وانك يا أبا موسى لعير مأمون الضعف وما ننتظر بالقول منكما إلا أن تقولوا
والله مالكما مع كتاب الله إيراد ولا صدر فقال أبو موسى كفوا عنا فانما إنما
قول فيما بقى ولسنا نقول فيما مضى

(ما قال عمرو لأبى موسى)

قال وذكروا أن عمرو غدا على أبى موسى فقال يا أبا موسى قد عرفت سجال

من أهله ولا تعطيه يدك فانها أمانة وإياك أن تقعد على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه وحدك وإياك أن يكلمك في بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجلا وإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلى خفيه أن يختار أهل العراق رجلا من قريش أهل الشام من شأوا فانهم إن يولوا الخيار يختاروا من يريدون فان أبا فلتختار أهل الشام من قريش أهل العراق من شأوا فان فعلوا كان الأمر بيننا

(ماقال معاوية لعمرو)

قال وذكروا أن معاوية قال لعمرو ان أهل العراق أكرهوا عليا على أبي موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وأرجو في دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام وفرقة لأهل العراق وإمداداً لأهل اليمن وقد ضم إليك رجل طويل اللسان قصير الرأي وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فاذا هو قال فاصمت واعلم أن حسن الرأي زيادة في العقل ان خوفك العراق بخوفه بالشام وإن خوفك نصر بخوفه باليمن وإن خوفك عليا بخوفه بمعاوية وإن أتاك الجليل فاته بالجليل قال عمرو يا أمير المؤمنين أقلل الاهتمام بما قبلي وارح الله تعالى فيما وجهتني له انك من أمرك على مثل حد السيف لم تنل في حربك ما رجوت ولم تأمن ما خفت ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً وقد ذكرت لأبي موسى دينا وان الدين منصوراً رأيت أن ذكر عليا وجاءنا بالاسلام كالهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول فقال معاوية قل ما تريد وترى قال فانصرف عمرو الى منزله فقال لأصحابه هل ترون ما أراد معاوية من تصغير أبي موسى قالوا قال عرف انه خادعه غداً

(ماقال شرحبيل لعمرو)

قال وأتى شرحبيل بن السمط الى عمرو فقال يا عمرو انك رجل قريش وأن ومعاوية لم يبعثك إلا لقتله بك واعلم أنك لم تؤت من عجز وتد علمت أن

للناس خيرهم لنفسه وإنى لا اهلك ديني بصلاح غيري ، ان هذه الفتنة قد أكلت العرب وإنى رأيت وعمرو ان نخلع علياً ومعاوية ونجعلهما لعبد الله بن عمر فانه لم يسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً ثم قام عمرو فقال : أيها الناس هذا أبو موسى شيخ المسلمين وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا قد خلع علياً وأثبت معاوية فقال أبو موسى مالك عليك لعنة الله ما أنت إلا كمثل الكلب تلهث فقال عمرو لكنك مثل الحمار يحمل أسفاراً . واختلط الناس فقالوا والله لو اجتمعنا على هذا ما حولتمنا عما نحن عليه وما صلحنا بل لازمنا وإنا اليوم على ما كنا عليه أمس ولقد كنا ننظر إلى هذا قبل ان يقع وما أمات قولك حقا ولا أحيا باطلاً ثم تشاتم أبو موسى وعمرو ثم التفت عمرو إلى معاوية ولحق أبو موسى بمكة وانصرف القوم إلى علي فقال عدى أما والله يا أمير المؤمنين لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال وجعلت الحسب لله فقال علي أما اني قد أخبرتك ان هذا يكون بالأمس وجهدت ان تبعثوا غير أبي موسى فأيتهم على ولا سبيل لحرب القوم . حتى تنقضي المدة . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . قم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمرو ، فقام الحسن فتكلم فقال : أيها الناس قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمرو وإنما بعثنا ليحكما بالقرآن دون الأهوى شيكاً بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكماً ولكنه محكوم عليه وقد كان من خطئ أبي موسى ان جعلها لعبد الله بن عمر فاختطأ في ثلاث خصال خالف يعني أبا موسى أباه عمر إذ لم يرصه لها ولم يره أهلها وكان أبوه علم به من غيره ولا أدخله في الشورى إلا على لا شيء له فيها شرطاً ومشروطاً من عمر على أهل الشورى فهذه واحدة ، وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعتقدون الإمامة ويحكمون على الناس ، وثالثة لم يستأمر الرجل في نفسه ولا علم ماعنده من رد أو قبول . ثم جلس ثم قال علي لعبد الله بن عباس قم فتكلم فقام عبد الله بن عباس وقال أيها الناس ان للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا

معاوية في قريش وشرفه في بني عبد مناف وأنه ابن هند وابن أبي سفيان فما ترى فقال أبو موسى أما معاوية فليس بأشرف في قريش من علي ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهلية كانت أحوال ذى أصبح ولكنني أرى وترى وباعده أبو موسى ثم غدا عليه عمرو فقال يا أبا موسى ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وأبوه رأس الأحزاب لم يبايعه المهاجرون والأنصار فقد صدق وإذا قال ان علياً آوى قتلة عثمان وقتل أنصاره يوم الجمل وبرز على أهل الشام بصفتين فقد صدق وفيما وفكم بقية وان عادت الحرب ذهب ما بقي فهل لك ان تخلعها جميعاً وتعمل الأمر لعبد الله بن عمر فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسط في هذه الحرب يدأ ولا لساناً وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه فقال أبو موسى جزاك الله بنصيحتك خيراً وكان أبو موسى لا يعدل بعبد الله بن عمر أحداً لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته من أبيه لفضل عبد الله في نفسه وافتراقاً على هذا الأمر واجتمع رأيهما على ذلك . ثم ان عمرو غدا على أبي موسى ناشدته الله تعالى من أحق بهذا الأمر من أوفى أو من غدر قال أبو موسى من أوفى قال عمرو يا أبا موسى نشدتك الله تعالى ما تقول في عثمان قال أبو موسى قتل مظلوماً قال عمرو فما الحكم فيمن قتل قال أبو موسى يقتل بكتاب الله تعالى قال فمن يقتله قال أولياء عثمان قال فان الله يقول في كتابه العزيز « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً » قال فهل تعلم ان معاوية من أولياء عثمان قال نعم قال عمرو للقوم اشهدوا قال أبو موسى للقوم اشهدوا على ما يقولوا عمرو ثم قال أبو موسى لعمر و قم يا عمرو فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه فقال عمرو سبحان الله أقوم قبلك وقد قدمك الله قبلي في الإيمان والمهجرة وأنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله ووافد رسول الله إليهم وبك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه وصاحب مناهم أبي بكر وعمر ولكن قم أنت قتل ثم أقوم فأقول فقام أبو موسى حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان خير الناس

يصلطلحوا فهو الذي أردت وإلا لم يرجعوا إلى أعظم مما كانوا عليه وأما إغضابي عليك علياً ومعاوية فقد غضبا عليك قبل ذلك ، وأما خديعة عمرو إياي فوالله ما ضر بخديعته علياً ولا نفع معاوية وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه لا ما اختلفنا فيه وأما نهى اليك فوالله لو تم الأمر لأكرهت عليه

(كتاب معاوية الى أبي موسى)

قال وذكروا أن معاوية كتب إلى أبي موسى بعد الحكومة وهو بمكة أما بعد فأكره من أهل العراق ما كرهوا منك وأقبل إلى الشام فإني خير لك من على والسلام

(جوابه)

فكتب إليه أبو موسى : أما بعد فإنه لم يكن مني في علي لا ما كان من عمرو فيك غير أني أردت بما صنعت وجه الله وأراد عمر بما صنع وقد كان بيني وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمر رجعت وأما قولك أن الحكمين إذا حكما على أمر فليس للحكوم عليه أن يكون بالخيار إنما ذاك في الشاة والبعر ، وأما في أمر هذه فليست تساق وإن تكره عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر . وأما دعاؤك إياي إلى الشام فليس لي بدل ولا إثارة عن قبر ابن إبراهيم أبي الأنبياء

(كتاب علي الى أبي موسى)

قال وذكروا أنه لما بلغ علياً كتاب أبي موسى رق له وأحب أن يضمه إليه أما بعد فأنك امرؤ ضلك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فإنه من استقال الله أقاله إن الله يغفر ولا يغير وأحب عباده اليه المتقون والسلام ، فلما انتهى كتاب علي إلى أبي موسى هم أن يرجع ثم قال لأصحابه اني امرؤ غلب

والناس بين راض به وراغب عنه وإنما سار أبو موسى يهدي إلى ضلال وسار عمرو بضلال إلى هدى فلما التقيا رجع أبو موسى عن هدايه ومضى عمرو على ضلاله فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه ولئن كانا حكما بهما على القرآن ولئن مسكا بما سارا به لقد سارا أبو موسى وعلي أمامه وسار عمرو ومعاوية أمامه ثم جلس فقال علي لعبد الله بن جعفر قم فتكلم فقام . وقال أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلي والرضا فيه إلى غيره وجئتم بأبي موسى فقتلتم قد رضينا هذا فارض به وأيم الله ما أصحها بما فعلا الشام ولا أفسدا العراق ولا أماتا حق علي ولا أحيا باطل معاوية ولا يذهب الحق قلة رأى ولا نفخة شيطان وأنا لعلي اليوم كما كنا أمس عليه ثم جلس

(كتاب ابن عمر إلى أبي موسى)

قال وذكروا أن عبد الله بن عمرو لما بلغه ما كان من رأى أبي موسى كتب إليه . أما بعد يا أبا موسى فانك تقربت إلى بأمر لم تعلم هواي فيه أ كنت تظن أنني أبسط يداً إلى أمر نهاني عنه عمر أو كنت تراني أتقدم على علي وهو خير مني لقد خبت إذا وخسرت وما أنا من المهتدين فأغضبت بقولك وفعلك علي عليا ومعاوية : ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو إياك وأنت حامل القرآن ووافد أهل اليمن إلى نبي الله وصاحب مقاسم أبي بكر وعمر فقدمك عمرو للقول مخادعا حتى خلعت عليا قبل أن تخلع معاوية ولعمري ما يجوز لك على علي ما يجوز لعمرو على معاوية ولا ما جاز لنا عليه ولا كرهنا ما رضيت وأردت أن الحاكم بما يحكم الله بين الناس ولم تبلغ من خطيئتك عنده ما أمرك في خلاف هواه فلما أتى أبا موسى كتاب ابن عمر كتب إليه : أما بعد فاني والله ما أردت بذلك إلا الله عز وجل وأما تقلدي أمر هذه الأمة غير مستكره فانهم كانوا على مثل حد السيف فقات إلى سنة محيا وممات إن

قال عز وجل لنيه عليه الصلاة والسلام « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » وقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » فاشهدوا على أهل دعوتنا ان قد اتبعوا الهوى وبنذوا حكم القرآن وجاروا في الحكم والعمل وإن جهادهم على المؤمنين فرض وأقسم بالذي تعلمونه الوجود وتحشع دونه الأبصار لو لم يكن أحد على تغيير المنكر وقتال القاسطين مساعداً لقاتلتهم وحدي فرداً حتى أتى الله ربي فيرى اني قد غيرت ارادة رضوانه بلساني يا إخواننا اضربوا جباههم ووجوههم بالسيف حتى يطاع الرحمن عز وجل فان يطع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بأمره وإن قلم فأى شيء أعظم من المسير إلى رضوان الله ورجنته واعلموا أن هؤلاء القوم خرجوا لاقضاء حكم الضلالة فأخرجوا بنا إلى بلد تعد فيه الاجتماع من مكاننا ههنا فانكم قد أصبحتم بنعمة ربكم وأنتم أهل الحق بين الخلق إذ قلم بالحق وصعدتم بقول الصدق فأخرجوا بنا إلى المدائن نسكنها فأتخذوا أبوابها ونخرج منها سكانها ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين الطائي إن المدائن بها قوم يمنعونكم منها ويمنعونها منكم ولسكن اكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة فأعلموهم بخروجكم وسيروا أتم على المدائن فتزولوا بجسر النهر وإن قالوا هذا هو الرأي فاجتمعوا على ذلك وكتبوا إلى إخوانهم من أهل البصرة : أما بعد فانا أهل دعوتنا حكموا الرجال في أمر الله ورضوا بحكم القاسطين على عباده فخالقناهم ونايذناهم نريد بذلك الوسيلة الى الله وقد قعدنا بجسر النهر وإن واجبنا إعلامكم لتأخذوا بنصيحتكم من الأجر والسلام

(الجواب)

فكتبوا اليهم : أما بعد بلغنا كتابكم وفهمنا ما ذكرتم وقد وهبنا لكم الرأي

على الحياء ولا يستطيع هذا الأمر رجل فيه حياء

(جوابه)

فكتب أبو موسى إلى علي : أما بعد فلو لا أني خشيت أن يؤل منع الجواب إلى أعظم مما في نفسك لم أجبك لأنه ليس عذر ينفعني ولا عذر يمنعني منك وأما التزامي مكة فاني استفسرت إلى أهل الشام وانقطعت من أهل العراق وأصبحت أقواماً صغروا من ذنبي ما عظمتم وعظموا من حق ما صغرتهم فأقمت بين أظهرهم إذ لم يكن لي منكم ولي ولا نصير

(ذكر قيام الخوارج على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه)

قال وذكروا أنه لما كان من الحكمين ما كان لقيت الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق وإن ضرهم فإنه أن يضر ويمر في هذه الدنيا فإن ثواب يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فأخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض هذه المدن منكرين لهذه البدعة المضلة والأحكام الجائزة فقال . حرقوص بن زهيران المتاع بهذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا تدعوك زيتها وحببها إلى المقام بها ولا تلويكنكم عن طاب الحق وإنكار الظلم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يا قوم إن الرأي ما قد رأيتم والحق ما قد ذكرتم فكلوا بأمركم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسند ومن راية تحفون حولها وترجعون إليها ثم اجتمعوا في منزل زفر بن حصين الطائي فقالوا إن الله أخذ عهدنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق والجهاد في تقويم السبل وقد

وصالح المؤمنين ؟ إذ بلغكم كتابنا هذا فاقبلوا إلينا فانا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الذي كنا عليه والسلام . قال فكتبوا إليه : أما بعد فانك لم تغضب الله إنما غضبت لنفسك والله لا يهدي كيد الخائنين قال فلما رأى على كتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم ويمضى بالناس إلى معاوية وأهل الشام فيناجزهم فقام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان من ترك الجهاد وداهن في أمر الله كان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله برحمته فاتقوا الله عباد الله فاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله فاتلوا الخاطئين القاتلين لأولياء الله المحرفين لدين الله الذين ليسوا بقرءاء للكتاب ولا فقهاء في الدين ولا علماء بالتأويل ولا لهذا الأمر بأهل في دين ولا سابقة في الاسلام والله لو ولوا عليكم لعلموا فيكم بعمل كسرى وقيصر . فسيروا وتأهبوا للقتال وقد بعثت لاختوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا قدموا واجتمعتم شخضنا إن شاء الله

(كتاب علي الى ابن عباس)

قالوا وقد كان علي قد كتب الى ابن عباس وإلى أهل البصرة أما بعد فانا أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل الشام فاشخص إلى من قبلك من الناس وأقم حتى أتيتك والسلام

(ما قال ابن عباس إلى أهل البصرة)

فلما قدم كتاب علي إلى ابن عباس فقرأه على الناس ثم أمرهم بالشخص مع الأحنف بن قيس فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل فاستقبلهم ابن عباس فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بأشخاصكم فأمرتكم بالمسير مع الأحنف بن قيس فلم يشخص إليه منكم إلا ألف وخمسمائة وأنتم في الديوان ستون ألفاً سوى أبناءكم وعبد

الذى جمعكم الله عليه من الطاعة وإخلاص الحكم لله وأعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير إليكم عاجلا . وكان بدى خروجهم انهم اجتمعوا في منزل حرقوص بن زهير ليلة الخميس فقالوا متى أتم خارجون الليلة القابلة من يوم الجمعة فقال لهم حرقوص بل أقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا لربكم وأوصوا فيها بوصاياكم ثم أخرجوا ليلة السبت مثنى ووحدا لا يشعر بكم

(خطبة على كرم الله وجهه)

قالوا فلما خرج جميع الخوارج وتوافوا إلى النهر وان قام على بالكوفة على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن معصية العالم الناصح تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمرى فأيتتم إلا ما أردتم فاحييا ما أمات القرآن وأماتا ما أحيا القرآن واتبع كل واحد منهما هواه يحكم بغير حجة ولا سنة ظاهرة واختلفا في أمرهما وحكما فكلهما لم يرشد الله فبرىء الله منهما ورسوله وصالحوا المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير ثم أصبحوا في معسكركم يوم الاثنين بالانخيلة وإنما حكمنا من حكمنا ليحكمنا بالكتاب فقد علمتم أنهما حكما بغير الكتاب وبغير السنة ووالله لأغزونهم ولو لم يبق أحد غيرى لجاهدتهم . وأعطى الناس العطاء وهم بالجهاد

(كتاب على كرم الله وجهه للخوارج)

قالوا فأجمع رأى علي والناس على المسير إلى معاوية بصفين فتجهز معاوية وخرج حتى نزل بصفين وأصبح علي قد تجهز وعسكر فقبل له يا أمير المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة فذهبت قال فسكتب اليهم علي . أما بعد فإن هذين الرجلين الخاطئين الحاكين الذين أرضيتهم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبع هواهما بغير هدى من الله فلا يعملوا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرىء الله منهما ورسوله

فنادى الناس من كل جانب سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت فنجن حزبك
وأنصارك نعادى من عاداك ونشايح من أناب إليك وإلى طاعتك فسر بنا إلى
عدوك كائنًا من كان فانك لن تؤتى من قلة ولا ضعف فان قلوب شيعتك
كقلب رجل واحد فى الاجتماع على نصرتك والجد فى جهاد عدوك فابشر
المؤمنين بالنصر واشخص إلى أى الفريقين أحببت فأنا شيعتك التى ترجو فى طاعتك
وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله فى خذلانك ، والمختلف عنك
شديد الوبال

(ما قال على رضى الله عنه فى الختمى)

فبايعوه على التسليم والرضاء وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم فجاء رجل من ختمهم فقال له علي . بايع على كتاب الله وسنة نبيه قال
لا ولكن أبايك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة أبى بكر وعمر فقال علي وما
يدخل سنة أبى بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه إنما كانا عاملين بالحق حيث
عملنا فأبى الختمعى إلا سنة أبى بكر وعمر وأبى علي أن يبايعه إلا على كتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له حيث ألح عليه تباعى قال لا إلا على
ما ذكرت لك فقال له علي اما والله لكأنى بك قد نمرت فى هذه الفتنة وكأنى
بحوافر خيلى قد شدخت وجهك فلهحق بالخوارج فقتل يوم النهر وان قال قبيصة
فرايته يوم النهر وان قتيلا وقد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ومثلت به
فذكرت قول علي وقالت لله در أبى الحسن ما حرك شفتيه قط بشيء إلا
كان كذلك

(اجتماع على للذهاب إلى صفين)

فأجمع علي والناس على المسير إلى صفين وتجهز معاوية حتى نزل صفين فلما

أبناءكم وعبدانكم ومواليكم إلا فانفروا ولا يجعل امرؤ على نفسه سيلاً فأنى موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصياً لامامه حزناً يعقب ندماً رقد أمرت أبا الأسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه

(ما قال على كرم الله وجهه لأهل الكوفة)

قال فحشد أبو الأسود الناس بالبصرة فاجتمع اليه ألف وسبعمائة فأقبل هو والأشعث بن قيس حتى وافيا عالياً بالنخيلة فلما رأى على أنه إنما قدم عليه من أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل جمع اليه رؤساء الناس وأمرأه الأجناد ووجوه القبائل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة أنتم إخواني وأنصارى وأعوانى على الحق ومحبي إلى جهاد المحلين ، بكم أضرب المدبر وأرجو إتمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم فلم يأتني منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين فأعينوني بمناسبة سمحة خلية من النش وإني أكرهكم أن يكتب إلى رئيس كل قوم منكم ما فى عشيرته من المقاتلة وأبنائهم الذين أدركوا القتال والعبدان والموالى وارفعوا ذلك إلى نظر فيه إن شاء الله . فقام سعد بن قيس الهمداني . فقال يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة أنا أول وأول من أجابك بما سألت وطلبت ثم قام عدى بن حاتم وحجير بن عدى وأشرف القبائل فقالوا نحن كذلك ثم كتبوا ورفعوا إلى علي فكان جميع ما رفعوا إليه أربعين ألف مقاتل وسبعمائة الفأ من الأبناء وثمانية آلاف من عبيدكم ومواليهم وكانت العرب يومئذ سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة ومن ممالكهم ومواليهم ثمانية آلاف ومن أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل فقام على فيهم خطيباً فقال : أما بعد فقد بلغنى قولكم لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا فبدأننا بهم إلى أن غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين سيروا إلى قوم يقاتلونكم كئيباً يكونوا فى الأرض جبارين ملوكاً ويتخذهم المؤمنون أرباباً ويتخذون عباد الله خولاً ودعوا ذكر الخوارج قال :

(مسير على الى الخزارج وما قال لهم)

قال فسار على ومن معه حتى نزلوا المدائن ثم خرج حتى أتى النهروان فبعث اليهم : ان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم اذا أفرقكم واكف عنكم حتى القى أهل الشام فبعثوا اليه انا كلنا قتلناكم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ثم اتاهم علي فوقف عليهم فقال أيتها العصابة اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الأمة غداً وأتم صرعى بازاء هذا النهر بغير برهان ولا سنة ألم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة وأنبأتكم ان القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قران واني أعرف بهم منكم قد عرفتم أطفالا وعرقم رجالا فهم شر رجال وشر أطفال وهم أهل السكر والغدر وانكم ان فارقتوني ورأى جانبهم الخير والحزم فعصيتوني وأكرهتموني حتى حكمت فلما ان فعلت شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين ان يحيا ما أحيا القران وان يميتا ما أمات القران فاختلطنا وخالفنا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى فبذا أمرهم ونحن على أمرنا الأول فما نبأكم ومن أين أتيتم . قالوا له انا حيث حكمنا الرجلين اخطأنا بذلك وكنا كافرين وقد تبنا من ذلك فان شئت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا وأشهدنا فنحن معك ومنك وإلا فاعزلنا وان أبيت فنجن منا بذوك على سواء . فقال : علي أبعد أيماني بالله وهجرتي وجهادي مع رسول الله أبوء وأشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . ويحكم بما استحلتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجائين فقال لهما انظر بالحق فما يصاح العامة يعزل رجل ويوضع آخر مكان آخر احل لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا هو الخسران المبين : قال فتنادوا لا تناطبوهم ولا تكلموهم تهاؤوا للبناء الحرب الرواح الرواح إلى الجنة

خرج هلي بالناس عبر الجسر ثم مضى حتى نزل دير أبي موسى على شاطئ الفرات ثم أخذ على الانبار . وأن الخارجة التي خرجت على علي بينهما يسرون فاذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا اليه الفرات فقالوا له من أنت قال أنا رجل مؤمن قالوا فما تقول في علي بن أبي طالب قال أقول انه أمير المؤمنين وأول المسلمين إيماناً بالله ورسوله قالوا فما إسمك قال أنا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له أفزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن أبيك بحديث سمعته من رسول الله لعل أن ينفعنا به قال نعم حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ستكون فتنة بعدى يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمناً ويصبح كافراً فقالوا لهذا الحديث سألناك والله لنقتلك قتلة ما قتلناها لأحد فأخذوه وكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهى حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل فسقطت ربطه منها فأخذها بعضهم ففقدوها في فيه فقال لهم أحدهم بغير حل أو بغير ثمن أكلتها فألقاها من فيه اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيراً لأهل الذمة فقتله قال له بعض أصحابه هذا من أن الفسـاء في الأرض فلقى الرجل صاحب الخنزيرة فأرضاه من خنزيره فلما رأى منهم عبد الله بن خباب لئن كنتم صادقين فيما أرى ما علي منكم بأس والله ما أحدثت حدثاً في الاسلام وإني لمؤمن وقد أمتدوني وولتم لا روع عليك فجأوا به وبامرأته فاضجروه على شفير النهر على ذلك الخنزير فذببحوه فسال دمه في الماء ثم أقبلوا إلى امرأته فقالت : إنما أنا ما تتقون الله قال فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة فيم أم سنان قد صحبت النبي عليه السلام فبلغ علياً خبرهم فبعث اليهم الحارث بن مرة ليظهر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة ويكتب اليه بالأمر فلما انتهى اليهم ليدسألهم خرجوا اليه فقتلوه فقال الناس يا أمير المؤمنين تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا في عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا إل أهل الشام

فأقبل علي بالناس حتى نزل بالنخيلة فعسكر بها وأمر الناس ان يلزموا معه
عسكرهم ويوطنوا أنفسهم على الجهاد وإن يقولوا من زيارة أبنائهم ونساءهم
حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام فقاموا معه أياما ثم رجعوا يتسللون
ويدخلون الكوفة ويتلذذون بنساءهم وأبنائهم ولذاتهم حتى تركوا عليا وما معه إلا
نفر من وجوه الناس يسير وترك العسكر خاليا

(خطبة على كرم الله وجهه)

قال فقام علي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس استعدوا
للسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده فاعدوا له ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى به وكيلا ثم تركهم أياما ودعا
رؤسائهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يبطهم فنبههم المعتل ومنهم المتكبر
وأقلهم من نشط فقال لهم علي : عباد الله ما لكم إذا أهرتكم أن تنفروا في سبيل
الله انا قلتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ورضيتكم بالذل
والهوان من العز خلفا كلمنا ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت
في سكرة وكانت قلوبكم قاسية فأنتم لا تعقلون وكان أبصاركم كمة فأنتم لا تبصرون
لله أنتم ما أنتم إلا أسود روعة وثعالب روعة عند الناس تكادون ولا تكيبون
وتنتقص أطرافكم فلا تباشرون وأنتم في غفلة ساهون ، أن أخا الحرب اليقظان و
أما بعد فانا لي عليكم حقا ولكم علي حقا أما حقتكم علي فالنصيحة في ذات الله
وتوفير فيكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا ونأديكم كيما تعلموا . وأما حقى عليكم
فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الإجابة حين أدعوكم والطاعة حين أمركم ، فان يرد
الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره وترجعوا إلى ما أحب تناولوا بذلك ما تحبون
وتدركوا ما تأملون ، أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ما عزت دعوة

(قتل الخوارج)

قال فرجع على فعبا أصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدى وعلى الميسرة شيث ابن ربيع وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارى وعلى الرجالة أبا قتادة وعلى أهل المدينة وهم ثمانمائة رجل من الصحابة قيس بن سعد بن عباد ووقف على في القلب في مضر . قال ثم رفع لها راية أمان مع أبي أيوب الأنصارى فنادهم أبو أيوب من جاء منكم إلى هذه الراية فهو آمن ومن دخل المصر فهو آمن ومن انصرف إلى العراق ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن فانه لا حاجة لنا في سفك دمائكم . قال وقدم الخيل دون الرجالة وصف الناس صفين وراء الخيل وصف الرماة صفا أمام صف وقال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم . قال وأقبلت الخوارج حتى إذا دنوا من الناس نادوا لا حكم إلا الله ثم نادوا الرواح الرواح إلى الجنة قال وثبوا على أصحاب علي شدة رجل واحد والخيل أمام الرجال فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فحمدوا قال العباسي لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت المطر بترونها ثم عطف الخيل عليهم من الميمنة والميسرة ونهض على في القلب بالسيوف والرماح فلا والله ما لبثوا فوفا حتى صرعهم الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا . قال وأخذ على ما كان في عسكرهم من كل شيء فاما السلاح والدراهم فقسمة علي بيننا وأما المتاع والعبيد والاماء فانه حين قدم السكوفة رد على أهله . قال ولما أراد على الانصراف من النهروان قام خطيباً فحمد الله ثم قال . أما بعد فان الله قد أحسن بلاءكم وأعز نصركم فنوجبوا من فوركم هذا إلى معاوية وأشياحه القاسطين الذين نبلوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . فقالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت أذرعتنا وتقطعت سيوفنا وانصلت أسنة رماحنا فارجع بنا بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة فان ذلك أقوى لنا على عدونا

قلبه أنت يابن قيس فكأن ذلك فأما أنا فوالله دون اعطى ذلك ضرباً بالمشرف
يطير له فراش الرأس وتطيح منه الأكف والمعاصم وتجد به الغلاصم ويفعل الله
بعد ذلك ما يشاء والله يا أهل العراق ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين
عليكم ، فقالوا أبلغ تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال نعم والذي فاق الحبة وبر
النسمة إنى أرى أمورهم قد علت وأرى أموركم قد خبت وأراهم جادين في باطلهم
وأراكم وانيين في حقكم وأراهم مجتمعين وأراكم متفرقين وأراهم لصاحبهم معاوية
مطيعين وأراكم لي عاصيين ، أما والله لئن ظهروا عليكم بعدى لنجذبنهم أرباب
سوء كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلى بلادهم منكم ،
وكأنى أنظر إليكم تسكشون كشيش الضباب لاتأخذون الله حقاً ولا تمنعون له
حرمة وكأنى أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ويخيفون علماءكم وكأنى أنظر إليكم
يجرمونكم ويحبسونكم ويدنون الناس دونكم فلو قد رأيتم الحرمان ولقيتم الذل
والهوان ووقع السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسرتم على تفریطكم في جهاد
عدوكم وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية حين لا ينفعكم النذكار فقال
الناس قد علمنا يا أمير المؤمنين ان قولك كله وجميع لفظك يكون حقاً أترى
معاوية يكون علينا أميراً ؟ فقال لا تكرهون أمرة معاوية فإن أمرته سلم وعافية
فلو مات رأيتم الرؤوس تندور عن كبرها كأنها الحنظل وعدا كان مفعولاً ، فأما
أمرة معاوية فإيسر أخاف عليكم شرها ما بعدها أدهى وأمر ثم قام أبو أيوب
الأنصاري فقال : إن أمير المؤمنين أكرهه الله قد أسمع من كانت له أذن واعية
وقلب حفيظ ان الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها حيث نزل بين
أظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير المسلمين وأفضاهم وسيدهم
بعده يفتقركم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المخلين ؟ فوالله لكأنا لكم صم لا تسمعون
وقلوبكم غلف مغلوب عليها فلا تستجيبون عباد الله اليس انما عهدكم بالجزور
والعدوان أمس وقد شمل العباد وشاع في الاسلام فذو حق محروم ومشتم

من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم كلامكم يوهي الصم وفعالكم يطمع فيكم
عدوكم إذا أمرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت أغاليل بأضاليل هيات لا يدرك الحق
إلا بالجد والصبر أى دار بعد داركم تمنعون ، ومع أى امام بعدى تقاتلون ،
المغرور والله من غورتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب أصبحت لأطمع
فى نصرتكم ولا أصدق قولكم ، فرق الله بينى وبينكم وأعقبى بكم من خير لى
وأعقبكم بعدى من شر لكم منى أما انكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً وسيقاتلنا
واثرة يتخذها الظالمون بعدى عليكم سنة تفرق جماعتكم وتبكي عيونكم وتدخل
الفقر بيوتكم ، تمنعون والله عندها ان لورأينموني ونصرتموني وستعرفون ما أقول
لكم عما قليل . استنفرتكم فلم تنفروا ونصحت لكم فلم تنبلوا وأسمعتكم فلم تعو
فأتم شهود كاغياب وصم ذووا السماع ، أتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة
النافعة وأحشكم على جهاد الحايين الظلمة الباغين فما آتى على آخر قولى حتى أراكم
متفرقين إذ تركتكم عديم إلى مجالسكم حلقة عن تضربون الأمثال وتناشدون
الأشعار تربت أيديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها وأصبحت قلوبكم فارغة
عن ذكرها وشغافتموها بالأباطيل والأضاليل ؟ ويحكم اغزوا عدوكم قبل ان
يغزوكم فوالله ماغزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا وأيم الله ما أظنكم تفعلون
حتى يفعل بكم وأيم الله لو ددت انى قد رأيتم فلقيت على نبتى وبصيرتى فاسترحت
من مقاساتكم ومداراتكم ، ويحكم ما أتم إلا كابل جامع تضل عنها رعاؤها فكلما
ضمت من جانب انتشرت من جانب والله لشكأنى أنظر اليكم وقد حمى الوطيس
لقد انفرجتم على انفراج الرأس وانفراج المرأة عن قبلها ، فقام اليه الأشعث بن
قيس السكندى فقال . ياأمير المؤمنين أفهلا فعلت كما فعل عثمان قال علي ويملك
وكما فعل عثمان رأيته فعلت عائذا بالله من شر ما تقول والله ان الذى فعل عثمان
لخزاة على من لادين له ولا حجة معه فكيف وأنا على بينة من ربي والحق معى
والله ان امراً أمكن عدوه من نفسه فنهش عظمه وسفك دمه لعظام يحزنه وضعيف

(ما كتب على لاهل العراق)

قال فقام حجر بن عدى وعمرو بن الحنق وعبد الله بن وهب الراسبي فدخلوا على علي فسألوه عن أبي بكر وعمر ما تقول فيهما وقالوا بين لنا قولك فيهما وفي عثمان قال علي كرم الله وجهه أو قد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي فيها قد قتلت اني مخرج اليكم كتابا أنبئكم فيه ما سألتوني عنه فافرأوه علي شيعتي فأخرج اليهم كتابا فيه : أما بعد فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وشييداً على هذه الأمة وأنتم يا معشر العرب على غير دين وفي شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل فن الله عليكم فبعث محمداً اليكم بلسانكم فكنتم أتم المؤمنين وكان الرسول فيكم أو منكم تعرفون وجهه ونسبه فعليكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأمركم بصلة الرحم وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وأن توفروا بالعهد وان تعاطفوا وتبادروا وتراحموا ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغض وعن شرب الحرام وعن بخس المسكيات والمايزان ، وتقدم اليكم فيما أنزل عليكم أن لا تزنا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظالماً فكل خير يبعدكم عن النار قد حصصكم عليه وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضى عمله مغفور له ذنبه شريف عند الله نزله : فيا لموته مصيبة خصت الأقربين وعمت المؤمنين ! فلما مضى تنازع المسلمون الأمر بعده فوالله ما كان باقي في روعى ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر عنى فما راعى إلا إقبال الناس على أبي بكر وأجفاهم عليه فأمسكت يدي ورأيت اني أحق بمقام محمد في الناس من تولى الأمور على فلبت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى

عرضه ومضروب ظهره وملطوم وجهه وموطوء بطنه وماتى بالعراء فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق ونشر العدل وعمل بالكتاب فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولوا مجرمين ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، أشحنوا السيوف وجددوا آلة الحرب واستعدوا للجهاد فإذا دعيتم فأجيئوا وإذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصّادقين قال ثم قام رجال من أصحاب علي فقالوا : يا أمير المؤمنين أعط هؤلاء هذه الآه وال فضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالأ من يتخوف خلافه على الناس وفراقه وإنما قالوا له هذا الذي كان معاوية يصنعه بمن أتاه وإنما غامة الناس همهم الدنيا ولها يسمعون وفيها يكدهون فاعط هؤلاء الأشراف فإذا استقام لك ما تريد عدت إلى أحسن ما كنت عليه من القسم : فقال علي أنا مروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الاسلام فوالله لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم ، والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم . فقال رجل يا أمير المؤمنين إن الموت نازل لا بد منه فإن حل فن صاحبنا فقال علي أحدثك عن خاصة نفسي أما الحسن فصاحب خوان وثق من الفتيان ولو قد التقت حلقتا البطان لم يغني عنكم في الحرب حنالة عصفور ، وأما ابن أخي عبد الله بن جعفر فصاحب لحو ، وأما الحسين ومحمد ابناي فأنا منهم وهما مني ، والله لقد أوجبت أن يدال هؤلاء الفوم عايكم باصلاحهم وفيادكم في أرضكم وادائهم الأمانة لما وليتو خيانتكم وبغائتهم له وهه مصيبتكم لي واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقتكم . وأيم الله لا يدعوا بعدى محرما إلا استحلوه ولا ببق بيت وبر ولا مدر إلا أدخواه ظالمهم حتى يقوم الباكيان منكم بالك لدينه وبالك ادنياء ، وحتى تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيدته إذا شهد أطاعه وإذا شابه سبه ، فقال رجل يا أمير المؤمنين أنفان ذلك كأننا قال ما هو بالظن ولكنه باليتين

ثم ازدحمت علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض أو أنكم قاتلي وقتلتم لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك فبايعنا الا نفرق ولا نختلف فبايعتكم ودعوكم الناس إلى بيعي فمن بايع طائعاً قبلت منه ومن أبى تركته فأول من بايعني طلحة والزبير ولو أيا ما كرهتهما كما لم أكره غيرهما فما لبنا إلا يسيراً حتى قيل لي قد خرجا متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة فقاموا على عمالي بالبصرة ونزائ بيوت أموال وعلى أهل مصر وكلهم في طاعتي وعلى شيعتي فشتوا كلمتهم وأفسدوا على جماعتهم ثم وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرراً وطائفة صبراً وطائفة عصراً بأسيا فبهم فضاربوهم حتى لقوا الله صابرين محتسبين فوالله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلاً واحداً متعمدين لقتله لحل لي بذلك قتل الجيش كله مع أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا عليهم بها فقد أдал الله منهم فبعداً للقوم الظالمين ثم نظرت بعد ذلك في أهل الشام فاذا هم أعراب وأحزاب وأهل طمع جفاة تجمعوا من كل أوب عن ينبغي أن يؤدب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ينضجونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح فهناك نهضت اليهم فقاتلتهم فلما عضهم السلا ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها فنبأتكم أنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وإنما رفعوها اليكم خديعة ومكيدة فامضوا على قتالهم ، فاتهمتوني وقتلتم أفبل منهم فانهم ان أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على مانحن عليه من الحق وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم ، فقبلت منهم وخففت عنهم وكان صلحي بينهم على رجلين حكيمين يحيان ما أحيا القرآن وميتان ما أمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما وبذا حكم القرآن وخالفنا ما في الكتاب واتبعنا هواها بغير هدى من الله فجنبهما الله السداد وأهوى بهما في غمرة الضلال وانا أهل ذلك فاتخذت عنا فرقة منهم فتركناهم ما تركونا حتى اذا عاثوا في الأرض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقتلناهم ادفعوا لنا قلة إخواننا فقالوا كلنا قتلهم

محو دين محمد وملة إبراهيم عليهما السلام فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى في الاسلام ثلما وهدما تكون المصيبة به على أعظم من قوة ولاية أمركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، فشيت عند ذلك الى أبي بكر فبايعته ونهضت معه في تلك الأحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هي العليا وإن يرغم الكافرون . فتولى أبو بكر رضى الله عنه تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدأ فلما احتضر بعث إلى عمر فؤلاه فسمعنا وأطعنا وبايعنا وناصحنا فتولى تلك الأمور فكان مرضى السيرة ميمون النقية أيام حياته ، فلما احتضر قلت في نفسي ليس يصرف هذا الأمر عني فجعلنا عمر شورى وجعلني سادس ستة فكاونا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتي لأنهم كانوا يسمعونني وأنا أحاجج أبا بكر فأقول يا معشر قريش أنا أحق بهذا الأمر منكم ما كان منا من يقرأ القرآن ويعرف السنة فخشوا إن وليت عليهم أن لا يكون لهم في هذا الأمر نصيب فبايعوا اجتماع رجل واحد حتى صرفوا الأمر عني لعثمان فاخرجوني منها رجاء أن يتداولوها حين يتسوا أن ينالوها ثم قالوا لي هلم فبايع عثمان والا جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا وقال قائلهم إنك يا ابن أبي طالب على الأمر لحريص قلت لهم أنتم أحرص أما أنا إذا طلبت ميراث ابن أبي وحقه وأنتم دخاتم بيني وبينه وتصرفون وجهي دونه اللهم إني أستعين بك على قريش فانهم قطبوا رحى وصغروا عظيم منزلتي وفضلي واجتمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم ثم قال اصبر كدأ وعش متأسفا فنظرت فاذا ليس معي رفاقة ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الهلاك فأغضيت عيني عن القذى وتجرعت ريقى على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمر من المأثم طعما وآلم للقلب من حر الحديد ، حتى اذا أنقمتهم على عثمان أتيتهموه فقتلتهموه ثم جئتهموني فبايعوني فأبیت عليهم وأبیتهم علي فنازعتهموني ونافستهموني ولم أمد يدي تمنعاً عنهم

والفخر والتسلط بالجبروت والتناول بالغضب والفساد في الأرض ولا تبغوا
الهوى وما حكموا بالرشاد وأنتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل خير منهم وأهدى
سبيلاً ، فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء وحملوا القرآن والمجاهدون بالأسحار
والعباد والزهاد في الدنيا وعمار المساجد وأهل تلاوة القرآن أفلا تسخطون
وتنتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والأراذل والأشرار منكم. اسمعوا
إذا قلت أطيعوا أمرى إذا أمرت واعرفوا نصيحتى إذا نصحت واعتقدوا حمى
إذا حزمتم والزهدوا عزمى إذا عزمتم وانهمضوا نهوضى وقارعوا من قارعت
ولئن عصيتمونى لا ترشدوا ولا تجتمعوا ، خذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها التهيأ
فإنها قد وقدت نارها وعلا سسناها وتجرد لكم الظالمون كيما يهلكوا نور الله
ويقهركم ، عباد الله إلا أنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء باولى
فى الجدد غيهم وضلالهم وباطلهم من أهل النزاهة والحق والاخبات بالجد فى
حقهم وطاعة ربهم ومناصحة أمانهم إني والله لو لقيتهم وحيداً منفرداً وهم فى أهل
الأرض أن . ليت بهم أو استوحشت منهم إني فى ضلالهم الذى هم فيه والهدى
الذى أنا عليه لعلى بصيرة ويتبين وبينى من ربي وإني للقاء ربي لمشتاق ولحسن
ثوابه لمتنظر راج ولكن أسفاً يعترينى وجزعا يربىنى من أنى يلي هذه الأمة
سفهاؤها وفجارها فيتمخضون مال الله دولاً وعباد الله خيولاً والصالحين حرباً
وأنفاسطين حزباً ، وأيم الله لو لا ذلك ما كثرت تأليكم وتبريضكم ولتركتكم
فوالله أنى لعلى الحق وأنى للشهادة لمحب إننا نافر بكم إن شاء الله فانفروا خفافاً
وثقالاً وجاهدوا بأموالكم فى سبيل الله إن الله مع الصابرين

(مقتل على عليه السلام)

قال المدائنى حجاج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل على
وعامل معاوية فاصطاح الناس على شبيب بن عثمان فامسا انقضى الموسم أقام النفس

وكلنا استحللنا دماءهم ودماءؤكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع
القوم الظالمين ثم أمرتكم أن تمضوا من فوركم الى عدوكم فانه أفرع لقلوبهم
وأهلك لمسكرهم وأهلك لكم فقاتم كلت أذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت
أسنة رماحنا فأذن لنا فلنرجع حتى نستعد بأحسن عدتنا وإذا رجعت زدت في
مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فأقبلتم حتى اذا
أطلتكم على السكوفة أمرتكم أن تلزموا معسكركم وتضموا قواصبيكم وتتوطنوا على
الجهاد ولا تكثروا زيارة أولادكم ونسائكم فان ذلك يرق قلوبكم ويوليكم وأن
أصحاب الحرب لا يتوحدون ولا يتوجعون ولا يسأمون من سهر ليلهم ولا من
ظلمأ نهارهم ولا من خمص بطونهم حتى يدركوا بأرهم وينالوا بغيتهم ومطالبهم
فزلت طائفة منكم معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من نزل معي
صبر فثبت ولا من دخل المصر عاد إلى ، ولقد نظرت الى عسكري وما فيه معي
منكم الاخمسون رجلا فلما رأيت ما آتيتكم دخلت اليكم فأتيتكم أن تغزوا معي
إلى يومكم هذا ، لله أبؤكم فما تنتظرون اما ترون الى أضراركم قد انتصت والى
مصركم قد افتتح فما بالكم تؤفكون ، الا ان اليوم قد اجتمعوا وجدوا
وتناصحوا وانكم تفرقتم واختالفتم وتناشستم فأتيتهم إن اجتمعتم تسعدون فايتمظوا
رحمكم الله نائمكم وتحرزوا الحرب عدوكم إنما تقاؤون الطلقاء وأبناء الطلقاء
من أسلم كرهاً وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حربا ، أعداء السنة والقرآن
وأهل الأحزاب والبدع والاحداث ومن كانت براغمته تنقي وكان عن الدين
منحرفا وأكله الرشاو عبيد الدنيا لقد نمت الى أن ابن الباغية لم يبايع معاوية حتى
شرط عليه أن يؤتیه أتاوة هي أعظم مما في يديه من سبيلانه ، فصفرت يد هذا
البائع دينه بالدنيا وتربت هذا المشتري نصرة غادر فاسق بأموال الناس وان منهم
لمن شرب فيكم الخمر أو جلد حدا في الاسلام ، فهو لاء قادة القوم ومن ترك
ذكر مساوية منهم شر وأضر وهو لاء الذين لوولوا عليكم لاظهروا فيكم الغضب

وخرج إلى الصلاة فاعترضه ابن ملجم ، وادخل ابن ملجم على بعد ضربة-
إياه فقال أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فإن أعش فأنا ولي دمي إما عفوت وإما
قصصت وإن مت فالحقوه بي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين قالوا وبكت
أم كلثوم وقالت لابن ملجم يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين قال ما قتلت أمير المؤمنين
واسكني قتلت أباك قالت والله إنني لأرجو أن لا يكون عليه بأس قال ولم تبكين
إذا ؟ والله لقد أرهقت السيف ونفيت الخوف وجبت الأجل وقطعت الأمل
وضربت ضربة لو كانت بأهل الشرق لأتت عليهم ومكث على يوم الجمعة ويوم
السبت وتوفي يوم الأحد وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن
جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قيص وصلى عليه الحسن ابنه ودفن في
قصر الأمارة بالكوفة وغشى قبره مخافة أن تنبشه الخوارج وقيل أنه نقل بعد
صلح معاوية والحسن إلى المدينة وأخذ ابن ملجم ففقط يديه ورجليه وأذنيه
وأنفه وأتوا يقطعون لسانه فصرخ فليل له قد قطعت منك أعضاء ولم تنطق فلما
أتوا يقطعون لسانك صرخت قال إنني أذكر الله به فلم يسهل على قطعه ثم قتلوه
بعد هذه المثلة . وكانت خلافته على أربع سنين وتسعة أشهر ؛ وكان عمره ثلاثا
وستين سنة . وأما البرك فانه انطلق ليلة ميادهم فقعد لمعاوية فلما خرج لصلاة
الصبح شد عليه بسيفه فأدبر معاوية فضرب رانفة البيت ففلقها ووقع السيف في
لحم كثير وأخذ فقال لمعاوية ان لك عندي خبرا سارا قد قتل الليلة على وحده
الحديث وعولج معاوية فبرئ وأمر بقتل البرك وقيل ضرب البرك معاوية وهو
ساجد فند ذلك جعل الحرس على رؤس الخلفاء واتخذ معاوية المقصورة . وأما
الثالث فقصد عمرو بن العاص ليلة الميعاد فلم يخرج تلك الليلة لعله وجدها في بطنه
وصلى بالناس خارجة بن جزافة العدو فشد عليه الخارجي وهو يظن انه ابن
العاص فقتله وأخذ فأتى به عمرو بن العاص فلما رآه قال ومن المقتول قالوا
خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة ثم قال لعمرو بن العاص الحديث

من الخوارج بيهو رين بمكة فقالوا كان هذا البيت منظماً في الجاهلية جليل الشأن في الاسلام وعد أنك هؤلاء حرمة فلو ان قوما شروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسدوا في الأرض واستحلا حرمة هذا البيت استراحت الأمة واختار الناس لهم اماماً . فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله أنا أكفيكم علي ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البرك أنا أقتل معاوية فقال زادويه مولى بنى العنبر راسمه عمرو بن بكر والله ما عمرو بن العاص بدونها فأنا به . فتعاقدوا على ذلك ثم اعتمرُوا عمرة رجب وابتفقوا يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم في علي ومعاوية وعمرو ثم ساروا كل منهم في طريقته فقدم ابن ملجم الكوفة وكتب أمره وتزوج امرأة يقال لها فطام بنت علقمة وكانت خارجية وكان علي قد قتل أخاها في حرب الخوارج وتزوجها على ان يقتل علياً فأقام عندها مدة فقالت له في بعض الأيام وهو مخفٍ : لطالما أحبت المسكك عند أدلك وأضربت عن الأمر الذي جئت بسببه فقال إن لي وقتاً واعدت فيه أسحائي وإن أجاوزة فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه خرج عدوا الله ففقد لعلي حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار الثمينة ليلة عشر بقيت من رمضان سنة أربعين فلما خرج على الصلاة وثب عليه وقال الحكم لله لا لك يا علي وضربه على قرنه بالسيف فقال علي فزت ورب السكبة ثم قال لا يفوتكم الرجل فتشد الناس عليه فأخذوه وكان علي رضى الله عنه شديداً الرمة ثقيل العينين ضخم البطن أصلع ذا عضلات في أذنيه شعر يخرج منها وكان إلى العصر أقرب . وكان ابن ملجم يعرض سيفه فإذا أخبر ان فيها عيباً أصلحه فلما قتل علياً قال لقد أجددت سيفي بكذا وكذا وسممته بكذا وكذا وضربت به علياً ضربة لو كانت بأهل المصر لأنت عليهم . وروى عن الحسن انه قال أتيت أبي فقال لي أرقت الليلة ثم ملكته عيني ففسخ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأولاد والولد فقال ادع عليهم فقامت اللهم أبدلي بهم خيراً لي منهم وأبدلهم بي شرأ لهم مني

(بيعة الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية)

قال وذكروا أنه لما قتل علي بن أبي طالب ثار الناس إلى الحسن بن علي بالبيعة فلما بايعوه قال لهم تبايعون لي على السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسلمون من سلمت فلما سمعوا ذلك ارتابوا وأمسكوا أيديهم وقبض هو يده فأتوا الحسين فقالوا له أبسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك وعلى حرب الحاليين الضالين أهل الشام فقال الحسين معاذ الله أن أبايكم ما كان الحسن حيا قال فانصرفوا إلى الحسن فلم يجدوا أبداً من بيعته على ما شرط عليهم فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك كاتب معاوية فأتاه فخلا به فاصلى معه على أن لمعاوية الإمامة ما كان حيا فإذا مات فالأمر للحسن فلما تم صاحبهما صعد الحسن إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان الله هدى أولكم بأولنا وحقق دماءكم باخرنا وكانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسلمون من سلمت وقد سلمت معاوية وبايعته فبايعوه وان أدري لعل فتنة لكم ومتاع إلى حين وأشار إلى معاوية

(إنكار سليمان بن سرد)

قال وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق وانصرف راجعا إلى الشام أتاه سليمان بن سرد وكان غائبا عن الكوفة وكان سيد أهل العراق ورأسهم فدخل على الحسن فقال السلام عليك يا مندل المؤمنين فقال الحسن وعليك السلام اجلس الله أبوك قال جالس سليمان . أما بعد فان تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاوية ومعاك مائة ألف مقاتل من أهل العراق وكلهم يأخذ العطاء مع مناهم من أنباهم ومواليهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك بقية في العهد ولا حظا من التضيعة فلو كنت إذا فعلت ما فاعلت وأعطاك ما أعطاك لينك

وما كان من اتفائه مع صاحبه فأمر بقتله . فلما قتل على تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية وقال له عبد الرحمن بن خالد بن الوليد نحن المؤمنون وأنت أميرنا فبايعوه وهو بايلا لخمس ليال خلون من شوال سنة أربعين

(فصل)

روى عن النبي عليه السلام أنه قال : يا علي أتدرى من أشقى الأولين والآخرين قال الله ورسوله أعلم قال أشقى الأولين عاقر الناقة وأشقى الآخرين الذى يطعنك يا علي وأشار إلى حيث طعن قال وخرج علي في ليلة قتل وهو يقول :

أشدد حيازيمك للبو : ت فان الموت لا يثيبك

ولا تجزع من الموت : إذا حمل براديكما

وقال الشاعر فى قتل ابن ملجم عليا :

تضمن للاستقام لا در دره : ولاق عتبا غير ما منصرم

فلا مهر أغلى من على وإن غلا : ولا فتك دون قتلك ابن ملجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة : وضرب على بالحسام المصمم

قال هبيرة بن شريم : سمعت الحسن رضى الله عنه يستجاب فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعة مائة درهم فضلت من عطاءه أراد أن يشتري بها خادما . وجاء رجل من مراد إلى علي فقال له يا أمير المؤمنين احتسب فان هنا قوما يريدون قتلك فقال إن لكل إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء التمدد خلياها قيل ولما ضرب علي دعى أولاده وقال لهم : عليكم تقوى الله وطاعته وإلا تأسوا على ما صرف عنكم منها وانمضوا إلى عبادة ربكم وشمروا عن ساق الجند ولا تنافلوا إلى الأرض وتقربوا بالخسف وتبوءوا بالذل اللهم أجمعنا وإياهم على الهدى وزدنا وإياهم فى الدنيا واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولى والسلام

(كراهية الحسين رضى الله عنه للبيعة)

قال ثم خرج سليمان بن صرد من عنده فدخل على الحسين فعرض عليه ما عرض على الحسن وأخبره بما رد عليه الحسن فقال الحسين ليكن كل رجل منكم حلياً من أحلاس بيته ما دام معاوية حيا فانها بيعة كنت والله لها كارها فإزهاك معاوية نظرننا ونظرتهم ورأينا ورأيتم

(ما أشار به المغيرة بن شعبة على معاوية من البيعة ليزيد)

قال وذكروا انه لما استقامت الأمور لمعاوية استعمل على السكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم ان يعزله ويولى سعيد بن العاص فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية فقال يا أمير المؤمنين قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف وفي عنقك الموت وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علماً يفرعون اليه واجعل ذلك يزيد ابنك فدخل معاوية على امرأته فاخنة بنت قرطبة بن حبيب بن عبد شمس وكان ابنها منه عبد الله بن معاوية وقد كان بلغها ما قال المغيرة وما أشار به عليه من البيعة ليزيد وكان يزيد بن الكلبة مسرورة بنت عبد الرحمن الكلبي . قالت فاخنة وكانت معاوية للكلية ما أشار به عليك المغيرة أراد أن يجعل لك عدواً من نفسك يتمي هلاكك كل يوم فتق ذلك على معاوية ثم بدا له أن يأخذ بما أشار عليه المغيرة

(ما حاول معاوية في بيعة يزيد)

قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار وفيهم الأحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس القهري فقال له اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذن لي للقيام فاذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل

وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليك بذلك كتاباً وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب إن هذا الأمر لك من بعده كان الأمر بملينا أيسر ولكمه أعطاك هذا فرصيت به من قوله ثم قال وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت أني كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عدات ومنيتهم أماناً إرادة أطفاء نار الحرب ومدارة لهذه الفتنة إذ جمع الله لنا كلمتنا وألفتنا فان كل ما هنالك تحت قدمي هاتين ووالله ما أعنى بذلك إلا نقض ما بينك وبينه فاعد للحرب خدعة وأذن لي أشخص إلى السكوفة فاخرج عامله منها وأظهر فيها خلعه وانبد إليه على سواء إن الله لا يهدي كيد الخائنين ثم سكت فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول ابث سليمان بن صرد وابثنا معه ثم ألحقنا إذا علمت أنا قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال : أما بعد فانكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بال نصيحة والاستقامة لنا وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا والدنيا اعمل وانصب ما كان معاوية بأأس مني وأشد شكامة ولو كان رأي غير ما رأيتم سلكني أشهد الله وإياكم أني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دماءكم وإصلاح ذات بينكم فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح من برأى يستراح فاجبر مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سبلى الأمر فوالله لو سرننا إليه بالجمال والشجر ما شككت إنه سيظهر إن الله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ؛ وأما قولك يا مذل المؤمنين فوالله لأن تذلوا وتعاقوا أحب إلى من أن تعزوا وتقتلوا فان رد الله علينا حقنا في عافية قبلنا وسألنا الله العون على أمره وإن صرفه عنا رضينا وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً فان يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وأن لا نكلنا إلى أنفسنا فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

نظراً وأثبتنا بصراً ويزيد ابن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته وبلونا علانيته ورضينا ولايته وزادنا بذلك انبساطاً وبه إغبطاً مع مامنته الله بالشبه بأمر المؤمنين والمحبة في المسلمين فاعزم على ذلك ولا تضيق به ذرعاً فالله تعالى يقيم به الأود ويردع به الألد وتأمين به السبل ويجمع به الشمل ويعظم به الأجر ويحسن به الذخر ثم جلس فقام ثور بن معن السلمي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين أنا قد أصبحنا في زمان صاحبه مشاغب وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة وأنت يا أمير المؤمنين ميت نسأل الله بك الماتع ويزيد ابن أمير المؤمنين أقدمنا شرفاً وأبدلنا عرفاً وقد دعانا إلى الرضاية والفروع بولايته والحرص عليه والاختيار له ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه وحسن بلائه فاجعله لنا بعدك خلفاً فإنه أوسعنا كنفنا وأقدمنا سلفاً ، وهو رقيق لما تقي وزمام لما شعث ونكال لمن فارق وناق وسلم لمن واطب وحافظ للحق أسأل الله لأمر المؤمنين أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد والتوطن في البلاد وصلاح أمر جميع العباد. ثم جلس فقام عبد الله بن عصام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وامتع به أنا قد أصبحنا في دنيا عنقضية وأهواء منجذمة ، نخاف حدها وننتظر جدها ، شديد منحدرها كسير وعرها ، شاحخة مرافها ثابتة مراتها ، صعبة مراتها . فالموت يا أمير المؤمنين ورامك ، وراء العباد لا يخلد في الدنيا احد ولا تبقى لنا أمد وأنت يا أمير المؤمنين مسؤول عن رعيتك وما نعوذ بولايته وانت انظر للجماعة واعلا عينا بحسن الرأي لأهل الطاعة وقد هديت ليزيد في اكمل الأمور وأفضلها رأياً وأجمعها رضا فاقطع بيزيد قالة الكلام ونخوة المبطل وشعث المناق وأكتب به الباذخ المعاري فإن ذاك ألم للشعث وأسهل للوعث فاعزم على ذلك ولا تتراعى بك الظنون . ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وامتع به إن الله آثرك بخلاقته واختصك بكرامته وجمالك عصمة لأوليائه وذانك آية لأعدائه (١١٢ - الامامة)

فيه الذي يحق له من حسن الثناء عليه ثم ادعى الى توليته من بعدى فاني قد رأيت وأجمعت على توليته فأسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة وحسن القضاء . ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن مسعده القزاري وثور بن معن السلمي وعبد الله بن عصام الأشعري فأمرهم أن يقوموا اذا فزع الضحاك وأن يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد

(ما تكلم به الضحاك بن قيس)

قال فلما جلس معاوية على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر في المجلس قد قعدوا للسلام قام الضحاك بن قيس فاستأذن في الكلام فأذن له فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وامتنع به انا قد بلونا الجماعة والألفة والاختلاف والفرقة فوجدناها ألم لشعثنا وأمنة لسبلنا وحاقنة إدمائنا وعائدة علينا في عاجل ما نرجو به الجماعة من الألفة ولا خير لنا أن نترك سدى والأيام عوج رواجع والله يتول كل يوم هو في شأن ولسنا ندري ما يختلف به البصران ، وأنت يا أمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه نسأل الله تعالى بك المتاع وقد رأينا من دعة يزيد ابن أمير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته وبين تقييده ما قسم الله له من المحبة في المسلمين والشبه بأمر المؤمنين في عقله وسياسته وشيئته المرضية ما دنا الى الرضا به في أمورنا والقنوع به في الولاية علينا فليدله أمير المؤمنين أكرمه الله عهدده وليجعل له لنا ما جأ ومنه نأوى اليه ان كان كرون ، فانه ليس أحد أحق بها منه فاعزم على ذلك عزم الله في رشده ووفقك في أمورنا ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين إنا قد أصبحنا في زمان مختلفة أهواؤه ، قد احدثت علينا سياسؤه واقطعت علينا ادواؤه ، واناخت علينا أنباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك الى السداد ، وأنت يا أمير المؤمنين أحسننا

لامامكم وكاتب نبيكم وصبره يسلم لكم العاجل وترجعوا من الآجل ثم قام الأخنف
ابن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين إنا قد فررنا عنك قريباً
فوجدناك أكرمها زناداً وأشدها عقداً وأوفاهها عهداً ، وقد علمت أنك لم تفتح
العراق غزوة ولم تظهر عليها قعصاً ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله
ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك فان تف فأنت أهل الوفاء وان تغدر تعلم
والله ان وراء الحسن خيولاً جياداً وأذرعاً شداداً وسيوفاً حداداً . إن تدن له
شبراً من غدر تجده وراءه باعاً من نصر ، وأنك تعلم من أهل العراق ما أحبوك
منذ أبغضوك ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما وما نزل عليهم في ذلك غير
من السماء وإن السيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين لعل عواتقهم
والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم وأيم الله إن الحسن لأحب الى أهل
العراق من علي . ثم قام عبد الله بن عثمان الثقفي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أصلح الله أمير المؤمنين ان رأى الناس مختلف وكثير منهم منحرف لا يدعون
أحدًا الى رشاد وإنما يجيئون داعياً الى سداد ، يجانبون لرأى الخلفاء مخالفون
لهم في السنة والقضاء وقد وقفت ليزيد أحسن القضية وأرضاها لحل الرعية فإذا
خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام فان يزيد أعظمنا حلماً وعلماً وأوسعنا
كنفاً وخيرنا سلفاً . قد أحكمته التجارب وقصدت به سبيل المذهب ، فلا يصرفك
عن بيعته صارف ولا يقض بك دونها واقف من هو شاسع عاصي بوص للفتنة كل ما ناص
لسانه ملووف في صدره داء دوى ، إن قال فشر قاتل وإن سكنت ذماء غائل قد عرفنا من هم أولئك
وما هم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلف للتفريق فاجل ببيعته عنا الغمة وأجمع
به شمل الأمة فلا تخدعه إذا هديت له ولا تنبش عنه إذا وقفت له فان ذلك الرأى
لنا ولك والحق عابنا وعليك أسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه : فقام
معاوية فقال أيها الناس ان لا بليس من الناس إخواننا وخلصنا بهم يستعد وإياهم
بستعين وعلى السمة ينطق ان رجوا طمعاً أوجفوا وان استغنى عنهم ارجفوا

فأصبحت بأنعمه جذلاً ولما حملك محملاً ، يكشف الله تعالى بك العمى ويهدي بك العدى ويزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعتك رافةً وأحقهم بالخلافة بعدك قدساس الأمور واحكمته الدهور ، ليس بالصغير الفيه ولا بالكبير السفيه قد احتجن المكارم وارتجى لمل العظامم وأشد الناس فى العدو نكابة وأحسنهم صنعا فى الولاية وأنت أغنى بأمرك واحفظ لوصيتك واحرز لنفسك . اسأل الله لأمير المؤمنين العافية فى خير جهود والنعمة فى خير تغبير . قال فقال معاوية أوكلكم قد أجمع على هذا رأيہ فقالوا كلنا قد أجمع رأيہ على ما ذكرنا قال فأین الاخف فأجابه قال ألا تتكلم فقام الاخف فحمد الله وأثنى ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين ان الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد ساف ومعروف زمان مؤتف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين فاعرف من تسند اليه الأمر من بعدك ثم اعص أمر من يأمرک لا يغرك من يشير عليك ولا ينظر لك . وأنت أنظر للجماعة واعلم باستقامة الطاعة مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ايزيد ما كان الحسن حيا (ما رد الضحاک بن قيس عليه)

قال فغضب الضحاک بن قيس فقام الثانية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين أن أهل النفاق من أهل العراق مروعتهم فى انفسهم الشقاق وألفتهم فى دينهم الفراق ، يرون الحق على أهوائهم كأنما ينظرون بافقاأهم اختالوا جهلا وبطراً لا يرقبون من الله راقبة ولا يخافون وبال عاقبة اتخذوا ابليس لهم ربا واتخذهم ابليس حزبا فن يقاربوه لا يسروه ومن يفارقوه لا يضروه فادفع رأيهم يا أمير المؤمنين فى نحورهم وكلامهم فى صدورهم ما للحسن وذوى الحسن فى سلطان الله الذى استخلف به معاوية فى أرضه هيات لا تورث الخلافة عن كلاله ولا يحجب غير الذكر العصابة فوطنوا أنفسكم يا أهل العراق على المناجحة

وأبناء خيارها ولم يمتنى أن أحضر حسناً وحسيناً إلا أنهما أولاد أبيهما على حسن وأنى فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على أمير المؤمنين خيراً يرحمكم الله فتكلم عبد الله بن عباس فقال : الحمد لله الذي ألهمنا أن نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وصلى الله على محمد وآل محمد ؛ أما بعد فانك قد تكلمت فانصتنا وقلت فسمعنا وإن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمد صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لوصيه وشرفه على خلقه فأشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالأمر أخصهم به وإنما علي الأمة التسليم لنبيها إذ اختاره الله لها فانه إنما اختار محمداً بعلمه وهو العلم الخبير وأستغفر الله لي ولكم . فقام عبد الله بن جعفر فقال : الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه نحمده على إلهامنا حمده ونرغب إليه في تأدية حقه وأشهد أن لا إله إلا الله واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد فان هذه الخلافة ان أخذ فيها بالقرآن فأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وإن أخذ فيها بسنة رسول الله فأولو رسول الله وإن أخذ بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأى الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول . وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر بموضع الحق وصدقه ولأطيع وعصى الشيطان وما اختلف في الأمة سيفان فاتق الله يا معاوية فانك تد صرت راعياً ونحن رعية فانظر لرعيته فانك مسئول عنها خذاً . وأما ما ذكرت من بنى عمى وتركك ان تحضرهما فوالله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك إلا بهما وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم فقل أودع واستغفر الله لي ولكم . فتكلم عبد الله بن الزبير فقال : الحمد لله الذي عرفنا دينه وأكرمنا برسوله أحمد على ما جلى وأولى وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد فان هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الأبناء ، فاتق الله يا معاوية وانصف من نفسك فان هذا

ثم يلحقون الفتن بالفجور ويشفقون لها حطب النفاق عيابون مرتابون ان لووا
عروة أمر حنقوا وان دعوا إلى غي اسرفوا وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين
ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزي وييل وتحل بهم قوارع أمر جليل ، تجتث
أصولهم كاجتثاث أصول الفقع فأولى لأولئك ثم أولى فانا قد قدمنا وأنذرنا إن
أغنى التقدم شيئاً أو نفع النذر . فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ودعا
عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيفة فقال يا أمير المؤمنين انك نطيق السنة
مضر وخطبها أنت أمير المؤمنين فان هلكت فيريد بعدك فمن أبي فهذا وسار
سيفه فقال معاوية أنت أخطب القوم وأكرمهم . ثم قام الأخنف بن قيس فقال :
يا أمير المؤمنين أنت أعلمنا بليله ونهاره ويسره وعلايته فان كنت تعلم انه خير
لك قوله فاستخلفه وإن كنت تعلم انه شر فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة
فانه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب واعلم انه لا حاجة لك عند الله ان قدمت
يزيد على الحسين والحسن وأنت تعلم من هما وإلى ما هما ، وإنما علينا ان نقول
سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

(قدوم معاوية المدينة وما فوض فيه العبادلة)

قالوا فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمس
فلقاه الناس فلما استقر في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر
ابن أبي طالب وإلى عبد الله بن عمر وإلى عبد الله بن الزبير وأمر حاجبه ان
لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء الفر فلما جاسوا تسكلم معاوية فقال :
الحمد لله الذي أمرنا بحمده ووعداً عليه ثوابه نحمدك كثيراً كما أنعم علينا كثيراً
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد : فاني
قد كبر سني ووهن عظمي وقرب أجلي وأوشكت ان أدعى فأجيب ، وقد رأيت
ان استجاف عليكم بعاني يزيد ورأيتكم لكم رضا وأنتم عبادلة قريش وخيارها

حتى توفي . فكتب اليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه فبلغ ذلك عبد الله بن عباس وكان بالشام يومئذ . فدخل على معاوية فلما جلس قال معاوية . يا ابن عباس هلك الحسن بن علي فقال ابن عباس نعم هلك إنا لله وإنا اليه راجعون ترجعاً مكرراً وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته أما والله ما سد جسده حفرتك ولا زاد نقصان أجله في عمرك ولقد مات وهو خير منك وإن أصدنا به لقد أصدنا بمن كان خيراً منه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحجر الله مصيبيته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة ثم شق بن عباس وبكى من حضر في المجلس وبكى معاوية فأريت يوماً كثيراً كبراً من ذلك اليوم . فقال معاوية انه ترك بنين صغاراً فقال ابن عباس كلنا كان صغيراً فكبرنا قال معاوية كم أتى له من العمر فقال ابن عباس أمر الحسن أعظم من أن يحل أحد مولده قال فسكت معاوية يسيراً ثم قال يا بن العباس أصبحت سيد قومك من بعده فقال ابن عباس أما ما أبتهى الله أبا عبد الله الحسين فلا . قال معاوية لله أبوك يا ابن عباس ما استبأتك إلا وجدتك معداً

(بيعة معاوية ليزيد بالشام وأخذ أهل المدينة)

قالوا ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله إلا يسيراً حتى بايع يزيد بالشام وكتب بيعته إلى الآفاق وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد ويأمره بجمع من قبله من قریش وغيرهم من أهل المدينة ثم بايعوا يزيد

(عزل مروان عن المدينة)

قال فلما قرأ مروان كتاب معاوية أتى من ذلك وأبته قریش فكتب لمعاوية ان قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك فارني رأيك فلما بلغ معاوية كتاب مروان

عبد الله بن عباس بن عم رسول الله وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وأنا عبد الله بن الزبير بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي خلف حسناً وحسيناً وأنت تعلم من هما وما هما فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك فتسكلم عبد الله بن عمر فقال : الحمد لله الذي أكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم : أما بعد فإن هذه الخلافة ليست هرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الأبناء على الآباء ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى إلا على أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً وإنما هي في قريش خاصة لمن كان لها أهلاً ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم من كان اتقى وأرضى فإن كنت تريد الفتیان من قريش فلعمري أن يزيد من فتیانها واعلم أنه لا يغني عنك من الله شيئاً ، فتكلم معاوية فقال : قد قلت وقائم وأنه قد ذهبت الآباء وبقيت الأبناء فابني أحب إلي من أبنائهم مع أن ابني قاولتموه وجد مقالا وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف لأنهم أهل رسول الله فلما مضى رسول الله ولى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير أنهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بني عبد مناف فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة وقد أخرجك الله يا ابن الزبير وأنت يا ابن عمر منها فاما ابنا عمي هذان فليس بخارجين من الرأي إن شاء الله. ثم أمر بالرحلة وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم وأعطيائهم ثم انصرف راجعاً الى الشام وسكت عن البيعة فلم يعرض الى سنة إحدى وخمسين

(موت الحسن بن علي رضي الله عنهما)

قال فلما كانت سنة إحدى وخمسين مرض الحسن بن علي مرضه الذي مات فيه فكتب عامل المدينة الى معاوية يخبره بشكاية الحسن فكتب اليه : معاوية إن استطعت أن لا يمضي يوم يمر إلا يأتيني فيه خبره فافعل فلم يزل يكتب اليه بحاله

ينابيع الكرم فرحبا بك وأهلا من ابن عم ذكرت خلفاء مفقودين شهداء
صديقين كما كانوا نعت وكنت لهم كما ذكرت وقد أصبحنا في أمور مستخيرة
ذات وجوه مستديرة وبك الله يا ابن العم نرجوا استقامة أودها وذلولة صعوبتها
وسفور ظلمتها حتى يتطأطأ جسيمها ويركب بك عظيمها فأنت نظير أمير المؤمنين
بعده وفي كل شدة عضده واليك بعد عهده فقد وليتك قومك وأعظمنا في الخراج
سهمك وأنا مجيز وفدك ومحسن رفدك وعلى أمير المؤمنين غناك والنزول عند
رضاك : فكان أول ما رزق ألف دينار في كل هلال وفرض له في أهل بيته
مائة مائة

(كرامة أهل المدينة البيعة وردهم لها)

قال وذكروا أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره
أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ويكتب إليه بمن سارع ممن لم يسارع . فلما أتى
سعيد بن العاص السكتاب دعا الناس إلى البيعة ليزيد وأظهر الغلظة وأخذهم بالعزم
والشدّة وسطا بكل من أبطأ عن ذلك فأبطأ الناس عنها إلا اليسير لا سيما بني هاشم
فأنه لم يحيه منهم أحد وكان ابن الزبير من أشد الناس إنكاراً لذلك وردا له .
فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية . أما بعد فانك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة
يزيد ابن أمير المؤمنين وأن أكتب اليك بمن سارع ممن أبطأ وإني أخبرك أن
الناس عن ذلك بطيء لا سيما أهل البيت من بني هاشم فإنه لم يحييني منهم أحد
وبلغني عنهم ما أكره ، وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله
ابن الزبير ولست أقوى عليهم إلا بالخليل والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك
في هذا والسلام . فكتب معاوية إلى عبد الله بن عباس وإلى عبد الله بن الزبير
وإلى عبد الله بن جعفر وإلى الحسين بن علي رضي الله عنهم كتابا وأمر سعيد
ابن العاص أن يوصلها إليهم ويبحث بجواباتها . وكتب إلى سعيد بن العاص : أما

عرف ذلك من قبله . فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله ويخبره أنه قد ولي المدينة سعيد بن العاص فلما بلغ مروان كتاب معاوية أقبل مغاضباً في أهل بيته وناس كثير من قومه حتى نزل بأخواله بنى كنانة فشكا إليهم وأخبرهم بالذي كان من رأيه في أمر معاوية وفي عزله واستخلافه بزيادته عن غير مشورة مبادرة له فقالوا . نحن نملك في يدك وسيفك في قرابك فمن رميته بنا أصبناه ومن ضربته قطعناه الرأي رأيك ونحن طوع يمينك . ثم أقبل مروان في وفد منهم كثير ممن كان معه من قومه وأهل بيته حتى نزل دمشق فخرج فيهم حتى أتى سدة معاوية وقد أذن للناس فلما نظر الحاجب إلى كثرة من معه من قومه وأهل بيته منعه من الدخول فوثبوا إليه فضربوا وجهه حتى خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتى إذا كان من معاوية بحيث تناله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافة : إن الله عظيم خطره لا يقدر قادر قدرة خلق من خلفه عبداً جعلهم لدعائه دينه أو تاداً : هم رقبائوه على البلاد وخلفائوه على البلاد أسفر بهم الظلم والفساد بهم الدين وشد بهم اليقين ، ومنع بهم الظفر ووضع بهم من استسكبر . فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك في سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة إخواناً وعلى من خالف عنها أعواناً يشد بنا العصد ويقام منا الأولاد ونستشار في القضية ونستأمر في أمر الرعية وقد أصبحنا اليوم في أمور مستخيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بأزمة الضلال ونجاس بأبوا الرجال ، يؤكل جزورها وتمق أحلامها فما لنا لانستأمر في رضاعها ونحن فطامها وأولاد فطامها وأيم الله لولا عهود مؤكدة ومواثيق معقدة لأقت أود وبها فأقم الأمر يا ابن أبي سفيان واهداً من تاميرك الصبيان واعلم أن لك في قومك نظراً وإن لهم على مناواتك وزراً . فغضب معاوية من كلامه غضباً شديداً ثم كظم غيظه بجأبه وأخذ بيد مروان ثم قال : إن الله قد جعل لكل شئ أصلاً وجعل لكل خير أهلاً ثم جعلك في الكرم مني محمد والعزير مني والدأ ؟ اخترت من قروم قادة ثم استألت سيد سادة فأنت ابن

فما غش إلا نفسه في فعله * فأصبح معاونا وقد كان مكرما
واني لأخشى أن أنا لك بالذى * أردت فيجزى الله من كان أظما

(ما أجابه القوم به رضى الله عنهم)

فكان أول من أجابه عبد الله بن عباس فكتب إليه . أما بعد فقد جاءني كتابك
وفهمت ما ذكرت وان ليس معي منك أمان وإنه والله ما منك يطلب الأمان يا معاوية
وإنما يطلب الأمان من الله رب العالمين . وأما قولك في قتلي فوالله لو فعلت للقيت الله
ومحمد صلى الله عليه وسلم خصمك فما أخاله أفلح ولا أنجح من كان رسول الله
خصمه . وأما ما ذكرت من أني من ألب في عثمان واجب فلذلك أمر غبت عنه
ولو حضرته ما نسبت إلى شيئا من التآليب عليك وأيم الله ما أرى أحدا غضب
لعثمان غضبي ولا أعظم أحدا قتله عظمي ولو شهادته لنصرته أو أموت دونه ولقد
قلت وتميت يوم قتل عثمان ليت الذي قتل عثمان لقيني فقتلني معه ولا أبق بعده .
وأما قولك لي العن قتلة عثمان فلعثمان ولد خاصة وقرابة هم أحق باعهم مني فان
شاعوا أن يلعنوا فليلعنوا وإن شاعوا أن يمسكوا فليمسكوا والسلام . وكتب إليه
عبد الله بن جعفر : أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أترك إياي
على مر سواي فان تفعل فبحظك أصبت وإن تأب فبنفسك قصرت وأما
ما ذكرت من جبرك إياي على البيعة ليزيد فلعمرى لئن أجبرتني عليها لقد
أجبرناك وأباك على الاسلام حتى أدخلنا كما كارهن غير طائعين والسلام . وكتب
إليه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما :

الا سمع الله الذي أنا عبده * فاخزي الله الناس من كان أظما
واجرى على الله العظيم بحله * وأسرعهم في المواقات تفحما
أغرك ان قالوا حلیم بعزة * وليس بنى حلم ولكن تحلما
ولو رمت ما قد عزمت وجدتي * هزير عرين يترك القرن اکتما

بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة ولا سيما
بنى هاشم وما ذكر ابن الزبير وقد كتبت إلى رؤسائهم كتباً فسلها إليهم وتنجز
جواباتها وابعث بها إلى حتى أرى في ذلك رأيي ولتشدد عزمي لك ولتصلب
شكيمتك وتحسن نيتك وعليك بالرفق وإياك والخرق فإن الرفق رشد والخرق
نكد . وانظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فإن له قرابة وحقا عظيما
لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهو ليث عرين ولست آمنك إن شاورته أن لا تقوى
عليه ، فأما من يرد مع السباع اذا وردت ويكنس اذا كنست فذلك عبد الله
ابن الزبير فاحذره أشد الحذر ولا قوة إلا بالله وأنا قادم عليك إن شاء الله
والسلام . وكتب إلى ابن عباس : أما بعد فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد
ابن أمير المؤمنين وإنى لو قتلتك بعثان لكان ذلك إلى لأنك بمن ألب عليه واجلب
وما منعك من أمان قطمئث به ولا عهد فتسكن إليه فاذا أتاك كتابي هذا فاخرج
إلى المسجد والعن قتلة عثمان وبايع عاملي فقد أعذر من أنذرت وأنت بنفسك
أبصر والسلام . وكتب إلى عبد الله بن جعفر : أما بعد فقد عرفت آثرتي إياك
على من سواك وحسن رأيي فيك وفي أهل بيتك وقد أتاني عنك ما أكره فإن
بايعت تشكر وإن تأب تخير والسلام . وكتب إلى الحسين : أما بعد فقد انتهت
إلى منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها وإن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى
بيعته من كان ملك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله لها فلا تنازع إلى
قطيعتك واتق الله ولا تردن هذه الأمة في فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة
محمد ولا يستخفك الذين لا يوقنون . وكتب إلى عبد الله بن الزبير :

رأيت كرام الناس إن كف عنهم * بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلبا
ولا سيما إن كان عفواً بقسرة * فذلك أخرى أن يجلب ويعظما
ولست بذى لؤم فعذر بالذى * أتيته من أخلاق من كان ألوما
ولكن غشا لست تعرف غيره * وقد غش قبل اليوم إبليس آدمًا

لا تضر إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك فكذني ما بدا لك واتق الله يا معاوية واعلم
أن الله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها واعلم أن الله ليس بناسك قليل
بالظنة وأخذك بالثمة وادارتك صدياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما أراك
إلا وقد أوبقت نفسك وأهلك دينك وأوضعت الرعية والسلام

(قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة)

قال وذكروا أنه لما جاب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لأمره
والكرهية لبيعه ليزيد كتب الى سعيد بن العاص يأمره أن يأخذ أهل المدينة بالبيعة
ليزيد أخذاً بغلظة وشدة ولا يدع أحداً من المهاجرين والأنصار وأبناءهم حتى
يباعوا وأمره أن لا يحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم فلما قدم كتاب معاوية أخذهم
بالبيعة أعنف ما يكون من الأخذ وأغلظه فلم يبايعه أحد منهم فكتب الى معاوية
انه لم يبايعي أحد وإنما الناس تبع هؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك الناس جميعاً ولم
يتخلف عنك أحد فكتب اليه معاوية يأمره أن لا يحركهم الى ان يقدم فقدم معاوية المدينة
حاجاً فلما أن دنى من المدينة خرج اليه الناس يتلقونه ما بين راكب وما شاة وخرج النساء
والصبيان فلقية الناس على حال طاقتهم وما تسارعوا به في القوت والقرب فلان لمن كآخه
وقاوض العامة بمحادثته وتالفهم جهده ومقاربه ومصانعه ليستمياهم الى ما دخل فيه الناس
حتى قال في بعض ما يتحدثون به أهل المدينة ما زلت أطوى الحزن من وعاء السفر بالحب
لمطالعكم حتى انطوى البعيد ولان الخشن وحق لجار رسول الله ان يتأق اليه
فرد عليه القوم بنفسك ودارك ومهاجرك اما ان لك منهم كاشفاق الحميم البر
والحنى قال حتى إذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فقال
معاوية مرحباً يا ابن بنت رسول الله وابن صنو أبيه ثم انحرف إلى الناس فقال
هذان شيخنا بنى عبد مناف وأقبل عليهما بوجهه وحدينه فرحب وقرب وجعل
يواجه هذا مرة ويصاحك هذا أخرى حتى ورد المدينة فلما خالط لقيته المشاة

واقسم لولا بيعة لك لم أكن : لا تقضها لم تبج مني مسلماً
 وكتب إليه الحسين رضى الله عنه أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انه
 انتهت عنى اليك أمور لم تكن تظننى بها رغبة فى عنها وإن الحسنات لا يهدى لها ولا
 يسد إليها إلا الله تعالى وأما ما ذكرت انه رقى اليك عنى فامارقه الملاقون المشاؤون
 بالنيمة المفرقون بين الجمع وكذب الغارون المارقون ما أردت حرباً ولا خلافاً
 وإنى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظالم
 وأعوان الشيطان الرجيم . ألسنت قاتل حجير وأصحابه العابدين المحبتين الذين كانوا
 يستفطعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلماً وعدواناً
 من بعد ما أعطيتهم الموائيق الغايضة والعهود المؤكدة جرامة على الله واستخفافاً
 بعهده أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذى اخلفت وأرباب وجهه العبادة فقتلته
 ومن بعد ما أعطيتهم من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من سقوف الجبال أولست
 المدعى زياداً فى الاسلام فرعمت انه ابن أبى سفيان وقد قطنى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم
 ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل سبحانه الله
 يا معاوية لكأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك . أو لست قاتل الحضرمى
 الذى كتب اليك فيه زياد انه على دين علي كرم الله وجهه ودين علي هو دين ابن
 عمه صلى الله عليه وسلم الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل
 شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا
 منه عليكم وقلت فيما قلت لا ترد هذه الامة فى فتنه وإنى لا أعلم لها فتنه أعظم من
 امارتك عليها وقلت فيما قلت أنظر لنفسك ولدينك ولا مة بمحمد وإنى والله
 ما أعرف أفضل من جهادك فان افعل فانه قرينة الى ربى وإن لم افعله فأستغفر الله
 لدينى وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى وقلت فيما قلت متى تكبدنى اككدك
 فكبدنى يا معاوية فيما بدا لك فلعمرى لقد يما يكاد الصالحون وإنى لأرجو أن

رجلا بالطريق فقل يقول لك أخوك ابن الزبير ما كان فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً قال ثم أرسل معاوية بعده إلى ابن الزبير يخفياً به فقال له قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم يا ابن أخي فما أربك إلى الخلاف قال فأرسل اليهم فان بايعوك كنت رجلاً منهم وإلا تكن عجلاً علي بأمر قال وتفعل قال نعم فأخذ عليه إن لا يخبر بمحذنبهما أحداً ، قال فأرسل بعده إلى ابن عمر فأتاه وخلا به فكلمه بكلام هو الين من صاحبيه وقال إني كرهت أن أدع أمة محمد بعدى كالضأن لاراعى لها وقد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر أنت تقودهم فما أربك إلى الخلاف قال ابن عمر : هل لك في أمر تحقن به الدماء وتدرك به حاجتك فقال معاوية وددت ذلك فقال ابن عمر تبرز سريرك ثم أجيء فابايعك على أني أدخل فيما اجتمعت عليه الأمة على عبد حبشي لدخات فيما تدخل فيه الأمة ، قال وتفعل قال نعم ثم خرج وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر يخفياً به قال بأى يد أو رجل تقدم على معصيتي فقال عبد الرحمن أرجو أن يكون ذلك خيراً لى فقال معاوية والله لقد هممت أن أقتلك فقال لو فعلت لاتعبك الله فى الدنيا ولأدخلك فى الآخرة النار ، قال ثم خرج عبد الرحمن بن أبي بكر وبقي معاوية يومه ذلك يعطى الخواص ويدنى بذمة الناس فلما كان صليحة اليوم الثانى أمر بفراش فوضع له وسريرت بمقاعده الخاصة حوله وتلقاه من أهله ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد أسبل طرفها بين كتفيه وقد تغاف وتعطر فقعده على سريره وأجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به وأمر حاجبه ان لا يأذن لأحد من الناس وان قرب . ثم أرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم عليه أقعده فى الفراش على يساره فحادثه ملياً ثم قال : يا ابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه السلام فقال ابن عباس نعم أصلح الله أمير المؤمنين وحفظنا من القناعة بالبعض والتجافى عن الكل أو فر فجعل

والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسايرونه إلى أن نزل فأنصرف عنه . فقال الحسين إلى منزله ومضى عبد الله بن عباس إلى المسجد فدخله وأقبل معاوية ومعه خلق كثير من أهل الشام حتى أتى عائشة أم المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه أحد وعندها مولاهما ذكوان فقالت عائشة يا معاوية كنت تأمن أن أقعد لك رجلاً فأقتلك كما قتلت أخى محمد بن أبى بكر فقال معاوية ما كنت لتفعلن ذلك قالت لم قال لأنى فى بيت آمن بيت رسول الله . ثم إن عائشة حمدت الله وأمنت عليه وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أبا بكر وعمر وحصنته على الاقتداء بهما والاتباع لآثرهما ثم صمتت قال فلم يخطب معاوية وخاف أن لا يبلغ ما باغت فارتجل الحديث ارتجالاً . ثم قال أنت والله يا أم المؤمنين العالمة بالله وبرسوله دلتنا على الحق وحضضتنا على حظ أنفسنا وأنت أهل لأن يطاع أمرك ويسمع قولك وإن أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم وقد أكد الناس بيعتهم فى أعناقهم وأعطوا عهودهم على ذلك وموآثيقهم أفترى أن ينقضوا عهودهم وموآثيقهم فلما سمعت ذلك عائشة علمت أنه سيمضى على أمره فقالت . أما ما ذكرت من عهود وموآثيق فاتق الله فى هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فالعلم لا يصنعون إلا ما أحببت : ثم قام معاوية فلما قام قالت عائشة يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه العابدين المجتهدين فقال معاوية دعى هذا كيف أنا فى الذى بينى وبينك وفى حوائجك ؟ قالت صالح قال فدعينا وإياهم حتى نلقى ربنا ثم خرج ومعه ذكوان فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشى ويقول تالله انى ما رأيت كالיום قط خطيباً أبلغ من عائشة بعد رسول الله ثم مضى حتى أتى منزله فأرسل إلى الحسين بن علي فخلا به فقال له يا ابن أخى قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قریش أنت تقودهم يا ابن أخى فأرايك إلى الخلاف قال الحسين أرسل إليهم فإن بايعوك كنت رجلاً منهم ولا تكن بجعلت على بأمر قال نعم قال فأخذ عليه أن لا يخبر بحدِيثهما أحداً فخرج وتعد له ابن الزبير

الانصاف في اجتماعكما فما يقول القائل إلا بفضل قولكما فرداً على ذي رحم
مستعجب ما يحمده به البصيرة في عتابكما واستغفر الله لي ولكما . قال فتيسر
ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة فأشار اليه الحسين وقال على رسلك فانا
المراد ونصبي في التهمة أوفر فأمسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على
الرسول ثم قال أما بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل وان أطنب في صفة الرسول
صلى الله عليه وسلم من جميع جزء وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله
من إيجاز الصفة والتسكيب عن استبلاغ البيعة وهيئات هيئات يا معاوية فضح
الصبح لخمعة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج ولقد فضلت حتى أفرطت
واستأثرت حتى اجتذفت ومنعت حتى بخلت وجرت حتى جاوزت ما بذلت لذى
حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكل وفهمت
ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد تريد ان توهم الناس في يزيد
كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان احتويته بعلم خاص وقد دل
يزيد من نفسه على موقع رأيه نخذ ليزيد فيما أخذ به من استقراء الكلاب
المبارشة عند التحارش والحمام السبق لآتراهين والقينات ذوات المعارف
وضروب الملامى تجده ناصر أودع عنك ماتحاول ، فما أغناك ان تلقى الله
بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية فوالله ما برحت تقدم باطلا في جور وحنقا
في ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلا غمضة فتقدم على عمل
محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر
ومنعتنا عن آباءنا ترانا ولقد لعمر الله أورثنا الرسول عليه السلام ولاده وجئت
لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك وردة الايمان
إلى النصف فركبتم الأغاليل وفعلتم الأفاعيل وقتلتم كان ويكون حتى أتاك الأمر
يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار . وذكرت

معاوية يحدثه ويحيده به عن طريق المجادلة ويعدل إلى ذكر الأعمار على اختلاف
الغزائر والطباع حتى أقبل الحسين بن علي فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت
على يمينه فدخل الحسين وسلم فأشار إليه فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة فسأله
معاوية عن حال بني أخيه الحسن وأسائهم فأخبره ثم سكت قال
ثم ابتدأ معاوية فقال : أما بعد فالحمد لله ولى النعم ومنزل النعم وأشهد أن لا إله
إلا الله المتعالى عما يقول الملحدون علواً كبيراً وإن محمداً عبده المختص بالمبعوث إلى
الجن والانس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد فأدى عن الله وصدع بأمره وصبر عن الأذى فى جنبه حتى
أوضح دين الله وأعز أولياءه ووقع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون فضى
صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بذل له واختار منها الترك لما سخر به
زهادة واختيار الله وأنفة واقتداراً على الصبر بغياً لما يدوم ويبقى وهذه صفة
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك بين ذلك
خوض طال ما عاجزاه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا وما أعلم منه فوق
ما تعلبان وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويره وقد علم الله ما أحاول
به من أمر الرعية من سد الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين وأخذ
الفعل هذا معنى فى يريد وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكال المروءة وقد
أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعيانى منه عند كما وعند غيركما
مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذى يرجع بالصم الصلات وقد علمت أن
الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق والفاروق وهن دونهما من
أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ولم
يعاندهم برتبة فى قرابة موصولة ولا سنة مذكورة فقادهم الرجل بأمره وجمع
بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيهم وقال لم يقل معه وفى رسرل الله صلى الله عليه
وسلم أسوة حسنة فهلا بنى عبد المطلب فأنا وأنتم شعبا نفع وجد وما زلت أرحو

معاوية يرحمك الله ليس عنك خلاف ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبي بكر نحو ما قاله لعبد الله بن عمر فقال له عبد الرحمن انك والله لو ددنا ان نكلك الى الله فيما جسرت عليه من امر يزيد والذى نفسى بيده لتجعلنها شورى أو لاعيدها جذعة . ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف رداءه ثم قال على رسلك اللهم اكفنيه بما شئت لا تظهرن لأهل الشام فاني أخشى عليك منهم ثم قال لابن الزبير نحو ما قاله لابن عمر ثم قال له أنت تغلب رواغ كلما خرجت من حجر انجحرت في آخر أنت ألبت هذين الرجلين وأخرجتهما الى ما خرجا اليه فقال ابن الزبير أتريد أن تباع ليزيد أرايت ان بايعناه أيكما نطيع أطيعك أم نطيعه إن كنت مللت الخلافة فاخرج منها وباع ليزيد فتحن نبايعه فكثر كلامه وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية في بعض كلامه والله ما أراك إلا قاتلا نفسك ولكأني بك قد تخطت في الحباله ثم أمرهم بالانصراف واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج ثم خرج فأمر المندادى أن ينادى في الناس أن يجتمعوا لأمر جامع فاجتمع الناس في المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن ثم قال . يا أهل المدينة لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية ولا مدرة إلا بعثت اليها ببيعته فبايع الناس جميعا وسلبوا وأخرت المدينة بيعته وقلت بيضته وأصله ومن لا أخافهم عليه وكان الذين أبو البيعة منهم من كان أجدر أن يصله والله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له ، فقام الحسين فقال : والله لو تركت من هو خيراً منه أبا وأما ونفساً فقال معاوية كأنك تريد نفسك فقال الحسين نعم أصلحك الله فقال معاوية إذا أخبرك أما قولك خير منه أما فلعمري أمك خير من أمه ولو لم يكن إلا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلن منك وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأمر لعمر الله خير من أمه وأما أبوك حاكم أباه إلى الله ففضى لأبيه على أيك فقال الحسين حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل فقال معاوية وأما ما ذكرت من أنك

قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيره له وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعه له وما صار لعمرو يومئذ حتى أنف القوم امرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه أفعاله فقال صلى الله عليه وسلم : لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيرى . فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحوال وأولها بالاجتماع عليه من الصواب أم كيف صاحبت بصاحب تابعا وحولك من لا يؤمن في صحبته ولا يعتمد في دينه وقرابته وتتخطاهم الى مسرف مفتون تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنيا وتشقى بها في آخرتك إن ههذا هو الخسران المبين واستغفر الله لى ولكم ، قال فظفر معاوية الى ابن عباس فقال ما هذا يا ابن عباس ولما عندك أدهى وأمر فقال ابن عباس لعمر الله إنها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء ومن البيت المطهر قاله عما تريد فإن كان لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين فقال معاوية : أعود الحلم التحلم وخيره التحلم عن الأهل انصرفا في حفظ الله ، ثم أرسل معاوية الى عبد الرحمن بن أبي بكر وإلى عبد الله بن عمر وإلى عبد الله بن الزبير فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه معاوية ثم قال يا عبد الله ابن عمر قد كنت تحدثنا أنك لا تحب أن تبیت ليلة وليس في عنقك يعة جماعة وإن لك الدنيا وما فيها وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملائمتهم وإن تسفك دماءهم وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم وقد وكد الناس بيعتهم في أعناقهم واعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم سكت فتكلم عبد الله بن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا معاوية لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك فلم يحاوا في هذا الأمر أحداً ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم وأن تحذرنى أن أشق عصا المسلمين وافرق ملاهم وأسفك دماءهم ولم أكن لأفعل ذلك إن شاء الله ولكن إن استقام الناس فسادخل في صالح ما تدخل فيه أمة محمد فقال

تكلم أحد منهم بكلام يصدقني أو يكذبني فيه فلا ينقضى كلامه حتى يطير رأسه
فحذر القوم ذلك فلما كان العشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء نفر وهو
يتباحثهم ويحدثهم وقد ألبسهم الخلل فالبس ابن عمر حلة حمراء وألبس عبد الله
ابن عباس حلة خضراء وألبس الزبير حلة يمانية ، ثم خرج بينهم وأظهر لأهل
الشام الرضا عنهم أى القوم وانهم بايعوا فقال يا أهل الشام إن هؤلاء نفر دعاهم
أمير المؤمنين فوجدتهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا قال ذلك والقوم
سكوت لم يتكلموا شيئاً حذر القتل فوثب أناس من أهل الشام فقالوا يا أمير
المؤمنين إن كان رأيك منهم ريب فخل ببنا وبينهم حتى تضرب أعناقهم فقال
معاوية سبحان الله ما أحل دماء قريش عندكم يا أهل الشام لا أسمع لهم ذكراً
يسوء فانهم قد بايعوا وسلموا وارتضوني فرضيت عنهم رضى الله عنهم ، ثم
ارتحل معاوية راجعاً إلى مكة وقد أعطى الناس أعطياتهم وأجزل العطاء وأخرج
إلى كل قبيلة جوائزها وأعطياتها ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء فخرج
عبد الله بن عباس فى أثره حتى لحقه بالروحاء فجلس ببابه فجعل معاوية يقول
من الباب فيقال عبد الله بن عباس فلم يأذن لأحد فلما استيقظ قال من الباب
فقبل عبد الله بن عباس فدعاه بدابته فدخلت إليه ثم خرج راكباً فوثب إليه
عبد الله بن عباس فأخذ بلجام البغلة ثم قال أين تذهب قال إلى مكة قال فأين
جوائزنا كما أجزت غيرنا فأوماً إليه معاوية فقال والله مالكم عندى جائزة ولا
عطاء حتى يبايع صاحبكم قال ابن عباس فقد أبى ابن الزبير فأخرجت جائزة بنى
أسد وأبى عبد الله بن عمر فأخرجت جائزة بنى عدى فما لنا أن أبى صاحبنا وقد
أبى صاحب غيرنا فقال معاوية لستم كغيركم لا والله لا أعطيكم درهماً حتى يبايع
صاحبكم فقال ابن عباس أما والله لئن لم تفعل لألحقن بساحل من سواحل الشام
ثم لأقولن ما تعلم والله لا تركتهم عليك خوارج فقال معاوية لا بل اعطيكم
جوائزكم فبعث بها من الروحاء ومضى راجعاً إلى الشام . فلم يلبث إلا قليلاً حتى

خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمة محمد منك فقال الحسين هذا هو الافك والزور يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني فقال معاوية مهلا عن شتم ابن عمك فانك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتبك ثم التفت معاوية إلى الناس وقال أيها الناس قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف أحداً فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر فيعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين لذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف

(ما قال عبد الله بن الزبير لمعاوية)

قال وذكروا أن عبد الله بن الزبير قام إلى معاوية فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس إلى كتاب الله فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ثم رأى أن يستخلف عمر وهو أقصى قریش منه نسبا ورأى عمر أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين وفي المسلمين ابنه عبد الله وهو خير من ابنك فان شئت أن تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون لأنفسهم وإن شئت أن تستخلف من قریش كما استخلف أبو بكر خير من أن يعلم وإن شئت أن تصنع مثل ما صنع عمر تختار رهطاً من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل ، فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهباً إلى منزله وأمر من حرسه وشرطه قوماً أن يحضروا هؤلاء النفر الذين أبو البيعة وهم الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر وأوصاهم معاوية قال اني خارج العشية إلى أهل الشام فاجبرهم أن هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان

وهو عامر بن وائلة وكان فارس أهل صفين وشاعرهم وكان من أخص الناس بعلي كرم الله وجهه فقدم أبو الطفيل الشام يزور بن أخ له من رجال معاوية فاخبر معاوية بقدمه فارس إلى فاتاه وهو شيخ كبير فلما دخل عليه قال له معاوية أنت أبو الطفيل عامر بن وائلة قال نعم قال معاوية أكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين قال لا ولكن ممن شهده فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معاوية : أما والله ان نصرته كانت عليهم وعليك حقا واجبا وفرضا لازما فاذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أتم أهله وأصاركم إلى ما رأيتم فقال أبو الطفيل فما منعك يا أمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون أن لا تنصره ومعك أهل الشام فقال معاوية أوترى طلبى لدمه فضحك أبو الطفيل وقال: بلى ولكنى وإياك كما قال عبيد بن الأبرص :

لأعرفنك بعد الموت تندبى وفى حياتي ما زودتنى زادى
فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر إليهم معاوية ثم قال أتعرفون هذا الشيخ قالوا لا فقال معاوية: هذا خليل علي بن أبي طالب وفارس صفين وشاعر أهل العراق هذا أبو الطفيل : قال سعيد ابن العاص قد عرفناه يا أمير المؤمنين فما يمنك منه وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال مهلا قرب يوم ارتفع عن الأسباب قد ضنقتم به ذرعا ثم قال اعرف هؤلاء يا أبا الطفيل قال : ما انكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير وأنشد شعرا :

فان تكن العداوة قد أكنت فشر عداوة المرء السباب
فقال معاوية يا أبا الطفيل ما بقى لك الدهر من حب علي قال حب أم موسى واشكروا إلى الله التقصير فضحك معاوية قال ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنى ما قالوا هذا فقال مروان أجل والله لا تقول الباطل ثم قال جهزه معاوية وألحقه بالسكوفة

حتى توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومة ناهيا رحمه الله

(ما قال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية)

فلما قدم معاوية الشام أتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش
ولسانها قال يا أمير المؤمنين علي م تبايع ليزيد وتركني فوالله لنعلم أن أي خير
من أبيه وأمي خير من أمه وانك إنما نأت ما أنت فيه بأبي فضحك معاوية وقال
يا ابن أخي أما قولك إن أباك خير من أبيه فيوم من عثمان خير من معاوية وأما
قولك إن أمك خير من أمه ففضل قرشية على كلبية فضل بين واما أن أكون نلت
ما أنا فيه بأبيك فانما هو الملك يؤتيه الله من يشاء قتل أبوك رحمه الله فتواكلته بني
العاصي وقامت فيه بنو حرب فنحن أعظم بذلك منة عليك، وأما أن تكون خير
من يزيد فوالله ما أحب أن دارى مملوءة رجالا مثلك بيزيد ولسكن دعنى من هذا
القول وسأني أعطاك ، فقال سعيد بن عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين لا يعدم
يزيد مزكيا ما دمت له وما كنت لأرضى ببعض حتى دون بعض فاذا أبيت
فاعطني مما أعطاك الله فقال معاوية لك خراسان قال سعيد وما خراسان قال إنها
لك طعمة وصلة رحم ، فخرج راضيا وهو يقول

ذكرت أمير المؤمنين وفضله فقلت جزاه الله خيرا بما وصل
وقد سبقت مني إليه بواذر من القول فيه آفة العقل والزلل
فعاد أمير المؤمنين بفضله وقد كان فيه قبل عودته ميل
وقال خراسان لك اليوم طعمة فجوزى أمير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه لما نالني من ملكه فوق ما بذل
فلما انتهى قوله إلى معاوية أمر يزيد أن يزوده وأمر إليه بخلعة وشيعة فرسخا

(قدوم أبي الطفيل على معاوية)

قال وذكروا أنه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقياه من أبي الطفيل الكنانى

وقد تعرف رحمتي بك ونظري في الأشياء التي تصلحك قبل أن تختار علي وهماك
فكنت أظنك على تلك النعماء شاكرا فأصبحت بها كافرا إذ فرطت من قولك ما
الزمته في إضاعتي إياك وأوجبت علي منه بالتقصير ، لم يزجرك عن ذلك تخوف
سخطي ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتي ولم يردعك عنه حق أبوتي فاني ولد
أعق منك أو أكيد وقد علمت أني تخطأت الناس كلهم في تقديمك وزيادتهم لولييتي
إياك ونصبتك إماما على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم من
عرفت وحاولت منهم ما علمت . قال فتكلم يزيد وقد خنقه من شدة الحياء الشوق
واخضله من اليم الوجد العرق . قال : لا تلمني كفر نعمتك ولا تنزل في عتابك
وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرك وحظوتي إلى كل ما يسرك في سرى وجهري
فليكن سخطك فان الذي أرثي له من أعباء حمله وثقله أكثر مما أرثي لنفسى من
اليم ما بها وشدة وسوف أنبتك وأعلمك أمرى . كنت قد عرفت من أمير
المؤمنين استكمل الله بقاءه نظراً في خيار الأمور لي وحرصاً على سياقها إلى .
وأفضل ما عسيت استعبده بعد إسلامي المرأة الصالحة وقد كان ما تحدث به من
فضل جمال ارينب بنت إسحاق وكال أدبها ما قد سطع وشاع في الناس فوقع
مني بموقع الهوى فيها والرغبة في نكاحها فرجوت ألا تدع حسن النظر في أمرها
فتركت ذلك حتى استسكحها بعلمها فلم يزل ما وقع في خلدي ينمو ويعظم في
صدرى حتى عيل صبرى فبحت بصرى فكان مما ذكرت تقصيرك في أمرى
فأله يجزيك أفضل من سؤالى وذكرى . فقال له معاوية : مهلا يا يزيد فقال
على تأمرني بالمثل وقد انقطع منها الأمل فقال له معاوية فإني حجاجك ومروءتك
وثقاك فقال يزيد : قد يغلب الهوى على الصبر والحجاء ولو كان أحد ينفع فيما
يبتلى به من الهوى بتقائه أو يدفع ما أقصده بحجاءه لكان أولى الناس بالصبر داود عليه
السلام وقد خبرك به القرآن بأمره فقال معاوية فما منعك قبل الفوت من ذكره
قال ما كنت أعرفه واثق به من جميل نظرك قال صدقت ولكن اكنم يا بني أمرك

(ما حاول معاوية من تزويج يزيد)

قال وذكروا أن يزيد بن معاوية سهر ليلة من الليالي وعنده وصيف لمعاوية يقال له رقيق فقال يزيد يستديم الله بقاء أمير المؤمنين وعافيته إياه وأرغب إليه في تولية أمره فقد كنت أعرف من جميل رأى أمير المؤمنين في حسن نظره في جميع الأشياء ما الثقة في ذلك والتوكل عليه منبى من البوح بما جمعت في صدرى له وطلابه إليه فاضاع وترك من النظر في شأنى وقد كان في حلمه وعلمه ورضائه ومعرفته بما يحق لمثلته النظر فيه خير خافل عنه ولا تارك له مع ما يعلم من هيتى له وخشيتى منه فالله يجزيه عنى باحسانه ويفقر له ما اجترح من عهده ونسيانه ، فقال الوصيف وما ذلك جعلت فذلك لا تلم على تضيقه إياك فانك تعرف تفضيله وحرصه عليك وما يخامر من حبك وإن ليس شئ أحب إليه ولا أثر عنده منك لديه . فاذا كر بلاءه وأشكر حياته فانك لا تبلغ من شكره إلا بعون من الله . قال فاطرق يزيد اطرافا عرف الوصيف منه ندامته على ما بدا منه وباح به ، فلما أب من عنده توجه نحو سدة معاوية ليلا وكان خير محبوب عنه ولا محبوبس دونه فنام معاوية أنه ما جاء به ليلا إلا خبر أراد إعلامه به . فقال له معاوية ما وراك وما جاء بك فقال أصاح الله أمير المؤمنين كنت عند يزيد ابنك فقال فيما استجر من الكلام كذا وكذا فوثب معاوية وقال ويحك ما أضجنا منه رحمة له وكرهية لما شجده وخالف هواه وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئا فقال علي به وكان معاوية إذا أتته الأدور المشكلة المعضلة بعث إلى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهاال معضلاتها فلما جاءه الرسول قال أجب أمير المؤمنين فحسب يزيد أنه إنما دعاه إلى تلك الأمور التى يفزع إليه منها ويستعين برأيه عليها فاقبل حتى دخل ثم جلس فقال معاوية : يا يزيد ما الذى أضجنا من أمرك وتركنا من الحيلة عليك وحسن النظر لك حيث قلت ما قلت

أنت يا صاحب رسول الله وكاتبه . فقال معاوية أذكر له ذلك عني وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى غير أنى أرجو أنها لا تخرج من رأيي إن شاء الله . فلما خرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لها قال ودخل معاوية إلى ابنته فقال لها إذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحي إياك منه ودعوك إلى مباحلة وحضاك على ملائمة رأيي والمسارة إلى هواي فقولى لها عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير أنه تحت أرينب بنت إسحاق وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فأتولى منه ما أسخط الله فيه فيعذبني عليه فأفارق الرجاء وأستشعر الأذى ولست بفاعلة حتى يفارقها . فذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام وأعلماه بالذى أمرهما معاوية فلما أخبراه سر به وفرح وحمد الله عليه ثم قال : نستمتع الله يا أمير المؤمنين لقد والى على من نعمه وأسدى إلى من مننه فأطول ما أقول فيه قصير وأعظم الوصف لها يسير ثم أراد إخلاطي بنفسه وإلحاقى بأهله إتماما لنعمته وإكبالا لإحسانه فأنه استعين على شكره وبه أعوذ من كيد ومكره ، ثم بعثهما إليه خاطبين عليه فلما قدما قال لها معاوية قد تعلمان رضائي به وتنخلى إياه وحرصى عليه وقد كنت أعلمتكما بالذى جعلت لها في نفسها من الشورى فادخلا إليها واعرضا عليها الذى رأيت لها فدخلتا عليها وأعلماه بالذى ارتضاه لها أبوها لما رجاها ثواب الله عليه فقالت لها كالذى قال لها أبوها فأعلماه بذلك فلما ظن أنه لا يمنعها منها إلا أمرها فارق زوجته واشهدهما على طلاقها وبعثهما خاطبين إليه أيضاً فخطبا وأعلماه معاوية بالذى كان من فراق عبد الله ابن سلام امرأته طلابا لما يرضيها وخروجها عما يشجبها فأظهر معاوية كراهة لفعله وقال : ما استحسن له طلاق امرأته ولا أحببته ولو صبر ولم يجعل لكان أمره إلى مصيره فان كون ما هو كائن لا بد منه ولا محيص عنه ولا خبرة فيه للعباد والأقدار غالية وما سبق في علم الله لا بد جار فيه فانصرفا في عافية ثم

بحملك واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ
أمره ولا بد مما هو كائن وكانت ارينب بنت اسحاق مثلاً في أهل زمانها في جماها
وتمام كالحا وشرفها وكثرة مالها فتزوجها رجل من بنى عمها يقال له عبد الله بن
سلام من قریش وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل ووقع أمر يزيد من معاوية
موقعاً ملاءهما وأوسعهما غمماً فاخذ في الحيلة والنظر أن يصل اليها وكيف يجمع
بينه وبينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها . فكتب معاوية إلى عبد الله بن سلام وكان
قد استعمله على العراق ان أقبل حين تنظر في كتابي هذا لأمر حفظك فيه كامل
ولا تتأخر عنه فاغد المسير والاقبال . وكان عند معاوية بالشام أبو هريرة وأبو
الدرداء صاحباً رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عبد الله بن سلام الشام
أمر معاوية أن ينزل منزلاً قد هيء له وأعد له فيه نزلة ثم قال لاني هريرة
وصاحبه : ان الله قسم بين عباده قسماً ووهبهم نعماً أوجب عليهم شكرها وحتم
عليهم حفظها وأمره برعاية حقها وسلطان طريقها بحمیل النظر وحسن التفقد لمن
طوقهم الله أمره كما فوضه اليهم حتى يؤدوا إلى الله الحق فيهم كما أوجبه عليهم
فجبانى عز وجل بأعز الشرف وسمو السلف وأفضل الذكر وأغدق اليسر وأوسع
على في رزقه وجعلنى راعى خلقه وأمينه في بلاده والحاكم في أمر عباده ليلونى
أشكر آلامه أم أكفرها فلياء أسأله اء شكره وبلوغ ما أرجو بلوغه من عظيم
أجره وأول ما ينبغى للبر أن يتفقدته وينظر فيه فيمن استرعاه الله أمره من أهله
ومن لا غنى به عنه . وقد بلغت إلى ابنة أردت إنكاحها والنظر في تبعل من يريد
أن يباعها لعل من يكون بعدى يهتدى منه بهدى وتتبع فيه أثرى فاني قد تخوفت
أن يدعو من يل هذا الأمر من بعدى زهوة السلطان وسرفه إلى عضل نساءهم
وآلا يرون لمن فيمن ملسكن أمره كفوراً ولا نظيراً وقد رضيت لها عبد الله
ابن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه . فقال أبو هريرة وأبو الدرداء
أن أولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيها فيما خصه به منها

يكون الله قد خار لي فانه لا يكل إلى غيره من توكل عليه . وقد استبرأت أمره
وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من
استشرته فيه فمنهم الناهي عنه ومنهم الآمر به واختلافهم أول ما كرهت من الله
فعلم عبد الله أنه خدع فהלح ساعة واشتد عليه الهم . ثم اتبته فحمد الله تعالى وأثنى
عليه وقال متعزياً ليس لأمر الله راد ولا لما لا بد أن يكون منه صاد ، أمور في
في علم الله سبقت فجرت بها أسبابها حتى امتلأت منها أقرباها وإن امرؤ انتال له
حلبه واجتمع له عقله واستدله رأيه ليس بدافع عن نفسه قدراً ولا كيداً ولا
انحرافاً عنه ولا حيداً ولا آل ما سروا به واستجندوا له لا يدوم لهم سروره ،
ولا يصرف عنهم مخدوره قال وذاع أمره في الناس وشاع ، ونقلوه إلى الأمصار
وتحدثوا به في الأسفار وفي الليل والنهار وشاع في ذلك قولهم وعظم معاوية عليه
لومهم وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وإنما أرادها لابنه فبئس ما استرعاه
الله أمر عباده ومكنه في بلاده وإشركه في سلطانه يطلب أمراً بخدعة من جعل الله
إليه أمره ويحيره ويصرحه جراً على الله فلما بلغ معاوية ذلك من قول الناس
قال لعمرى ما خدعته . قال فلما انقضت اقراؤها وجه معاوية أبا الدرداء إذ قدم
إلى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي
وهو سيد أهل العراق فقها وحالا وجودا وبذلاً فقال أبو الدرداء إذ قدم العراق
ما ينبغي لذوى الحجا والمعرفة والتقى أن يبدأ به ويؤثره على مهم أمره بما يلزمه
حقه ويجب عليه حفظه وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب
أهل الجنة يوم القيامة فلست بناظر في شيء قبل الإمام به والدخول عليه والنظر
إلى وجهه الكريم وأداء حقه والتسليم عليه ثم استقبل بعد إن شاء الله ما جئت له
وبعثت إليه ففقد حتى أتى الحسين فلما رآه الحسين قام إليه فصافحه إجلالاً له
ومعرفته لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعه من الإسلام ثم قال
الحسين مرحباً بصاحب رسول الله وجليسه يا أبا الدرداء حدثت لي رؤيتك شوقاً

تعودان الينا فيه وتأخذان إن شاء الله رضانا . ثم كتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق ارينب بنت اسحاق عبد الله بن سلام فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية أمرهما بالدخول عليها وسألاها عن رضاها تبرياً من الأمر ونظراً في القول والعذر فيقول لم يكن لي أن أكرها وقد جعلت لها الشورى في نفسها فدخل عليها وأعلمها بالذي رضىه إن رضيت هي بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ارينب طلاباً لمسرتها وذكراً من فضله وكال مروءته وكريم محتده ما القول يقصر عن ذكره . فقالت لها جف القلم بما هو كائن وإنه في قرش لرفيع غير أن الله عز وجل يتولى تدبير الأمور في خلقه وتقسيمها بين عباده حتى ينزلها منازلها فيهم ويضعها على ما سبق في أقدارها وليست تجري لأحد على ما يهوى . ولو كان لبغ منها غاية ما شاء . وقد تعرفان أن التزويج هزله جد وجد ندم النادم عليه ندم والعشور فيه لا يكاد يقوم والائاة في الأمور أوفق لما يخاف فيها من المخذور ، فإن الأمور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأني فيها كان المرم بحسن العزاء خليقاً وبالصبر عليها حقيقاً ، وعلمت أن الله ولي التدبير فلم تلم النفس على التقصير وإنى بالله استعين بسأله عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لي الذي أريد علمه من أمره ومستخيرة وإن كنت أعلم أنه لا خيرة لأحد فيما هو كائن ومعلمتكم بالذي يرى الله في أمره ولا قوة إلا بالله . فقالا وفقك الله وخار لك ثم انصرفا فلما أعلماه بقولها تمثل وقال :

فان يك صدر هذا اليوم ولي ۞ فان غداً لناظره قريب

وتحدث الناس بالذي كان من طلاق عبد الله امرأته قبل أن يفرغ من طلبته وقبل أن يوجد له الذي كان من يعينه ولم يشكو في غدر معاوية إياه فاستحث عبد الله ابن سلام أبا هريرة وأبا الدرداء وسألها الفراغ من أمره فأتيهاها نقلاً لها قد أتيناك لما أنت صانعة في أمرك وأن تستخيري الله يخبر لك فيما تخارين فانه يهدي من استهداه ويعطي من اجتهداه وهو أقدر القادرين قالت الحمد لله أرجو أن

أبو الدرداء : أيتها المرأة إنما على أعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت : عفا الله
عنك إنما أنا بنت أخيك ومن لاغنى بها عنك فلا يمنعك رهبة . أحد من قول
الحق فيما طوqقتك فقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حملتك والله خير من روعى
وخيف إنه بنا خبير لطيف . فلما لم يكن بداً من القول والاشارة عليها قال أى
بنية أين بنت رسول الله أحب إلى وارضاهما عندى والله أعلم بخيرهما لك وقد كنت
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتى الحسين فضعى
شفتك حيث وضعها رسول الله ، قالت قد اخترته ورضيته فاستنكحها الحسين بن
علي وساق إليها مهرأ عظيماً وقال الناس . وبلغ معاوية الذى كان من فعل ابى
الدرداء فى ذكره حاجة أحد مع حاجته وما بعته هوله ونسكاح الحسين إياها
فتعاطفه ذلك جداً ولامه لوماً شديداً وقال : من يرسل ذا بلاهة وغماً يركب فى
أمره خلاف ما يهوى ورأى أن كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة منه أولى حين
بعثناه ولحاجتنا اتحلناه . وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إياها
بدرات مملوءة درأ كان ذلك الدر أعظم ماله واحب اليه وكان معاوية قد اطرحة
وقطع جميع رواقده عنه لسوء قوله فيه وتهمته إياه على الخديعة فلم يزل يحفوه
ويغضبه ويكدى به عنه ما كان يجديه حتى عيل صبره وطال أمره وقل ما فى يديه
وعلام نفسه على المقام لديه نخرج من عنده راجعا الى العراق وهو يذكر ماله
الذى كان استودعها ولا يدرى كيف يصنع وأنى يصل اليه ويتوقع ججودها عليه
لسوء فعله بها وطلاقه إياها على غير شىء انكره منها ولا نقمة عليها فلما قدم العراق
لقى الحسين فسلم عليه . ثم قال قد علمت جعلت فداك الذى كان من قضاء الله فى
طلاق اربنب بنت إسحاق وكنت قبل فراقى إياها قد استودعتها مالا عظيماً درأ
وكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها فى طول ما صحبتها قتيلاً ولا
أظن بها الا جميلاً فذا كرها أمرى واحضضها على الرد علي فان الله يحسن عليك
ذكرك ويجزل به أجرك . فسكت عنه فلما انصرف الحسين إلى أهله قال لها قدم

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقدت مطلقاً أحزاني عليه فاني لم أر منذ
فارقته أحداً كان له جليساً واليه حبيباً إلا هممت عيناى وأحرقت كبدى أسى عليه
وصباة إليه ففاضت عينا أبى الدرداء لذكر رسول الله وقال : جرى الله لبانة
أقدمتنا عليك وجمعتنا بك خيراً . فقال والله إني لذو حرص عليك ولقد
كنت بالاشتياق اليك فقال أبو الدرداء . وجهنى معاوية خاطباً على ابنه يزيد
أريت بنت إسحاق فرأيت أن لا أبداً بشيء قبل أحداث العهد بك والنسلم عليك .
فشكر له الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت
الارسال إليها بعد انقضاء اقربائها فلم يمنعنى من ذلك إلا تخيير منلك فقد أتى الله
بك فاخطب رحمك الله علي وعليه فلتختر من اختاره الله لها وانها أمانة في جنتك
حتى تؤديها إليها واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أبو
الدرداء أفعل إن شاء الله . فلبادخل عليها قال لها : أيتها المرأة إن الله خلق الأمور
بقدرته وكونها بمنزلة فجعل لكل أمر قدرأ ولكل قدر سبباً فليس لأحد عن
قدر الله مستحاص ولا عن الخروج عن علمه مستناص ، فكان مما سبق لك
وقدر عليك الذى كان من فراق عبد الله بن سلام إياك ولعل ذلك لا يضررك وأن
يجعل الله لك فيه خيراً كثيراً وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن الملك وولى عهده
والخليفة من بعده يزيد بن معاوية وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن
أول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما
وفضلهما وجئتكم خاطباً عليهما فاختر أيهما شئت . فسكتت طويلاً ثم قالت يا أبا
الدرداء : لو أن هذا الأمر جاءني وانت غائب عنى أشخصت فيه الرسل اليك
واتبعت في رأيك ولم أقطع دونك على بعد مكانك ونأى دارك فأما اذا كنت المرسل فيه
فقد فوضت أمري بعد الله اليك وبرئت منه اليك وجعلته في يديك فاختر لي
ارضاها لديك والله شهيد عليك واقض فيه قضاء ذى التحرى المتقى ولا يصدنك
عن ذلك اتباع هوى فليس أمرهما عليك خفياً وما أنت عما طوقتك عمية . فقال

(وفاة معاوية رحمه الله)

قال وذكروا أن عتبة بن مسعود قال مر بنا نعي معاوية بن أبي سفيان ونحن بالمسجد الحرام قال فقمنا فأتينا ابن عباس فوجدناه جالسا قد وضع له الخوان وعنده نفر فقلنا أما علمت بهذا الخبر يا ابن عباس قال وما هو قلنا هلك معاوية فقال ارفع الخوان يا غلام وسكت ساعة ثم قال جبل تززع ثم مال بكلك له أما والله ما كان كمن كان قبله ولما يكن بعده مثله . اللهم أنت أوسع لمعاوية فينا وفي بني عمنا هؤلاء الذي لب معتبر اشتجرنا بيننا فقتل صاحبهم غيرنا وقتل صاحبنا غيرهم وما أغرام بنا إلا أنهم لا يجدون مثلنا وما أغرانا بهم إلا أنا لا نجد مثلهم . كما قال القائل مالك تظنني قال لا أجد من أظلم غيرك . والله ان ابنه لخير أهله أعد طعامك يا غلام قال فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم إلى ابن عباس انطلق فبايع فقال للرسول اقرأ الأمير السلام وقتل له والله ما بقي في ما تخافون فاقض من أمرك ما أنت قاض فاذا سهل المشى وذهبت حطمة الناس جئتكم ففعلت ما أحببت قال ثم أقبل علينا فقال : مهلا معشر قريش أن تقولوا عند موت معاوية ذهب جد بني معاوية وانقطع ملكهم ذهب لعمر الله جدهم وبقى ملكهم وشرها بقية هي أطول مما مضى الزموا مجالسكم واعطوا بيعتكم قال فما برحنا حتى جاء رسول خالد فقال يقول لك الأمير لا بد لك أن تأتينا قال فان كان لا بد فلا بد مما لا بد منه : يانوار هلي ثيابي ثم قال وما ينفعكم إتيان رجل إن جلس لم يضركم قال فقلت له أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهر بالفواحش قال مه فأين ما قلت لكم وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر أو هو شر من شارها أتم إلى بيعته سراع أما والله اني لأنها كم وأنا أعلم أنكم فاعلون ما أنتم فاعلون حتى يصلب مصلوب (م ١٣ - الامامة)

عبد الله بن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويجعل النشر عنك في حسن صحبتك وما آنسه قديما من اماتك فسرني ذلك وأعجبنى ، وذكر أنه كان استودعك مالا قبل فراقه إياك فأدى اليه أماتته وردى عليه ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب إلا حقا . قالت صدق قد والله استودعني مالا لا أدرى ماهو وإنه لمطبوع عليه بطابعه ما أخذ منه شيئا إلى يومه هذا فأثني عليها الحسين خيرا وقال بل أدخله عليك حتى تبرئني اليه منه كما دفعه اليك . ثم لقي عبد الله بن سلام فقال له ما انكرت مالك وزعمت أنه لك دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا عليها وتوف مالك منها فقال عبد الله بن سلام أو تأمر بدفعه إلى جعلت فذاك قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه إذا أدته . فلما دخلا عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطالب وديعته فادها اليه كما قبضتها منه فأخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر لها واثني عليها وخرج الحسين فقضى عبد الله خاتمه بدرة فحبا لها من ذلك الدر حنوات وقال خذى فهذا قليل مني لك واستعبرا جميعا حتى تعالت أصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لها للذي سمع منهما فقال أشهد الله إنها طالق ثلاث اللهم إنك تعلم أني لم أستكبحها رغبة في مالها ولا جمالها ولكني أردت احلالها لبعليها وثوابها علي ما عاجلته في أمرها فأوجب لي بذلك الاجر واجزل لي عليه الذخر إنك على كل شيء قدير ولم يأخذ بما ساق اليها في مهرها قليلا ولا كثيرا وكان عبد الله بن سلام سأل ذلك أرينب أي التعويض على الحسين فاجابته إلى رد ماله عليه شكرا لما صنعه بهما فلم يقبله وقال الذي أرجوا عليه من الثواب خير لي منه . فقبضتها عبد الله بن سلام وعاشا متحابين متصادقين حتى قبضهما الله وحرهما الله على يزيد . والحمد لله رب العالمين

(إبابة القوم المتمنعين عن البيعة)

قال وذكروا أن خالد بن الحنظل لما أتاه الكتاب من يزيد قطع به فدعا مروان بن الحنظل وكان على المدينة قبله فلما دخل عليه مروان وذلك في أول الليل فقال له خالد احتسب صاحبك يا مروان فقال له مروان أكتنم ما بلغك إنا لله وإنا إليه راجعون ثم أقرأه الكتاب وقال له ما الرأي فقال أرسل الساعة إلى هؤلاء نفر نخد بيعتهم فانهم إن بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الاسلام ففعل عليهم قبل أن يفشى الخبر فيمتنعوا فأرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمر فلما أتاهم الرسول قال عبد الله بن الزبير للحسين : ظن يا أبا عبد الله فيما أرسل إلينا فقال الحسين لم يرسل إلينا إلا للبيعة فما ترى قال آتية فان أراد تلك امتنعت عليه . فدعا الحسين مواله وأهل بيته وأقاربهم على الباب وقال لهم إن ارتفع صوتي فافتحموا الدار على وإلا فمكانكم حتى أخرج إليكم . ثم دخل على خالد فأقرأه الكتاب فقال الحسين رحم الله معاوية فقال له بايع فقال الحسين : لا خير في بيعة سر والظاهره خير فاذا حضر الناس كان أمراً واحداً ثم وثب إلى أهله . فقال مروان لخالد أشدد يدك بالرجل حتى يبايعك فان أبى فاضرب عنقه . فقال له ابن الزبير : قد علمت إنا كنا أبينا البيعة إذ دعانا إليها معاوية وفي نفسه علينا من ذلك ما لا نجمله ومتى ما نبايعك ليلا على هذه الحال نرى أنك أغضبتنا على أنفسنا دعنا حتى نصبح ندعو الناس إلى البيعة فنأتيك نبايعك بيعة سليمة صحيحة فلم يزالا به حتى خلا عنهما وخرجا : فقال مروان لخالد : تركتهما والله لا تظفر بمثلها منهما أبداً فقال ويحك أتشير على أن أقتل الحسين فوالله ما يسرفني إن لي في الدنيا وما أحسب أن قاتله يلقى الله بدمه إلا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان مستهزئاً إن كنت إنما تركت ذلك لذلك فقد أضدت

قريش بمكة يعنى عبد الله بن الزبير

(كتاب يزيد بالبيعة الى أهل الشام)

قال وذكروا أن نافع بن حبير قال انى بالشام يوم موت معاوية وكان
يزيد غائباً واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتى يقدم يزيد فلما مات
معاوية خرج الضحاك على الناس فقال لا يحمن نعش أمير المؤمنين إلا قرشى
قال فحملته قريش ساعة ثم قال أهل الشام أصلح الله الأمير اجعل لنا من أمير
المؤمنين نصيباً فى موته كما كان لنا فى حياته قال فاحملوه فحملوه وازدحموا عليه حتى
شقوا البرد الذى كان عليه صدعين قال فلما قدم يزيد دمشق بعد موت أبيه إلى عشرة
أيام كتب إلى خالد بن الحكم وهو عامل المدينة : أما بعد فإن معاوية بن أبى سفيان
كان عبداً استخلفه الله على العباد ومكن له فى البلاد وكان من حادث قضاء الله
جل ثناؤه وتقدست أسماءه فيه ما سبق فى الأولين والآخرين لم يدفع عنه ملك
مقرب ولا نبى مرسل فعاش حميداً ومات سعيداً وقد قلدنا الله عز وجل ما كان
إليه فيها مصيبة ما أجلها ونعمة ما أعظمها نقل الخلافة وفقد الخليفة فنستوزعه
الشكر ونستلمه الحمد ونسأله الخيرة فى الدارين معاً ومحمود العقبى فى الآخرة
والأولى إنه ولى ذلك وكل شىء بيده لا شريك له . وإن أهل المدينة قومنا
ورجالنا ومن لم نزل على حسن الرأى فيهم والاستعداد بهم واتباع أثر الخلفية
فيهم والاحتذاء على مثاله لديهم من الاقبال عليهم والتقبل من محسنهم والتجاوز
عن مسيئهم فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا بيعة منشرحة بها صدوركم
طيبة عاينا أنفسكم . وليكن أول من يبايعك من قومنا وأهلنا الحسين وعبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر ويخلفون على
ذلك بجميع الايمان اللازمة بصدقة أموالهم غير عشرها وجزية رقيقهم وطلاق
نساءهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ولا قوة إلا بالله والسلام

بين يديه فقال دونك يا أبا جعفر هذا الكتاب فاقرأه فرأيت كتاباً قبيحاً فيه
تعريض لأهل المدينة وتحريش ثم قال : والله لا طأنهم وطأة آتت منها على أنفسهم
قال ابن جعفر فقلت له إن الله لم يزل يعرف أباك في الرفق خيراً فإن
رأيت أن ترفق بهم وتتجاوز عنهم فعلت فانما هم أهالك وعشيرتك وإنما تقتل بهم
نفسك إذا قتلهم . قال أقتل وأشقى نفسي فلم أزل ألح عليه فيهم وأرقه عليهم وكان
لى سامعاً ومطيعاً . فقال لى : ان ابن الزبير حيث علمت من مكة وهو زعم أنه
قد نصب الحرب فأنا أبعث إليه الجيوش وأمر صاحب أول جيش أبعثه أن يتخذ
المدينة طريقاً وأن لا يقتل فإن أقروا بالطاعة ونزعوا من غيرهم وضلأهم فلهم
على عهد الله وميثاقه أن لهم عطاءين فى كل عام ما لا أفعله بأحد من الناس طول
حياتي عطاء فى الشتاء وعطاء فى الصيف ولهم على عهدنا أن أجعل الخنطة عندهم كسعر
الخنطة عندنا والخنطة عندهم سبع أصع والعطاء الذى يذكرون أنه احتبس عنهم
فى زمان معاوية فهو على أن أخرجه لهم وافراً كاملاً فإن أنا بوا وقبلوا ذلك
وجازوا إلى ابن الزبير وإن أبوا قاتلهم ثم ان ظفر بها انهيها ثلاثاً هذا عهدى الى
صاحب جيشى لمكانك ولطابتك فيهم ولما زعمت أنهم قومي وعشيرتى قال عبد الله
ابن جعفر فرأيت لهم هذا فرجاً فرجعت إلى منزلى فكتبت اليهم من ليلتى كتاباً
إلى أهل المدينة أعلمهم فيه قول يزيد وأحضرتهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول
لما بذل لهم وأنهم أن يتعرضوا لجيوشه وقلت لرسولى أجهد السير فدخلها فى عشر
شفا أرادوا ذلك ولا قبلوه وقالوا والله لا يدخلها عنوة أبداً

(كتاب يزيد الى أهل المدينة)

قال وكتب يزيد إلى المدينة كتاباً وأمر عثمان بن محمد يقرأه عليهم فقدم
بالكتاب إلى المدينة وعثمان خائف فقرأه عليهم فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم :
أما بعد فإني قد نفسيتمكم حتى أخلفتمكم ورفعتمكم حتى آخرتكم ورفعتمكم على رأسى

(خلع أهل المدينة يزيد)

قال وذكروا أن يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاه
عثمان بن محمد بن أبي سفيان الثقفي وخرج الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير إلى
مكة وأقبل عثمان بن محمد من الشام واليا على المدينة ومكة وعلى الموسم في رمضان
فلما استولى على المنبر بمكة رجع فقال رجل مستقباه جثت والله بالدم فتلقاه رجل
آخر بعمامة فقال له والله عم الناس ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان فقال
له شعب والله أمر الناس ثم نزل فقال الناس للحسين يا أبا عبد الله لو تقدمت
فصليت بالناس فإنه ليهم بذلك إذ جاء المؤذن فأقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر
فقبل للحسين يا أبا عبد الله إذا أبيت أن تتقدم فأخرج فقال الصلاة في الجماعة أفضل
قال فصلى ثم خرج فلما انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه أن الحسين خرج قال :
اركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه فطالب فلم يدرك . قال ثم قدم المدينة
فأقبل ابن ميثاء بسراح له من الحرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية فمنع منها
وأزاحه أهل المدينة عنها وكانت أموالا اكتسبها معاوية ونحيلة يجدها مائة ألف
وست وستين ألفاً ودخل نفر من قريش والأنصار على عثمان فكلّموه فيها فقالوا
قد علمت أن هذه الأموال كلها لنا وأن معاوية آثر علينا في عطائنا ولم يعطنا قط
درهما فما فوقه حتى مضى الزمان ونالتنا الجماعة فاشتراها منا بجزء من مئة من ثمنها
فأغلظ لهم عثمان في القول وأغلظوا له فقال لهم لا كتبني إلى أمير المؤمنين بسوء رأيكم
وما أتم عليه من كمون الأضغان القديمة والأحقاد التي لم تزل في صدوركم فاذترقوا
على موجودة ثم اجتمع رأيهم على منع ابن ميثاء القيم عايبا فكف عثمان بن محمد
عنهم وكتب بأمرهم إلى يزيد بن معاوية قال عبد الله بن جعفر جاء كتاب عثمان
ابن محمد بعد هدأة من الليل وقد كنت انصرفت من عند يزيد فلم ألبث أن جاءني
رسوله فدخات عليه والشهامة بين يديه وهو غضب قد حسر عن ذراعيه والكتاب

مع عياله ، قال ثم ارتحل القوم من ذى خشب على أقبح إخراج يكون واجتثاث
منهم خوفا أن يبدو للقوم في حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك يا بني
أن هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه وكيف ذلك قال إذ لم يقتلونا أو
يجسونا فإن بعث إليهم بعثا كنا في أيديهم وما أخوفنى أن يفطنوا لهذا الأمر
فبيعنوا في طلبنا فالوحا الوحا والنجا والنجا

(ارسال يزيد الجيوش عليهم)

قال فلما أجمع رأى يزيد على ارسال الجيوش صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال : أما بعد يا أهل الشام فإن أهل المدينة أخرجوا قومنا منها والله لئن تقع
الخصراء على الغبراء أحب إلى من ذلك ، وكان معاوية قد أوصى يزيد فقال له
إن رابك منهم ريب أو انتقص عليك منهم أحد فعليك بأعور بنى مرة مسلم
ابن عقبة فدعا به فقال سر إلى هذه المدينة بهذه الجيوش وإن شئت أعفيتك فاني
أراك مدنفاً منهوكا فقال نشدتك الله أن لا تحرمنى أجراً ساقه الله إلى أو تبعث
غيرى فاني رأيت في النوم شجرة غرقند تصيح أغصانها يا ثارات عثمان فأقبلت إليها
وجعلت الشجرة تقول إلى يا مسلم بن عقبة فأثيت فأخذتها فعبثت ذلك أن
أكون أنا القائم بأمر عثمان ووالله ما صنعوا الذى صنعوا إلا أن الله أراد بهم
الهلاك . فقال يزيد فسر على بركة الله فأنت صاحبهم نخرج مسلم فعسكر وعرض
الأجناد فلم يخرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين على خيل
عراب وسلاح شاك وإداة كاهلة ووجه معه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حتى
خرج نخرج معه يزيد فودعه وقال له إن حدث بك حدث فأمر الجيوش الى
حصين بن نمير فانهض باسم الله الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقاً إليه فان صدوك
أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثا فقال مسلم بن عقبة أصلح الله
الأمير لست بأخذ من كل ما عهدت به إلا بحرفين قال يزيد وما هما ويحك قال

ثم وضعتكم وأيم الله لئن أشرت أن اضعكم تحت قدمي لا طأنكم وطأة أقل منها
عددكم وأترككم أحاديث تتناسخ كأحاديث عاد وثمود وأيم الله ليأتينكم مني أولى
من عقوبي فلا أفلح من ندم

(ما أجمع عليه أهل المدينة ورأوه من إخراج بني أمية)

قال وذكروا أنه لما قرأ الكتاب تكلم عبد الله بن مطيع ورجال معه كلاماً
قبيحاً فلما استبان لهم أن يزيداً باعث الجيوش اليهم أجمعوا على خلافهم واختلفوا
في الرئاسة أيهم يقوم بهذا الأمر . فقال قائل ابن مطيع وقال قائل ابراهيم بن نعيم
ثم اجتمع رأيهم أن يقوم بأمرهم حنظلة وهرب عثمان بن محمد منهم ليلاً فلحق
بالشام ثم أخذ مروان بن الحكم وكبراء بني أمية فأخرجوهم عن المدينة فقالوا
الشقة بعيدة ولا بد لنا لما يصلحنا ولنا عيال وصدية ونحن نريد الشام قال فاستنظروا
عشرة أيام فانظروا ثم اجتمع رأي أهل المدينة أن يحلفوا كبراء بني أمية عند منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردونه عنهم إن استطاعوا
فإن لم يستطيعوا مضوا إلى الشام ولم يرجعوا معهم فحلفوا لهم على ذلك وشرطوا
عليهم أن يقيموا بذى خشب عشرة أيام فخرجوا من المدينة وتبعهم الصيادان وسفهاء
الناس يرمونهم بالحجارة حتى انتهوا إلى ذى خشب ولم يتحرك أحد من آل عثمان
ابن محمد ولم يخرج من المدينة فلما رأت بنو أمية ما صنع بهم أهل المدينة من
إخراجهم منها اجتمعوا إلى مروان فقالوا يا أبا عبد الملك ما الرأي قال من قدر
منكم أن يغيب حريمه ليفعل فأنما الخوف على الحرمة فغيبوا حرمهم فأقى مروان
عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك تريد الخروج إلى مكة وتغيب
عن هذا الأمر فأحب أن أوجه عيالي معك فقال ابن عمر إني لا أقدر على مصاحبة
النساء قال فتجعلهم في منزلك مع حرمك قال لا آمن أن أدخل على حريمي من
أجل مكانكم . فكلهم مروان علي بن الحسين فقال نعم فضمهم علي إليه وبعث بهم

فأبوا إلى الله بلاء حسناً ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم رضوانه واستعدوا بأحسن عدتكم وتأهبوا بأكمل أهبتكم فقد أخبرت بأن القوم نزولوا بذي خشب ومعهم مروان بن الحكم والله إن شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاحب الناس وجعلوا ينالون منه ويسبونونه فقال لهم أن الشتم ليس بشيء ولكن نصدقهم اللقاء والله ما صدق قوم قط إلا نصروا ثم رفع يديه إلى السماء وقال اللهم إنا بك واثقون وعليك متوكلون واليك ألقأنا ظهورنا ثم نزل وكان عبد الله بن حنظلة لا يبيت إلا في المسجد الشريف وكان لا يزيد على شربة من سويق يقطر عليها إلى مثلها من الغد .

(قدوم الجيوش إلى المدينة)

قال وذكروا أن أهل الشام لما انتهوا إلى المدينة عسكروا بالجرف ومشوا رجلاً من رجالهم فأخذوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون مدخلا لأنهم قد خندقوها عليهم والناس متلبسون السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق وقد حرسوا أن لا يتكلم منهم متكلم وجعل أهل الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الأكام والبيوت حتى خرجوا فيهم وفي خيلهم فقال مسلم لمروان أين ما قلت لي بوادي القرى . فخرج مروان حتى جاء بني حارثة فسلمهم رجال منهم ورغبة في الصنيعة وقال افتح لنا طريقاً فأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذل لأهل المدينة من العطاء وتضعيفه ففتح له طريقاً ورغب فيما بذل له وتقبل ما تضمن له من يزيد فاقتحمت الخيل فجاء الخبر إلى عبد الله بن حنظلة فأقبل وكان من ناحية الطورين وأقبل عبد الله بن مقطع وكان من ناحية ذناب وأقبل ابن أبي ربيعة فاجتمعوا جميعاً بمن معهم بحيث اقتحم عليهم أهل الشام فاقتتلوا حتى عابوا الموت ثم تفرقوا

أقبل من المقلب الطائع وأقتل المدبر العاصي فقال يزيد : حسبك ولكن اليان
لا يضرك والتأكيد ينفعك فإذا قدمت المدينة فن عاقلك عن دخولها أو نصب لك
الحرب فالسيف السيف أجهز على جريحهم وأقبل على مدبرهم وإياك أن تبقى عليهم
وإن لم يتعرضوا لك فامض الى ابن الزبير . فمضت الجيوش فلما نزلوا بوادي القرى
لقيتهم بنو أمية خارجين من المدينة فرجعوا معهم واستخبرهم مسألة بن عقبة عما
خلفهم وعما لقوا وعن عددهم فقال مروان عددهم كثيراً أكثر مما جئت به من
الجيوش ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة
ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح وقد خندقوا عليهم
وحصنوا . قال مسلم هذه أشدها علينا ولسكننا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم
خندقهم فقال مروان عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندي فيه وجه سأخبرك به
قال هاته فقال اطوه ودعه حتى يحضر ذلك قال فدعه إذا . ثم قال لهم مسلم
تريدون أن تسيروا الى أمير المؤمنين أو تقيموا موضعكم هذا أو تسيروا معنا
فقال بعضهم نسير الى أمير المؤمنين ونحدث به عهداً ، فقال مروان أما أنا فراجع
فقال بعضهم لبعض قد خلفنا لهم عند المنبر لأن استطعنا أن نرد الجيش عنهم
نردهم فكيف بالرجوع إليهم فقال مروان أما أنا فراجع إليهم فقال له قوم ما نرى
أن تفعل فأنما تقتلون بهؤلاء أنفسكم والله لا أكثرنا عليهم لمسلم جمعاً أبداً فقال
مروان أنا والله ماض مع مسلم الى المدينة فدرك ثاري من عدوى ومن أخرجنى
من بيتي وفرق بيني وبين أهلي وإن قتلت بهم نفسي فلم يرجع مع مسلم من بنو أمية
غير مروان وابنه عبد الملك وكان مجدوراً فجعله بذي خشب . فلما أيقن أهل المدينة
بقدوم الجيوش إليهم تشاوروا في الخندق وقالوا قد خندق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخندقوا المدينة من كل نواحيها . ثم جمع عبد الله بن حنظلة أهل المدينة
غير المنبر فقال تباعون على الموت وإلا فلا حاجة في بيعتكم فبايعوه على الموت
ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنما خرجتم غضبا لدينكم

على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى فرعى عبد الله بن حنظلة وهو ماد أصبعه السبابة فقال مروان أما والله لئن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيا داعيا إلى الله ومر على إبراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال أما والله لئن حفظته في الممات لقد حفظته الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو على وجهه واضعا جبهته بالأرض فقال أم' والله لئن كنت على وجهك في الممات لطال ما اقترشته حيا ساجدا لله فقال مسلم والله ما أرى هؤلاء إلا من أهل الجنة ومر على عبد الله ابن زيد وبين عينيه أثر السجود فلما نظر إليه مروان عرفه وكره أن يعرفه لمسلم فيحز رأسه فقال له مسلم من هذا فقال بعض هذه الموالي وجاوزة فقال له مسلم كلا وببت الله لقد نكبت عنه شيء فقال له مروان هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد فقال ذاك اخزى ناكث يبعته حزوا رأسه. وكان قصر بني حارثة أمانا لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه وكان بنو حارثة أمتين ما قتل منهم أحد وكان كل من نادى باسم الأمان إلى أحد من قبيلة أمتوه رجلا كان أو امرأة ثم ذبوا عنه حتى يبلغوه قصر بني حارثة فاجير يومئذ رجال كثيرة ونساء كثيرة فلم يزلوا في قصر بني حارثة حتى انقضت الثلاث قال وأول دور انتهت والحرب قائمة دور بني عبد الأشهل فما تركوا في المنازل من أثاث ولا حي ولا فراش إلا نقض صوفة حتى الحمام والدجاج كانوا يذبونها فدخلوا دار محمد بن مسلمة فصاح النساء فأقبل زيد بن محمد إلى الصوت فوجد عشرة يهبون فقاتلهم ومعه رجلان من أهله حتى قتل الشاميون جميعا وخلصوا ما أخذ منهم فأضعوا متاعهم في بئر لأماء فيها وألقى عليها التراب ثم أقبل نفر من أهل الشام فقاتلوه أيضا حتى قتل زيد بن محمد منهم أربعة عشر رجلا فضربه بالسيف منهم أربعة في وجهه ، ولزم أبو سعيد الخدري في بيته فدخل عليه نفر من أهل الشام فقال أيها الشيخ من أنت فقال أنا أبو سعيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما زلنا نسمع عنك فيحظك أخذت في تركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك واسكن أخرج إلينا ما عندك قال والله ما عندي.

(غلبة أهل الشام على أهل المدينة)

قال وذكروا أن عبد الله بن أبي سفيان قال وقعت مع قوم عند مسجد بني عبد الأشهل منهم عبد الله بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل مسلمة الكذاب ومعه عبد الله بن حنظلة وثبت بن سعد بن أبي وقاص وإبراهيم ابن فارط وإبراهيم بن نعيم بن النجار فهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لئن يقتل الرجل مقبلاً خير له من أن يقتل مدبراً قال فاقبلوا ساعة والنساء والصبيان يصيحون على قتالهم حتى جاءهم ما لا طاقة لهم به وجعل مسلم يقول من جاء رأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغري قوماً لأدين لهم فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة قال وكان على بتر بن حنظلة يومئذ درعان فلما هزم القوم طرحهما ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه ضربه رجل من أهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه فوق ميتاً فلما مات بن حنظلة صار أهل المدينة كالنعم بلا راع شروذ يقتلونهم أهل الشام من كل وجه فأقبل محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وكان جراحه لتنفث دماً وهو يقاتل ويحمل على الكرديوس منهم فيفيض جماعتهم وكان فارساً يحمل عليه أهل النمام حملة واحدة حتى نظموه بالرماح فمال ميتاً فلما قتل انهزم من بقى من الناس في كل وجه ودخل القوم المدينة فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون قال وخرج يومئذ عبد الله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل تسرع في كل وجه قتلاً ونهباً فقبل له لو علم القوم باسمك وصحبك لم يهيجوك فلوأعانتهم بمكانك . فقال والله لا أقبل لهم أماناً ولا أبرح حتى أقتل لا أفلح من ندم وكان رجلاً أبيض طويلاً أصلح فأقبل عليه رجل من أهل الشام وهو يقول والله لا أبرح حتى أضرب صاعتك وهو حاسر فقال عبد الله شريك خير لي فضربه بفأس في يده فأريت نوراً ساطعاً في السماء فسقط ميتاً وكان يومه ذلك صائماً رحمه الله : قال فجعل مسلم يطوف

قد قاتلها ولكن لا يسمع من أسير امر ارسل يدي وقد برئت مني الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه وأيم الله لو أطاعوني ما أشرت به عليهم ما تحكمت فيهم أبداً فقال مسلم والله لأقدمك الى نار تلظى ثم أمر به فضربت عنقه فقال مروان قد والله سقيتني من دماء هؤلاء القوم إلا ما كان من قريش فانك أنجيتها وأفيتها فقال مسلم والله لا أعلم عند أحد غشا لأمير المؤمنين إلا سألت الله أن يسقيني دمه فقال ان عند أمير المؤمنين عفواً هم وحلبا عنهم ليس عندك وجعل مروان يتعذر الى قريش ويقول والله لقد ساءنى قتل من قتل منكم فقالت له قريش أنت والله الذى قتلتنا ما عذرك الله ولا الناس لقد خرجت من عندنا وحلفت لنا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لترينهم عنا فان لم تستطع لتضين ولا ترجع معهم فرجعت ودلت على العورة واعنت على الهلكة فأنه لك بالجزاء . قال فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألف وسبعائة وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان . قال أبو معشر دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفسها من نساء الأنصار ومعهما صبي لها فقال لها : هل من مال قالت لا والله ما تركوا لي شيئاً فقال والله لتخرجن إلى شيئاً أو لا قتلناك وصديقك هذا فقالت له ويحك أنه ولد ابن أبي كبشة الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه يوم بيعة الشجرة على أن لا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدى ولا آتى بهتان أفقره فما أتيت شيئاً فأتق الله . ثم قالت لا بنهايا بنى والله لو كان عندي شئ لا فتديتك به قال فاخذ برجل الصبي والدى في فمه فجذبه من حبلها فضرب به الحائط فانتثر دماغه فى الأرض قال فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلاً . قال أبو معشر قال رجل بينا أنا فى بعض أسواق الشام واذا برجل ضخم فقال لى ممن أنت قلت رجل من أهل المدينة فقال من أهل الخبيثة قال فقالت له سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيغمة وسميتها خبيثة قال فبكى فقلت له ما يبكيك قال

مال فتفتوا لحيته وضربوه ضربات ثم أخذوا كلها وجدوه في بيته حتى الثوم وحتى زوج حمام كان له . وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره فجعل يمشى في بعض أزقة المدينة وهو يقول تعس من أخاف الله ورسوله فقال له رجل ومن أخاف الله ورسوله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي . فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله فترامى عليه مروان فأجاره وأمر أن يدخله منزله ويغلق عليه بابه . وكان سعيد بن المسيب رحمه الله لم يبرح من المسجد ولم يكن يخرج إلا من الليل إلى الليل وكان يسمع إذا جاء وقت الأذان آذاناً يخرج من القبر الشريف حتى أمن للناس فكان سعيد يقول ما رأيت خيراً من الجماعة ثم أمر وسلم بالأسارى فغولوا بالحديد ثم دعا إلى بيعة يزيد . فكان أول من بايع مروان بن الحكم ثم أكابر بنى أمية حتى أتى على آخرهم ثم دعا بنى أسد وكان عليهم حنقا فقال أتبايعون لعبد الله يزيد ابن أمير المؤمنين ولبن استخلف عليكم بعده إلى أن أموالكم ودمائكم وأنفسكم خول له يقضى فيها ما شاء . فقال يزيد بن عبد الله بن زمعة : إنما نحن نفر من المسلمين لنا ما لهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا أقبل ولا تشرب البارد بعدها أبداً فأمر به فضربت عنقه . ثم أتى بمعقل بن سنان وكان معقل حاملاً لواء قومه النخع مع رسول الله فما دخل عليه قال أعطشت يامعقل قال أصلح الله الأمير قال له حوصوا له شربة من سويق اللوز الذى زودنا به أمير المؤمنين فلما شربها قال له رويت قال نعم فقال مسلم أما والله لا تبولها من مثانتك أبداً فقدم فضربت عنقه ثم قالت ما كنت لأدعك بعد كلامي سمعته منك تطعن به على أمالك وكان معقل قد طعن بعد الطعن على يزيد قبل ذلك فيما بينه وبين مسلم على الاستراحة بذلك ثم أمر بمحمد بن أبى الجهم وجماعة من وجوه قریش والأنصار وخيار الناس والصحابه والتابعين ثم أتى بعبد الله بن الحارث مغلولاً فقال مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلاً من بنى أمية لا تروا شراً أبداً قال

(كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد)

قال وذكروا أن مسلماً لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها كتب إلى يزيد بن معاوية - بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من مسلم بن عقبة سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد تولى الله حفظ أمير المؤمنين والكفاية له فإني أخبر أمير المؤمنين أبقاه الله إني خرجت من دمشق ونحن على التعجبة التي رأى أمير المؤمنين يوم فراقنا بوادي القرى فرجع معنا مروان بن الحکم وكان لنا عوناً على عدونا وإنا انتهينا إلى المدينة فإذا أهلها قد خندقوا عليها بالخنادر وأقاموا على انقلبها الرجال بالسلاح وادخلوا ما شئتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما يقولون وإنا اعذرنا لهم أو خبرناهم بعبد أمير المؤمنين وما بذل لهم فأبوا ففرقت أصحابي على أفواه الخنادق فوليت الحصين بن نمير ناحية ذناب وما والاها بعلها الموالي ووجهت حبش بن دجلة إلى ناحية بني سلبة ووجهت عبد الله بن مسعدة إلى ناحية بقیع الغرقد وكننت ومن معي من قواد أمير المؤمنين ورجاله في وجوه بني حارثة فادخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الأشهل بطريق فتحة لنا رجل منهم بما دعاه إليه مروان ابن الحکم إلى صنع أمير المؤمنين وقد تضمن له عنه من قرب المكان وجزيل العطاء وإيجاب الحق وقضاء الذمام وقد بعث به أمير المؤمنين وأرجو من الله عز وجل أن يلهم خليفته وعبد عرفان ما أولى من الصنع وأمدى من الفضل وكان أكرم الله أمير المؤمنين من محمود مائة مروان بن الحکم وجميل مشهده وشديد بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين ما لا أخال ذلك ضائعاً عند إمام المسلمين وخليفة رب العالمين إن شاء الله . وسلم الله رجال أمير المؤمنين فلم يصب أحد منهم بمكره ولم يقم لهم عدوهم ساعة من ساعات نهارهم فما صليت الظهر أصلح

العجب والله : كنت أغزو الصائفة كل عام زمن معاوية فأثبت في المنام فقيلاً لي أنك تغزو المدينة وتقتل فيها رجالاً يقال له محمد بن عمرو بن حزم وتكون فقتله من أهل النار . قال فقلت هذا من شأن المدينة ولا يقع في نفس مدينة الرسول قال فقلت لعلها بعض مدائن الروم فكنت أغزو ولا أسل فيها سيفاً حتى مات معاوية وولي يزيد فضرب بهك المدينة فأصابني القرعة قال فقلت هي هذه والله فأردت أن يأخذوا مني بديلاً فأبوا فقلت في نفسي أما إذا أبوا فاني لا أسل فيها سيفاً . قال فحضرت الحرة فخرج أصحابي يقاتلون وجلس في فسطاطي فلما فرغوا من القتال جاءنا أصحابنا فقالوا دخلنا وفرغنا من الناس . فقال بعض أصحابي لبعض تعالوا حتى ننظر إلى القتلى فتقلدت سيفي وخرجت فجعلنا ننظر إلى القتلى ونقول هذا فلان وهذا فلان فإذا رجل في بعض تلك الدارات في يده سيف وقد أزد شدقاه وحوله صرعى من أهل الشام فلما أبصرني قال يا كلب أحقن عني ذمك قال فنسيت والله كل شيء فحملت عليه فقاتلته فقتلته فسطع نور بين عينيه وسقط في يدي قلت من هذا فقيلاً لي هذا محمد بن عمرو بن حزم فجعلت أدور مع أصحابي فيقولون هذا فلان وهذا فلان فر إنسان لا يعرف فقال من قتل هذا ويحكم يريد محمد بن عمرو بن حزم قتله الله والله لا يرى الجنة بعينه أبداً

(ع . من قتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم)
قال وذكر أنه قتل يوم الحرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلاً ولم يبق بدرى بعد ذلك ومن قريش والأنصار سبعائة ومن سائر الناس من الموالى ومغرب ومتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة في ذي الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين . قالوا وكان الناس يعجبون من ذلك أن ابن الزبير لم يصلوا إليه إلا بعد ستة أشهر ولم يكن مع ابن الزبير إلا نفر قليل وكان بالمدينة أكثر من عشرة آلاف رجل والله ما استطاعوا أن يناهضوهم يوماً إلى الليل

ابن الزبير بمكة فنزل في بعض الطرق فدعا الحصين بن نمير فقال له يا برذعة الحمار إنه كان من عهد أمير المؤمنين أن حدث بي حدث الموت أن أعهد إليك فاسمع بك عالم لا تمكن قريشا من أذنك إذا قدمت مكة فانما هو الوقاف ثم التفاف ثم الانصراف . ثم مات فدفن في ثنية المشلل فلما تفرق القوم عنه أتمته أم ولد ليزيد ابن عبد الله بن زهراء وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه فلما انتهت إلى لحده وجدت أسرد من الأساود منطويا في رقبته فاتحاه فتهيبته ثم لم تنزل به حتى تحنى لها عنه فصلبته على المشلل . قال الضحاك : فحدثني من رآه يرى كما يرى قبر أبي رغال

(فضائل قتلى أهل الحرة رحمهم الله)

قال وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في سفر من أسفاره فلما مر بجرة بنى زهرة وقف فاسترجع فقالوا ما هو يا رسول الله قال : يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي . قال وذكروا أن عبد الله بن سلام وقف بالحرّة زمان معاوية بن أبي سفيان فقال أجد في كتاب يهود الذي لم يبدل ولا يغير أنه يكون ههنا ممثلة قوم يحشرون يوم القيامة واضعي سيوفهم على رقابهم حتى يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفون بين يديه فيقولون قتلنا فيك . قال وذكروا عن داود بن الحصين قال عندنا قبور قوم من قتلى الحرّة قتل ما حركت إلا فاح منها ريح المسك . وقال بعضهم عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه قال رأيت عبد الله ابن حنظلة في منامي بأحسن صورة معه لواؤه فقلت يا أبا عبد الرحمن أقلت قال بلى فقلت رب فأدخاني الجنة فأنا أسرح في ثمارها حيث شئت قلت فاصحابك فما صنع بهم قال هم همى وحول لوائي هذا الذي ترى لم يحل عقدة بعد . وقال الأعرج كان الناس لا يلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرّة فلما قتل الناس بالحرّة استحبوا أن يلبسوها وقد مكث النوح في الدور على أهل الحرّة سنة لا يهدمون .

الله أمير المؤمنين إلا في مسجدهم بعد القتل الزريع والانتهاز العظيم وأوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرف لنا منهم واتبعنا مدبرهم وأجهزنا على جريحهم وانهبناها ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين أعز الله نصره وجعلت دور بني الشهيد المظلوم عثمان بن عفان في حرز وأمان فالحمد لله الذي شفا صدرى من قتل أهل الخلاف القديم والنفاق العظيم فطالمنا عتوا وقديما ما طغوا وكتب الى أمير المؤمنين وأنا في منزل مسجيد بن العاص مدنفاً مريضاً ما أراى إلا لما بي فما كنت أبالي متى مت بعد يومى هذا وكتب لهلال المحرم سنة ثلاث وستين . فلما جاء الكتاب أرسل إلى عبد الله بن جعفر وإلى ابنه معاوية بن يزيد فأقرأهما الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر واكثر وبكى معاوية بن يزيد حتى كادت نفسه أن تخرج وطال بكأوه فقال يزيد لعبد الله بن جعفر ألم أجبك إلى ما طلبت واسعفتك فيما سألت فبذلت لهم العطاء وأجزلت لهم الاحسان واعطيت لهم الاحسان واعطيت العهود والمواثيق على ذلك فقال عبد الله بن جعفر فمن هناك واسترجعت وتأسفت عليهم إذ اختاروا البلاء على العاقبة والفاقة على النعمة ورضوا بالحرمان دون العطاء ثم قال يزيد لابنه معاوية : فما بكأوك انت يا بنى قال أبكى على قتل من قتل بهم وإنما قتلنا بهم أنفسنا فقال يزيد هو ذاك قتلت بهم نفسى وشفيتى . قال وسأل مسلم بن عقبة قبل أن يرتحل عن المدينة عن على بن الحسين احاضر هو فقيل له نعم فأتاه على بن الحسين ومعه ابناه فزحبا بهما وسهلا وقربا وقال أمير المؤمنين اوصانى بك فقال على بن الحسين وصل الله أمير المؤمنين وأحسن جزاءه ثم انصرف عنه . ولم يكن أحد نصب للحرب من بنى هاشم ولزموا بيوتهم فسدوا إلا ثلاثة منهم تعرضوا للقتال فاصيدوا

(موت مسلم بن عقبة ونبشه)

قال وذكروا أن مسلم بن عقبة ارتحل عن المدينة وهو يحود بنفسه يريد

الإمام في الشريعة

تأليف

الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قنينة

المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله

(الجزء الثاني)

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

إصاهاها مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

وقال عبد الله بن أبي بكر كان أهل المدينة أعز الناس وأهيبهم حتى كانت الحرة فاجتروا الناس عليهم فهانوا . قال الزهري بلغ القتل يوم الحرة من قريش والأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعائة وسائر الناس عشرة آلاف من أخلاط الناس والموالي والعبيد وأصيب نساء وصبيان وكان قدوم أهل الشام المدينة الثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين فانتهبوها ثلاثاً حتى رأوا هلال المحرم ثم أمسكوا بعد أن لم يبقوا أحداً به رمق . وقتل بها من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلاً ولم يبق بعد ذلك بدرى . وقالوا قال عيسى بن طلحة : قلت لعبد الله بن مطيع كيف نجوت يوم الحرة ؟ قال : رأيت ما رأيت من غلبة أهل الشام وصنع بني حارثة الذى صنعوا من إدخالهم علينا أهل الشام فذكرت قول الحارث بن هشام يوم بدر وعلبت انى لا يضر عدوى مشهدى ولا ينفع ولى فتواريت ثم لحقت بابن الزبير وكنت أعجب كل العجب أن ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة أشهر ولم يكن معه إلا نفر يسير قوم من قريش من الخوارج وكان معنا يوم الحرة ألفا رجل كلهم ذوو حفاظ فما استطعنا أن نحبسهم يوماً الى آخر الليل

تم الجزء الأول

الى عمرو بن سعيد قال قد جئتك برجل لو أمرته أن ينسكح أمه لنسكحها فقال عمرو لعنك الله من شيخ قال فبعثهم الى مكة يقاتلون ابن الزبير فهزم عمرو بن الزبير وبعث يزيد بن معاوية عبد الله بن مستعدة الفزاري يخطب الناس بالمدينة فقال في خطبته : أهل الشام جند الله الأعظم وأهل الشام خير الخلق فقال الحارث ابن مالك اذن لي أتكلم فقال اجاس لا أجلسك الله قال فتشهد الحارث وقال : لعمر الله لنحن خير من أهل الشام ما تقمت من أهل المدينة إلا لأنهم قتلوا أباك وهو يسرق لفاح النبي صلى الله عليه وسلم أنسيت طعنة أبي قيادة استأييك بالرحم نخرج منه جعصوص مثل هذا وأشار إلى ساعده ثم جلس.

(ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن علي)

قال وذكروا أن يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد وأمر الوليد بن عقبة وخرج الحسين بن علي إلى مكة فمال الناس اليه وكثروا عنده واختلفوا اليه وكان عبد الله بن الزبير فيمن يأتيه. قال فأتاه كتاب أهل الكوفة فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : للحسين بن علي من سليمان بن صردو المسيب ورفاعة بن شداد وشيعته من المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي اعتدى على هذه الأمة فانزعها حقوقها وأغصها أمورها وغلبها على فيها وتأمرها عليها على غير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها فبعداً له كما بعدت ثمود إنه ليس علينا امام فاقدم علينا لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى فان النعمان بن بشير في قصر الامارة ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد باغنا مخرجك أخرجناه من الكوفة وألحقناه بالشام . قال فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل الى الكوفة يبايعهم له وكان على الكوفة النعمان بن بشير فقال : لا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من ابن بحدل قال فبلغ ذلك يزيد فأراد أن يعزله فقال لأهل الشام أشيروا على من استعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأى معاوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً

(ذكر اختلاف الرواة في وقعة الحرة وخبر يزيد)

قال وذكروا أنه لما بويع يزيد بن معاوية خرج الحسين حتى قدم المدينة فاقام هو وابن الزبير . قال و قدم عمرو بن سعيد بن العاص في رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عقبة فلما استوى على المنبر رفع فقال اعرابي مستقبلي مه جاءنا والله بالدم فتلقاه بهامة فقال مه عم والله الناس . ثم قام يخطب فقاوله عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله الناس ثم خرج إلى مكة فقدمها يوم التروية فصلى الحسين ثم خرج . فلما انصرف عمر بلغه أن الحسين خرج فقال : اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فسكان الناس ينجون من قوله هذا قال فطلبوه فلم يدركوه فأرسل عبد الله ابن جعفر ابنيه عوناً ومحمداً ليردا الحسين فأبى أن يرجع وخرج الحسين بابي عبد الله بن جعفر معه ورجع عمر بن سعيد بن العاص الى المدينة فأرسل إلى ابن الزبير فأبى أن يأتيه وامتنع برجال معه من قريش وغيرهم قال فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير قال فضرب على أهل الديوان البعث إلى مكة وهم كارهون للخروج فقال لهم اما أن نأتوا بيدل وإما أن نتخرجوا . قال فشاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمائة درهم الى عمرو بن سعيد فقال قد جئت برجل بدلي فقال الحارث للرجل الذي استأجره هل لك أن أزيدك خمسمائة أخرى وتسكب أمك فقال أما تستحي فقال إنما حرمت عليك أمك في مكان واحد وحرمت عليك السكبة في كذا وكذا مكان من القرآن قال فنجاء به

وهو قصير فقدمه لضرب عنقه فقال دعني أوصي فنظر في وجوه الناس فقال لعمر بن سعيد ما أرى هاهنا من قریش غيرك فادن مني حتى أكلبك فدنا منه فقال له هل لك أن تسكون سيد قریش ما كانت قریش إن الحسين ومن معه وهم تسمعون بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب اليهم بما أصابني . قال فضرب عنقه والقاه فقال عمرو هو أعظم من ذلك فأى شيء هو قال أخبرني ان الحسين ومن معه قد أقبل وهم تسعون انسانا بين رجل وامرأة فقالوا أما والله إذ ذلك عليه لا يقاتلهم أحد غيرك .

(قتال عمرو بن سعيد الحسين وقتله)

قال وذكروا أن عبيد الله بن زياد بعث جيشا عليهم عمرو بن سعيد وقد جاء الحسين الخبر فهم أن يرجع ومعه خمسة من بني عتيل فقالوا له أنرجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نتق به فقال لبعض أصحابه والله مالي عن هؤلاء من صبر قال فلقية الحسين على خيولهم بوادي السباع فلقوهم وليس معهم ماء فقالوا يا ابن بنت رسول الله استقنا فاخرج لكل فارس صحيفة من ماء فسقاهم بقدر ما يمسك برمقهم قالوا يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زالوا يرجونه وأخذوا به على الجرف حتى نزلوا بكر بلاء فقال الحسين أى أرض هذه قالوا كربلاء قال : هذا كرب وبلاء قال فانزلوا وبينهم وبين الماء ربوة فأراد الحسين وأصحابه الماء فخلوا بينهم وبينه فقال له شهر بن حوشب لا تشربوا منه حتى تشربوا من الخيم فقال عباس بن علي يا أبا عبد الله نحن على الحق فنقاتل قال نعم فركب فرسه وحمل بعض أصحابه على الخيول ثم حمل عليهم فمكشفتهم عن الماء حتى شربوا وأسقوا ثم بعث عبيد الله بن زياد عمرو بن سعيد يقاتلهم . قال الحسين يا عمرو إختبرني ثلاث خصال إما أن تتركني أرجع كما جئت فان آيت هذه فأخبرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت أو تسيرني إلى يزيد فاضع يدي في يده

قال نعم قالوا فان الصك بأمره عبد الله بن زياد على العراقيين قد كتبه في الديوان قال فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل أن يقدم الحسين وباع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفا من أهل الكوفة فنهضوا معه يريدون عبد الله بن زياد فجعلوا كلما أشرفوا على زقاق انسل منهم ناس حتى بقي مسلم في شردمة قليلة قال فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما رأى ذلك دخل دار هانيء بن عروة المرادي وكان له فيهم رأي هانيء بن عروة أن لى من ابن زياد مكانا وسوف أتمارض له فاذا جاء يعزوني فاضرب عنقه فقبل لابن زياد أن هانيء شاك بقاء الدم قال وشرب المغرة فجعل يقيؤها قال فجاء ابن زياد يعودده وقال هانيء اذا قلت اسقوني فاخرج اليه فاضرب عنقه فابطئوا عليه فقال ويحكم اسقوني ولو كان فيه ذهاب نفسي قال فخرج عبيد الله بن زياد ولم يصنع الآخر شيئا وكان من أشجع الناس ولكنه أخذته كبرة فقيل لابن زياد والله ان في البيت رجلا متسلحا قال فارسل زياد بن هانيء فقال إني شاك لا أستطيع النهوض فقال اتوني به وإن كان شاكيا قال فاخرج له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا ويقف ويقول مالي أذهب إلى ابن زياد فما زال كذلك حتى دخل عليه فقال له عبيد الله بن زياد يا هانيء اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال بلى فقال يا هانيء قد كانت لكم عندي يد بيضاء أمنتك على نفسك ومالك فتناول العصا التي كانت في يد هانيء فضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب عنقه قال وأرسل جماعة الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه فما زاح يقاتلهم حتى أخرج وأسر . فلما أسر بعث الرجال فقال اسقوني ماء قال ومعه رجل من بني معيط ورجل من بني سليم يقال له شهر بن حوشب فقال شهر بن حوشب لا أسقيك إلا من البئر فقال المعيط والله لا نسقيه إلا من الفرات قال فامر غلاما فأثاه بباريق من ماء وقدح قوارير ومنديل قال فسقاه فتمضمض فخرج الدم فما زال يمسح الدم ولا يسيغ شيئا حتى قال اخرره عني . قال فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد

أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها أن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور . قال فغضب يزيد وجعل يبعث بلحيته وقال : وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . يا أهل الشام ما ترون في هؤلاء فقال رجل من أهل الشام لا تتخذون من كلب سوء جرواً . فقال النعمان بن بشير يا أمير المؤمنين أصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتم هذه الحال فقالت فاطمة بنت الحسين يا يزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى يزيد حتى كادت نفسه للمقيض وبكى أهل الشام حتى علت أصواتها ثم قال حلوا عنهم واذهبوا إلى الحمام وأغسلوهم وأضربوا عليهم القباد ففعلوا وأمات عليهم المطبخ ركسهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الأموال والكسوة ثم قال لو كان بينهم وبين عاض بطن أمه نسب ما قتلهم أرجعوا إلى المدينة قال فبعث بهم .

(اخراج بنى أمية عن المدينة وذكر قتال أهل الحرة)

قال وذكروا في قصة اخراج بنى أمية عن المدينة قال بعث عثمان بن محمد أمير المدينة إلى يزيد بقميصه مشقوقاً وكتب إليه : واغوثاه إن أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة قال أبو معشر نخرج يزيد ببد العتة ومعه شمتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره وعليه مصفرتان وقد نقش جبهته كأنما تدهن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل الشام فإنه كتب إلى عثمان بن محمد أن أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة والله لأن تقع الخضراء على النبراء أحب إلى من هذا الخبر . قال وكان معاوية أوصى يزيد فقال له : إن رأيك من قومك ريب أو تنقص عليك منهم أحد فعليك بأعور بنى مرة فاستشره يعنى مسلم بن عقبة فلما كانت تلك الليلة قال يزيد ابن مسلم بن عقبة فقام فقال ها أنا ذا قال عبي ثلاثين الفا من الخيل قال وكان معقل بن سنان الاشجعي نازلاً على مسلم بن عقبة فقال له مسلم بن عقبة إن أمير المؤمنين أمرني أن أتوجه إلى المدينة في ثلاثين الفا

فيحكم في بما يريد . فارسل الى ابن زياد بذلك فهم أن يسيره الى يزيد فقال له
شهر بن حوشب قد أمكنك الله من عدوك وتسيره الى يزيد والله لئن سار الى
يزيد لأرأى مكروها وليكونن من يزيد بالمسكان الذي لا تناله أنت منه ولا غيرك
من أهل الارض لا تسيره ولا تبلعه ريقه حتى ينزل على حكمك فارسل اليه لا
الا أن تنزل على حكمي فقال الحسين انزل علي حكم من رايته لا والله لا أفعل
الموت دون ذلك وأحلى . قال وأبطأ عمرو بن سعيد عن قتاله فارسل عبيد الله
ابن زياد الى شهر بن حوشب أن تقدم عمرو يقاتل وإلا فاقتله وكن أنت مكانه
قال وكان مع عمرو بن سعيد من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا
يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون
واحدة منها فتحولوا مع الحسين فقاتلوا قال فرأى رجل من أهل الكوفة عبد الله
ابن الحسين بن علي على فرس وكان من أجمل الناس قال لا تقتلن هذا الفتى فقليل
له ويحك ما تصنع بقتله دعه قال فحمل عليه فضربه فقطع يده ثم ضربه ضربة
أخرى فقتله ثم اقتتلوا جميعا فقتل يومئذ الحسين بن علي وعباس بن علي وعثمان
ابن علي وأبو بكر بن علي وجعفر بن علي وأمههم أم البنين بنت حرام الكلابية
وابراهيم بن علي وأمه أم ولد وعبد الله بن علي وخمسة من بني عقيل وابنان
لعبد الله الحسين جعفر عون ومحمد وثلاثة من بني هاشم ونساء من نسائهم وفيهم
فاطمة بنت الحسين بن علي وفيهم محمد بن الحسين بن علي .

(قدوم من أسر من آل علي على يزيد)

قال وذكروا أن أبا معشر قال : حدثني محمد بن الحسين بن علي قال دخلنا
على يزيد ونحن اثنا عشر غلاما مغلاين في الحديد وعائنا قيض فقال يزيد اخلصتم
أنفسكم بعيد أهل العراق وما علمت يخرجون أبي عبد الله حين خرج ولا بقتله
حين قتل . قال فقال علي بن الحسين : ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في

الله يزيد أمير المؤمنين على أنكم خول له مما أفاء الله عليه بأسياف المسلمين إن شاء وهب.
وإن شاء أعتق وإن شاء استرق قال يزيد لانا أقرب إلى أمير المؤمنين منك قال
والله لاستقبلها أبدا فقال عمرو بن عثمان انشدك الله فاني أخذته من أم سلمة بعهد
وميثاقه أن أردده اليها قال فركده برجله فرماه من فوق السري فقتل يزيد بن عبد
الله. ثم أتى حمد بن أبي جهم مغولا فقال له مسلم أنت القاتل اقتلوا سبعة عسرا
رجلا من بني أمية لا تروا سرا أبدا. قال : قد قتلها ولكن لا يسمع لقصير أمر
فارسل يدي وقد برأت مني الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه قال لا والله حتى اقدمك
إلى النار قال فضرب عنقه وجاء معقل بن سنان الاشجعي وكان جالسا في بته فاتاه
مائة رجل من قومه فقالوا له اذهب بنا إلى الأمير حتى نبايعه فقال لهم إني قد قلت له
قولا وأنا أتخوف فقالوا لا والله لا يصل اليك أبدا فلما بلغوا الباب ادخلوا معقل
وحبسوا الآخرين وأغلقتوا الباب فلما نظر اليه مسلم بن عقبة قال إني أرى شيئا
قد تعب وعطش استموه من البلح الذي زودني به أمير المؤمنين قال فحاضوا له
بلحا بعسل فشربه قال له أشربت قال نعم قال والله لا تبوها من مائتك أبدا أنت
القاتل اركب فيلا أو فيلة وتكون أبايسكوم فقال معقل أما والله لقد تخوفت ذلك
منك وانما غلبتني عشيرتي قال فجعل يفرى جبة كانت عليه وكان اكره أن يلبسوها
فضرب عنقه ثم سار إلى مكة حتى إذا بلغ قفا المشلل أدنف فدعا الحصين بن نمير
فقال له يا ابن بردعة الحمار والله ما خلق الله أحدا أبغض إلى منك ولولا أن أمير
المؤمنين أمرني أن أستخلفك ما استخلفتك اتسمع قال نعم قال لا نكون إلا على الوقاف
ثم القاف ثم الانصراف ولا نمسكن قريشا من أذنك. ثم مات مسلم بن عقبة فدفن
بقفا المشلل وكانت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة على أثره فخرجت اليه فنبشته
من قبره ثم أحرقت عليه النار وأخذت اكفانه وشقتها وعلقتها بالشجرة فكل
من مر عليه يرميه بالحجارة وسار الحصين حتى جاء إلى مكة فدعاهم إلى الطاعة
وعبد الله بن الزبير يومئذ بمكة فلم يجبه فقاتله فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلا

فقال له استعنه قال لا قال : فاركب فيلا أو فيلة وتسكون أبا يكسوم فرض مسلم قبل خروجه من الشام فادنف فدخل عليه يزيد بن معاوية يعود وقال له قد كنت وجهتك لهذا البحث وكان أمير المؤمنين معاوية قد أوصاني بك وأراك مدنفاً ليس فيك سفره فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله الى انما أنا امرؤ وليس بي بأس قال فلم يطق من الوجع أن يركب بعيراً ولا دابة فوضع على سرير ووجهه الرجال على أعناقهم حتى جاءوا مكاناً يقال له البتراء فاردوا النزول به فقال لهم ما اسم هذا المكان فقيل له البتراء فقال لا تنزلوا به ثم سار حتى حاجزه فنزل به فarsل إلى أهل المدينة إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم أنتم الأصل والعشيرة والأهل فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا فان لكم عندي في عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنة عطاء في الصيف وعطاء في الشتاء ولكم عند عهد الله وميثاقه أن أجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا والحنطة يومئذ سبع أصع بدرهم وأما العطاء الذي ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعلى أن أخرجه لكم وكان عمرو بن سعيد قد أخذ أعطياتهم فاشتري بها عبيدا لنفسه فقالوا لمسلم نخاه كما نخلك سائماً يعنيون يزيد وكما نخلك نعالنا قال فقاتلوهم فهزم الناس أهل المدينة . قال أبو هريرة حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال قتل بضعة وسبعون رجلاً من قریش وبضعة وسبعون رجلاً من الأنصار وقتل من الناس نحواً من أربعة آلاف وقتل ابن عبد الله بن جعفر وقتل أربعة أو خمسة من ولد زيد بن ثابت لصلبه فقال مسلم بن عقبة لأهل الشام كفوا أيديكم شجر محمد بن سعيد بن أبي وقاص يريد القتال فقاتلهم فقال مسلم بن عقبة انهبوا ثلاثاً قال فقتل الناس وفضحت النساء ونهبت الأموال فلما فرغ مسلم بن عقبة من القتال انتقل من منزله ذلك الى قصر بني عامر بدومة فدعا أهل المدينة من بقي منهم للبيعة قال فجاء عمرو بن عثمان بن عفان بين زيد بن عبد الله بن زمعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قال لأم سلمة أرسلي معي ابن بنتك فجاء به إلى مسلم فلما تقدم يزيد قال تباع لعبد

عباس بمكة يومئذ فخرج الى الطائف فهلك بها سنة سبعين وهو يومئذ ابن أربع وسبعين سنة رضى الله عنه

(خلافة معاوية يزيد)

قال فلما مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة فلبث واليا شهرين وليالى محبوبا لا يرى ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ايها الناس انى نظرت فيما صار الى أمركم وقلدته من ولايتكم فوجت ذلك لايسعنى فيما بينى وبين ربي أن أتقدم على قوم وفيهم من هو خير منى وأحقهم بذلك وأقوى على ما قلدته فاختاروا منى احدى خصلتين اما أن أخرج منها واستخلف عليكم من أراه لكم رضى ومقنعا ولكم الله على لا آلركم نصحا فى الدين والدنيا وإما أن تختاروا لأنفسكم وتخرجونى منها . قال فانف الناس لذلك من قوله وأبوا من ذلك وخافت بنو أمية أن تزويج الخلافة منهم فقالوا ننظر فى ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله فأمهلنا قال لكم ذلك وجماعوا على قال فلم يلبثوا بمردها إلا أياما حتى طعن فدخلوا فقالوا له استخلف على الناس من تراه لهم عند الموت تريدون ذلك لا والله لا أتزودها ما ساعدت بحلاوتها فكيف أشقى بمرارتها ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحد فقالوا لعثمان بن عنبسة تقدم فصل بالناس فأبى وقال لا أما أنا فلا حق بخالى عبد الله بن الزبير فقال له ابن زياد ان هذا ليس بزمان خالك ولا عمك فلما دفن معاوية بن يزيد وسوى عليه وبنو أمية حول قبره قال مروان أما والله يا بنى أمية انه لا بوليلى ثم قال : الملك بعد أبى ليلى لمن غلبا وماج أمر بنى أمية واختلفوا

(غلبة ابن الزبير رضى الله عنها وظهوره)

قال وذكروا إن أبا معشر قال حدثنا بعض المشيخة الذى حضر واقبال ابن الزبير

من إخوته ومعه مصعب بن عبد الرحمن والمسور بن مخزومة

(حرب ابن الزبير رضى الله عنهم)

قال وذكروا أن مسلم بن عقبة لما فرغ من قتال أهل المدينة يوم الحرة مضى إلى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى إذا كان بتديد حضره الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له: أمير المؤمنين عصاني فيك فإني ألا استخلافك بعدى فلا ترسلن بينك وبين قريش رسولاً يتمكن من أذنيك إنما هو الوقاف ثم النفاف ثم الانصراف، وهلك مسلم بن عقبة فدفن بالثنية قال وسمع بهم عبد الله بن الزبير فاحكم مرأصد مكة فجعل عليه المقاتلة وجاءه جند أهل المدينة وأقبل ابن نمير حتى نزل على مكة وأرسل خيلاً فاخذت أسفلها ونصب عليها العرادات والمجانيق وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها فقال الناس انظروا لثلاث يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل قال عبد الله بن عمرو بن العاص وكان بمكة معتمراً قدم من الطائفة لا تظن ذلك لو كان كافراً بها لعوقب دونها فاما إذا كان مؤمناً بها فسيلى فيها فكان كما قال وحاصروهم لعشر ليال باقين من المحرم سنة أربع وستين فحاصروهم ببقية المحرم وصفر وشهرى ربيع يغدون على القتال ويروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاوية فأرسل الحصين بن نمير إلى ابن الزبير أن ائذن لنا نطوف بالبيت ونصرف عنكم فقد مات صاحبنا وقال ابن الزبير وهل تركتم من البيت الامدة وكانت المجانيق قد أصابت ناحية البيت فهدمته مع الحريق الذى أصابه فمنهم من يطوفوا بالبيت فارتحل الحصين حتى إذا كان بعسفان تفرقوا وتبعهم الناس يأخذونهم ان كانت الراية في غنمها لتأتى بالرجل منهم مربوطاً فيبعث بهم إلى المدينة وأصاب منهم أهل المدينة حين مروا بهم ناساً كثيراً فحبسوا بالمدينة حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبد الله ابن الزبير فأخرجهم إلى الحرة فضرب أعناقهم وكانوا أربع مائة وأكثر وانصرف ذلك الجيش إلى الشام مفلولاً وبايع أهل المدينة لابن الزبير بالخلافة وكان ابن

قرأ ذلك ابن الزبير قال يا أهل الشام يا محرقى بيت الله يا مستحلى حرم الله على من تقتاتون وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية فاتاه الحصين ابن نمير فقال له هو مدك بالبطحاء الليلة يا أبا بكر فلما كان الليل خرج بن الزبير بأصحابه وخرج الحصين بأصحابه إلى البطحاء ينحس كل واحد عن أصحابه وانفراداً فقال الحصين يا أبا بكر قد علمت أنى سيد أهل الشام لا أدفع عن ذلك وإن أعنه حيلهم يبدى فإذا أهل الحجاز قد رضوا بك فاباعك الساعة على أن تهدر كل شيء أصبناه يوم الحرة وتخرج معى إلى الشام فإني لا أحب أن يكون الملك فى الحجاز . قال لا والله لا أهل لا أو من من أخاف الناس وأحرق بيته وانتك حرمة الله فقال الحصين بلى فافعل فعلى ألا يختلف عليك اثنان فإني ابن الزبير فقال الحصين لعنك الله ويلعن من زعم أنك سيد والله لا تفلس أبداً اركبوا يا أهل الشام فركبوا وانصرفوا . قال فحدثني من شهد انصرافهم قال والله لقد كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس ما يمتنع . قال أبو معشر : وذلك أن المنهزم لا فؤاد له . قال فبايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردن وبايع أهل مصر ابن الزبير وغلب على أهل العراق والحجاز واليمن وغلظ أمره وعظم شأنه واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس على أهل الشام

(اختلاف أهل الشام على ابن الزبير)

قال وذكروا أن ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام قام أناس من أهل الشام من رؤوس قريش بنى أمية وأشرافهم وفيهم روح بن زباع الجذامي فقال بعضهم إن الملك كان فينا أهل الشام أفينقل ذلك إلى أهل الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر فى هذا الأمر نعم فجاءوا إلى خالد بن يزيد ابن معاوية وهو غلام حدث السن فقيل له ارفع رأسك لهذا الأمر فقال استخير الله وانظر فرأى القوم أنه ذو وعاء عن التيام فى ذلك فخرجوا فاتوا عمرو بن سميد

قال : لما نزل الحصين بمكة وغلب عليها كلها الا المسجد الحرام قال فانه لجالس مع ابن الزبير ومعه من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن عبيدو المسور بن مخزومة والمنذر ابن الزبير ومعصب بن عبد الرحمن بن عوف في نفر من قريش قال فقال المختار بن عبيد وهبت رويحة والله أنى لأجد النصر في هذه الرويحة فاحملوا عابئهم قال فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة وقتل المختار رجلا وقتل ابن مطيع رجلا فجاءه رجل من أهل الشام في طرف سنان رمحه نار قال وكان بين موت يزيد بن معاوية وبين حرق الكعبة إحدى عشرة ليلة ثم التحمت الحرب عند باب بنى شيدة فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلان من إخوته ومعصب بن عبد الرحمن بن عوف والمسور بن مخزومة وكان الحصين قد نصب الجانيق على جبل أبي قيس وعلى قبة عان فلم يقدر أحد أن يطوف بالبيت وأسند ابن الزبير ألواحا من الساج إلى البيت والقي عليها القطائف والفرش فكان إذا وقع عليها ألحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الألواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كبروا وكان طول الكعبة في السماء ثمانية عشر ذراعا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا في ناحية من المسجد فكلما جرح أحد من الصحابة أدخله ذلك الفسطاط

(حريق الكعبة)

قال فجاء رجل من طرف سنان رمحه نار فاستعملها في الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الأستار وتساقطت إلى الأرض قال ثم قتل أهل الشام أيا ما بعد حريق الكعبة واحترقت في ربيع الأول سنة أربع وستين . قال فلما احترقت جلس أهل مكة في ناحية الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل قال فوقعت بين يديه نبلة قال : في هذا خير فأخذوها فوجدوا بها مكتوبامات يزيد بن معاوية يوم الخميس رابع عشر ليلة خلت من ربيع . فلما

(موت مروان بن الحكم)

قال وذكروا أن مروان بن الحكم لما قدم الشام من مصر قال له خالد بن يزيد ابن معاوية أردد إلى سلاحى فأبى عليه مروان فألح عليه وكان مروان فاحشاً سباباً وقال له يا ابن الربوخ يا أهل الشام أن أم هذا ربوخ يا ابن الرطبة قال لجأه ابنها إليها قال هذا ما صنعت أبى سببى مروان على رؤس أهل الشام وقال هذا ابن الربوخ قال وكان مروان استخلف حين خرج إلى مصر ابنه عبد الملك وعبد العزيز أنهما يكونا بعده وبايع لهما أهل الشام فلبث مروان بعد ذلك ليالى بعد ما قال لخالد بن يزيد ما قال ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها فأمرت جوارحها فطوين عليه الشواذك ثم غطته حتى قتله ثم خرجن يصحن ويشققن جيوبهن يا أمير المؤمنين قال فقام عبد الملك فبايع لنفسه ووعد عمرو بن سعيد أن يستخلفه فبايعه وأقاموا بالشام

(بيعة الملك بن مروان وولايته)

قال وذكروا أن عبد الملك بن مروان بايع لنفسه ووعد الناس خيراً ودعاهم إلى إحياء الكتاب والسنة وإقامة العدل والحق وكان معروفاً بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم لا يختلف في دينه ولا ينازل في روعه فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الأشدق فوعده عبد الملك أن يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه أن لا يقع شيئاً دونه ولا ينفذ أمراً إلا بحضوره فأعطاه ذلك ثم أن عبد الملك بعث حبيش ابن دجلة إلى المدينة في سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر الشريف فدعى بنجر ولحم فأكل على المنبر ثم أوتى بماء فتوضأ على المنبر قال أبو معشر فحدثني رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلبة قال شهدت حبيش ابن دجلة يومئذ وقد

فقالوا له يا أبا أمية ارفع رأسك لهذا الأمر فجعل يسب ويقول والله لا أفعل فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديد علق فاتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح وإذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا له يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الأمر فقال استخير الله واسأله أن يختار لأمة محمد خيرها واعد لها ما شاء الله

(بيعة أهل الشام مروان بن الحكم)

قال وذكروا أن روح بن زنباع قال لمروان بن الحكم أن معي أربعانة رجل من جذام وسأمرهم أن يتبدوا في المسجد غداً فمر ابنك عبد العزيز أن يخطب ويدعوهم اليك وأنا أمرهم أن يقولوا صدقت فيظن الناس أن أمرهم واحد قال فلما أصبح عبد العزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان بن الحكم انه لكبير قريش وشيخها وأفرطها عقلاً وكلاً وديناً وفضلاً والذي نفسى بيده لقد شاب شعر ذراعيه من من السكبر فقال خالد بن يزيد : أمر قضى بليل . فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد الضحاك بن قيس أَرْضَيْتَ أَنْ تَكُونَ بَرِيداً لابن الزبير وَأَنْتَ أَكْبَرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا تَعَالَى نَبَايَعُكَ فَخَرَجَ بِهِ إِلَى مَرْجٍ رَاهِطٍ فَلَمَّا دَعَا إِلَى الْبَيْعَةِ اقْتَتَلُوا فَقَتَلَ الضُّحَاكُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ لِأَهْلِ الشَّامِ مَا صَارَتْ أَيْدِيكُمْ إِلَّا مُنَادِلٌ مِنْ جَاءَكُمْ مَسَحَ يَدَهُ بِهَا أَنْ مَرْوَانَ سَيِّدَ قُرَيْشٍ وَأَكْبَرَهُمْ سَنَّا فَبَايَعُوا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَقَتَلَ الضُّحَاكُ بْنُ قَيْسٍ وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ وَكَانَتْ قَيْسٌ مَعَ الضُّحَاكِ وَكَانَ آمِنٌ مَعَ عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ فَهَكَتْ مَرْوَانَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُوتَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ وَاللَّهِ مَا تَتَخَوَّفُ إِلَّا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَإِنَّكَ أَنْ تَزَوَّجْتَ أُمَّهُ كَسَرْتَهُ وَأُمُّهُ ابْنَةُ بَنِي هَاشِمٍ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَخَطَبَهَا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فَتَزَوَّجَهَا وَأَقَامَ بِالشَّامِ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ إِلَى مِصْرَ قَالَ لَخَالِدٍ أَعَرْنِي سِلَاحًا إِنْ كَانَ عِنْدَكَ قَالَ فَأَعَارَهُ سِلَاحًا وَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ فَتَنَاقَلَ أَهْلُ مِصْرَ وَسَبَّوْا نَاسًا كَثِيرًا فَأَقْتَدُوا مَعَهُ ثُمَّ قَدِمَ الشَّامَ

البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتى يجعلونها كأنها صغار فقال لهم هلم بسبعة نقالا فأتوه بسبعة فقال ههذه بعشرة فنوا كيف شئتم ، قال فأتوا بالمكيال الذى يكيلون به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان أهل البصرة لا يصلحهم إلا القتل . فقال . لان تفسد البصرة أحب إلى من أن يفسد الحرث والنسل قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله بن الزبير إلى البصرة عاملا فاستحقره أهل البصرة فبعث مغصب بن الزبير فقدم عليهم فقال أهل البصرة لا يقدم عليكم أحد إلا لقيتموه وأنا ألقب لسكم نفسى أنا القصاب ثم صار إلى المختار فقتله

(بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها)
قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك قالوا كان ابن زياد أول من ضم اليه الكوفة والبصرة وكان أبوه زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمل إلى عامتهم وكان بعضهم له على ما يحب . قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واستعمل سلطان بن الزبير وغلط شاة وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بنى أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله بن زياد إلى المسجد فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ان الذى كنا نقاتل على طاعته قد مات واختلف أمر الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتموني عليكم حببت فيكم وقالت عدوكم وحكمت بينكم وأنفسمت مظلومكم وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة . فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكري وقال الحمد لله الذى أراحنا من بنى أمية وأخرى من ابن سيمعة لا والله ولا كرامة فأمر به عبيد الله فغلب ثم انطلق به إلى السجن فقام بكر بن وائل فحال بينه وبين ذلك ثم خرج الثانية عبيد الله بن زياد إلى المنبر فخطب الناس فخصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه ووقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس فى المسجد فقال تؤمر رجلا حتى تجتمع

(٢ - الامامة)

أرسل الى جابر بن عبد الله الأنصارى فدعاه فقال تبائع لعبد الملك أمير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء فان خالفت فاهرق الله دمك على الضلالة فقال له جابر بن عبد الله إنك أطوق على ذلك منى واسكنى أبايك ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوم الحديبية على السمع والطاعة قال ثم أرسل الى عبد الله بن عمر فقال له تبائع لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على السمع والطاعة فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له إن شاء الله ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربرة وقام في أثره رجلان أحدهما على أثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعاً الى الربرة وذلك في رمضان سنة خمسة وستين فاجتمعوا بها وأميرهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدي بالمدينة أن اسر الى حبش بن دجلة وأصحابه في ناس فصار حتى لقيهم بالربرة في شهر رمضان وبعث الحارث بن عبد الله بن ربيعة من البصرة معدا الى ابن الزبير حنيف بن السجف في تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا الى الربرة فبات أهل البصرة يقرأون القرآن ويصلون لياتهم حتى أصبحوا وبات الآخرون في المعازف والخنور فلما أصبحوا قال لهم حبش بن دجلة اهرقوا ماءكم حتى تشربوا من سويقكم المعتد فاهرقوا الماء وغدوا إلى القتال فقتل حبش ومن معه من أهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربرة وهو الجبل الذى بها . قال وكان يوسف أبو الحجاج مع ابن دجلة قال وأحاط بهم عباس بن سهل فقال انزلوا على حكمي فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم

(غلبة ابن الزبير على العراقيين وبيعتهم)

قال وذكروا أن عباس بن سهل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع المدينة فجند البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتبطلوا وقدم أهل البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله بن الزبير يستعمل الحارث بن عبد الله بن ربيعة على

أخاف أن لا تقدر على الخروج إلينا لما رأى من سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك في الأزد قال فنهيا عبيد الله فلبس لبس امرأة في خمرتها وعقيصتها فأردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس فقالوا يا حارث ما هذه قال تنحو رحمكم الله هذه امرأة من أهلي كانت زائرة لأهل ابن زياد أتيت اذهب بها فقال عبيد الله للحارث أين نحن قال في بني سليم فقال سلينا الله قال ثم سار قليلا ثم قال أين نحن قال في بني ناجية من الأزد قال نجونا إن شاء الله قال فأتى به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الأزد فقال يا أبا قيس قد جئت بك بعبيد الله مستجيراً قال ولم جئتني بالعبد قال أنشدتك الله قد اخترتك على غيرك فلما رأاهم عبيد الله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع فقال مسعود يا غلام أئت البقال فأتنا من خبز وثمره قال فجاء به الغلام فوضع قال فأكل وإنما أراد ابن زياد أن يتحرم بطعامه ثم قال أدخل فدخل ومنازل الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية قال فكان عبيد الله خاف فقال يا غلام اصعد إلى السطح بحزمة من قصب فاشعل أعلاه ناراً ففعل ذلك في جوف الليل فأقبات الأزد على الخيل وعلى أوجلها حتى شحنوا السكك وملئوها فقالوا ما لسيدينا قال شيء حدث في الدار قال فعرف عبيد الله عزته وعرفته وما هو عليه قال هذا والله العز والشرف فأقام عنده أياماً وعنده امرأتان امرأة من الأزد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول أخرجوا العبد وكانت الأزدية تقول استجار بك على بغضه إياك وجفوته لك وتحدث الناس أنه لجأ إلى مسعود بن عمرو فاجتمعت القبائل في المسجد والخوارج وهم في أربعة آلاف فقال ابن مسعود ما أظنني إلا خارجاً إلى البصرة معتذراً إليهم من أمر عبيد الله ثم قال وكيف آمن عليه وهو في منزله ولكني أبلغه ما منه ثم اعتذر إليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد أربعين ليلة قال فأقبل مسعود يوماً على بردون له وحوله عدة من الأزد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر

الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على رأيهم على أن يؤمروا عمرو بن سعد بن أبي وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحى الذى من كندة فينبأهم على ذلك اذ اقبل النساء يكين وينعين الحسين وأقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف وأجمع رأى أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمره عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا إلى عبد الله بن الزبير بياعونه بالخلافة فأقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل الرجال في الأمصار فبلغ أهل البصرة ما صنع أهل الكوفة فاجتمعوا وأخرجوا الرايات فلم يبق أحد إلا خرج وذلك لسوء آثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله ثم قام ابن أبي ذؤيب : فقال يا هؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية سارعوا أيها الناس إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض واجتنبوا هذه الدعوة وأقيموا أود هذه البيعة فانها بيعة هدى فانه من قد علمت عبد الله بن الزبير خوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وإن أساء بنت أبى بكر الصديق أما والله لو أن أباً بكر علم أنه بقى على الأرض من هو خير منه وأولى بهذه البيعة ما مد يده ولا نازعته اليها نفسه أما والله لقد علمت ما أحد على وجه الأرض خير ولا أحق بها إلا هذا الشيخ عبد الله بن عمرو المتبرىء من الدنيا المأزول عن الناس الكاره لهذا الأمر ثم خرجت الخوارج من سجون عبيد الله بن زياد واجتمعوا على حدة والتبائل كل قبيلة فى المسجد معزلة على حدة وعبيد الله بن زياد فى القصر وقد أخذ بأبوابه وقد تمنع أن يدخل القصر أحد وقد أخذ العرب بأفواه السكك والدروب وكان عبيد الله أول من جفا العرب وأخذ منهم المحاربة اثني عشر ألفاً ليعتر بهم فرأى الله ما زادوه إلا ذلاً فلما رأى ذلك عبيد الله بن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميماً وبكر بن وائل أن يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فأرسل إلى الحارث ابن قيس الجهني من الأزد فدخل عليه الحارث قال يا حارث تد أكرمتهم زياداً وحفظتهم منه ما كتم أهلهم وقد استجرت بكم فأنشدكم الله فى قال الحارث

عوك ثم أن عبيد الله بينا هو على راحلته إذ هجعت عينه فقلت له أراك نائماً فقال ما كنت بنائماً فقلت له ما أعلمني بما كنت تحدث به نفسك قال وبأى شيء كنت أحدث به نفسى قال قلت ليتنى لم ابن البيضاء ولم أستعمل الدهاقين وليتنى لم اتخذ المحاربة . قال ما خطر لى هذا على باء أما قولك ليتنى لم ابن البيضاء فما كان على منها ثم بناها اليزيد من ماله وأما استعمال الدهاقين فقد استعملهم أى ومن كان قبله وأما المحاربة فوالله ما اتخذتهم إلا وقاية لأنى كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائريهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بينى وبينهم من إلى بينه وبينهم ولكنى كنت أحدث نفسى انى ندمت على ترك أربعة آلاف فى السجن من الخوارج فوددت انى كنت أضرمت البيضاء عليهم حتى آتى على آخرهم ووددت انى جمعت آل بيتى وموالى وناذرت أهل المصر على سواء حتى يموت الأعمى ووددت انى قدمت الشام ولم يبايع أهلها بعد .

(قتل المختار عمرو بن سعيد)

قال وذكروا أن ابن المختار بن أبى عبيد كتب الى عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله : اذا جئت مكة فدفعته كتابى الى عبد الله بن الزبير فأت المهدى محمد بن على وهو ابن الخليفة فاقرأ عليه منى السلام وقل له يقول لك أخوك أبو إسحاق انى أحبك وأحب أهل بيتك قال فأتاه الرسول فقال له ذلك كذبت وكذب أبو إسحاق معك كيف يحبني ويحب أهل بيتى وهو يجالس عمرو بن سعد بن أبى وقاص على وسادة وقد قتل الحسين بن على أخى . قال فلما قدم عليه رسوله أخبره بما قال محمد بن على ، فقال المختار لابن عمرة صاحب حرمه استأجر لى نوائح يكيين الحسين على باب عمرو بن سعد بن أبى وقاص قال فتعل فلما جئ يكيين الحسين قال عمرو لابنه حمص يا ابنى قل له ما شأن النوائح يكيين الحسين . قال فأتاه فقال له ذلك فقال له هل لك أن تبكى عليه فقال أصلحك الله أنهم عن ذلك قال نعم . ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب إلى

قال قد سألت عن ذلك قبلك شيخ من الأزد ضخم الهامة وكانت له صفتان فوصب لذلك بالسير . قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمر بن هرم وكان معنا بواسط فقال : حدثك من لا يعرف ، هذا شيء كانت العرب تصنعه إذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا أنه معتذر قال فأقبل مسعود حتى انتهى إلى باب المسجد ومعه أصحابه رجاله بين يديه وخلفه وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد بأجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا أنه عبيد الله فأقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه بأسيا ففهم حتى مات . قتله نفر من بني حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الأزد فأقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عباد ابن الحصين لينظر إلى عبيد الله فإذا هو بمسعود فقال : مسعود ورب الكعبة إنا لله وإنا إليه راجعون أبا قيس قد وفيت ما كان أغنى أهل مصرك بما صنعت من ذلك فجعلتهم بنفس ثم ألقى عليه كساء ثم أقبلت الأزد فكان بينهما وبين مضر ما وقع ذكره في غير هذا الكتاب حتى اصطالحوا وتراضوا علىبيعة ابن الزبير قال الهيثم قال ابن عباس حدثني عوكل الليشكري قال : أنا مع عبيد الله بن زياد في ليلة مظلمة فإذا نحن بنار من بعد فقال عبيد الله يا عوكل كيف الطريف قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك . قال عوكل : فوالله إنا لنسير بالسامرة إذ قال عبيد الله قد كرهت البعير فابغلو إلى ذا حافر قال فإذا نحن بأعرابي من كلب معه حمار أقر ضخم فقلت تبعه بكم فقال باربعائة درهم لا أنقصكم درهما فأشار إلينا عبيد الله أن خذوه قال فجعلنا نتقده الدراهم قال لست أدري ما هذه ولكن بيني وبينكم هذا المولى يعني عبد الله بن زياد وكان عبيد الله أحمر أقر شبيهاً بالموالى قال فأخذناه منه فقام عبيد الله أرخلوا لي عليه فرحلنا له عليه فلما قدم أيركب قال الاعرابي أنا أقسم بالله إن لكم شأنًا وما أظن صاحبكم إلا والى العراق فاستقفاه عبيد الله بالعصا فضربه بها فوق ثم شدوه وثاقاً قال وجعلوا يتجنبون المياه قال

وَقُتِلَ مَصْعَبُ أَصْحَابِ الْخِتَارِ . قُتِلَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ صَبْرًا ثُمَّ قَدِمَ حَاجَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ وَمَعَهُ رُؤُوسُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَوُجُوهُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جِئْتُكَ بِرُؤُوسِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَشْرَافِهِمْ كُلِّ مَطَاعٍ فِي قَوْمِهِ وَهُمْ الَّذِينَ سَارَعُوا إِلَى بَيْعَتِكَ وَقَامُوا بِأَحْيَاءِ دَعْوَتِكَ وَنَابَذُوا أَهْلَ مَعْصِيَتِكَ وَسَعَوْا فِي قَطْعِ عُدُوكَ فَاعْطِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ : جِئْتُ بِعَبِيدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَتَأْمُرُنِي أَنْ أَعْطِيَهُمْ مَالَ اللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، وَأَيْمَنَ اللَّهُ لَوْ دِدْتُ أَنْيَ أَصْرِفُهُمْ كَمَا تَصْرِفُ الدَّنَانِيرَ بِالدِّرَاهِمِ عَشْرَةَ مِنْ هَؤُلَاءِ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ . قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عُلِقْنَاكَ وَعُلِقْتَ أَهْلَ الشَّامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ وَقَدْ يَتَسَوَّاهُ مَا عِنْدَهُ لَا يَرْجُونَ رَقْدَهُ ، وَلَا يَطْمَعُونَ فِيمَا عِنْدَهُ فَاجْتَمَعُوا وَأَجْمَعُوا عَلَى خُلْعِهِ فَكَتَبُوا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا .

(خلع ابن الزبير)

قَالَ وَذَكَرُوا أَنَّ أَبَا مَعْشَرٍ قَالَ لَمَّا أَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى خُلْعِ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَكَتَبُوا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّ سِرَّ إِلَيْنَا فَلَمَّا أَرَادَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يُسِيرَ إِلَيْهِمْ وَخَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ فَأَغْلَقَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بَابَ دِمَشْقَ فَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ مَا تَصْنَعُ أَتَذْهَبُ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَتَدْعُ دِمَشْقَ ، أَهْلُ الشَّامِ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَقَامَ مَكَانَهُ فَحَاصِرَ أَهْلَ دِمَشْقَ أَشْهُرَ حَتَّى صَالَحَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَلَى أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ فَفَتَحَ دِمَشْقَ ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ إِلَى عَمْرُو وَكَانَ بَيْتُ الْمَالِ فِي يَدِ عَمْرُو أَنْ أُخْرِجَ لِلْحَرَسِ أَرْزَاقُهُمْ فَقَالَ عَمْرُو أَنْ كَانَ لَكَ حَرَسٌ فَإِنَّا لَنَا حَرَسًا فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخْرِجْ لِلْحَرَسِ أَرْزَاقَهُمْ أَيْضًا

(قتل عبد الملك عمرو بن سعيد)

قَالَ وَذَكَرُوا أَنَّ أَبَا مَعْشَرٍ قَالَ : لَمَّا اصْطَلَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَلَى

عمرو بن سعد فاتى برأسه قال فأتاه فقال قم إلى أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف فجلله بالسيف ثم جاء برأسه إلى المختار وحفص جالس عنده على الكرسي فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه قال أتحب أن ألحقك به قال وما خير الحياة بعده . قال فضرب رأسه فقتله قال ثم أرسل عبد الله بن الزبير يزيد ابن زياد على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد وأحرقت الكعبة ورجع الحسين هارباً إلى الشام . قال ثم أرسل عبد الله بن مطيع إلى الكوفة ثم بعث المختار بن أبي عبيد على الكوفة وعزل عبد الله بن مطيع وسيره الى المدينة وسار عبيد الله بن زياد بعد ذلك إلى المختار . وجهه عبد الملك بن مروان أميراً على العراق وندب معه جيشاً عظيماً من أهل الشام فأقبل إلى الكوفة يريد المختار فالتقوا بحازر فاقتلوه فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين ابن نمير وذا الكلاع وغلبه من كان معه بمن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

(قتل معصب بن الزبير المختار بن أبي عبيد الله)

قال وذكروا أن أبا معشر قال لما قتل عبيد الله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل فأمروه على أنفسهم ثم أتى عبد الله ابن الزبير وأم عبد الله بن الحارث هند بنت أبي سفيان وكانت أمه تنبذه وهو صغير بنيه فلقب بنيه ثم بعث عبد الله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة عاملاً على البصرة ثم بعث حمزة بن الزبير بعده ثم بعث معصب بن الزبير أخاه وضم اليه العراقيين جميعاً الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة ودعا إلى آل الرسول وأراد أن يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله إلى أخيه معصب أن سر إلى المختار بمن معك ثم لا تبعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الأعمى منكراً فأتاه معصب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله وبعث معصب برأس المختار الى أخيه

بنا وأحاطوا بقصرنا قال قبيصة : اطرح رأسه اليهم يا أمير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدرهم يتشاغلون بها فامر عبد الملك برأس عمرو أن تطرح اليهم من أعلى القصر فطرح اليهم وطرح الدنانير ونشرت الدرهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادى : إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ ولكم على أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه أن يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم إلى أكل ما يكون من العطاء والرزق ويبلغكم إلى المائتين في الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا إلى عهده يسلم لكم دينكم ودينكم . قال فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لأمير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد أن يخرج إلى مصعب فجعل يستفز أهل الشام فيبسطون عليه فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ في حرص إبان بن مروان : يا أمير المؤمنين سلطني عليهم فاعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لا يمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف إلا أحرق عليه بيته فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا قال فاصابهم من ذلك غلاء في الأسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الأرز . فسار بأهل الشام إلى العراق ومعه الحجاج ابن يوسف

(مسير عبد الملك إلى العراق وقتله)

قال وذكروا أن عبد الملك لما سار بأهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف إلى العراق خرج مصعب بن الزبير بأهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصدقة فبعث إليه عبد الملك أن ادن مني اكلمك قال فدني كل واحد من صاحبه وتحنى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له

أنه الخليفة بعده أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتنى أبا أمية قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لا تذهب إليه فاني أتخوفه عليك واني لا أجد ربح دم مسفوح قال فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشقها فتركته فأخرج معه أربعة آلاف رجل من أهل دولته لا يقدر على مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان فقالوا لعمرو إذا دخلت على عبد الملك يا أبا أمية ورأيت منه شيء فاسمعا صوتك فقال لهم اني أخفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزوال بيني وبينكم ميعاد . إن زالت الشمس ولم أخرج اليكم فاعلموا اني مقتول أو مغلوب فضعوا أسيا فيكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفاً حتى تأخذوا بثأري من عدوى قال فدخل وجعلوا يصيحون يا أبا أمية أسمعنا صوتك وكان معه غلام أشحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك أن وراءه ناس فقال له عبد الملك أتمكروا يا أبا أمية عند الموت خذوه فأخذوه فقبل له ان أمير المؤمنين قد أقسم لي جلعان في عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الأرض نشرة فكسرت ثنيته قال فجعل عبد الملك ينظر اليه فقال عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر فقال عبد الملك لأخيه عبد العزيز اقله حتى أرجع اليك قال فلما أراد عبد العزيز ضرب عنقه قال له عمرو وتمسك بالرحم يا عبد العزيز أنت تقتلني من بينهم فترده فجاء عبد الملك فرآه جالساً فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن أمه ولدته قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته قال فأمر رجلاً عنده يقال له ابن الزويع فضرب عنقه ثم أدرجه في بساط وأدخله تحت السرير فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وكان أحد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته فقال له عبد الملك كيف رأيتك في عمرو بن سعيد فابصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال أضرب عنقه يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك جزاك الله خيراً فما علمتكم إلا ناصحاً أميناً موافقاً قال له فما ترى في هؤلاء الذين أحدقوا

كان قال له قبل ذلك دعني ادعو أهل السكوفة بدعوة لا يخلعونها أبداً وهي
ماشرطه الله فقال له مصعب لا والله لا أفعل لأكون قتلتهم بالأمس واستنصر
بهم اليوم قاسم فما هو إلا أن التفوا فحولوا برؤسهم ومالوا إلى عبد الملك بن
مروان قال فبقى مصعب في شذمة قليلة قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقاسم
أين الناس أيها الأمير فقال غدركم يا أهل العراق قاسم فرفع عبيد الله سيفه ليضربه
فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من
البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء
عبيد الله برأسه إلى عبد الملك يدعي أنه قتله . فطرح رأسه وقال :

نطيع ملوك الأرض ما قسطوا لنا وليس علينا قتلهم بمحرم
قال فوقع عبد الملك ساجداً فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك
بالسيف فرفع عبد الملك رأسه وقاسم والله يا عبيد الله لولا امتك لالحقتك سريعاً
به قال فبايعه الناس ودخل السكوفة فبايعه أهلها

(ذكرى حرب ابن الزبير و قتله)

قال وذكروا أنه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من أهل العراق وأتاه
الحجاج بن يوسف فقال : يا أمير المؤمنين اني رأيت في المنام كأن أسلخ عبد الله
ابن الزبير . فقال له عبد الملك انت له فاخرج اليه فخرج الحجاج في ألف وخمسمائة رجل
من رجال أهل الشام حتى نزل النخلاف وجعل عبد الملك يرسل إليه الجيوش رسلاً
حتى توافى الناس عنده قدر ما يظن انه يقدر قتال عبد الله بن الزبير وكان ذلك
في ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منها فخرج
الناس وعبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبي قبيس
ونواحي مكة كلها فرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التي قتل في صديحتها جمع
عبد الله بن الزبير القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل منهم من بنى مخزوم
والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلاً والله لئن صبرنا معك ما تريد على أن

يامصعب قد علمت ما أجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من
اخائي وصحبي والله أنا خير لك من عبد الله وانفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك مني
وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لي بيعة هذين المصريين والأمر أمرك
لا تعصى ولا تخالف وإن شئت اتخذتك صاحباً لا تخفي ووزيراً لا تعصى . فقال
له مصعب ما ذكرت في من ثقتي بك ومودتي واخائي فذلك كما ذكرته ولكنك
بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو أقرب رحماً مني اليك وأولى بما
عندك فقتلته غدرأً ، والله لو قتلته في ضرب ومحاربة لمسك عاره ولما سلبت
من ائمه . وأما ما ذكرت من أنك خير لي من أخى فدع عنك أبا بكر وأياك
واياه لا تعرض له واتركه ما تركك واريح عاجل عاقبته ، وارج الله في السلامة
من عافيته فقال له عبد الملك : لا تخوفني به فوالله اني لأعلم منه مثل ما تعلم إن
فيه ثلاث خصال لا يسود بها أبداً : عجب قد ملأه واستخفاء برأيه وبخل التزمه
فلا يسود بها أبداً

(قتل مصعب بن الزبير)

قال وذكروا أن عبد الملك لما آيس من مصعب كتب الى أناس من رؤساء
أهل العراق يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم أموالاً عامة وشروطاً وعهوداً ومواثيق
وعقوداً وكتب الى ابراهيم بن الاشر يجعل له وحده مثل جميع ما جعل لأصحابه
على أن يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا النقوا . فقال ابراهيم بن الاشر لمصعب أن
عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب الى أصحابه كلهم فلان وفلان بذلك
فادع بهم في هذه الساعة فاضرب أعناقهم واضرب عنق معهم فقال مصعب
ما كنت لأفعل ذلك حتى يستبين لي ذلك من أمرهم قال ابراهيم فأخري قايي
وما هي قال أحبسهم في السجن حتى يتبين ذلك فأبى فقال له ابراهيم بن الاشر
عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا تراني والله بعد في مجلسك هذا أبداً وقد

رأسه فجاءوا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمار بن عمرو بن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين . قال أبو معشر : ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون . قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك أن سر الى العراقيين واحتل بقتلهم فانه قد بلغني عنهم ما أكره . واستعمل عبد الملك على المدينة يحيى ابن حكيم بن أبي العاص

(ولاية الحجاج على العراقيين)

قال وذكروا أن عبد الملك لما كتب الى الحجاج يأمره بالمسير الى العراقيين ويحتال لقتلهم توجه ومعه ألفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحملتهم أربعة آلاف من أخلاط الناس وتقدم بألفي رجل وتجري دخول البصرة يوم الجمعة في حين أن الصلاة فلما دنى من البصرة أمرهم أن يتفرقوا على أبواب المسجد على كل باب مائة رجل بأسيا فهم تحت أروبيتهم . وعهد اليهم أن اذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الأرض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضى به إلى داخل أزاره . فقال لهم إني اذا دخلت فسا كلم القوم في خطبتي وسيحبسوني فاذا رأيتموني قد وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا أسيا فكم واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أيها الناس إن أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عز وجل في بلاده وارتضاه إماما على عبادته وقد ولاني مصركم وقسيمة فيكم وأمرني بالانصاف مظلومكم

تموت معك إنما هو إحدى خصلتين إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ولك وإما أن تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله أن لا يبايعني أحد فاقبله بيعته إلا ابن صفوان قال ابن صفوان والله أنا لنقاتل معك وما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخرى الحفيظة أن أدعك عند مثل هذه حتى أموت معك فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبد الله وكنت أكتب اليه من عبد الله أبي بكر أمير المؤمنين فوالله لا يقبل هذا مني أبداً أو اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب الي من ذلك قال عروة أخوه : يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال له عبد الله من هو أسوتي قال الحسن بن علي بن أبي طالب خلع نفسه وبابيع معاوية فرفع عبد الله رجله وضرب عروة حتى القاه ثم قال يا عروة قلبي اذا مثل قلبك والله لو قبلت ماتقولون ما عشت إلا قليلا وقد أخذت الدنية وماضبة بسيف إلا مثل ضربة بسوط لا أقبل شيئا مما تقولون قال فلما أصبح دخل علي بعض نسائه فقال اصنعي لي طعاماً فصنعت له كبداً وسناماً قال فاخذ منها لقمة فلا كما ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقوني لبناً فأتى بلبن فشرب ثم قال صبوا علي غسلاً قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول :

ولا الين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرر الماضع الحجر
ثم دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي عمية من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها : يا أماء ما ترين قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي .
فقالت يا بني لا يبايعن بك صبيان بني أمية عش كريماً ومث كريماً فخرج وأسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيزيمهم وهو يقول ويل أمه فتح لو كان له رجال قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكن ضيعتهم قال فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فاصاب قتلة فسقط فما درى أهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تكي وتقول وا أمير المؤمنين فاحتزوا

أفضل أعمال البر غلبه وأظهر خباياه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له إنا قد حبسنا أنفسنا عليك فما رأى قال رأى أن تسكفوا عما تريدون فإن الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل ما فعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كاره . قال وانتهى الخبر الى الحجاج فقبل له أن عبد الرحمن قد خلعتك ومن معه فقال أن معه سعيد بن جبير وأنا أعلم أن سعيداً لا يخرج وإن أرادوا ذلك سيكفهم عنه فقبل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتوه وصار معهم . فبهت الحجاج الغضبان الشيباني ليأتيه بجبر عبد الرحمن بن الأشعث بن كرمات وتقدم اليه أن لا يكتمه من أمره شيئاً فتوجه الغضبان الى عبد الرحمن قال له عبد الرحمن ما وراءك يا غضبان قال : شر طويل تغدي الحجاج قبل أن يتعشاك . ثم انصرف من عنده فزل رملته كرمات وهي أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينما هو كذلك إذ ورد إعرابي من بكر بن وائل على قنود فوقف عليه وقال : السلام عليك فقال : له الغضبان : السلام كثير وهي كلمة مقولة ، قال الاعرابي من أين أقبلت قال : من الأرض الزلول قال وأين تريد قال . امشي في مناكبها وآكل من رزق الله الذي أخرج لعباده منها ، قال الاعرابي فن عرض اليوم قال الغضبان المنقول قال فمن سبق قال حزب الله انما تزون قال الاعرابي ومن حزب الله قال هم الغالبون فحسب الاعرابي من منطلقه وحضور جوابه . ثم قال أتقرض قال الغضبان إنما تقرض الفارة قال أفتشده قال إنما تشده الضالة قال أفتسجع قال إنما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال إنما ينطق كتاب الله قال أفتقول قال إنما يقول الأهر ، قال الاعرابي تالله ما رأيت مثلك قط ، قال الغضبان بلى ولكنك نسيت ، قال الاعرابي فكيف أقول قال أخذت الغول في العاقول وأنت قائم تبول ، قال الاعرابي اتأذن لي أن أدخل عليك قال الغضبان وراءك أوسع لك ، قال الاعرابي قد أحرقتني الشمس قال الغضبان الآن ينبيء عليك النبيء إذا عربت قال الاعرابي

وإمضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب إلى المحسن البريء والعقاب إلى العاصي.
المسيء ، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ عليكم عهده ، وأرجو بذلك من الله عز وجل
المجازاة ومن خيفته المكافأة وأخبركم أنه قلدى بسيفين حين توليته إياي عليكم سيف
رحمة وسيف عذاب ونقمة فأما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق وأما سيف النقمة
فهو هذا ، فخصبه الناس فلما أكثروا عليه خلع عمامته فوضعاها على ركبتيه فجعل
السيف تبرى الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الأبواب وقبعة الداخلين
ورأوا تسارع الناس إلى الخروج تلقوهم بالسيف فاردعوا الناس إلى جوف المسجد
ولم يتركوا خارجا يخرج فقطل منهم بضعا وسبعين الفا حتى سالت الدماء إلى باب
المسجد وإلى السكك . قال أبو معشر : لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو
معتجز بعمامة متقلد سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد حبي الليل ثم تكلم
بكلام فخصبوه فرفع رأسه . ثم قال : إني أرى رؤسا قد أینعت وحان قطافها .
فهاووه وكفوا ثم كلهم فخصبوه وأكثروا فأمر بهم جنداً من أهل الشام وكانوا
قد أحاطوا به من حوله ومن حول أبواب المسجد فلما فرغ منهم وأحكم شأنه فيهم
بعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب
إليه الحجاج أن يقاتل حصن كذا وكذا فكتب إلى الحجاج إني لا أرى ذلك
صوابا أن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . فكتب إليه الحجاج : أنا الشاهد وأنت
الغائب فانظر ما كتبت به إليك فامض له والسلام

(خروج ابن الأشعث على الحجاج)

قال وذكروا أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لما خرج على الحجاج جمع
أصحابه فيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله
وعمر بن موسى بن معمر بن عثمان بن عمرو وفيهم محمد بن سديد بن أبي وقاص
فقال لهم ماترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فإن خافه من

الغضبان . أصلح الله الأمير قد آذاني الحديد وأوهن ساقى القيود فما يخاف من عدلك البرىء ولا يقطع من رجائك المسىء . قال الحجاج انك لسمين قال الغضبان القيد والرقة ومن يك ضيف الأمير يسمن قال إنا حاملوك على الأدهم قال الغضبان مثل الأمير أصلحه الله يحمل على الأدهم والأشقر . قال الحجاج : إنه لحديد قال الغضبان لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً قال الحجاج اذهبوا به الى السجن قال الغضبان « فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون » فاستمر في السجن الى أن بنى الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ما رأينا مثلها قط قال الحجاج أما أن لها عيباً فما هو؟ قالوا ما نرى بها عيباً قال سأبحث الى من يخبرنى به فبعث فأقبل بالغضبان وهو يرسف في قيوده فلما منل بين يديه قال له يا غضبان كيف قبتى هذه قال أصلح الله الأمير نعمت القبة حسنة مستوية قال اخبرنى بعيبها قال . بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن : قال الحجاج صدق ردوه الى السجن فقال الغضبان أصلح الله الأمير قد أكلنى الحديد وأوهن ساقى القيود وما أطيق المشى قال احتملوه فلما حمل على الأيدى قال « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال أنزلوه قال « رب أنزلنى منزلاً مباركا وأنت خير المنزلين » قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر « بسم الله يجرها ومرساها ان ربي لغفور رحيم » قال الحجاج اضربوا به الأرض فقال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبنى والله هذا الخبيث أطلقوه الى صفحى عنه قال الغضبان « فاصفح عنهم وقل سلام » فنجوا من شره بإذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه .

إن الرمضاء قد أحرقت قدمي قال الغضبان بل عليها يبردان قال الأعرابي إن
الومج شديد قال الغضبان مالي عليه سلطان قال الأعرابي اني والله ما أريد طعامك
ولا شرابك قال الغضبان لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال الأعرابي وما
عليك لو ذقتهما قال الغضبان نأكل ونشبع فان فضل شيء من الأكرياء والغلمان
والكلاب أحق به منك قال الأعرابي سبحان الله قال الغضبان نعم من قبل أن
يطلع رأسك فاو أضراسك الى الدنيا قال الأعرابي ما عندك إلا ما أرى قال
الغضبان يلي عندي هراوتان أضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك قال الأعرابي
إنا لله وإنا اليه راجعون قال الغضبان أظلمك أحد قال الأعرابي ما أرى ثم قال
الأعرابي يا آل حارث بن كعب فقال الغضبان بئس الشيخ ذكرت قال الأعرابي
ولم ذلك قال الغضبان لأن إبليس يسمى حارثا قال الأعرابي اني لأحسبك
مجنونا قال الغضبان اللهم اجعاني من خيار الجن قال الأعرابي اني لأظنك حروريا
قال الغضبان اللهم اجعاني ممن يتحرى الخير قال الأعرابي اني لأراك منكرا قال
الغضبان اني لمعروف نيا أوتي . فولى عنه وهو يقول : إنك لبذخ أحق وما
أنطق الله لسانك إلا بما أنت لاق وعما قليل تلف ساقك بالساق . فلما قدم
الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر ؟ قال لست بشاعر ولكني حائر قال
أفعراف أنت قال بل وصاف قال كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال الغضبان :
أرض ماؤها وشل وسهلها جبل ، وثمرها دقل ولصها بطل ، وإن كثرت الجيش بها
جاعوا وإن قل بها ضاعوا . قال صدقت أعلمت من كان الأعرابي . قال لا قال
كان مالك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك اذهبوا به إلى السجن فانه صاحب المقالة
تغدى الحجاج قبل أن يتعشاك وأنت يا غضبان قد أندرک خصمك على نطق
لسانك فما الذى به دهاك قال الغضبان جعاني الله فنداك يا أمير المؤمنين أما أنها
لا تنفع من قبلت له ولا تضر من قبلت فيه فقال الحجاج : أجل ولكن أتراك
تتجو مني بهذا والله لأقطعن يديك ورجليك ولأضربن بلسانك عينك قال

على إظهار خلعان الحجاج كتب الى أيوب بن القرية التميمي وهو مع الحجاج في عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوها كليا يسأله أن يصدر اليه رسالة إلى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرية رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يحكمون بعدي ، ويوفون بعدي ، ويجاهدون في سبيله ويتورعون لذكره ولا يسهون ، ولا يسهون دما حراما ، ولا يطلون للرب أحكاما ولا يدرسون له أعلاما ولا يتكبرون النهج ولا يبرمون السيء ولا يسارعون في الغي ، ولا يدلون الفجرة ولا يتراضون الجورة ، بل يتمكنون عند الاشتباه ويتراجعون عند الاساءة ، أما بعد فاني أحمد الله حمدا بالغاً في رضاه منتبها الى الحق في الأمور الحقيقية لله علينا . وبعد فان الله أنهضني باصاوتك وبعثني لمناضلتك حين بمرت أمورك وتهتكك ضورتك فأصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وقتما ولا توافق رفقا ، ولا تلازم صدقا أو مل من الله الذي ألهمني ذلك أن يصيرك في حبالك وأن يحجي بك في القرن ويسحبك للذق وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدي من أنهمته وعاديتي . فلم يمرى لقد طال ما تظاولت وتمسكت وأخطيت وخأت ان ان تبور ، وأنت في فلك الملك تدور ، وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن قريب فسر لأمرك ولاق عصاة خلقك من حيالها خلفها نبالها وتدرعت حلالها ندرعها مطالها لا يحذرون منك جهداً ولا يرهون منك وعيدا . يتأملون خزايتك ويتجرعون إمارتك عطاشا الى دمك يستطمعون لله لملك وأيم الله ليناقتك منهم الأبطال الذين بيتهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا أنفسهم تقريبا الى الله فاعص عن ذلك يا ابن أم الحجاج فسنحمل عليك إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام على أهل طاعة الله . فلما قدم الكتاب على الحجاج خرج موائلا قد أخذ بطرف رداءه وألقى الطرف

(حرب الحجاج بن الأشعث و قتله)

قال وذكروا أن الحجاج لما قدم العراق أميراً زوج ابنه محمداً ميمونة بنت محمد بن الأشعث بن قيس السكندی رغبة في شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها في جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها إلى مصافاته ليكونوا له يداً على من ناوأه ، وكان له أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث السكندی له أبهة في نفسه وكان جميلاً بهياً منطلقاً مع ما كان له من التقدم والشرف فأزماه ذلك وملاؤه كبراً ونفراً وتطاولاً فألزمه بنفسه وألحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجرى عليه العطايا الواسعة صلة بصهره وحبا لاتمام الصديعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حيناً مع الحجاج لا يزيد به الحجاج إلا إكراماً ولا يظهر له إلا قبولا وفي نفس الحجاج من عجبه ما فيها لتشمخه زاهبا بأنفه حتى أنه كان يقول اذا رآه مقبلاً : أما والله يا عبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عنى بقضاء غادر وأيم الله لتبائين حقيقة أمرك على ذلك . فكسك بهذا القول منه دهرأ حتى اذا عيل صبر الحجاج على ما يتطلع من عبد الرحمن أراد أن يبتلى حقيقة ما يتفرض فيه من الغدر والنسجور وأن يبدى منه ما يكتم من خائباته فكتب اليه عهده على سيجستان فلما بلغ ذلك أهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعاً شديداً فأتوا الحجاج فقالوا أصابع الله الأмир إنا أعلم به منك فأنك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبى أن ينتهي عجبه بنفسه ونحن نتخوف أن يفتق فتقاً أو يحدث حدثاً يصينا فيه منك ما يسوئنا فقال الحجاج القول كما قائم والرأى كالذى رأيتم ولقد استعملته على بصيرة فان يستقيم فلفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدى إن شاء الله فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مصر لخاله طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره أجمع حتى نزل مدينة سيجستان ثم مر على خادمانه عاهاً كاملاً فلما أجمع عبد الرحمن

أنا ابن العروة وابن الشيخ الأغر ، كذبتهم ورب الكعبة ما الرأي كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا لعبوبكم وإياكم أن أكون أنا وأنتم كما قال القائل .
 انك ان كلفتني ما لم أطق * ساءك ما سرك مني من خلق
 والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون ، فالتقدم قبل التندم ، وأخو المرء نصيحته ،
 ثم قال :

لدى العلم قبل اليوم ما تقرر العصا * وما علم الانسان إلا ليعلم
 ثم قال : احمدا ربكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال :
 اكتب يا نافع وكان نافع مولاه وكتبا يكتب بين يديه : بسم الله الرحمن الرحيم
 من الحجاج ابن يوسف الى عبد الرحمن ابن الأشعث سلام على أهل الزروع من
 الترييع وأسباب الرداء لا الى معادن السوء والتقمح في النفي فاني أحمد الله الذي خللك
 في حيرتك إذ بهتك في السيرة . ووهلك للضرورة . حتى أقبحمك أمورا أخرجك
 بها عن طاعته . وجانب ولايته ، وعسكرت بها في الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ،
 أفلا تشكر في السراء ، ولا تصبر في الضراء ، أقبلت مستنابا بحريم الحرة وتستوقد
 الفتنة لتصلي بحرها وجلبت لغيرك ضررها وقلت وثاق الاحتجاج ، ومبارزة الحجاج ،
 الا بل لأمك الهبل وعزة ربك لتسكن لتجرك ، ولتعاين لظهرك ، ولتخبطن فريستك
 ولتدحضن حججك . ولتذمن مقامك . ولتشفغن سهامك . كأني بك نصبر الى غير
 مقبول منك إلا السيف هو جاح عند كشف الحرب عن ساقها ومبارزة
 أبطالها والسلام على من أتاب الى الله وسمع وأجاب . ثم قال : من هاهنا من فتية
 بنى الأشعث بن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير قال فآني به قاله انطلق بهذا الكتاب
 الى هذه الطاغية الذي قد فتن فاردعه عن قبيح ما دخل فيه وعظيم ما أصر عليه
 من حق الله وحرمة ما انتهك عدو الله الى ما في ذلك من سفك الدماء وإباحة الحرم
 وإنفاق الأموال فآني لولا معرفتي بأنك قد حويت علما . وأصبت فقها أخاف أن
 يكون عليك لا لك لاعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل

الآخر يجره من خافه حتى صعد المنبر ونودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس .
ثم قال :

نقاتلهم ولا نشتم عدوآ * وشر عداوة المرء السباب
امرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ
وعظ بغيره فالتعظ ، قد تبين لـكم ما تأتون وما تبغون العجب العجيب وما هو أعجب
من العير الا بتر إني وجهته ومن معه من المنافقين سبعائة وزن سبعة سوا فانطلقوا
في نحور العدو ثم أقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عيرا بتر ومن كيده
ما هو أعجب العجب على حين أننا قد أمنا الخوارج وأطفأنا الفتن وتناجعت اليهم
فكان من شكركم يا أهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم وإحسانه اليكم جرأتكم
على الله وانها لكم حرمة واغتراركم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوم ما ذليل لا
توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من أمير جيش إلا وهو
في جنده بمنزلة العروس التي يزف بها الى خدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون
اليه لا يرون له حرمة في حجة وذماما في طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا
الذي يتخوف منكم يا أهل العراق أما هذا الذي يتقى والله لقد أكرمنا الله به واتكم
وهانكم بكرامتنا في مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله اتخاذها وما
الله بظلام للعبيد ؟ ثم خذلناكم لهذه المعلوجاء المقصصة انحرافا أولهذه المعلوجاء
وأخلطها من أهل العراق ، لقد هممت أن أترك بكل سكك منها جيفاً منتفخين
شائلة أرجلها تنهشهم الطير من كل جانب . يا أهل الشام أحدوا قلوبكم وأحدوا
سيوفكم ثم قال ،

قد جد أشياءكم فجدوا * والقوس فيها وترعد

* مثل ذراع البكر أو أشد *

هيات ترك الخداع من أجرى من المائة ، ومن لم يزد عن حوضه يهدم ،
وأرى لحزام قد باغ الطيبين ، والتقتا حلقتا البطان ، ليس سلامان كهدهان ،

الليل وأصاب الحجاج عسكره وأسر سعيد بن جبير وأفلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الأشعث فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له : ويحك يا سعيد أمانتني مني ومدك الشيطان في طغيانك ألا استحييت من المراقب لي ولك والحافظ علي وعليك فقال : أصلح الله الأمير وأمتع به هي بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الأمير وكما نسبته به وأضافه إليه إلا أني أتيت رجلاً قد أزهى وطني ولبسته القنشة وركب الشيطان كنفه ونفث في صدره وأملى على لسانه : ففتنه وأنفته بالذي فعلت فان تعاقب بذنب وإن تعف فسجية منك فقال له الحجاج فانا قد عفونا عنك وسندك اليه تارة أخرى . ثم كتب كتاباً وجده مع سعيد بن جبير الى عبد الرحمن فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبد الرحمن فأخبره ففر عبد الرحمن وخرج هو اثلاً الى أهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطلونه ويستعجلونه حتى قدم عليهم وبلغ ذلك الحجاج فسبقه الى البصرة فدخل الحجاج المسجد منتكباً قوساً فصجد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وحرص الناس على قتال ابن الأشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من أهل البصرة يقال له سلة المنقري من بني تميم وكان رجلاً منطقياً وله هوى في الخوارج وكان الحجاج به خابراً فلما رآه عرف أنه يريد الكلام فقتل ادن يأسامة فدنى فقال له قل فقال : قد رضينا بالله رباً وبمحمد نبياً وبالاسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبأمر المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف والياً والله لو كنا زمعاً وبني زمع ما رضينا أن نكون تبعاً لهذا الخائنك ، أمير المؤمنين أعزه الله وأمره أقرب قرابة وأوجب حقاً ونحن ألزم طاعة الأمير أكرمته من أن نسارع له في مصلية أو نبتلي عنه في طاعة . فأجابه الحجاج فقال يا سلة هذا قول حسن لا أدخله صدرى ولا ردنه في تحرك حتى نبتلي حقيقته إن شاء الله . وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر بأجناده بالزاوية والزاوية في طرف من ناحية البصرة في طرف بني تميم . ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق وقده

الكتاب اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعيته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذى هوى وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكنتم الكتاب وجعل يستخلى بأبن جبير في الليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فأبى سعيد ذلك عليه فسكت بذلك شهراً كريئافاستغفه سعيد ابن جبير بطلبه وسارع معه في رغبته وخافان طاعة الحجاج ثم أن عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلاً يقوده من يهوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من أجناده من أهل الشام ومن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من أديار الأهواز يسمى بنيسابور ناصبه للقتال ستة أشهر كريئة لاله ولا حايه حتى إذا كان في جوف ليلة من الليالي خلا الحجاج بعنبرة بن سعيد بن الباص ويزيد بن أبي مسلم مولاه وحاجبه على ما وراء بابه وأما يحيى فوكله بالقيام خلف ظهره اذا ذكر نسي أو غفل نفسه بمنخسة ثم قال اذكر الله يا حجاج فيذكر ما بدا له أن يذكر . وأما زياد فكان ذا رأى ومشورة وأدب وقفة ونصيحة . وأما عنبرة فكانت بديهة طويلة اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موثق الرأى فاستشارهم لما دال به وبهدد الرحمن القتال لا يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير وأشجى فكان هذا فقيه أهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة في أن يبيته فسكره ذلك مواليه وأشار عنبرة أن يبيته فقال الحجاج أصبت أصاب الله بك الخير وما الامر إلا النصيحة والرأى شعوب فخطب منها ومنها فصيبت غدا الاثنين فصوروا ونصوموا واستغنوا الله بالخيرة ونيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل ويترجل أهل مودتي ونصيحتي من ولدي وغيرهم فقبل . وأصبح صائماً وبيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول . اللهم إن كان الحق لهم فعلاً فلا تمتنا على الضلالة وإن كان الحق لنا فانصرنا عليهم . فحمل عايهم واليزران توتد فأصاب منهم وأصيب منه وانهم ابن الأشعث في سواد

بالأمارة قال من أنت قال رجل من خزاعة قال من أهل البصرة أنت أم من أهل السكوفة قال لا بل من أهل سجستان قال هل تأخذ للأمير المؤمنين ديوانا قال لا قال أفن وزراء ابن الأشعث أنت علينا في هذه الفتنة يا أخا خزاعة قال والله ما هويتها ولقد جابني إليك مكرها قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا انصرفت اليه قال بالأمرة قال فهل ترى في ذلك أنك صادق قال الله أعلم بأى الأمرين هو في نفسك على الصواب أم على الخطأ قال الله أعلم أى الأمرين في نفسى قال أما إنك يا أخا خزاعة قد رددت الأمر اليه وهو تعالى أعلم انطلق الى صاحبك بكتابك كما جئت به واعلمه بالذى كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الى الله من يوم الاربعاء إن شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وذلك يوم الاحد . فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخطه (أى مثل ما فعله) كف فلم يسأله أمام من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه فأخبره الخبر قال وما وراء ظهرك إلا هذا قال له في دون ما جئت بك به ما يكفيك فقد رأيت أمراً صعبا ليس وراءه إلا المناجزة ثم أن الحجاج هتف هتفة أن اجتمعوا للعطية ففرق العطية على ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابرص الكلبي حلى ميمته وسعيد بن عمرو الجرشى على القلب وعبد الرحمن بن عبد الله العكي على ميسرته فأعطى الناس على هذا وأقام في معسكره متربصا ومنتظرا ليوم الاربعاء . فلما رأى ابن الأشعث أنه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنا من معسكر الحجاج فنزل قريبا منه على مقدار حضر الفرس وجاء أن يتحش له أحد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فراراً منه وتطيراً به فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أرادته والذى توقع فتقدم الى أمراء أجناده وقواده والى أهل عسكره عامة ألا يكلم أحد منهم أحداً من عسكر ابن الأشعث ولا يعرضه نفسه وان أمكنته الفرصة منه الى يوم الأربعاء .

كان انهزم لابن الأشعث غير ماهرة وقتل له ابن الأشعث خلقا لا تحصى كثرة قبل هذه المرة حتى يأس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتى يعنى أسماء بنت أبي بكر الصديق لئن صدقت أسماء لا أقتل اليوم وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق أن تأتیه فأبت أن تأتیه فقال والله لئن لم تأتني لأبعثن اليها من يجر بقرون رأسها ويسحبها حتى تصل إلى فقيل ذلك لها فقالت والله لا أسير اليه حيث يبعث إلى من يجر بقرون رأسى . فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت ما فعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المقتى لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه . فقالت : رأيت اختار قتالاً فاختار الله له ما عنده إذ كان اكرامه خيراً من إكرامك ولكن يا حجاج بلغنى أنك تنتقصني بنطاق هذين أو تدري ما نطاق أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر وأما النطاق الآخر فأوثقت به خطام بعيره فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان لك به نطاقان فى الجنة ، فانتقص على بعد هذا أودع ولكن لأخالك يا حجاج ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منافق ثقیف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلق ويقذف السكبة بأحجارها ألا لعنة الله عليه ، فأخم الحجاج ولم يجد جواباً قال وسار الأشعث بعد ما هزم الحجاج مراراً الى الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن مروان أن أمدني بالرجال فأمدته بمحمد بن مروان فى أناس من بنى أمية كثير وجعل الحجاج أميراً عليهم فسار الحجاج بن الأشعث فاقتلوا أياما بدير الجماجم حتى كثر القتل فى الفريقين جميعاً ثم أن ابن الأشعث لما حشدوا الحجاج البصرة عسكر على مسير ثلاثة أيام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر فكاتب ابن الأشعث يسأله أن يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى يستعمل عليهم أمير المؤمنين غيره من هو أحب اليهم منه فلما انتهى اليه رسوله قال الحجاج أدخلوه فلما دخل سلم عليه

الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيراً وكبروه تكبيراً عالياً ثم انتهوا الى ربوة فأومأ اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران في يده وهو يمثل بهذه الايات وهى من قول عبيد ابن الابرس أو من قول اليشكرى

كيف ترجون سقوطى بعد ما	جال الرأس بياض وصلح
ساء ماظنوا وقد أورتهم	عند غايات المدى كيف أقع
رب من أنضجت غيظا قلبه	قد تمنى لى موتا لم يطع
ويرانى كالشجى فى حلقه	عسراً مخرجه ما ينتزع
مزبد يهدر ما لم يرن	فاذا أسمعته صوتى انقمع
فيحبنى اذا لاقيته .	واذا يخلو له لحنى رتع
ورث البغضاء عن والده	حافظا منه الذى كان استمع
واسانى صيرنى صارم	كذباب السيف ما مس قوطع

قال فلما فرغ الحاج من هذه الايات كبر ثم حمد الله بما هو أهله للذى كان من صنعه فيينا هو كذلك إذ أنه من يخبره أن ابن الاشعث قد انخزل من أصحابه فى نهر يسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحاج ابن عم له كان يبرفه النصيحة والهوى فتطاع معه ليلا وأرسله فى طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد اليهم أن لا يدركوا أحداً إلا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا فى مكانه ذلك المرتفع ينظر الى معسكر ابن الاشعث وأصحابه ينتهونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فجلس وأذن لأصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم بينه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالامرى فكلما أوتى بأسيراً مر به فضربت عنقه فكان ذلك فعلة ذلك الى الليل فلما أصبح وتراجع اليه أكثر خيله أمر مناديه ينادى بالقفل فتقل وقتلت معه أجناده وجميع أصحابه الى مدينة واسط فسكان فيها وهو الذى بناها وضرب ابن الاشعث ظهرا لبطان ايلا ونهارا حتى لحق بخراسان ورجا فى الحوقة

فلما كان صبيحة يوم الأربعاء وهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يتنا كحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبلع الأغر الأشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبها خلافا لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلاً على الله ونادى مناديه في عسكره أن انهضوا إلى قتال ابن الأشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته وآخر خلفه مقاتلته حتى إذا كانوا من عسكر ابن الأشعث على منال السهم وقف نصف أصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الأشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبراً من حديد فجلس عليه وتراعى الناس حتى إذا كاد القتال ينشب تخرج رجل من أصحاب ابن الأشعث وهو ينادى ألا مبارز فقام إليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو يمشى مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرها له فلما رآه الحجاج وهو يمشى تلك المشية قال الحجاج ظلمت يا عنبسة لو كنت تاركها يوماً عن دهرك لتركته يومك هذا فلما دنا من الرجل قال له عنبسة فمن أنت يا شيخى فقال له رجل من بني تميم ثم من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ثم انصرف إلى بيمامته بئس وقد تبين للناس حسن صنعه ثم زحف الفريقان بعضهم إلى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والجرجشي على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم على الميسرة فنحوا عبد الرحمن العمكي فلما رأى الحجاج قد انكسرت ناحية وزال عنها بعث إليه ابن عمه الحكم بن أيوب في حيل فقال اندلق إلى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده إلى مقامه ففعل وبعث إلى سفيان بن الأبرد يأمره بقتال القوم القوم ومخاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها وكان بأذن الله الانتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث إليه الجرجشي يستأذنه للقتال فسمعه الحجاج وقال له لا إلا أن ترى أمراً مقبلاً رتمكنا من فرصة فاجتمع الأمر وثاب العكي وانهزم ابن الأشعث واستحققت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحلاً معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ما صنع

رأسه لم يشعر فلما رفع رأسه ورآه قال له وأنت أبضا ياشعبي فيمن أعان علينا
والب قال : أصلح الله الأمير اني أمرت بأشياء أقولها لك أرضيك وأسخط الرب
ولست أفعل ولكنى أقول أصلح الله فان الأمير وأصدقك القول كل شئ يقع
بين يديك فهو في الصدق إن شاء الله أخزن بنا المنزل وأجذب الجناح واكتحلنا
السهر واستجلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقدنا في حرب لم يكن فيه
بررة أتقياء ، ولا جرة أقوياء ، فقال له الحجاج كذلك قال نعم أصلح الله الأمير
وامتنع به قال فظفر الحجاج الى أهل الشام فقال صدق والله يا أهل الشام ما كانوا
بررة اتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا جرة أقوياء فيقوموا علينا ثم قال . انطلق
ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت أحق بالعمو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول
كال وكان . قال وكان قد أحضر بالباب رجلان أحدهما من بكر بن رائل والآخر
من تميم وكانا سمعا ما قيل للشعبي بالباب أن يقوله فلما أدخلوا قال الحجاج
للبكري أمتاق أنت قال نعم أصلح الله الأمير لكن أخو بني تميم لا يؤ على
نفسه بالنفاق . قال التميمي : أنا على دمي أخدع أصلح الله الأمير منافق ومشارك
فتبسم الحجاج وأمر بتخيلة سيبلهما فقال الشعبي فوالله ما أبى لذلك الأمر إلا نحو
من سهرين حتى رفعت اليه فريضة اسكت عليه وهي أم وجد وأخت
فقال من هاتنا نسأله عنها قال فدل على فارس الى وقال ياشعبي ما عندك في هذه
الفريضة أم وأخت وجد . فقالت : أصلح الله الأمير قال فيها خمسة من أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم قال : من قال فيها ؟ قلت قال فيها علي ابن أبي طالب
وأمر المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن
ثابت قال : هات ما قال فيها علي فأخبرته قال فما قال فيها ابن مسعود فأخبرته قال
فما قال فيها ابن عباس فوالله لقد كان مثقفا فأخبرته . قال فما قال فيها أمير المؤمنين
عثمان فأخبرته قال فما قال فيها زيد بن ثابت قلت أخذها من تسعة أسهم وأعطى
الجد أربعة أسهم وأعطى الأخت سهمين فلما سمع ما كان من قول كل واحد منهم

بها النجاة من الحجاج والحدر لنفسه ولم يشعر بالخليل التي في طلبه حتى غشيته فلم
تزل تطلبه من موضع الى موضع حتى استغاث بقصر منيف فحصره ابن عم
الحجاج فيه وأحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه
في القصر فلما رأى ابن الأشعث أنه لا يحص له ولا مابجأ وخاف النار فرمى
بنفسه من بعض علالي القصر وطمع أن يسلم ولا يشعر به فدخل في غمار
الناس فيخفي أمره ويكتم خبره فستقط فانكسرت ساقه وانخزل ظهره ووقع
مغشياً عليه فشعر به أصحاب الحجاج فاخذوه وقد أفاق بعض الأفافة ولا يقدر
على النهوض فاتوا به الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال أيقن أنه لا يقدر على
أن يبلغ الحجاج حتى يموت فامر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الى الحجاج
فلما قدم عليه أحدث لله شكراً وحمداً فيما كان من تمام الصنع وما هيا له من التأييد
والظفر وأقام كذلك لا يمر عليه يوم إلا وهو يؤتي فيه بأسرى فلما رأى كثرتهم
ازداد حنقا وغيظا لمسارعتهم في اتباع ابن الأشعث ومخالفتهم عن الحجاج فيأمر
بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء أن يستأصلهم فلا يخرج عليه خارجي بعدها
فلما رأى كثرة من يؤتي به من الأسرى تحرى لجعل اذا أوتي بأسير يقول له :
أموءن أنت أم كافر ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر
والنفاق عني ومن قال أنا مؤمن ضرب عنقه . وأسر عامر بن سعيد الشعبي
فيمن أسرو وكان مع ابن الأشعث في جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس
لأحد منه مثلها للذي كان عليه من حاله إلا سعيد بن جبير فلاحق بمكة وأوتي
بالشعبي الى الحجاج في سورة غضبه وهو يقتل الأسرى الأول فالأول إلا من
بأه على نفسه بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الى الدخول عليه
لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن أبي مسلم وكان مولاه وحاجبه
فقال : يا شعبي طفي بالعلم الذي بين دفتيك ولبس يوم شناعة اذا دخلت على
الأمير فبؤ له بالكفر والنفاق عسى أن تنجو فلم يدخل على الحجاج صادفه واضعا

بأرض فارس ثم صار إلى السند فمات هناك وتحصن ناس من أصحاب بن الأشعث في قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو بن موسى التيمي ومحمد بن سعيد بن أبي وقاص وعبيد الله ومحمد وإسحاق وعون بنو عبد الله بن الحارث في ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهيج به فبعث الحجاج يزيد بن الملهب فحاصروهم بفارس . قال أبو معشر حدثني عون قال كتب الينا يزيد بن الملهب أن أخبروني بأية بيني وبينكم حتى أخرجكم فكتب إليه عبد الله بن الحارث يوم كذا وكذا في دارنا قال فأخرجته وبنيه فسكناه عمان وأسر من بقي وأسرنا اثني عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التيمي ومحمد بن سعيد ابن أبي وقاص فبعث بهم إلى الحجاج فحبسهم عنده وكتب إلى عبد الملك يخبره بأمرهم وجعل يذكر في كتابه إن سعيداً قد أنكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب إليه عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم ويقول في كتابه لم أبعثك مشفعا وإنما بعثتك منفذا لأهل الخلاف والمعصية . فأبرزهم الحجاج فقال لعمر بن موسى يا عاتق قريش وكان شبا جميلا مالك أنت وللخروج إنما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب فقال عمرو بها الرجل امض لما نريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فان شئت فأرسل يدي وقد برئت مني الذمة فقال له الحجاج كلا حتى أقدمك إلى النار فضربت رقبته ثم جرى بمحمد بن سعد فقال يا ظل الشيطان وكان رجلا طويلا الست بصاحب كل موطن أنت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الانجام فقال له إنما نزلت بعهد الله وميثاقه أرسل أيدي وقد برئت مني الذمة قال لاحتى أقدمك إلى النار ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لي مفرق رأسه فضرب فقال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا وقتل الباقي

وعرف رأيهم فيها قال يا علام قل للقاضي يمضيها على ما قال أمير المؤمنين عثمان . قال
الشعبي ودخلت عليه الترك قد شدوا أوساطهم بهمهم وانزعزت السيوف من
أعناقهم وأخذوا الطوامير بايمانهم فدخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد
الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده وحشمه فأبأه عنه
وعنهم بصلاح فقال ما كان وراءك من غيث قال نعم أصاح الله الأمير أصابني
سحابة في موضع كذا فواد سائل وواد تارع ، فارض مدبرة وأرض مقبلة حتى
صدعت عن الكمأة أما كنها فما أتيتك إلا في منسل يجري الغضب فقال للحجاج
أئذن للناس فدخل رجل أتاه من قبل نجد فقال له ما كان وراءك من غيث فقال
كثير الأعصار وأغبر البلاد واكل ما اشرف من الحشيشة فاستيفنا انه عام سنة .
فقال بسئ المجبر أنت قال أخبرتك بالذي كان فقال للحجاج أئذن للناس فدخل
عليه رجل أتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وراءك من غيث قال نعم وسمعت
الرواد يدعون الى ريادها وسمعت رايد يقول هلموا أوالجكم حلة تطفوا فيها
النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعز فقال له ويحك إنما تحدث أهل الشام
فأفهمهم فقال أصلح الله الأمير ما تطفوا بالنيران فيستسكث فيها الزبد والابن والثر
فلا توقد ناراً وأما أن يشتكي النساء فإنه من جذبها على إبريق لبنها فتظل تمخض
لبنها فتبيت ولها أنين من عضديها وأما تنافس المعز فانها ترأى من نوار النبات
وألوان الثمر ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت أكراسها
من الكفظة ثرة تنزل به الدرة . ثم قال للحجاج أئذن للناس فدخل عليه رجل
من الموالي كان أشجع الناس في زمانه يقال له عمرو بن الصلت فقال له الحجاج هل كان
وراءك من غيث قال نعم أصلح الله الأمير أصابني سحابة بموضع كذا وكذا فلم
أزل أطلب أثرها حتى دخلت على الأمير فقال له الحجاج أما والله لئن كنت في
المطر أقصرهم خطبة أنك بالسيف لا طولهم خسارة . ولما انهزم ابن الأشعث قام
بعده عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة أيام ثم انهزم فوقع

بواسم أبي قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لأردنك حياض الموت قال سعيد أصابت إذا أمي اسمي فقال الحجاج لا بدلتك بالدنيا ناراً تظلي قال سعيد ولو أعلم أن ذلك بيدك لا اتخذتك الها قال الحجاج فما قولك في محمد قال سعيد نبي الرحمة ورسول رب العالمين إلى الناس كافة بالموعظة الحسنة ، فقال الحجاج فما قولك في الخلفاء قال سعيد لست علمهم بوكيل كل امرئ بما كسب رهين قال الحجاج اشتبههم أم أمدحهم قال سعيد لا أقول ما لا أعلم إنما استخففت أمر نفسي . قال الحجاج أيهم أعجب إليك قال حالاتهم يفضل بعضهم على بعض قال الحجاج صف لي قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من في النار علمت فاسألك عن غيب قد حفظ بالحجاب ، قال الحجاج فأى رجل أنا يوم القيامة ؟ فقال سعيد أنا أهون على الله من أن يطلقني على الغيب . قال الحجاج أبيت أن تصدقني قال سعيد بل لم أود أن أكذبك فقال الحجاج فدع عنك هذا كله أخبرني ما لك لم تصدقك قط قال . لم أر شيئاً يضحكني وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبته إلى الجزاء واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء ، قال الحجاج فأنا أضحك فقال سعيد كذلك خلقنا الله أحراراً قال الحجاج هل رأيت شيئاً من الله ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والنأي قال فلما ضرب بالعود ونفخ في النأي بكى سعيد قال الحجاج ما يبكيك قال يا حجاج ذكرتني أمراً عظيماً والله لا شبت ولا رويت ولا اكتسبت ولا زلت حزينا لما رأيت قال الحجاج وما كنت رأيت هذا والله فقال سعيد بل هذا والله الخرق أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور وأما هذا المصيران فمن نفس ستعشر معك إلى الحساب وأما هذا العود فثبت بحق وقطع غير حق ، فقال أنا قاتلك قال سعيد قد فرغ من تسبب موتي قال الحجاج أنا أحب إلى الله منك قال سعيد لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب أعلم ، قال الحجاج كيف لا أقدم على ربي في مقامى هذا وأنا مع إمام الانبياء وأنت مع إمام

(ذكر قتل سعيد بن جبير)

قال وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان وليا على أهل مكة فينما هو يخطب على المنبر إذ أقبل خالد بن عبد الله القسري من الشام واليا عليها فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى في الدرجة الثالثة تحت مسلمة أخرج طوماراً محتوما ففرضه ثم قرأه على الناس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أهل مكة أما بعد فإني وليت عليكم خالد ابن عبد الله القسري فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلن امرؤ على نفسه سيلا فانما هو القتل لا غير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت إليهم خالد . وقال : والذي نحلف به ونحج إليه لا أجده في دار أحد إلا قتله وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمة وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام : ثم نزل ودعا مسلمة برواحله ولحق بالشام : فأتى رجل إلى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من أودية مكة محتفيا بمكان كذا فارسل خالد في طلبه فأثاه الرسول فلما نظر إليه الرسول قال إنما أمرت بأخذك وأتيت لا ذهاب بك إليه وأعوذ بالله من ذلك فالحق بأى بلد شئت وأنا معك قال له سعيد بن جبير ألك هاهنا أهل وولد قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المسكوه مثل الذى كان ينالنا قال الرسول فإني أكلهم إلى الله فقال سعيد لا يكون هذا . فأتى به خالد فشده وثاقا وبعث به إلى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام : إن الحجاج قد انذر به وأشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك وبين الله لكان أذكى من كل عمل يتقرب به إلى الله : فقال خالد وقد كان ظهره إلى الكعبة قد استند إليها . والله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى عني إلا بقتل هذا البيت حجرا حجرا لنقضته في مرضاته . فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك قال سعيد قال ابن من ؟ قال ابن جبير قال بل أنت شقي ابن كسير قال سعيد أى أعلم باسمي

(ذكر بيعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك)

قال وذكروا أنه لما فرغ الحجاج من قتل الخوارج وتم له أمر العراق فاستقر ملك عبد الملك كتب اليه الحجاج أن يبايع للوليد ابنه ويكتب له عهده للناس فأبى ذلك عبد الملك لأن أخاه عبد العزيز كان حيا وكان قد استعمله عبد الملك على مصر وكتب اليه الحجاج يربخه ويقول له مالك أنت والتكلم بهذه وكانت البيعة بالشام لهما جميعا اذا مات مروان وكان عبد العزيز نظير عبد الملك في الحزم والرأى والعقل والزكاء وكان عبد الملك لا يفضل عبد العزيز في شيء إلا باسم الخلافة حتى لربما كان عبد الملك يأمر بالشيء فيريد عبد العزيز غيره ويرى خلافه فيرده الى رأيه ولا يعضيه وكان لا ينكر ذلك عبد الملك فلما كانت سنة إحدى وثمانين عقد عبد الملك لموسى بن نصير على أفريقية وما حولها ووجهه الى من بها من البربر يقاتلهم وضم اليه برقة فلما قدم موسى بن نصير متوجها انتهى ذلك الى عبد العزيز فردّه من مصر الى الشام وبعث قرّة بن حسان العلبي فأنصرف موسى بن نصير الى الشام لعبد الملك وذكر امتحان ناله من عبد العزيز وما استقبله من كلام كبير فقال له عبد الملك إن عبد العزيز ضنّ أمير المؤمنين وقد أمضينا فمناه . فتوجه قرّة بن حسان الى أفريقية فهزم بها وقتل غالب أصحابه فلما كانت سنة أربع وثمانين توفي عبد العزيز بن مروان بمصر ثم ولي محمد بن مروان الى سنة ست وثمانين فلما توفي عبد العزيز أجمع عبد الملك على بيعة الوليد ثم من بعد الوليد سليمان فكتب الى الحجاج ببيعة الوليد وسليمان فبايع لهما الحجاج بالعراق فلم يختلف عليه أحد وبويع لهما بالشام ومصر واليمن وكتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل وهو عامه على المدينة أن يأخذ بيعة أهل المدينة فلما أتت البيعة لهما كره ذلك سعيد بن المسيب وقال : لم أكن لأبايع بيعتين في الاسلام بعهد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا

الفرقة والفتنة قال سعيد ما أنا بخارج الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له ، قال الحجاج كيف ترى ما نجمع لا مبر المؤمنين قال سعيد لم أر فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه قال سعيد : هذا حسن إن قتت بشرطه قال الحجاج وما شرطه قال : أن يشتري له ما تجمع الامن من الفزع الا كبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تدهل عما أرضعت وتضع كل ذى حمل حمليه ولا ينفعه إلا ما طاب منه قال الحجاج فترى جمعنا طيبا ؟ قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه قال الحجاج أتحب أن نأت منه شيئا قال لا أحب ما لا يحب الله قال الحجاج ويليك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه قال إني أشهدك يا حجاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله استحفظكم يا حجاج حتى ألقاك فلما أدر ضحك قال الحجاج ما يضحكك يا سعيد قال عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال الحجاج إنما أقتل من شق عصا الجماعة ومال إلى الفرقة التي نهى الله عنها اضربوا عنقه قال سعيد حتى أصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خنيها مسلما وما أنا من المشركين ، قال الحجاج : اصرّفه عن القبلة إلى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلّفوا بينا بينهم فانه من حزبهم ، فصرف عن القبلة فقال سعيد نأينما تولوا فثم وجه الله الكافي بالسرائر ، قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وإنما وكنا بالغلوا مبر قال سعيد : اللهم لا تترك له ظلمي واطالبه بدمي واجمعاني آخر قتيل يقتل من أمة محمد فضررت عنقه . ثم قال الحجاج هاتوا من بقي من الخوارج فقتلوا اليه جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ما أخاف الادعاء من هو في ذمة الجماعة من المظالمين ذاما أمثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا من جمهور المسلمين وقائد سبيل المؤمنين ، وقال قائل أن الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خر لطي عنقه وجعل يصيح . قيودنا قيودنا يعنى القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير وبتال متى كان الحجاج يسأل عن اليهود أو يعبا بها وهذا يمكن القول فيه لاهل الاهواء في الفتح والاغلاق

فأما وقد ظهر ذلك وانتشر في أمره للناس فادعه الى البيعة فان أبي فاجله مائة سوط أو احلق رأسه ولحيته وألبسه ثيابا من شعر وأوقفه في السوق على الناس لكيما يجترى علينا أحد غيره . قال فلما وصل الكتاب أرسل اليه هشام فانطلق سعيد اليه فلما أتاه دعاه الى البيعة فأبى أن يجيبه فألبسه ثيابا من شعر وجرده وجعله مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وأوقفه في السوق وقال لو أنه ليس إلا هذا ما نزعنا ثيابي طائعا ولا أجبت الى ذلك قال بعض الابليين الذين كانوا في الشرط بالمدينة . لما علمنا أنه لا يلبس الثياب طائعا قلنا له يا أبا محمد انه القتل فاستر بها عورتك قال فلبس فلما تبين له إنا خدعناه قال : يا معلجة أهل ايلة لولا اني ظننت أنه القتل ما لبسته قال فكان هشام بن اسماعيل بعد ذلك اذا خطب الناس يوم الجمعة تحول اليه سعيد بن المسيب أن يقبل عليه بوجهه ما دام يذكر الله حتى إذا وقع في مدح عبد الملك وغيره أعرض سعيد عنه بوجهه فلما فطن هشام لذلك أمر حرسيا يحصب وجه سعيد اذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد إنما هي ثلاث وأشار بيده قال فما مر به إلا ثلاثة أشهر حتى عزل هشام

(موت عبد الملك وبيعة الوليد)

قال وذكروا أن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع بنيه قال لهم : اتقوا الله ربكم واصلحوا ذات بينكم وليجل صغيركم كبيركم وكبيركم صغيركم انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيرا فانه شيخكم وبجنتكم الذي به تستجنون وسيفكم الذي به تضربون ، أوصيكم به خيرا وانظروا الى ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه ولا تخلوا عن مشورته اتخذوه صاحبا لا تتجنوه ووزيرا لا تعصوه ، فانه ما علمتم فضله ودينه وذكاء عقله فاستعينوا به على كل مهم وشاوروه في كل حادث . قال ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فقال لهما أتجهان أن أسألكما بيعة الوليد وسليمان فقالا

كانتا بيعتين في الاسلام فاقتلوا الاحدث منهما ، فأتاه عبد الرحمن بن عبد القاري فقال اني مشير عليك بثلاث خصال اختر أيها شئت قال وما هي قال له أنك تقدم حيث يراك هشام بن اسماعيل فلو غيرت مقامك قال ما كنت لأغير مقاما قمته منذ أربعين سنة هشام بن اسماعيل قال فثانية قال وما هي قال أخرج معتمراً قال سعيد ما كنت لأجهد نفسي وأنفق مالى في شيء ليس لي فيه نية قال له فثالثة قال وما هي قال تباع للوليد ثم لسليمان قال سعيد أرأيت إن كان الله قد أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما علي قال وكان أعمى قال فدعاه هشام بن اسماعيل الى البيعة وكان ابن عم سعد بن المسيب فلما علم بذلك القرشيون أبو هشام فقالوا له لاتعجل على ابن عمك حتى نكلمه ونخوفه القتل فعسى به أن يبايع ويحبب قال فاجتمع القرشيون فأرسلوا الى سعيد مولى له كان في الحرس فقالوا له اذهب اليه نخوفه القتل وأخبره أنه مقتول فلعله يدخل فيما دخل فيه الناس فجاءه مولاه فوجده قائماً يصلي في مسجده فبكى مولاه بكاء شديداً فقال له سعيد ما يبكيك ويحك قال أبكى بما يراد بك قال له سعيد وما يراد بي ويحك قال جاء كتاب من عبد الملك بن مروان الى هشام بن اسماعيل إن لم تباع وإلا قتلت فجتك لتطهر وتلبس ثياباً طاهرة وتفرغ من عهدك ان كنت لا تريد أن تباع فقال له سعيد لا أم لك قد وجدتني أصلي في مسجدي أفتراني كنت أصلي ولست بطاهر وثيابي غير طاهرة وأما ما ذكرت من أن أفرغ من عهدي بعد ما حدثني عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما حق امرئ مسلم بيت ليلة له شيء يوصى به إلا ووصيته مكتوبة . فاذا شأوا فليفعلوا فاني لم أكن لأبايع بيعتين في الاسلام قال فرجع اليهم فأخبرهم بما ذكر فكتب صاحب المدينة هشام ابن اسماعيل الى عبد الملك يخبره أن سعيد بن المسيب كره أن يبايع لهما (للوليد وسليمان) فكتب عبد الملك اليه : مالك وسعيد وما كان علينا منه أمر تذكره وما كان حاجتك أن تكشف عن سعيد وتأخذه ببعيته ما كنا نخاف من سعيد .

الى قبره فهدمت من ساعتها وسويت بالأرض لئلا يعرج بسرى عبد الملك يمينا
وشمالا وليكون النهوض به الى حضرة تلقاء منزله ثم كتب ببيعته الى الآفاق
والامصار والى الحجاج بالعراق فبايع له الناس ولم يختلف عليه أحد فدخل
عليه سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين أعزل الحجاج بن يوسف
عن العراقيين فان الذى أفسد الله به أكثر مما أصلح فقال له الوليد أن
عبد الملك قد أوصانى به خيراً فقال سليمان عزل الحجاج والانتقام منه من طاعة
الله وتركه من محبة الله فقال الوليد سنرى فى هذا الامر وترون إن شاء الله .
ثم كتب الحجاج الى الوليد : أما بعد فان الله تعالى استقبلك يا أمير المؤمنين فى حدة
سنة بما لا أعليه أستقبل به خليفة قبلك من التمسكين فى البلاد والملك للعباد
والنصر على الأعداء فعليك بالاسلام فقوم أوده وشرائه وحدوده ودع عنك
حبة الناس وبغضهم وسخطهم فانهم قل ما يؤتى الناس من خير وشر إلا أفشوه
فى ثلاثة أيام والسلام .

(تولية موسى بن نصير على البصرة)

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما أراد أن
يولى أخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى أخيه عبدالعزيز بن مروان وهو
بمصر وينس معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن : اني قد وليت أخاك
بشر بالبصرة فاشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وقد بعثت اليك بديوان
العراق فادفعه الى موسى واعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير فشخص بشر من
مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى
ابن نصير خاتمه وتخلي عن جميع العمل فلبث موسى مع بشر ما لبث ثم أن رجل
من أهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك أن أسقيك شراباً
لا تشيب معه أبداً بعد أن اشترط عليك شروطاً . قال بشر وما هى قال : لا تغضب

يا أمير المؤمنين معاذ الله من ذلك قال فأوماً بيده الى وصلى كان مضجعاً عليه
فاخرج من تحته سيفه مصلتاً فقال لها والله لو قتلنا غير ذلك لضربت أعناقكما
بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال له عبد الملك
يا أبا حفص استوص خيراً باخويك الوليد وسليمان إن زلا فشاهاما وإن مالا
فاقيهما وإن غفلاً فذكرهما وإن ناما فايقظهما وقد أوصيتهما بك وعهدت اليهما
أن لا يقطعا شيئاً دونك . فقال عمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين أوصيتهما
بكتاب فليقيهما في عبادته وبلاده أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليحيياها
ويحملا الناس عليهما فقال عبد الملك قد فعلت وولى فيكم الله الذى نزل الكتاب
وهو يتولى الصالحين ثم قال وقد علمت يا عمر مكان ناطمة منى ومحلها من قلبي
وانى آثرتك بها على جميع آل مروان لفضلك وورعك فكن عند ظنى بك
ورجائى فيك وقد علمت انك غير مقصر ولا مضيع حقها ولكن الله قد قضى
أن الذكرى تنفع المؤمنين قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده .
قال : ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان فدخلاهما عليه فقال الوليد : اسمع يا وليد
حضر الوداع ، ذهب الخداع وحل القضاء قال فبكى الوليد فقال له عبد الملك لا تعصر
عينيك على كما تعصر الأمة الوكساء . اذا أنامت فاغسلنى وكفى وصل على وأسلمنى الى
عمر بن عبد العزيز يدلبنى فى حفرتى واخرج أنت الى الناس والبس لهم جلد نمر
واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف
كذا وتسكر للصديق والقريب واسمح للبعيد وأوصيك بالحجاج خيراً فإنه هو
الذى وطأ لكم المنابر وكفاكم تقحيم تلك الجرائم . قال فلما توفى عبد الملك
ومات من يومه ذلك خرج الوليد الى الناس وقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال : نعمة الله ما أجلها ومصيبة ما أعظمها وإنا لله وانا اليه راجعون نقل
الخليفة وقد دعا الناس الى البيعة فلم يمتنع عليه أحد ثم كان أول
ما ظهر من أمره وتبين من حكمه أن أمر يهدم كل دار ومنزل من دار عبد الملك

قلت موسى قال ما تزال تعرض لحيتك علينا قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال
لجراتك على واقتطاعك النبي قال فعلت ما فعلت يا أمير المؤمنين وما ألوئك
نصحا واجتهاداً وإصلاحاً قال أقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة قال قلت لم يا أمير
المؤمنين قال فما تركني أتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة فذهبت لأنكلم فأشار
إلى عبد العزيز أن قل نعم فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم فأعاني عبد العزيز بخمسين
ألفاً وأدبت خمسين ألفاً في ثلاثة أشهر تحمها علي

(تولية موسى بن نصير على أفريقية)

قال وذكروا أن عبد العزيز لما رجع إلى مصر سار موسى معه فكان من
أشرف الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من أفريقية يريد
الشام إلى عبد الملك وقد فتح له بها فتحة وقتل الكاهنة فأجازه عبد الملك وزاده
برقة وورده إليها (إلى أفريقية) وألّا فأقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثاً من
هناك فأخذوا أعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجمجم قال فبلغ ذلك
عبد العزيز أن حسان بن نعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وإنه قد ولاها
إياها فبعث إليه فقال له أولئك أمير المؤمنين برقة قال نعم فقال له عبد العزيز
لا تعرض وكان عليها مولى لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز
وقال له أنت بعهدي عليها إن كنت صادقاً قال فأقني به حسان فلما أقرأه عبد العزيز
وجدها فيه فالتفت إلى حسان فقال ما أنت بتاركها قال والله لا أنزل عما ولانيه
أمر المؤمنين قال فاقعد في بيتك وسيولى هذا الأمر من هو خير منك وأولى به
منك في تجربته ومعرفته وسياسته ويغني الله أمير المؤمنين عنك ثم أخذ عبد العزيز
عهده ومزقه ودحا موسى بن نصير فغضب له على أفريقية يوم الخميس في صفر سنة
تسع وسبعين فتجهز موسى بن نصير وحمل الأموال إلى ذات الجمجم وبها
الجيوش ينتظرون وإلهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار على الجيش الأول

ولا تركب ولا تجماع امرأة في أربعين ليلة ولا تدخل حماماً قبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما أسقاه واحتجب عن قريب من الناس وبعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فاتاه من ذلك ما لم يحمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها فاتاه الرجل فناشده لا يخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما أمره به فلما رأى الرجل عزمه قال له فاشهد لي على نفسك بانك قد عصيتني ففعل بشر ذلك وأشهد أنه قد أبراه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر إلا أميالاً حتى وضع يده على لحيته فاذا هي في كفه قد سقطت من وجهه فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث إلا قليلاً حتى هلك فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير ما فاتك فلا يفوتك وكان عبد الملك قد أراد له الأمر عتب عليه منه . فكتب خالد بن أبان من الشام الى موسى بن نصير : إنك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك بأغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا انوحا فاما ان تلحق بالفرس فتأمن وإما أن تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ولا تتمكن ملعوناً ثقيفاً من نفسك فيحك فيك . فلما أتاه الكتاب ركب التجائب ولحق الشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد بأموال مصر فكتب الحجاج من العراق يا أمير المؤمنين إنه لا قدر لما اقتطعه موسى بن نصير عن أموال العراق وليس بالعراق فابعث به إلى

(دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان)

قال وذكروا أن عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه أنه حضر يومئذ شأن موسى بن نصير ودخوله على عبد الملك قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز ابن مروان يطول ذكرها قال سالم قال لي موسى لما قدمت الشام ألقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فأدخلني على عبد الملك فلما رآني عبد الملك

لا يقدر المسلمون أن يبرزوا في العيدين لقرب العدو منهم وأن عامة بيوتها
الخصوص وأفضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالخطير غير أنه قد سقف ببعض
الخشب وقد كان ابن النعمان بنى القبلة وما يليها بالمدر بنيانا ضعيفا وكانت جبالها
كلها محاربة لاترام وعامة السهل

(خطبة موسى بأفريقية)

قال وذكروا أن موسى لما قدم أفريقية ونظر الى جبالها والى ما حولها جمع
الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنما كان قبلي على
أفريقية أحد رجلين مسلم يحب العالية ويرضى بالدون من العطية ويكره أن يكلم ويحب
أن يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهويناء . وليس أخو الحرب
إلا من اكتحل السهر وأحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض
بالدون من المغنم لينجو ويسلم نون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عندها في غير
خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه جازما في عزه مستزيدا في علمه
مستشيرا لا أهل الرأي في أحكام رأيه متحكما بتجاربه ليس بالمتجانب اقتحاما ،
ولا بالمتخاذل احتجاما ، إن ظفر لم يزد الظفر إلا حذرا ، وإن نكب أظهر
جلادا وصبرا راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم إياها لقول
الله تعالى أن العاقبة للمتقين أى الحذرين . وبعد فإن كل من كان قبلي كان يعمد
الى العدو الاقصى ويترك عدوا منه أدنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة
ويكون عوننا عليه عند النكبة وأيم الله لا أريم هذه القلاع والجبال المشتمة حتى
يضع الله أرفعها ويدل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جمعها أو يحكم الله
لى وهو خير الحاكمين

أتى عصفور حتى وقع على صدره فأخذه موسى فدعا بسكين فذبحه موسى ولطخ
بدمه صدره من فوق الثياب وتنف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه ثم قال
افتح ورب الكعبة والظفر إن شاء الله

(خطبة موسى بن نصير رحمه الله)

قال وذكروا أن موسى لما قدم ذات الجمجم وقد توافت الجيوش بها جمع
الناس فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن أمير المؤمنين
أصلحه الله رأى رأياً في حسان بن النعمان فولاه ثمركم ووجهه أميراً عليكم وإنما
الرجل في الناس بما أظهر والرأى فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن
النعمان على عبد العزيز أكرمه الله كافر للنعمة وضيع الشكر ونازع الأمر أهله
فغير الله ما به : وإنما الأمير أصلحه الله صنواً أمير المؤمنين وشرائعكم ومن لا يهتم
في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل أن أجهد نفسه
في الاختيار لكم وإنما أنا رجل كأحدكم فن رأى منى حسنة فليحسد الله وليحضر
على مثلها ومن رأى منى سيئة فليستكرها فاني أخطيء كما تخطئون وأصيب كما تصيبون
وقد أمر الأمير أكرمه الله لكم ببطاياكم وتضعيفها ثلاثاً ثلثوها هنيئاً مريئاً
ومن كانت له حاجة فليرفعها إلينا وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان مع المواساة
إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

(دخول موسى بن نصير أفريقية)

قال وذكروا أن موسى لما سار متوجهاً إلى المغرب بقمية صفر ثم ربيع وربيع
ودخل في جمادى الأولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسمعون فأخذ سفيان
ابن مالك القهرى وأبا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما
إلى عبد الملك في الحديد . قال وكان قدوم موسى أفريقية وما حولها مخوف بحيث

(إنكار عبد الملك تولية موسى بن نصير)

وذكروا أن عبد العزيز لما ولي موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فسكره ذلك وأنكره ثم كره رد رأى عبد العزيز ثم هم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ثم رأى أن لا يرد ما صنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتوليكت موسى مكانه وعلم الأمر الذى له عزلته وقد كنت أنتظر منك مثلاً في موسى وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فإنه ميمون الطائر والسلام .

(جوابه)

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى أخيه عبد الملك : أما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين في عزل حسان وتواقي موسى بن نصير وقد كان لملئها منى منتظراً في موسى ويعلمنى أنه قد أمضى لى من رأى فيما أمضيت وولايتى من وليت وقد علمت أن أمير المؤمنين يتفاعل بحسان للذى فتح الله على يديه ولم أعد مع نظرى لأمر المؤمنين بأن عزلت حسان ووافيت موسى في يمن طأره وحسن أثره فأما قول أمير المؤمنين قد كنت أنتظرها منك فاعمرى لقد كنت لها فيه سرصداً ولأمر المؤمنين أن يسبق بها اليه منتظراً حتى حضر أمر جهلته فيه نفسى لأمر المؤمنين ولنفسى الرأى والنصيحة والسلام

(كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك)

قال وذكروا أن عبد العزيز كتب الى عبد الملك : أما بعد ذانى كنت وأنت يا أمير المؤمنين فى موسى وحسان كما تراهنين أرسلا فرسهما الى

(فتح زعوان)

قال وقد ذكروا انه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبوده عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذى بين زعوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فجزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سيدهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان في أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى وجه ابنا له يقال عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمائة ألف رأس ثم وجه ابنا يقال له مروان فأتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين ألف رأس

(قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان)

قال وذكروا أن موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذى فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه أن الخمس بلغ ثلاثين ألفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه هذا وهم من الكاتب فراجع فكتب اليه عبد العزيز انه بلغني كتابك وتذكر فيه أنه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين ألف رأس فاستكثرت ذلك وظننت أن ذلك وهم من الكاتب فكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم ، فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه : بلغني أن الأمير أبقاه الله يذكر أنه استكثر ما جاءه من العدة التي أفاء الله على وانه ظن أن ذلك وهم من الكاتب فتدرك ذلك وهم على ما غناه الأمير واخمس أيها الأمير ستون ألفا حقا ثابتا بلا وهم ، قال فلما أتى الكتاب الى عبد العزيز وقرأه ملاه سرورا

وأنت على البيان أقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديدآ وأخرجهم معه إلى كثامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كثامة معتدلين فقبل منهم وتبينت له براعتهم واستحي رهونهم .

(فتح صنهاجة)

قال وذكروا أن الجواسيس أتوا موسى فقالوا له أن صنهاجة بغرة منهم وغفلة وأن أهلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فاغار عليهم موسى بأربعة آلاف من أهل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على أثقال المسلمين وعيالهم بظبية في الف فارس وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن أبي برده وعلى ميسرته زرعة بن أبي مدرك فسار موسى حتى غشى صنهاجة ومن كان منها من قبائل البربر وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم مائة ألف رأس ومن الأبل والبقر والغنم والحيل والحرث والياب ما لا يحصى ثم انصرف قافلا إلى القيروان وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله علي موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج إلى العرب فخرج نحو ثمانين ألفا معه فالتقى بالمغيرة وصنهاجة فاقتلوا قتالا شديدا ثم أن الله منحه اكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين ألف رأس ثم انصرف قافلا

(فتح سجوما)

قال وذكروا أنه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم علي موسى بجدة بن موسى في طاعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا يريد سجوما وما حولها واستخلف عبد الله بن موسى على القيروان ثم خرج وهو في عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن أبي

الى غايتهم ما فأتيا مما وقدمت الغاية لأحدهما ولو لك عنده مزيد إن شاء الله
وقد جاءني يأمرير المؤمنين كتب من موسى وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد
الله عليه والسلام

(جوابه)

فكتب اليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذي
مثله في حسان وموسى ويقول لك عند احدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده
خيراً ونصراً وقد أجريت وحدك وكل حجر بالخلاء مسروراً والسلام . ثم وجه
عبد الملك رجلا الى موسى ليقبض ذلك منه على ما ذكر موسى وعلى ما كتب
به فلما قدم الرسول على موسى دفع اليه ما ذكر وزاده ألفا للوفاء

(فتح هواره . وزناته . وكتامة)

قال وذكروا أن موسى أرسل عياش بن اخيل الى هواره وزناته في ألف
فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم
رجل منهم يقال له كاهون فبعث به موسى الى عبد العزيز في وجوه الاسرى فقتله
عند البركة التي عند قرية عقبة فسميت بركة كاهون فلما أوجع عياش فيهم دعوا
الى الصلح فقدم على موسى بوجههم فصالحهم وأخرجهم وكانت كتامة قد قدمت
على موسى فصالحته وولى عليهم رجل منهم وأخذ منهم رهونهم وكتب أحدهم الى
موسى إنما نحن عبدانك قتل أحدنا صاحبه وأنا خير لك منه فلم يشك موسى إن
ذلك إنما كان عن ملامة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسى قبل
ذلك بيوم ليعصدهم فأذن لهم فلما أتاه ما أتاه تحقق ظنه فيهم وإنما هربوا
فوجه الخيل في طلبهم فأتى بهم فاراد صلبهم فقالوا لا تعجل أيها الأمير بقتلنا
حتى يتبين أمرنا فان آبائنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف أبداً ونحن في يدك

الاجناد وتمايل الناس اليه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول اذا جاءه فترح موسى . لنهتك الغلبة أبا الاصبع ثم يقول وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . قال وبعث موسى الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عتبة فقال استنفوا وضعوا أسيا فكم في قتلة قال فقتل منهم عياض ستائة رجل صبراً من خيارهم وكبارهم فارسل اليه موسى أن أمسك فقال أما والله لو تركتني ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

(قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان)

قال وذكروا أن موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان مع علي بن رباح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فاجازه ووصله ووجهه الى عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه أجازه أيضاً وزاده في عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا أكره أن أفعل مثلهما فعل لردتكم مثلها ولكن تعد لها زيادة عشرة وكتب عبد الملك الى موسى يعمله أنه قد فرض لجميع ولده في مائة وبلغ به هو الى المائتين وفرض في مواله وأهل الجزاء والبلاء من معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه أن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف التي أغرمها لك فخذها من قبلك من الأخماس قال فلما قدم على موسى كتب عبد الملك بن مروان يأمر بأخذ المائة الف مما قبله قال فاني أشهدكم أنه رد على المسلمين ومعونة لهم وفي الرقاب وكان موسى إذا أفاء الله عليه شيئاً اشترى من ظن منهم أن يقبل الاسلام وينجب فيعرض عليه الاسلام فان رضى قبله من بعد أن يحص عتله ويجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه وتولاه وإن لم يجد فيه مهارة رده في الخمس والسبا . قال وكتب موسى الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن أبي مدرك وما أوصله وإنه لولا ذلك أو رده إلى أمير

مدرک وعلى ميسرته المغيرة بن أبي بردة القرشي وعلى ساقته نجدة بن مقسم فاعطى
 اللوا ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجين الملوک خلف به الاثقال
 وتجرّد في الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن أوس في الف وسار بمن معه حتى
 انتهى الى نهر يقال له علويه فوجده حاهلاً فذكره دول المقام عليه خوفاً من نفاذ
 الزاد وأن يبلغ العدو مخرجه ومكانه فاحدث مخاضة غير مخاضة عقبة بن نافع
 وكره أن يجوز عليها فلما أجاز عليها وانتهى اليهم وجدهم قد أذروا به وتأهبوا وأعدوا
 للحرب فاقتتلوا قتالاً شديداً في جبل منيع لا يوصل اليهم إلا من أبواب معلومة
 فاقتتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم
 فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه أحد فالتفت موسى الى مروان
 ابنه فقال له أخرج اليه أي بنى فخرج اليه مروان ودفع اللوا الى أخيه عبد العزيز
 ابن موسى فلما رآه البربري ضحك ثم قال له ارجع فاني أكره أن أعدم منك
 أباك وكان حديث السن قال حُمل عليه مروان فكرده حتى ألجأه الى جبله ثم
 انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه
 به زرقه وقعت في جنبه ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه فال فوقع به
 البرذون ثم التقى عليه الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً أنساهم ما كان قبله ثم أن الله هزمهم
 وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لمزم وبلغ سيهم مائتي ألف رأس
 فيهن بنات كسيلة وبنات ملوكهم وما لا يحصى من النساء والسلسات اللاتي ليس
 لهن ثمن ولا قيمة قال فلما وقعت بنات الملوک بين يدي موسى قال على بمروان
 ابني قال فأقْبى به قال له أي بنى اختر قال فاختار ابنة كسيلة فاستشرها فهي أم
 عبد الملك بن مروان هذا قال قاتل يومئذ زرع بن أبي مدرک قتالاً شديداً أبلى فيه
 حتى اندقت ساقه قال فآلى موسى أن لا يعمر إن على رقاب الرجال حتى يدخل
 بالتيروان وبان يحمله خمسون رجلاً كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى
 وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز فتح بعد فتح وملاّت سبائهم

وأصحابه فأصاب تابوتا منحوتا قال فنه كان أصل غناء يزيد بن مسروق قال
ولقد لقيت شيخا متوكئا على قصبة فذهبت لأفنتشه فنازعني فأخذت القصبة من
يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجواهر والدنانير . ثم أن
موسى أمر بتلك المراكب ومن نجا من النوتية فأدخلهم دار الصناعة بتونس .
ثم لما كانت سنة خمس وثمانين أمر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم أنه
راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه
إلا وقد ركب حتى إذا ركبوا في الفلك ولم يبق أحد إلا أن يرفع دعا برفع
فوقه لعبد الله بن موسى بن نصير وولاه عليهم وأمره ثم أمره أن يرفع من
ساعته وإنما أراد موسى بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجبل والنكاية
والشرف فسميت غزوة الأشراف ، ثم سار عبد الله بن موسى في مراكبه وكانت
تلك أول غزوة غزيت في بحر أفريقية قال فأصاب في غزوته صقلية فافتتح مدينة
فيها فأصاب مالا يدرى فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهباً وكان المسلمون ما بين
الآلاف إلى التسعمائة ثم انصرف قافلاً سالماً فأنت موسى وفاة عبد العزيز بن
مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث إليه بالبيعة
وبفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله على يده ثم أن موسى بعث زرعة بن مدرك
إلى قبائل البربر فلم يلق حرباً منهم ورغبوا في الصلح فوجه رؤسهم إلى موسى
فأعطاهم الأمان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل على مراكب أهل أفريقية
فشقى في البحر وأصاب مدينة يقال لها سر كوسة ثم قفل في ست وثمانين . ثم أن
عبد الله بن مرة قام بطالعة أهل مصر على موسى في سنة تسع وثمانين فعقد له
موسى على بحر أفريقية فأصاب سردانية وافتتح مداتها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف
رأس سوى الذهب والفضة والحرب وغيره

(غزوة السوس الاقصى)

قال وذكروا أن موسى وجه مروان ابنه إلى السوس الاقصى وملك السوس

المؤمنين ففرض له عبد العزيز في مائة وفرض لثلاثين رجلاً من قومه وانصرف موسى قافلاً وذلك في سنة أربع وثمانين

(غزوة موسى في البحر)

قال وذكروا أن موسى أقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فأمر بدار صناعة بتونس وجرى البحر إليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا أمر لا نطقه فقام إلى موسى رجل من مسالمة البربر من حسن إسلامه فقال له . أيها الأمير قد مر علي مائة وعشرون سنة وإن أبي حدثني أن صاحب قرطاجنة لما أراد بناء قناتها أتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام إليه رجل فقال له أيها الملك إنك إن وضعت يدك بلغت منها حاجتك فإن الملك لا يعجزها شيئاً لقوتها وقدرتها فضع يدك أيها الأمير فإن الله تعالى سيعينك فيما نويت ويؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبنى دار صناعة بتونس وجرى البحر إليها مسيرة اثني عشر ميلاً حتى أقبحه دار الصناعة فصارت مشتاً للمراكب إذا هبت الأنواء والأرياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فأقام بذلك سنة أربع وثمانين وقدم عطاء بن أبي نافع الهذلي في مراكب أهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فارسي بسوسة فأخرج إليه موسى الاسوافي وكتب إليه إن ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا العام فأقم لا تغرر بنفسك فإنك في تشرين الآخر فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر ، قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فصارحتي أي جزيرة يقال لها سلسلة وافتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلاً فأصابته ريح عاصف فغرق عطاء وأصحابه وأصيب الناس ووقعوا بسواحل أفريقيا فلما بلغ ذلك موسى وجده يزيد بن مسروق في خيل إلى سواحل البحر يفتش على ما بقي البحر من سمن عطاء

انى موجهك فى أمر وليس عليك فيه بأس ولك عندى فيه حسن الثواب خذ
هذين الأذنين فسر فيهما بمن معك حتى موضع كذا وكذا فى مكان كذا فانك
تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع
إحدى هذين الأذنين بما فيها ثم انصرف الى بالأذن الأخرى وبعث منه موسى
قبة من الخبز والوشى ومن طرائف أرض العرب شيئا مليحا وكتب كتابا
بالرومية جوابا لكشاف كانه كان كتب به الى موسى يسأله الأمان على أن يدلّه
على ثورة الروم وكتاب فيه أمان من موسى مطبوع : فسارحتى انتهى الى الموضع
الذى وصف له موسى فترك الأذن بما فيها وانصرف راجعا فى الأذن الأخرى
حتى قدم على موسى ، وأن الروم لما عثروا على اذن موسى استكروها فارتفع
أمرها اليه بطريق تلك الناحية فأخذ ما فيها فلما رأى ما فيها من الكتب والهدية
هاب ذلك فبعث بها كما هى الى الملك الأعظم : فلما أفضت اليه وقرأ الكتاب
تحقق ذلك عنده فبعث الى ارساف رجلا ومعه عليها وأمر أن يضرب عنق
صاحبها الذى أغار على ساحل افريقية ففعل فقتله الله بحيلة موسى

(فتح الاندلس)

قال وذكروا أن موسى وجه طارقا مر لاه الى طنجة وما هنالك فافتتح مدائن
البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى انى قد أصبت ست سفن فكتب اليه موسى
أتممها سبعا ثم سر بها الى شاطئ البحر واستعد لشحنها وأطلب قبلك رجلا يعرف
الشهور السريانيين فاذا كان يوم أحد وعشرين من شهر اذار بالسريانى فاشحن على
بركة الله ونصره فى ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهرو
العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان
يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك إن شاء الله فاذا أجريت
فسر حتى يلقاك جبل أحر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال صور

يومئذ مزدانة الأسوارى فسار في خمسة آلاف من أهل الديوان ، فلما اجتمعوا ورأى مروان أن الناس قد تعجلوا إلى قتال العدو وإن في يده اليمنى القناة وفي يده اليسرى الترس وإنه ليشير بيده إلى الناس كما أتم . فلما التقى مروان ومزدانه أقتل الناس إذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانة ومنح الله مروان أكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال أهل السوس على أيدي مروان فبلغ السبي أربعين ألفاً وعقد موسى على بحر أفريقية حتى نزل بميورة فافتتحها

(قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك)

قال وذكروا أن خادماً للوليد بن عبد الملك بن مروان أخبرهم قال : أتني قريب من الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه إذا أتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان يفتح من فوجها فأعلمته قال خذ الكتاب منه فأخذه فقرأه فما أنى على آخره حتى أتى رسول آخر من قبل موسى بن نصير يفتح السوس من قبل مروان بن موسى . فأعلمته قال ثماته فقرأه فحمد الله وخر ساجداً لله حامداً ثم التفت إلى قال امسك الباب لا يدخل أحد قال وكان عنده ابن له يحبوا بين يديه فلما خر الوليد ساجداً شاكرآ الله جاء الصبي إلى الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت إليه قال وصرت لا أستطيع أن أغيبه لما أمرني به من إمساك الباب وأطال السجود حتى خفي صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بي فدخلت وأخذت الصبي وانه لما به روح

(فتح قلعة ارساف)

قال ثم أن صاحب ارساف أغار على بعض سواحل أفريقية فقال منهم وبلغ موسى خبره فخرج إليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك علي موسى قال قتلني الله إن لم أقتله وأنا مقيم هنا قال فاقام موسى ما أقام ثم أنه دعا رجلاً من أصحابه فقال له

نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهن معه رجالا من أهل إفريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له في الشرف وأجاز كل من كان معه وردّه إلى أبيه موسى موافق المسلمين قد أصابوا بما كان مع لؤذريق ما لا يدري ما هو ولا ما قيمته قال : وكتب طارق إلى مولاه موسى أن الامة قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث ، فلما أتاه الكتاب نادى في الناس وعسكر وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين وكان أحب الخروج إليه يوم الخميس أول النهار فاستخلف عبد الله بن موسى علي إفريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق إلى مروان بامرّه بالمسير فصار مروان بمن معه حتى أجاز إلى طارق قبل دخول أبيه موسى وخرج موسى بن نصير والناس معه حتى أتى المجاز فأجاز بمن زحف معه في جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت إليه من كل مكان فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها ففعل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم من الغول يومئذ إلا أبو عبد الرحمن الجلي ثم أن موسى سار لا يرفع له شيء إلا هذه يفتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى إلى مدينة الملوكة وهي طليطلة فوجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيها أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولى الأندلس كان كلما ملك ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولى ووجد في ذلك البيت أيضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسى إلى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الأغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شيء يدري ما قيمته ، فأما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد

(اتهم الوليد موسى بالخلع)

قال وذكروا أن الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير إلى الأندلس ظن أنه يريد أن يخلع ويقم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وأبطاته

فاكسر ذلك التمثال وأنظر في من معك الى رجل طويل أشقر بعينه قبل ويده شلل فاعتقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتى يغشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى . انى منته الى ما أمر الأмир ووصف غير انى لم أجد صفة الرجل الذى أمرتني به إلا فى نفسى فسار طارق فى الف رجل وسبعائة وذلك فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدوا يقال له البشكيس واستخاف ماسكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق : انه قد وقع بارضنا قوم لا ندرى أمن السماء نزلوا أم من الارض نبعوا . فلما بلغ لوذريق ذلك أقبل راجعا الى طارق فى سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الأموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكحلة بالؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال وهو لا يشك فى أسرهم . فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام فى أصحابه ثمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم فى الشهادة وبسط لهم فى آمالهم ثم قال . أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس ثم والله إلا الصدق والصبر فانها لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة ، أيها الناس ما فعلت من شئ فافعلوا مثله ان حماة فاحلوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال إلا وانى عامد الى طاعتهم بحيث لا أنهييه حتى أخاطبه واقفل دونه فان قتلت فلا تنهوا ولا تحزنوا ولا تازعوا فقتلوا وتذهب ربحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتل وأسير . وأياكم اياكم أن ترضوا بالدينية ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما يجمل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد حل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين وهأنا ذا حامل حتى اغشاه فاحلوا بحماتى . فحمل وحملوا فلما غشيم اقبلوا قتالا شديدا ثم أن الطاغية قتل وانهمز جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق وبعث به الى موسى بن

لو ذريق القرطبي الذي افتتحت الأندلس على يديه وفي ملكه قال والله لا أموت
بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى أعلم ما فيه فاجتمعت إليه النصرانية والأساقفة
والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ما تريد بفتح هذا البيت فقال والله
لا أموت بغمه إلا علمت ما فيه فقالوا أصلحك الله أنه لا خير في مخالفة السلف
وترك الاقتداء بالأولياء فاقد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ولا
يحملك الحرص على ما لم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فأبى إلا
فتحه فقالوا له انظر ما ظننت أن ما فيه من المال والجواهر وما خطر على قلبك فانا
ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم
كانوا أهل معرفة وعلم فأبى إلا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد
كتابا فيه . إذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد
فلسكوها ، فكان دخول المسلمين من العرب اليه في ذلك العام

(ذكر ما أفاء الله عليهم)

قال وذكروا عن الليث بن سعد أن موسى لما دخل الأندلس ضربوا الأوتاد
لخيوهم في جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الأوتاد فلم تلج فنظروا فإذا بصفايح
الذهب والفضة خلف بلاط الرخام قال وذكروا أن رجلا كان مع موسى ببعض
غزواته بالأندلس وأنه رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة
والجوهر والياقوت فلما أثقلتاهما أنزلاه ثم حملا عليها بالفأس فقطعاها نصفين
فأخذا نصفا وترك الآخر قال فلقد رأيت الناس يمررن يميناً وشمالاً ما يلتفتون إليها
استغناء عنها بما هو أنفس منها وأرفع قال وأقبل رجل الى موسى فقال ابعت
معادلكم على كنز فبعث معه موسى رجلاً فقال الذي دلهم انزعوها فزولوا فسال
عليهم من الزبرجد والياقوت ما لم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا
موسى ارسلوا اليه فارساً واحداً حتى جاءوا فنظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب .

كتب موسى عليه لاشغاله بما هنا لك من العدو وتوطئة لفتح البلاد فأمر الوليد القاضي أن يدعو على موسى إذا قضى صلاته وان موسى لما دخل طائفة بعث على ابن رباح لفتحها وأوفد معه وقد أفسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فألقى القاضي يدعو على موسى . فقال أيها الناس الله الله في موسى والدعاء عليه والله ما نزع يدأ من طاعة ولا فارق جماعة وانه لقي طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للشركين وإنى لأحدثكم عهداً به وما قدمت الآن إلا من عنده وأن عندي خبره وما أفاء الله على يده لأهمل المؤمنين وما أيد به المسلمين ما يقربه أعينكم ويسر به خليفتم

(دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك)

قال وذكروا أن الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى أرسل اليه فأدخل عليه ثم قال له ما وراءك فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين بركت موسى بن نصير في الأندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه عالم بفتح من على يد أحد وقد أوفدني الى أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخر أيضاً ساجداً ثم رفع رأسه فاتاه آخر بفتح آخر وخر ساجداً حتى ظننت انه لا يرفع رأسه

(ذكر ما وجد موسى في البيت الذي وجد فيه المائدة مع صور العرب)

قال وذكروا أن هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل العلم أنه كان مع موسى بالأندلس حين فتح البيت الذي كانت فيه المائدة التي ذكروا أنها كانت لاسلمان بن داود عليه السلام فقال : كان يتنا عليه أربعة وعشرون قدلاً كان كلما تولى مالك جعل عليه قدلاً اقتداءً منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت رلاية

ليلة قال وذكروا أن عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة قال كنت من غزامع موسى
الاندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى إلا يسيراً من
ورائها فأتينا مدينة على بحر ولها أربعة أبواب قال فبينما نحن محاصروها إذ أقبل
عياش بن أخيل صاحب شرطة موسى قال أيها الأمير إنا قد فرقنا الجيش ارباعاً
على نواحي المدينة وقد بقي الباب الاقصى وعليه رتبة قال له موسى بن نصير دع
ذلك الباب فانا سننظر فيه ثم ان موسى التفت إلى وقال لي كم معك من الزاد قلت
ما بقي معي غير تليس قال فأنت لم يبق معك غير تليس وأنت في أسراء الجيش
فكيف غيرك اللهم اخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فأصبحنا في تلك الليلة وقد
خرجوا من ذلك الباب فدخلها موسى منه ووجه ابنه مروان في طلبهم فأدركهم
فأسرع القتل فيهم فأصابوا مما كان معهم وبما في المدينة شيئاً عظيماً قال وذكروا
أن جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسى فحاصرنا حصناً
من حصونها عظيماً بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه فلما طال ذلك عليه نادى
فيما أن أصبحوا على تعبته وظننا أنه قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وأنه يريد
التحول عنهم فأصبحنا على تعبته فقام فحمد الله ثم قال أيها الناس إني أمام الصفوف
فاذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس سبحان الله أتري
فقد عقله أم عزب عنه رأيه يأمرنا نحمل على الحجارة وما لا سبيل إليه قال فتقدم
بين الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فأطال
ونحن منتظرين تسكيره فاستبعدنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس
فانهدت ناحية الحصن التي تلبينا فدخل الناس منها وما راعى إلا خيل المسلمين
تمرع فيها وفتحها الله علينا فأصبنا من السبي والجواهر ما لا يحصى قال وحدثني
هولاء لعمد الله بن موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أن موسى حاصر
حصنها الذي كانت من أهله وكان تلقاه حصن آخر قالت فاقام لنا محاصراً حيناً
ومعه أهله وولده وكان لا يغزو إلا بهم لما يرجو في ذلك من الثواب قالت ثم أن

والفضة المسلسلة بالؤلؤ والياقوت والزبرجد قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفاس فيضربا وسطها ويأخذ منها ما أمكنها اشتغالا بغير ذلك مما هو أنفوس منه قال الليث والبخي أن رجلا غل في غزوة عطاء بن نافع فحمل ما غله حتى جعله في مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت وحدثنا ابن أبي ليلى النجيب عن حميد عن أبيه أنه قال لقد كانت الدابة تطلع في بعض غزوات موسى فينظر في حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب موسى حين افتتح الأندلس إلى أمير المؤمنين . أنها ليست كالفتح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر . وأخبرني عن عبد الحميد بن حميد عن أبيه أنه قال قدمت الأندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسة رأس فأما الذهب والفضة والآية والجوهر كذلك لا يحاط بعلمه قال وحدثني يس بن رجا أنه قدم عليهم رجل من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الأندلس وعن دخول موسى إياها فقلنا له فكيف علمت هذا قال إني والله من سببه وإني أخبركم بعجيب والله أما شترني الذي اشتراني إلا بقبضة من فلفل لمطبخ موسى بن نصير فقلنا له ما أقدمك فقال أبي كان من وجوه الأندلس فلما سمع بموسى بن نصير عمد إلى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفننه في موضع قد عرفته فتمتدمت أنا للخروج إلى ذلك الموضع لاستخراجه قلنا له وكم لك منذ فارقه قال سبعون سنة قلنا له أفنسيته قال نعم فلم ندر بعد ما فعل

(غزوة موسى بن نصير البشكيس والافراج)

قال وذكروا أن موسى خرج من طليطلة بالجموع غازياً بفتح المدائن جميعاً حتى دانت له الأندلس وجاء وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم وغزا البشكيس فدخل في بلادهم حتى أسرقوا ما كالبهاثم ثم مال إلى أفرنجة حتى انتهى إلى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما دونها من البلاد إلى الأندلس قال فأصاب فيها ما لا يدرى ما هو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهراً أو أربعين

بالاندلس قال أقام موسى بقية سنته تلك وأشهرأ من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافداً الى الوليد بن عبد الملك وكان ما أقام بها موسى عشرين شهراً واستخلف عبد العزيز ابن موسى بجاز موسى البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا أربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج والتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء والوصائف وما لا يحصى من الجواهر والطرائف وخرج معه بوجوه الناس قال وذكر عن صفة المائدة عن عبد الحميد أنه قال . كانت مائدة خزان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهي تتلون صفرة وبياضاً مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤة وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت فما عظمها قال . كنا بموضع والناس معسكرون إذ قلت بغل لرجل من موالى موسى يقال له صالح أبو ريشة على رمكة فسكردها في العسكر فقام الناس اليه بأعمدة الأخبية وجال في العسكر جولة فتطلع موسى قال ما هذا وتطلع الجوارى ناذا هو بالبغل يسكرد الرمكة وقد أدلى فغار موسى وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها إلا منقلة حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوى

(قدوم موسى أفريقية)

قال وذكروا أن يزيد بن مسلم مولى موسى أخبرهم أنه لما جاز موسى الحصن أمرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجواهر وأصناف الوثى الأندلسى حتى أتى أفريقية فلما قدمها بنى بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبد الله على أفريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسى وعبد الأعلى بن موسى وعبد الملك بن موسى وخرج معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش والأنصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن أبى سلهة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة

أهل الحصن خرجوا الى موسى فقاتلوه قتالاً شديداً ففتح الله عليه قالت فلما رأى ذلك أهل الحصن الآخر نزّلوا على حكمه ففتحها موسى في يوم واحد فلما كان في اليوم الثاني أتى حصننا ثالثاً فالتقى الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً أيضاً حتى حال المسلمون حوله قال فامر موسى بسراده فمكشطه عن نساءه وبناته حتى برزن قال فلقد كسرت بين يديه من أعماد السيوف ما لا يحصى المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع موسى في غزواته كلها فلم ترد له رأيه قط ولا هزم له جمع قط حتى مات وقال أين صخر لما قدم موسى الاندلس قال أسقف من أسقفنا : إنا لنجدك في في كتب الحدّثان عن دانيال بصفتك صياداً بشبكتين رجل لك في البر ورجل في البحر تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد . قال فسر بذلك موسى وأعجبه قال عبد الحميد بن حميد عن أبيه أن موسى لما غل وجاوز سرقسطة أشد ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا ما في أيدينا وكان موسى قال حين دخل أفريقيا وذكر عقبة بن نافع : لقد كان غرر بنفسه حين غل في بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد فسمعه حيش الشيباني قال فلما بلغ موسى ذلك المبلغ قام حيش فأخذ بعنانه ثم قال : أيها الأمير إني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول غرر بنفسه وبمن معه اما كان معه رجل رشيد وأنا رشيدك اليوم أين تذهب تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر واعظم مما أتاك الله عز وجل واعرض بما فتح الله عليك ونوح لك اني سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملئوا أيديهم وأحبوا الدنيا قال فضحك موسى ثم قال أرشدك الله وكثر في المسلمين مثلك ثم انصرف قافلاً الى الاندلس فقال موسى يومئذ ما والله لو انتادوا الى لقدمهم الى رومية ثم يفتحها الله على بني إن شاء الله (خروج موسى بن نصير من الاندلس)

قال وذكروا أن عبد الرحمن بن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير

وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

(قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى)

قال وذكروا أن محمد بن سليمان وغيره من مشايخ أهل مصر أخبروهم أن موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو في آخر شكايته التي توفي منها وقد كن سليمان بن عبد الملك بعث إلى موسى من لقيه في الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره بالتبسط في مسيره وان لا يعجل فان الوليد بأخر رمله . فلما أتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال : حيث والله ما غدرت وما وفيت والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني أسير بمسيري فان أوافيه حيا لم أثناف عنه وإن عجلت منيته فأمره الى الله فرجع الرسول الى سليمان فأعلمه فقال لأن ظنر بموسى ليصلبته أوليأتين على نفسه فلما قدم موسى على الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترا به منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالمجلة في مسيره فتوفا دن أن تعجل به منيته قبل قدوم موسى عليه وإنه أراد أن يراه وإن يحرم سليمان ما جاء به فلم يكن لموسى شيء يشبطه حين أتاه كتاب الوليد فأقبل حتى دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والبرجد والوصفاء والوصائف والرسى ومائدة سليمان بن داود عايه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وأمر بالمسائفة فسكسرت وعمد الى فخر ما فيها والتيجان والجزع فجعله في بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله .

(خلافة سليمان بن عبد الملك وما صنع بموسى بن نصير)

قال وذكروا أن عبد الرحمن بن سلام أخبرهم أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه بعث الى موسى فأوق به فحفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ

ابن أبي بردة وزرعة بن أبي مدرك وسليمان بن نحمد ووجوه من وجوه الناس وأخرج معه من وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كيلة وبنو قصدر وبنو ملوك البربر وملك السوس مزدانة ملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين مائكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الاندلس ومن الأفرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضاً باضاف ما في كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرانقها ومالا يحصى وأقبل يبحر الدنيا وراءه جراً لم يسمع بمثله ولا بمثل ما قدم به

(قوم موسى الى مصر)

قال وذكروا أن يزيد بن سعيد بن مسلم قال لما أتى موسى مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرعة بن شريك أن أرفع الى موسى من بيت مال مصر ما أراد فأقبل حتى إذا كان في بعض الطريق لقيه خبر موت قرعة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوال وكان قرعة قد استخلف بن رفاعه على الجنند حتى توفي فلما سمع بموسى خرج مبادراً حتى لحقه حين استوى على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من أنت يا ابن أخي فانتسب له فقال مرحبا وأهلاً فصار معه حتى نزل مئنة عمرو بن مروان فمسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعه في المال الذي كان استخرجه من سفيان ابن مالك الفهري وذلك بعد مهلك سفيان فقال هو لك قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك قال فأقام موسى ثلاثة أيام تأتية أهل مصر في كل يوم فلم يبق شريف إلا وقد أوصل اليه موسى صلة ومعروفاً كثيراً وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجهاً حتى أتى فلسطين فتلقاه آل روح بن زناح فزول بهم فبلغنى أنهم نحروا له خمسين جزوراً وأقام عندهم يومين وخاف بعض أهله وصغار ولده عندهم وأجاز آل مروان

(عدد موالى موسى بن نصير)

قال وذكروا عن بعض البصريين أن رجلاً منهم أخبرهم أن يزيد قال لموسى ذات ليلة وقد سهر سهرأ طويلاً يا أبا عبد الرحمن كم تعدموا إليك وبأهل بيتك فقال كثيراً قال يكونون ألفاً قال له موسى نعم ألفاً وألفاً حتى ينقطع النفس لقد خلفت من الموالى ما أظن أن أحداً خلف مثلم قال له يزيد أنك لعل مثل ما وصفت وتعطى يدك ألا أقمت بدار عزك وموضع سلطانك وبعثت بما قد قدمت به فإن أعطيت الرضا أعطيت الطاعة وإلا كنت على التخيير من أمرك فقال موسى والله لو أردت ذلك مالنا ولو أطرفا من أطرافى إلى أن تقوم الساعة ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة ثم خرج يزيد من عنده فنظر إليه موسى قال لمن عنده والله أن فى رأس أبى خالد لفرة وليأتين عليها

(ذكر مارآه موسى بالغرب من العجائب)

قال وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر قال لما بعث موسى رحمه الله بالجنس الذى أفاء الله عليه وكان مائة ألف رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرقيق إلى اليوم ونزلوا موضعاً بالفسطاط فسوقوا فيه فسمى سوق البربر إلى اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه داراً وسكنها حتى كان من أمر سليمان ما قد ذكر وهو الذى أخرجه وأهله من المغرب قال وحدثنا بعض أهل إفريقية أن موسى ركب يوماً حتى خرج من القيروان فوقف قريباً من إفريقية على رأس أميال فأخذ بيده تراباً فشمه ثم أمر بحفر بئر وابنى داراً واتخذ فيها خليلاً فسميت بئر منية الخليل فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها. وحدثنا العكرير أبو بكر عبد الوهاب بن عبد الغفار شيخ من مشايخ تونس قال أن موسى

أجرات وأمرى خالفت والله لألقن عددك ولا فرقن جمعك ولا بددن مالك ولا ضمن منك ما كان يرفعه غيري من كنت تمنيه أما في الغرور وتحدعه من آل سفيان وآل مروان . فقال له موسى : والله يا أمير المؤمنين ما تعتل علي بذنب سوى أنني وفيت للخلفاء قبلك وحافظت علي ولي النعمة عنده فيه فاما ما ذكر أمير المؤمنين من أنه يقل عددي ويفرق جمعي ويبدد مالي ويخفض حالي فذلك بيد الله والى الله وهو الذي يتولى النعمة على الاحسان الى وبه استعين ويعيد الله عز وجل أمير المؤمنين ويصمه أن يجري على يديه شيئا من المكروه لم استحقه ولم يباغته ذنب اجترمته فأمر به سليمان فوقف في يوم صائف شديد الحر على طريقه قال وكانت بموسى نسمة فلما أصابه حر الشمس واتعبه الوقوف هاجت عليه قال وجعلت قرب العراق تعتوره فما زال كذلك حتى سقط وعمر بن عبد العزيز حاضرا لي أن نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشيا عليه قال عمر بن عبد العزيز : ما مر بي يوم كان أعظم عندي ولا كنت فيه أكره من ذلك اليوم لما رأيت من الشيخ موسى وما كان عليه من بعد اثره في سبيل الله وما فتح الله على يديه . قال فالتفت الى سليمان فقال يا أبا حفص ما أظن إلا قد خرجت من يميني قال عمر . فاغتنمت ذلك منه فقات يا أمير المؤمنين شيخ كبير بادن وبه نسمة قد أهلكته وقد أتت علي ما فيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الأثر في سبيل الله العظيم التاء عن المسلمين قال عمر والذي منعتني من الكلام فيه ما كنت أعلم من يمينه وحققه عليه فخشيت إن ابتدأته أن يلح عليه وهو لحوح قال فلما قال لي ما قال حمدت الله على ذلك وعلمت أن الله قد أحسن اليه وأن سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمه فقال يزيد بن المهلب أنا أضمه يا أمير المؤمنين قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا تضيق عليه قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه تخلص فركبها موسى فاقام أياما قال ثم أنه تقارب ما بين موسى وسليمان في الصلح حتى اقتدى منه موسى بثلاثة آلاف دينار

فلما استوى على سورها تردى فيها ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله ألف دينار فصعد آخر ففعل به مثل ذلك ثم ندب الناس ثالثة وقال من يصعد وله ألف وخمسمائة دينار فصعد رجل ثالث فأصابه ما أصاب صاحبيه فسلم الناس موسى فقتلوا هذا أمر عظيم أصيب إخواننا وغررت بهم حتى هلكوا فقال لهم على رسلكم يأتيكم الأمر على ما تحبون إن شاء الله ثم أمر موسى بالمتجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم أمر أن يرمى الحصن فلما علم من في الحصن ما عمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا يا أيها الملك لسنا بغيتك ولا نحن بمن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا فقال لهم موسى أين أصحابي وما فعلوا قالوا هم عندنا على حالهم فقال أخرجوهم إلينا قالوا نعم فأخرج الثلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وما صنع بهم فقالوا ما درينا ما كنا فيه وما أصابتنا شوكة حتى أخرجنا إليك فقال موسى الحمد لله كثيراً ثم تقدم بالناس سائراً يفتح كل ما مر به . ثم رجع إلى حديث سليمان بن عبد الملك

(تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وما أشار به موسى عليه)

قال وذكروا أن سعيد بن عبد الله أخبرهم قال أن سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة إلى أرض الروم ووجهه معه خمسمائة وثلاثين ألف رجل وخمسمائة رجل من قد ضمه الديوان واكتب الخطاء وتقاب في الأرزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد أن رضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال له سليمان أشر علي يا موسى فلم نزل مبارك الغزوة في سبيل الله بيمين الأثر طويل الجهاد فقال له موسى : أرى يا أمير المؤمنين أن نوجهه بمن معه فلا يمر بحصن إلا يصير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمدى بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينية فانه يظفر بمن يريد يا أمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فأمره بذلك من مشورة موسى وأوعز إليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان في مسلمة بعض الالبابة ثم رجع

انتهى الى صنم يشير بأصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم أمام الصنم الأول فاذا هو يشير بأصبعه الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير بأصبعه تحت قدميه فلما انتهى موسى الى الصنم الثالث قال موسى احضروا فاذا بمحدث تحتوم الرأس قد أخرج فامر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش أتدرون ما هذا قالوا لا والله أيها الأمير ما ندري قال ذلك شيطان من الشياطين التي سجنها نبي الله سليمان بن داود قال حدثنا بعض مشائخ أهل المغرب ان موسى أرسل ناسا في مراكب فأمروهم أن يسيروا حتى يتنوها الى صنم يشير بأصبعه أمامه في جزيرة في البحر ثم يسيروا حتى يأتوا صنم آخر في جزيرة يشير بأصبعه أمامه ثم يسيروا الليالي والأيام ويمجدوا في السير حتى يأتوا صنم آخر في جزيرة في البحر فيها أناس لا يعرفوا كلامهم قال فاذا بلغتكم ذلك فارجعوا وذلك في أقصى المغرب ليس وراء أحد من الناس إلا البحر المحيط وهو أقصى المغرب في البر والبحر . قال وحدثنا بعض المشائخ من أهل المغرب أن موسى بلغ نورا من أقصى المغرب فاذا عليه في الشق الأيمن أصنام ذكورا وفي الأيسر أصنام إناث وأن موسى لما انتهى الى ذلك الموضع خاف الناس فلما رأى ذلك منهم رجع الناس ثم مضى في وجهه . ذلك حتى انتهى الى أرض تسمى بأهايا فزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبد الله بن قيس قال بلغني أن موسى لما جاوز الأندلس أتى موضعا فاذا فيه قباب من نحاس فأمر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان نفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التي سجنها سليمان بن داود فأمر موسى بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس قال وحدثنا عمارة راشد قال بلغنا أن موسى كان يسير في بعض غزواته وهو بأقصى المغرب إذ غشى الناس ظلمة شديدة فيجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى في ذلك إذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما أتاها أقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فأمر بنبل ورماح وندب الناس فيمل يقول من يصعد ههنا ويهبط ههنا فيصعد رجل

أنت ملك المغرب وأعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان فقال له موسى :
يا ابن أخى حسبك من قریش ثم من بنی أمیة ما تعلم ألا ترى یا ابن أخی أن الصبی
يأخذ العظم فيعققه بحبل ثم ينصبه ويهيشه ويضع فيه حبة براد ذره فينصب
للهدهد العالم بما تحت الأرض ثم تدفعه المقادير إلى الوقوع فيه فاحذر يا ابن أخی
أن تراك الشام أو تراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف
سليان أخاه فلقى منه موسى ما ذكرنا وأخرج القرشي إلى الشام فضربت عنقه .

(ذكر قدوم موسى على الوليد)

قال وذكروا أن موسى لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس
الوليد بن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بأن يلبس كل
رجل من الأسرى تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فلبس
ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهياهم هيئة الملوك وأمر بأبناء ملوك البربر فيشوا
وأمر بأبناء ملوك الجزائر والروم فيشوا كذلك ولبسوا النيجان وأمر بأبناء ملوك
الاسبان فيشوا بمثل ذلك وأمر بالأموال والجواهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد
والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرّش باللؤلؤ والياقوت
والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وأبناء ملوك افرنجية وأقبل موسى بالذين
ألبسهم النيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمده الله وهو مرهون
قد أثرت فيه العلة وأنهكه المرض وإنما كان منحملا لأجل قدوم موسى ومن معه
فلما رأهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسى ثم أقبل حتى سلم على الوليد ووقف
الثلاثون بالنيجان عن يمين المنبر وشماله ثم أن الوليد أخذ في حمد الله والثناء عليه
والشكر لمسا أيده الله ونصره فتكلم بكلام لم يسمع منه وأطال حتى فات وقت
الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسى فصب عليه الوليد الخلع
ثلاث مرات أوجازه بخمسين ألف دينار وفرض لولده جميعا في الشرف وفرض

الى قول موسى فيما صنع بأرض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه إلا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمنى على نفسى وأهلى ومالى وولدى وأنه آتيك بالملك فأمنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فاعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم أعظم ذلك وسقططى يديه فقال البطريق له عند ذلك مالى عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه فقال الملك اجعل تاجى على رأسك وأقعدك مكانى فقال البطريق انا اكيفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال اخرنى ثلاثا حتى آتيك بالملك فبعث البطريق الى جميع الحصون فأمرهم بالتقلع الى الجبال وحمل ماقدروا عليه من الطعام وأمر باحراق الزرع وغير ذلك بما يؤكل وينتفع به بما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما أمروا به وعلم انه أحكم أمره بعث الى مسلمة فقال له لو كنت له امرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمة وآلى ألا يبرح حتى يظفر بملك الروم

(سؤال سليمان موسى عن المغرب)

قال وذكروا أن محمد بن سليمان أخبرهم أن سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الأندلس قال له عبدالعزيز بن موسى قال ومن خلفت على أفريقية وطنجة ومسوس قال عبد الله ابني فقال له سليمان لقد أنجبت ياموسى فقال موسى ومن أنجب منى يا أمير المؤمنين إن ابني مروان أتى بملك الأندلس وابني عبد الله أتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية وإن ابني مروان أتى بملك السوس الأقصى فهم متفرون فى الأمصار وغيرهم يعيرون فيأتون من السبي بما لا يحصى فمن أنجب منى يا أمير المؤمنين قال فغضب سليمان فقال ولا أمير المؤمنين ليس بأنجب منك فقال موسى شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وإن عظم دونه لأنه به ومنه وعلى يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله بن شريح قال بلغنى أن موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب أتاه رجلا من بنى أمية فقال له ياموسى

مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك قال فكاد سليمان ينكسر
ثم يقول قتلى الله إن لم أقتلك فيقول له موسى ما أنت بفاعل يا أمير المؤمنين
فيقول ولم لا أم لك فيقول له موسى إن لا يرجو أن لا يكرم موسى بهوان أمير
المؤمنين وموسى حينئذ قائم في الشمس ارتفع نفسه وعظم بهره ثم التفت سليمان
إلى عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يميني الا قد برئت يا عمر قال عمر فاغتمتها منه
ولم أبال أن يحنث باحياء رجل من المسلمين فقلت أجل يا أمير المؤمنين أمرو
كبرت سنه وكثر لحمه وبه نسمته وبهر وسقم فما أراه إلا ميتاً قال ثم التفت سليمان
إلى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الأموال فقال يزيد
ابن المهلب أنا يا أمير المؤمنين قال فخذوه ولا تمسه وضع العذاب على ابنه مروان
وعبد الاعلى فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به إلى منزله فأكرمه
وبره وقال له : اطع امرى وأجب أمير المؤمنين إلى مقاضاته عن نفسك وعن
ابنيك وحملني كلها قاضيته عليه . فقال له موسى أما إذا كنت أنت صاحب
هذا الشأن فانا غير مخبرك فيما ضمنيت لأمير المؤمنين وأيم الله لو أمر سواك بي
وأمره فبسط علي لكان أحب إلى أن ألقى الله عز وجل وأقرب إلى من أن يأخذ
منى ديناراً واحداً ولمكن أديا يا ابنى عن نفسك وعن أبيك فقال نعم ففدا يزيد
ابن المهلب إلى سليمان فاعلمه بذلك وبخدا موسى بمقاضاته فادخله سليمان عليه
فقال موسى أرايت لو لم أقاضك ما كنت فاعلاً فقال سليمان أضع العذاب عليك
وعلى ابنيك حتى أبلغ ما أريد أو آتى على نفسك فقال موسى الآن طابت نفسك
يا أمير المؤمنين فاعطني أربع خصال ولك ماء عوتك إليه من هذا المال فقال وما
هن قال لا تنزل عبد الله بن موسى عن أفريقية وجميع عمله سنتين وأن كل ما جاء
عبد الله بأفريقية وعبد العزيز بالأندلس فهو لي فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين وأن
تدفع إلى طارق مولاي وأكون أعلا عينا به وبماله فقال له سليمان أما ما سألت

لخمسائة من مواليه ثم أدخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك
الاسبان وملوك افرنجة ثم أدخل عليه رؤوس البلاد ممن كان معه من قريش
والعرب فأحسن جوائزهم وفرض لهم في الشرف ثم أقام موسى عند الوليد أربعين
يوماً ثم أن الوليد هلك .

(ذكر اختلاف الناقلين في صنع سليمان بموسى)

قالوا لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان أعتق الناس على الحجاج
وموسى بن نصير وكان يخلف لئن ظفر بهما ليصاحبهما وكان حنقه عليهما لأمر
بطول ذكره . قال فأرسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فأتاه فقال انى صالب
غداً موسى بن نصير فبعث عمر الى موسى فأتاه فقال له : يا ابن نصير انى أحبك
لأربع خصال الواحدة بعد أثرك في سبيل الله وجهادك لعدو الله والثانية حبك
لآل محمد صلى الله عليه وسلم والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأي
فيه وكان من عباد الله الصالحين والرابعة أن لآنى عندك يدأ وصنيعته حيث كانت
وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صالبك غداً فاحدث عهدك وانظر فيما أنت
فيه ناظر من أمرك فقال له موسى قد فعلت وأسندت ذلك اليك فقال له عمر لو
قبلت ذلك من أحد قبلت منك ولكن أسند الى من أحببت فانصرف فلما أصبح
اغتسل وتحنط وراح ولم يشك في الصالب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك
في حمارة الصيف دعا سليمان موسى فادخل عليه متعباً وكان بادياً حسياً به نسمة
لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتواعد فقال له موسى أما
والله يا أمير المؤمنين ما هذا بلأنى ولا قدر جزائى انى البعيد الأثر في سبيل الله
العظيم الغناء عن المساكين مع قدمه أبأنى مع أبائك ونصيحتي لهم . قال فيقول له سليمان
كذبت فتانى الله إن لم أقتلك فلما أكثرت على موسى قال له أما والله لمن في بطن الأرض
أحب إلى من على ظهرها فقال سليمان ومن أولئك واستطير فقال له موسى

موسى وأبنيه والكسف عنه فاعانه يزيد بن المهلب بمائة ألف دينار فاهدى اليه موسى حقاً فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الى ابن المهلب فقومهن فقبولن بثلاثمائة ألف دينار فقال ابن المهلب لموسى أتدرى لم قلت لأمير المؤمنين أنا أضمه قال لا قال خفت أن يجيبه قبلي من لا يرى فيك ما أنا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فأحبت أن أجزيك بها عند كلمه وبالله لو لم تفعل وأبيت عن المقاضاة ما شاكتك عندى شوكة حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجراه موسى خيراً

(ذكر يد موسى إلى المهلب)

قال وذكروا أن مخبراً أخبرهم من شيوخ الشام ممن أدرك القوم وصحبهم قال كانت اليد التي أسداها موسى الى المهلب أن عبد الملك بن مروان لما ولي العراق بشراً أخاه جعل معه موسى بن نصير وزيراً ومديراً لأمره وقد كانت الأزارقة أفسدت ما هنالك فأمر عبد الملك بشر بن مروان أن يولى المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مسيئاً فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشراً فلم يأتته فولى بشر بن مروان قتال الأزارقة الوليد بن خالد فانهزم واقتضح ثم ولي بشر رجلاً آخر فلم يصنع شيئاً فكتب عبد الملك الى بشر أخيه يفند رأيه فيما صنع ويوبخه لما خالف رأيه فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ أمر الأزارقة استشار بشر بن مروان وأسماء بن خارجة وعكرمة بن ربيع وموسى بن نصير في أمر المهلب فأما عكرمة وأسماء فوافقا هواه فيه وأما موسى فقال له إن أمير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب في فضله وشرفه وقدره في قومه ومعرفته أقصيت أو جفوت فإن كان ما بلغك أمر يقال أنه أنه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه أو ذنبه فلم يزل موسى يردد أمر المهلب على بشر ويعطيه عليه بعد أن كان هم بقتله إن ظفر به حتى أرسل اليه بشر فجاءه المهلب فتصل اليه المهلب فقبل.

من أن أقر عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك لك وأما ما سألت من دفع طارق إليك فتكون أعلا عينا به وبماله فليس هذا جزاء أهل النصيحة لأمير المؤمنين فليست بفاعل ولا مخل بينك وبين عقوبته ولا آخذ ماله فقضاه موسى على مال فأجله في ذلك وخلى سبيله

(نسخة القضية) هذا ما قاضى عليه عبد الله سليمان أمير المؤمنين موسى بن نصير قاضاه على أربعة آلاف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وخمسين دينارا ذهباً طيبة يؤديها الى أمير المؤمنين وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة ألف وبقى على موسى سائر ذلك أجله أمير المؤمنين الى سير رسول أمير المؤمنين الى ابن موسى الذى بالاندلس يمكث شهراً بالاندلس وليس له أن يمكث وراءه ذلك يوماً واحداً حتى يقبل راجعاً بالمال إلا ما كان من أفريقية ومادتها وليس لموسى أن يتكثر بشيء مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله أمير المؤمنين من ذمة أو في أو أمانة فهو لأمر المؤمنين يأخذونه ويقضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان أدى موسى الذى سمي أمير المؤمنين في كتابه هذا من المال الى ما قد سمي أمير المؤمنين من الأجل فتدبرى موسى وبنوه وأهله ومواليه وليست عليهم تبعه ولا طلبه في المال ولا في العمل يقرون حيث شاؤوا وما كان قبض موسى أو بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول أمير المؤمنين أفريقية فهو من الذى على موسى المال يحسب له من الذى عليه ما لم يتقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه في شيء وقد خلى أمير المؤمنين بين موسى وبين أهله ومواليه ليس له ظلم أحد منهم غير أن أمير المؤمنين لا يدفع اليه طارقاً مولاه ولا شيئاً من الذى قد أباه عليه أول يوم شهد أيوب ابن أمير المؤمنين وداود ابن أمير المؤمنين وعمر بن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد وسعيد بن خالد ويعيش بن سلامه وخالد بن الريان وعمر بن عبد الله ويحيى بن سعيد وعبد الله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان في جمادى سنة تسع وتسعين فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد بن المهلب بتخليته

عبد الله بن موسى انى نظرت فاذا عبد العزيز بازاء عدو يحتاج فيه الى الغناء
والبلاء فسأل امير المؤمنين فأخبر أن معك رجالا منهم فلان وفلان فأشخصهم
الى عبد العزيز ابن موسى . وكتب سليمان الى عبد العزيز أما بعد فان أمير
المؤمنين علم ما أنت بسبيله من التسدد وحاجتك الى الرجال أهل النكاية والغناء
فقد كر له أن بأفريقية رجالا منهم فكتب أمير المؤمنين الى عبد الله بن موسى يأمره
باشخاصهم اليك فولهم أطرافك وثغورك واجعلهم أهل خاصتك وكتب اليهم
سليمان انى قد بعثت لكم بكتاب الى أهل الأندلس بالسبح والطاعة لكم والغد في
قتله فاذا ولاكم أطرافه فأقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم أرجعوا اليه
حتى تقتلوه فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بأفريقية أشخص القوم فخرجوا
حتى قدموا على عبد العزيز بالأندلس بكتاب سليمان في الطافهم وإكرامهم فقر بهم
عبد العزيز وأكرهم وحياتهم وقال لهم اختاروا أى نواحي وثغورى شئتم فضرَبوا
الرأى فقالوا إنكم إن فعلتم ما أتمم فاعلمون ثم رجعتهم اليه من أطرافه لم نأمن أن
يميل معه عظيم الناس فان في يديه الأموال والقوة من مواله وغيرهم ولكن اعملوا
رأيكم في الفتك به قالوا فان ها هنا رجالا ان دخل معنا استقام لنا الأمر ووصلنا
الى ما أردنا وهو أيوب بن حبيب ابن أخت موسى قال فليقوه ودعوه الى أنه إن
قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم أنهم أتوا عبد الله بن عبد الرحمن العافقي
وكان سيد أهل الأندلس صلاحا وفضلا فاعلموه ثم أقرأوه كتاب سليمان فقال لهم
قد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب
عليه فيه والرجل لم ينزع يده من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل واتم ترون
وأمير المؤمنين لا يرى فاطيعون ودعوا هذا الأمر فأبوا ومضوا على رأيهم فأجمعوا
على قتله فوقوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بأمر القرآن
الكریم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضرب به حبيب بن أنى عبيدة ضربة فدهش
ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن وعلة التيمى

منه بشر وولاه ما كان يلي فبعث اليه موسى بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسى قائما بأمره عند بشر حتى هلك بشر . قالوا وأخبرنا محمد بن عبد الملك ان المهلب في الأيام التي كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له فكان فيه وحده فأتى رجل الى بشر وعنده موسى فقال له إن كان لك أيها الأمير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فإنه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه فبعث بشر خيلا قال فنهض من مجلسه موسى فوسيه اليه ذالما له ثم قال له أنت حر لوجه الله إن أنت سقت هذا الخيل حتى تنتهي الى موضع كذا وكذا فتأتى المهلب فذوق له ان موسى يقول لك النجا بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهى الى المهلب فاعلمه فاستوى على فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد أحدا هناك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

(ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالأندلس)

وذكروا أن محمد بن عبد الملك أخبرهم قال أقام موسى بن نصير مع سليمان ابن الملك يطلب رضاه حتى رضى عنه وابنه عبد الله بن موسى على أفريقية ووطنجه والسنوس وابنه عبد العزيز على الأندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذي فعل سليمان بأبيه موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بأبيه على حسن بلائه فميمت الى سليمان فخاف سليمان أن ينزل فكتب الى حبيب بن عبيد وابن وعله التميمي وسعد بن عثمان بن بأس وعمرو بن زياد اليحصبي وعمرو بن كثير وعمرو بن نرحيل كسب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز ابن موسى وما هو به من الخلع وإنه قد كتب الى عبد الله بن موسى يأمره بأشخاصهم الى عبد العزيز وأعادهم إنما دعاه الى ذلك الذي أحب من مكانكم لأنه بازاء العدو ووعدهم أنهم ان من قبله منهم ذبوا أمره مكانه . وكتب الى

ثم أدبر في السماطين فوق الطرف الآخر عن منكبيه وهو يحمر ولا يحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك يا ابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذلك يا خالد قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به فلما توارى موسى قال سليمان إن في الشيخ لبقية بعد . ثم أن موسى التفت الى حبيب بن ابي عبيدة فسكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمراً خفياً من نسبه فالحقه ثم أن سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فالحق ذلك باطلا وأن عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع اليه عن عبد العزيز ندم وأمر بالوفد فاخرجوا ولم ينظر في شيء من حوائجهم وأهدر عن مرسى بقية القضية التي كان سليمان قاضاها عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير ليعزلهما ثم لا يلبثان معه من أمور الناس شيئاً فلما رضى عن موسى جعل يقول ما ندمت على شيء ندامتي لا كنت خلوا من اليمين على موسى في أن لا أوليه شيئاً ما مثل موسى استغنى عنه . قال وان موسى دخل على سليمان في آخر يوم من شعبان عند المغرب وهو مستشرف على سطح وعنده الناس فلما رآه سليمان قال عندكم والله من أن سألتوه عن الهلال ليخبرنكم أنه قد رآه وقد غمى يومئذ عن سليمان والناس فلما دنى موسى وسلم قال له سليمان أرايت الهلال بعد يا موسى قال نعم يا أمير المؤمنين ها هو ذلك وأشار بأصبعه الى ناحية وهو مقبل على سليمان بوجه فرمى الناس بأبصارهم حيث أشار موسى فالبصروا الهلال فلما جلس موسى قال إني والله لست باحدكم بصراً ولكني أعلمكم بمقالعه ومناسته قال فخرج فلقبه يزيد ابن المهلب فقال له : يا أبا عبد الرحمن بئنه أنت أدهى الناس وأعظم أقبليت تسوق نفسك حتى تضعها في يد سليمان فقال له موسى أما علمت يا أبا خالد أن الهدد يندس الماء ويعرفه من الأرض الفضاء ومن الحزونة والسمل ويبصر القريب منه والبعيد ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة وما أشبهها فلا يبصر ذلك حتى يقع فيه فيؤخذ وذلك أنه لا حذر ينتجى من قدر ولا رأى ولا بصر وكذلك كنت وسليمان بن

وأصبح الناس فاعظموا ذلك فاخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبله أهل الاندلس وولوا عليهم عبد الله بن عبد الرحمن الخافقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأس عبد العزيز بن موسى رهما الله

(قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان)

وذكروا أن سليمان لما ظن أن القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبد الله بن موسى عن إفريقية وطنجة والسوس في آخر سنة ثمان وتسعين في ذى الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فأتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان أتعرف هذا الرأس يا موسى فقال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى فقام الوفد فتسكلموا بما تسكلموا به . ثم أن موسى قام فحمد الله ثم قال : وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمه الله تعالى عليه فلعمري الله ما علمته نهاره إلا صوابا وليله إلا قواما شديد الحب لله ورسوله بعيد الأثر في سبيله حسن الطاعة لأمر المؤمنين شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين فإن يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه فوالله ما كان بالحياة شحيحا ولا من الموت هائبا وليعزل على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصروع وينعلوا به ما أراك تفعل ولهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه أن يسمعوا فيه كاذبات الأقاويل وينعلوا به هذه الأفاعيل . فرد سليمان عليه قال بل ابنك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المناهذ لأمر المؤمنين فهلا أيها الشيخ الخرف فقال موسى . والله ما بي من خرف ولا أنا عن الحق بذى جنف ولن ترد محاور الكلام مواضع الختام وأنا أقول كما قال العبد الصالح « فصب جميل والله المستعان علي ما تصفون » فأذن في رأسه يا أمير المؤمنين واغرورقنا عيناه . فقال له سليمان نعم نفذه فقام موسى فأخذه وجعله في طرف قميصه البزى كان عليه

بالسيف والمخفر وأستعين بالله وأرغب اليه في النصر قال له سليمان فمن كان من العرب فرسانك قال حمير قال فأى الخيل رأيت في تلك البلاد أصبر قال شقرها قال فأى الأمم كانوا أشد قتالا قال أنهم يا أمير المؤمنين أكثر مما أصفهم قال له أخبرنى عن الروم قال : أسود في حصونهم عتبان على خيولهم نساء في مواكبهم إن رأوا فرصة انتهزوها وإن خافوا غلبة فأوعدا ترقل في اجبال لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة . قال فأخبرنى عن البربر قال هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير أنهم يا أمير المؤمنين غدر قال فأخبرنى عن الاسبان قال ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون قال فأخبرنى عن الافرنج قال : هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كبير ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكل قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المشهور والعزيز البدوخ . قال فأخبرنى كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقبا قال لا يا أمير المؤمنين ما هزمت لى راية قط ولا فض لى جمع ولا نكب المسلمين معى نكبة منذ اقتحمت الأربعين الى أن شارفت الثمانين قال فضحك سليمان وقال فأين الراية التى حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك قال تلك يا أمير المؤمنين زيرية وإنما عنت المروانية فقال صدقت وأعجبه قوله وذكروا أن محمد بن عبد الملك حدثهم عن ريان بن عبد العزيز بن مروان قال إنا لجالوس عند سليمان وهو على سطح فسمع والناس يدخلون حتى دخل موسى من الباب فتحرك بنا سقف السطح من شدة وطئه فسلم ثم جلس فذكر سليمان بيت الذهب الذى فتحه قتيبة بن مسلم فجعل يردد فيه فقال له موسى وما هذا يا أمير المؤمنين بيت لا يكون فيه عشرة آلاف دينار والله لقد بعثت الى أخيك الوليد بشور من زمرد أخضر يصب فيه اللبن فيخضر وإنه لمن أدنى ما بعثت به اليه ولقد أصبت كذا وكذا وأصاب المسلمون كذا وكذا وجعل يحدث سليمان بالعجائب قال ريان حتى والله أبهته فلم يزل موسى يبأب سليمان عظيم المنزلة عنده

عبد الملك . قالوا ذكروا أن سليمان خرج يوماً إلى بعض أمواله فمتزهاً فخرج معه موسى ابن نصير فعرضت عليهم غنم حلب فحلب نحو من ألف رأس فاعجب سليمان ما رأى منها والتفت إلى موسى قال له هل رأيت مناسبا قطع قال نعم فرددها سليمان كالمغضب عليه قال موسى نعم يا أمير المؤمنين وما هذا فيما أفاء الله عز وجل على يدي لقد كانت الألف تباع بعشرة دراهم أو دونها واقتد كانت في بعض المواطن وما لها قيمة ولا يلتفت إليها أحد يا أمير المؤمنين ولغير ذلك مما أفاء الله عليهم ولقد رأيت العاج العتل والوصيف الفاره والجارية الحسناء وإن أكثر ما تبلغ خمسين درهما لكثرة ذلك من صنوفه كلها ولقد رأيت الذود من الأبل لا تبلغ قيمته عشرين درهما أكثر يا أمير المؤمنين ما أعلمتك فيما تسمع قال سليمان لا وحده الله . وذكروا أن موسى دخل علي سليمان يوماً وعنده الناس فلما رآه سليمان قال ذهب سلطان الشيخ وابصره موسى حين تسلم فلم يفهم ما قال فلما سلم قال يا أمير المؤمنين رأيتك لما نظرتي داخلا تسلمت بكلام ظننتك عيتني به قال نعم قالت ذهب سلطان الشيخ قال له موسى ، أما والله لأن ذهب سلطان الشيخ لقد أثر الله في دينه أثاراً حسناً ولقد كنت طويل الجهاد في الله حريصاً في إظهار دين الله حتى أظهره الله وكانت من تم الله به موعدة لنيه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن هيمون الطائر . فقال سليمان هو ذاك فقال موسى وهو ذاك فلم يزل يرددها سليمان ويردها موسى حتى سكوت سليمان

(سؤال سليمان بن عبد الملك موسى عن أخباره وأفعاله)

وذكروا أن سليمان قال لموسى . ما الذي كنت تفزع إليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟ قال التوكل والدعاء إلى الله يا أمير المؤمنين . قال له سليمان هل كنت تمتنع في الحصون والختنادق أو كنت تتخندق حولك قال كل هذا لم أفعله قال فما كنت تفعل قال كنت أنزل السبل وأستشعر الخوف والعسر وأتخضع

فارس الى موسى . أنا لم نأت هاهنا للدعاء للوليد فأقبل على ماله جئنا فعدنا . فلم يلتفت ورجا أن يبلغ الوليد فأمر به فسحب حتى خرج من الناس ثم قام موسى ودعا بالناس فما برحنا حتى انصبت السماء بمثل القرب فاوتى موسى بدابة من دوابه فقال والله لا ركبت ولكن أخوض الطين وانصرف ماشيا ومشى الناس فسمعتهم يومئذ يردد في دعائه . اللهم الشهادة في سبيلك أو موتا في مدينة رسولك قال فذكروا أن عرفة بن عكرمة حدثهم عن مشائخ من مراد عن رجل منهم كان مع موسى بالأندلس قال . كنت أبصر من مجارى الشمس والقمر شيئا فوقع في عند موسى وقيل له عنده علم فوالله ما شعرت حتى تبت فاخذت فادخلت عليه فاذا بين يديه عصفور مذبوح مستقوق البطن قال لى أدخل يدك فانظروا ما أصلح الله الأمير طلقت امرأتى البتة ان كان يعلم قليلا أو كثيرا إلا ما يعلم الناس من مجارى الشمس والقمر قال فأمر بى فتحييت ثم دعا برجل من الأعاجم قال ادخل يدك فانظر ماذا ترى وكان من الأسارى فادخل يده في جوف العصفور فخرجه طويلا ثم قلبه ثم قال للترجمان بلسانه أنه ليس يموت هاهنا ولكنه يموت بالمشرق في بلاد العرب فنظر الى موسى ثم قال له قاتلك الله ما أعلمك قال ثم أمر به فقتل ثم دعاني فأخذ على الايمان أن لا أتسكلم به ما بقى ففعلت وكان دخول موسى المغرب سنة تسع وسبعين في جمادى الاولى وكان يومئذ ابن ستين سنة فاقام بافريقية ست عشرة سنة وقفل منها سنة خمس وتسعين ومات سنة ثمان وتسعين وولى عبد الله بن موسى بافريقيا وطنجة والسوس بعد موسى أبيه سنتين وكان عزله عنها في ذى الحجة سنة سبع وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين .

(ذكر ولاية الاندلس بعد موسى بن نصير)

وذكروا أن عبد العزيز بن موسى ولى الاندلس بعد أبيه سنة ثم قتل وولى بعده أيوب بن حبيب ستة أشهر ثم الحارث بن عبد الرحمن ثلاث سنين ونصف ثم

فلما كانت سنة ثمان وتسعين تبحر سليمان للحج وأمر موسى بالشمس وخصوص بالحج معه
فذكر له أنه ضعيف فأمر له سليمان بثلاثين نجيباً من فورة جبارا وبحجرة من
حجره وجائرة فحج سليمان وحج معه موسى فيبينا هو يسير يوما إذ دعا
بموسى فناداه خالد بن الريان وكان موسى يسير رجلا فلم يلتفت موسى إلى ندائه
ثم دعا به فناداه خالد أيضا فلم يلتفت إليه فقال له الرجل غفر الله لك ألم تسمع دعاء
أمير المؤمنين إنى أخافه وأخاف أن يغضب فقال موسى ذاك لو كان عبد الملك
أو الوليد فاما هذا فانه يرضيه ما يرضى الصبي ويسخطه ما يسخطه وسترى ذلك
ثم تقدم موسى حتى لحق ولحق سليمان فقال له أين كنت يا ابن نصير فقال له
يا أمير المؤمنين أين دوابنا من دوابك أتى لمنذ دعائى أمير المؤمنين انى كد حتى
لحقنت أمير المؤمنين فضحك سليمان وأمر له بدواب من مراكبه فسأله وحادثه
ثم انصرف عنه فالحق الرجل إليه فقال له موسى كيف رأيت قال أنت كنت
أعلم به فسار سليمان حتى نزل المدينة فى دار يزيد بن رومان قال لخدثنى بعض
أهل المدينة أن موسى قال يوما لبعض من يتق به . ليوتن الى يومين رجل قد بلغ
ذكره المشرق والمغرب فلم نظن إلا أنه يعنى الخليفة فلما كان اليوم الثانى لم أشعر
وأنا فى مسجد الرسول حتى سمعت الناس يقولون مات موسى بن نصير فاذا هو
وصلى سليمان عليه ودفن رحمه الله . وذكروا أن عبد الله بن سحر أخبرهم قال بينا
موسى يسير يوما على دابة له وكان طويلا جسيما فمر به رجلان من قريش وقد
تدلت رجلاه وانحنتا وهما لا يعرفانه فقالا ادبر والله الشيخ فسمعها موسى فقال
لها من أنتما فانتسبا له فقال أما والله أن أميكا لما أفاء الله على يدي هذا الشيخ
فأهداهما الى أبييكا فقالا له ومن أنت يرحمك الله قال موسى بن نصير فقالا
مرحبا وأهلا صدقت وبررت والله ما عرفناك فقالا لا عليك قد والله
أدبر عنى وبقى منى . وذكروا أن ابراهيم بن سليمان أخبرهم عن من حدثه عن موسى أن
الناس تحطروا بافريقيا عاما فخرج موسى بالناس فاستسقى فامر رجلا فقص على
الناس ورقفه فجعل يذكر ثم أنه اتجى فى الدعاء للوليد بن عبد الملك فاكثر

كيف يضحك . فقال سليمان نخست علينا ما نحن فته يا أما حفص ومن يطق
ما تطيق أنت يا عمر أنت والله الموفق المطيع

(ما قال طاووس اليماني لسليمان بمكة)

قالوا أن ابراهيم بن مسلم أخبرهم عن رجاء بن حيوة أنه نظر الى طاووس
اليماني يصلي في المسجد الحرام فانصرف رجاء إلى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ
بمكة قد حج ذلك العام فقال اني رأيت طاووس في المسجد فهل لك أن ترسل
اليه فأرسل اليه سليمان فلما أتاه قال رجاء لسليمان يا أمير المؤمنين لا تسأله عن
شيء حتى يكون هو الذي يتكلم فلما قعد طاووس سكت طويلاً ثم قال : ما أول
شيء خلق قلنا لا ندري فقال خلق القلم ثم قال أتدرون أول شيء كتب قلنا
لا قال أول ما كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتب القسدر خيره وشره الى
يوم القيامة ثم قال أتعلون من أبغض الخلق الى الله قلنا لا فقال إنه عبد أشركه
الله في ساطانه فعمل فيه بمعاصيه ثم نهض . قال رجاء فاضلم على البيت فما زلت خائفاً
عليه حتى توارى فرأيت سليمان يحك رأسه بيده حتى تنسجت أن تخرج أظفاره
لحم رأسه

(ما قال أبو حازم لسليمان)

قالوا وأن يحيى بن المنيرة أخبرهم عن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم
قال لما حج سليمان ودخل المدينة زائراً لقبر رسول الله ومعه ابن شهاب الزهري
ورجاء بن حيوة فأقام بها ثلاثة أيام فقال أما ها هنا رجل من أدرك أصحاب
رسول الله فقل له بلى ها هنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه وهو أقور
أعرج فدخل عليه فوقف منتظراً للاذن فلما نظر اليه سليمان ازدرت عينه فقال له
يا أبا حازم أهذا الجفاء الذي ظهر منك وأنت توصف برؤية أصحاب رسول الله

عنبسة سنتين وتسعة أشهر ثم يحيى بن سلمة سنة وثلاثة أشهر ثم الهيثم بن عبيد سنة وشهرين ثم عبد الرحمن بن عبد الله الخافقي أربع سنين ثم عبد الملك بن قطن القرشي أيضا سنة ثم ابن بشر القسري ستة أشهر ثم ثعلبة بن سلام العاملي خمسة أشهر ثم عبد أبو الخطار بن ضرا الكلبي ثلاث سنين ثم ثوابة بن مسلمة سنة وشهرًا فلما وهن سلطان بني أمية بالمشرق ولوا على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن القرشي القهري من غير عهد من الخليفة فهاك الأندلس عشر سنين إلى أن دخل عليه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وذكروا أنه لما حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز وذلك في سنة ثمان وتسعين فلما انتهى إلى عقبة بن عسفان نظر سليمان إلى السراديات التي قد ضربت له ما بين أحر وأخضر وأصفر وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاث سراديات فكان الذي بنى منها للناس من خبز أخضر والذي يليه من خبز أصفر ثم الذي يكون هو فيه من وشى أحر مخبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة وفي داخله فسطاط فيه أربعة أفرشة من أحر مرافقتها من وشى أصفر وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه وكتابه وحشمه قرب ذلك فلما استوى سليمان في قبة العقبة ونظر إلى ما نصب له قال يا عمر كيف ترى هاهنا؟ قال أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا أنت المسئول عنها والمأخوذ بها فبينما هما كذلك إذ طار غراب من سرايق سليمان في منقاره كمة فصاح الغراب فقال سليمان ما يقول هذا الغراب يا عمر قال عمر ما أدري ولكن إن شئت أخبرتك بعلم قال سليمان أخبرني فقال عمر : هذا غراب طار من سرايقك بكسرة هو يأكلها وأنت المأخوذ بها والمسئول عنها من أين دخلت وأين أخرجت قال سليمان إنك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص فقال عمر أفلا أخبرك بأعجب من هذا يا أمير المؤمنين قال أخبرني قال : من عرف الله تعالى كيف يعصاه ومن عرف الشيطان كيف يطيعه ومن أيقن بالموت كيف يهيئه العيش ويسوغ له الطعام ومن أيقن بالنار

لا يبنذونه وراء ظهورهم قال سليمان يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح ما فسد منا فقال المأخذ في ذلك قريب يسير فاستوى سليمان جالساً من انكائه فقال كيف ذلك فقال : تأخذ المال من حله وتضعه في أهله وتكف إلا كف عما نهيت وتمضيها فيما أمرت به قال سليمان ومن يطيق ذلك فقال أبو حازم من هرب من النار الى الجنة ونبذ سوء العادة الى خير العباد . فقال سليمان أصحبنا يا أبا حازم وتوجه معنا نصب منا ونصب منك قال أبو حازم أعوذ بالله من ذلك قال سليمان ولم يا أبا حازم قال أخاف أن أركن الى الذين ظلموا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف المات فقال سليمان فتزورنا قال أبو حازم : إنا عهدنا الملوك يأتون الى العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك فصار في ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الآن في زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعده عن العلماء فصار في ذلك فساد الفريقين جميعاً قال سليمان فأوصنا يا أبا حازم وأوجز . قال اتق الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يتقدمك من حيث أمرك قال سليمان ادع لنا بخير فقال أبو حازم اللهم إن كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فذنه الى الخير بناصيته قال سليمان زدني قال قد أوجزت فان كنت وليه فاغبط وإن كنت عدوه فاتعظ فان رحمته في الدنيا مباحة ولا يكتننها في الآخرة إلا لمن اتقى في الدنيا فلا نفع في قوس يرمى بلا وتر فقال سليمان هات يا غلام الف دينار فأثناه بها فقال خذها يا أبا حازم فقال لا حاجة لي بها لأنني وغيري في هذا المال سواء فان سويت بيننا وعدلت أخذت وإلا فلا لأنني أخاف أن يكون ثمننا لما سمعت من كلامي وإن موسى بن عمران لما هرب من وفرعون ورد ماء مدين وجد عليه الجاريتين تذودان فقال ما ليكما معين قالتا لا فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال . « رب اني لم أنزل الى من خير فقير » ولم يسأل الله أجراً فلما أعجل بالجاريتين الانصراف أنكر ذلك أبوهما فقال لهما ما أعجلكما اليوم قالتا وجدنا رجلاً صالحاً قويا سقى لنا قال ما سمعناه يقول قالتا تولى الظل وهو يقول « رب اني

مع فضل ودين تذكر به فقال، أبو حازم وأى جفاء رأيت منى يا أمير المؤمنين.
فقال سليمان إنه أثنى وجوه أهل المدينة وعلماءها وخيارها وأنت معدود فيهم
ولم تأتني فقال أبو حازم : أعينك بالله أن تقول ما لم يكن ما جرى بيني وبينك
معرفة آتيك عليها قال سليمان صدق الشيخ فقال يا أبا حازم مالنا نكره الموت
فقال لأنكم أخرتكم أخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون النقلة من العمران الى
الخراب قال سليمان صدقت فكيف القدوم على الآخرة قال نعم . أما المحسن فانه
يقدم على الآخرة كالغائب يقدم على أهله من سفر بعيد وأما قدوم المسيء فكالعبد
الآبق يؤخذ فيشد أكتافه فيؤتى به الى سيد فقط غليظ فان شاء عفا وإن شاء عذب
فبكي سليمان بكاء شديدا وبكى من حوله ثم قال ليت شعري مالنا عند الله يا أبا حازم
فقال اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال سليمان يا أبا حازم
وأين أصيب تلك المعرفة في كتاب الله قال عند قوله تعالى « إن الأبرار لفي نعيم
وإن الفجار لفي جحيم » قال يا أبا حازم فأين رحمة الله قال رحمة الله قريبة من
المحسنين قال يا أبا حازم من أعقل الناس قال أعقل الناس من تبلم العلم والحكمة
وعلمها الناس قال فمن أحق الناس فقال من حط في هوى رجل وهو ظالم فباع
آخرته بدنياه غيره قال فما اسمع الدعاء قال أبو حازم دعاء الخبثين الخائفين فقال
فما أركى الصدقة عند الله قال جهد المقل قال فما تقول فيما ابتلينا به قال أعفنا
عن هذا وعن الكلام فيه أصلحك الله فانه نصيحة تلقينا فقال . ما أقول في سلطان
استولى عنوة بلامشورة من المؤمنين ولا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء
الحرام وقطعت به الأرحام وعظمت به الحدود ونكبت به العبود وكل ذلك
على تفيذ الطينة وجمع لمناخ الدنيا المشينة ثم لم يلبثوا أن ارتحلوا عنها فبالت
شعري ما تقولون وماذا يقال لكم فقال بعض جلسائه : بئس ما قالت يا أئور
أمير المؤمنين يستقبل بهذا فقال أبو حازم اسكت يا كاذب فإما أهلك فرعون
هامان وهامان فرعون إن الله قد أخذ على العباد لبينه للناس ولا يكتمونه أى

يصنون عليهم لكانت الأمراء يتهايمهم فقال الزهرى كأنك إياي تريداني
أتعرض قال هو ما تسمع . قال سليمان يا أبا حازم : غظني وأوجز قال حلال الدنيا
حساب وحرامها عذاب وإلى الله المآب فاتق عذابك وأودع . قال لقد أوجزت
فأخبرني مالك قال الثقة بعدله والتوكل على كرمه وحسن الظن به والصبر إلى أجله
والأيس مما في أيدي الناس قال يا أبا حازم ارفع الينا حوائجك قال رفعتها إلى من
لا تتخذل دونه فما أعطاني منها قبات وما أمسك عني رضيت مع اني قد نظرت
فوجدت أمر الدنيا يؤول إلى شيئين أحدهما إلى والآخر لغيري فأما ما كان لي فلو
احتلت عليه بكل حيلة ما وصلت إليه قبل أوانه وحينه الذي قد قدر لي وأما الذي
لغيري فذلك لا أطمع فيه فسكنا معنى رزق غيري كذلك منع غيري رزقي فعلام
أقتل نفسي في الاقبال والادبار

وذكروا أن غلبانا لسليمان نازعوا غلبانا لعمر بن عبد العزيز فتعدى غلبان عمر
على غلبان سليمان فرفع ذلك إلى سليمان وأغرى بعمر فقال له سليمان ألا تنصف
غلباني وهو كالمغضب بما فعل بهم فقال عمر ما علمت هذا قبل هذا الوقت وما سمعت هذا
إلا في مقامى هذا فقال سليمان كذبت لقد علمته فقال عمر : كذبت والله ما كذبت
ولا تعمدت كذبا منسدا شددت ما زرى على نفسي وإن في الأرض عن مجلسك
لسعة . ثم خرج عمر فتجهزوا وهو يريد مصر ليسكنها فبلغ ذلك سليمان فقدم
على ما كان من قوله وأرسل إليه أن يبرح وأمر رجلا يقول له لا تغتب أمير
المؤمنين على قوله ولا تذكر هذا فترك عمر الخروج وجلس وأقل الاختلاف
إلى سليمان

(ذكر وفاة سليمان واستخلافه عمر بن عبد العزيز)

قال وذكروا أن خالد بن أبي عمران أخبرهم وكان قد أدرك القوم قال مرض
سليمان مرضه الذي مات فيه وذلك في شهر صفر سنة تسع وتسعين فدخل عليه

لما أنزلت الى من خير فقير » فقال ينبغي لهذا أن يكون جائعا تنطأني إحداكما له
فبقول له . ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فأته إحداهما تمشي على
استحياء (أى على إجلال له) قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا
فجزع موسى من ذلك وكان طريقاً في القيافي والصحراء فقال لها قولي
لأبيك ان الذي سقى يقول لا أقبل أجراً على معروف اصطغته فأنصرفت
إلى أبيها فأخبرته فقال اذهبي فقل له أنت بالخيار من قبول ما يعرض
عليك أبي وبين تركه فأقبل فإنه يجب أن يراك ويسمع منك فأقبل
والجارية بين يديه فبيت الريح فوصفها له وكانت ذات خلق كامل فقال
لها كوني ورائي وأريني سمت الطريق فلما بلغ الباب قال استأذني لنا ندخل على
أبيها فقالت انه مع قوته لاهين فقال شعيب وبم عانت ذلك فأخبرته ما كان من
قوله عند هبوب الريح عليها فقال أدخله فدخل فإذا شعيب قد وضع الطعام فلما
سلم رحب به وقال أصب من طعامنا يا فتى فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب لم قال
لأنني من بيت قوم لا ينبع ديننا بملء الأرض ذهباً قل شعيب لا والله ما طعامي
لما تقان ولسكنه عادي وعادة آبائي تقرأ الضيف وتطعم الطعام فجلس موسى
فأكل . وهذه الدنانير يا أمير المؤمنين إن كانت ثمناً لما سمعت من كلامي فإن أكل
الميتة والدم في حال الضرورة أحب إلى من أن آخذها فأعجب سليمان بأمره عجباً
نسديداً فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين ان الناس كاهم مثله قال لا قال الزهري
إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط فقال أبو حازم صدقت لأنك نسيت الله
ونسيتني ولو ذكرت الله لذكرتني قال الزهري أنشئتني قال له سليمان بل أنت شئت
نفسك أو ما علمت أن للجار على الجار حقاً . قال أبو حازم ان بني إسرائيل لما
كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تعز بدنيا من
الأمراء فلما رأى قوم من أراذل الناس انما العلم وأتوا به الأمراء نسخت الأمراء
من العلماء واجتمع القوم على المعصية فسمتوا وهسكوا ولو كان علماءنا هؤلاء

قال رجاء فخرجت وعمر معي فقلت له ما أراك إلا صاحب الأمر فقال عمر ما أحسب ذلك فقلت ومن عسى أن يكون في آل مروان من يريد سليمان توليته غيرك فقال عمر ما أراه عهد إلا لأحد الرجلين إما القاسم أو سالم قال رجاء فقلت له أسمعك ذلك منه فقال عمر ما سمعته ولسكنه دار بيني وبينه كلام أنفاق قبل دخلتك لا أشك أنه أراد أحدهما قال رجاء فقلت والله هذا الاختلاف في أمة محمد والفتن الظاهرة القاصمة للظهور الفانية للانفس فقال عمر ولم ذلك فقال رجاء لأن قريشاً ونحوها لا ترضى بهذا ولا تصير اليه ولا آل أمية وعبد شمس حيث كانت من الأرض فقال عمر أن الأمر لله من قبل ومن بعد يؤتى الملك من يشاء فقال رجاء فخرجت الى الناس وأعلمتهم بعهد أمير المؤمنين فقالوا سمعنا وطاعة ثم أعلمتهم باتباله ورغبته الى الله وما قال فلم يشك الناس أن عمر بن عبد العزيز صاحبهم فاردوا أن يسلبوا عليه بالخلافة وذلك لما أيقنوا بهلاك سليمان فقلت لهم لا تعجلوا فان عمر قال لي أرى سليمان ما أراد إلا القاسم أو سالمًا وهذا أفطن مني بهذا الأمر لأنه كان حاضرًا وسليمان يكتب العهد بيده فضج الناس من ذلك واختلفوا . فقالت فرقة سمعنا وأطعنا لمن استخلف علينا كان من كان وقالت فرقة لا والله لا نقر بهذا ولا نطيعه ولا يستخلف علينا الأمر واتى ولا تبقى منا عين تطرف في الدنيا . فقال رجاء لعمر كيف ترى قولي والله لئن كان هذا إنه لمو البلاء المبين وأنها الفتنة قد فتحت بابها فقال عمر أرجو الله أن يغلقه إن شاء الله قال رجاء فقلت لعمر ما نحن صانعوه إن كان هذا فقال عمر لا أدري ما أقول في موقفي هذا قال رجاء ولم فقال عمر : لأنني والله ما وقفت موقفاً قط لأرى لي فيه ولا بصيرة إلا موقفي هذا فاني قد أجدني قد ذهب روعي وفقدت رأيي ولا أدري ما أستقبل من أمرى وما استدبر ولو استطعت الفرار لفرت من موضعي هذا حيث لا أدرك ولا أرى . قال رجاء فلما قالوا لي بهذا علمت انه الذي أريد من فقده لرأيه وبصيرته قال رجاء فقلت له يا أبا حفص فإين نحن من المفرع الى الله والرغبة في الإصلاح علينا وعلى المسلمين ويعزم لنا على ما فيه الخير

عمر بن عبد العزيز عائدًا فدعا سليمان بنين له صغارًا فقلدهم السيوف فوقعوا في الأرض فقال سليمان قد أفلح من كان له بنون كبار فقال عمر ليس هكذا قال الله فقال سليمان وكيف قال الله فقال عمر قال الله تعالى «وقد أفلح من تركي وذكرك اسم ربه فصلّي» فقال سليمان إني أريد أن أعهد إليك وأوليك أمور الناس بعدى فقال عمر لا حاجة لي بذلك فقال سليمان ولم ذلك فقال لا إني لا أريد أخذ أموالهم فإذا لم أرد أخذ أموالهم فما الذي يدعوني إلى ضرب ظهورهم فقال سليمان لا بد من هذا فقال عمر ولم ذلك ولك في ولد عبد الملك سعة فاعفني من هذا يعف الله عنك فقال له سليمان والله لا أوليها غيرك بعدى فقال عمر وما الذي يدعوك إلى هذا فقال سليمان إني رأيت في منامي قائلًا يقول لي : ان عمر بن عبد العزيز لك جنة ووقاية وجسر تتغطاه فإوات ذلك إن شاء الله أن أوليك الأمر من بعدى لتكون توليتك لك جنة من النار وجسرًا أركبه لأنجو عليه من عذاب يوم القيامة ثم لي زيد بعدك فإنه أرشد ولد عبد الملك فسكت سليمان وظن أن عمر رضى بما قال له ثم دعا سليمان بصحيفة ثم كتب ويده ترتعش من شدة العلة لا يعلم أحد بما يخط فكتب عهد عمر ثم من بعد عمر يزيد ثم ختم عليه بيده متحاملا لذلك وعمر لا يشك أن الأمر فيه قد صار لغيره ثم دعا سليمان برعاء بن حيوة فقال له خذ هذا الكتاب فإنه عهدى فاجمع اليك قريشا وأمراء الأجناد واعلمهم أنه عهدى وإن من كان اسمه في كتابي هذا فهو الخائفة بعدى فمن نزع عن ذلك وأباه فالسيف السيف والقتل . ثم رفع سليمان يديه إلى السماء فقال اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلت وهي صغيرة يسيرة في جانب عفوك فاعف عني يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اعف عني ما بيني وبينك من الذنوب واحمل عني ما بيني وبين خلقك وارضهم بما شئت يا أرحم الراحمين اللهم إن كنت تتلم مني وتطلع من ضميري إني إنما أردت بعهدى هذا وتوثيتي من وليت فيه وجهك ورضاك فاغفر لي وارحمني ثم تخلخل لسانه فلم يقو على الكلام من ثقل العلة ثم سكت وأغنى عليه

منه لم يظماً أبدأ وسليمان يسأل الله برحمته أن لا يرده عنه عرشان . وأن أبا بكر وعمر خير هذه الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يعلم بعدهما حيث الخير وفيمن الخير من هذه الأمة . وأن هذه الشهادة المذكورة في عهده هذا يعلمها من سره وإعلانه وعقد ضميره وإن بها عبدربه في سالف أيامه وماضى عمره وعليها إيتاء بقين ربه وتوفاه أجله وعليها يبعث بعد الموت إن شاء الله وأن سليمان كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسيئات لم يكن له عنها محيص ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ في محكم الوحى فإن يعف ويصفح فذلك ما عرف منه قديما ونسب اليه حديثا وذلك الصفة التى وصفت به نفسه فى كتابه الصادق وكلامه الناطق وأن يعاقب وينتقم فيما قدمت يده وما الله بظلام للعبيد وإنى أخرج على من قرأ عهدى وسمع ما فيه من حكمه إن ينتهى اليه فى أمره وتنبه بالله العظيم وبمحمد صلى الله عليه وسلم وأن يدع الاحن ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه الى السماء بالابتهال الصحيح والدعاء الصريح يسأله العفو عني والمغفرة لى والنجاة من فزعى والمسألة فى قبرى لعل الودود أن يجعل منكم محاب الدعوة بما على من صفحه أن يعود إن شاء الله . وإن ولى عهدى فيكم وصاحب أمرى بعدهم وفى كل من استخلفنى الله عليه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بن عمى لما بلوت من باطن أمره وظاهره ورجوت الله بذلك وأردت رضاه ورحمته إن شاء الله ثم لينيد بن عبد الملك من بعده فاني ما رأيت منه إلا خيراً ولا اطلعت له على مكروه وصغار ولدى وكبارهم الى عمر إذ رجوت ألا يألوهم رشداً وصلاحا والله خليفتي عليهم وهو أرحم الراحمين وقرأ عليكم السلام ورحمة الله ، ومن أبى عهدى هذا وخالف أمرى فالسيف ، ورجوت أن لا يخالفه أحد ومن خالفه فهو ضال مضل يستعذب فان أعقب وإلا فالسيف (والله المستعان) ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الاحسان .

والخيرة فقال عمر بلى والله هذا الماتجأ وهذا الحصن والمعتقل الشديد قال رجاء فبنا
 ليلتنا لانا لوالا على أنفسنا في الدعاء والاستخارة لله فلما أصبحنا قلت لعمر ما ترى
 يا أبا حفص فقال أرى أن أسمع وأطيع لمن في هذا الكتاب فإن كان أحد الرجلين سمعت له
 وأطعت ورددت من أدبر عنه بن أقبل عليه حتى أموت فبينهما كذلك إذا أقبل
 وصيف يسعى اليهما يقول قد قضى أمير المؤمنين نجه فرجا فإذا بالعويل والنوح فرجعا
 الى المسجد ترعد فرائصهما والناس يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول لست به
 لست به حتى دخل المسجد وقد اجتمع الناس وهم مستعدون للفتنة والقتال إن خالف
 العهد ما يريدون فقام رجاء الى جانب المنبر حمد الله وحض الناس على الصلاة ولزوم
 الجماعة وأعلمهم بما في الفرقة والاختلاف من ذهاب الدين والدنيا ثم أخرج
 العهد فقصه بمحضر منهم قرأه عليه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد
 به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد أنه يشهد لله
 بالربوبية والوحدانية وأن محمداً عبده ورسوله بعثه الى محضنى عباده بشيراً وإلى
 مذنبهم نذيراً وأن الجنة والنار مخلوقتان حق ، خلق الجنة رحمة لمن أطاعه والنار
 عذاباً لمن عصاه وواجب العفو لمن عفى عنه وأن سليمان مقرر على نفسه بما يعلم الله
 من ذنوبه موجبا على نفسه استحقاق ما خلق من النعمة واجبا لنفسه ما خلق من
 الرحمة ووعد من المغفرة راج لما وعد من الرحمة وأن المقادير كلها خيرها وشرها
 عن الله وأنه هو الهادى لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية ولا لمن خلق
 لعذابه هداية ، وأن الفتنة في القبور بالسؤال عن دينه ونبيه الذى أرسل الى أمته
 لا منجى لمن خرج من الدنيا الى الآخرة من هذه المسألة وسليمان يسأل الله بواسع
 فضله وعظيم منه الثبات على الحق عند تلك المسألة والنجاة من هول تلك الفتنة
 وأن الميزان حق يقين يضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فن ثقلت موازينه
 غاؤلكم هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فاولئك هم الخاسرون . وأن حوض محمد
 صلى الله عليه وسلم يوم الحشر والموقف حق عدد آياته كمنجوم السماء من شربه

(ذكر قدوم جرير ابن الخطفي على عمر بن عبد العزيز)

ذكروا عن عبد الأعلى بن أبي المشاور أنه أخبرهم قال قدم جرير شاعر أهل العراق وأهل الحجاز على عمر أول ما استخلف فدخل عليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ثم قال . أن الخلفاء كانت تتعاهدني فيما مضى بجوائز وصلات ثم أنشأ يقول

قد طال قولي إذا ما قمت مبتهلا	يارب اصلح قوام الدين والبشر
إننا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا	من الخليفة ما نرجو من المطر
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت	أم قد كفاني ما بلغت من خير
ما زلت بعدك في هم يؤرقني	قد طال في الحل أصعادي ومنحدرى
لا ينفع الحاضر المجهود باديه	ولا يعود لنا باد على حضر
كم باليامة من شعناء أرملة	ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به	خبلا من الجن أو مسا من البشر
فإن تدعهم فمن يرجون بعدكم	أو تنج منها فقد أنجبت من ضرر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها	فمن الحاجة هذا الأرامل الذكر
خليفة الله ماذا تأمرن بنا	لسنا اليكم ولا في دار متظر
أنت المبارك والمهدي سيرته	تعصى الهوى وتقوم الليل بالسور

قال فبكي عمر وهملت عيناه وقال ارفع حاجتك إلينا يا جرير قال جرير ما عودتني الخلفاء قبلك قال وما ذلك قال أربعة آلاف دينار وتوابعها من الخلالن والكسوة قال عمر أمن أبناء المهاجرين أنت قال لا قال أمن أبناء الأنصار أنت قال لا قال أفتقر أنت من فقراء المسلمين قال نعم قال فاكتب لك إلى عامل بلدك أن يجرى عليك ما يجرى على فقير من فقرائهم . قال جرير أنا أرفع من هذه الطبقة يا أمير المؤمنين قال فانصرف

(أيام عمر بن عبد العزيز)

وذكروا عن خالد بن أنى عمران أنه قال : إني لحاضر يوم قرئ عهد سليمان في المسجد بدمشق على الناس فما رأيت يوماً أكثر باكياً ولا داعياً له بالرحمة من ذلك اليوم فلم يبق محب ولا مبغض ولا خارجي ولا حروري إلا أخذ الله له بقلوبهم وابتهلوا بالدعاء وأخلصوا له بالسؤال بالعفو من الله ورضى الناس أجمعون فعله قال خالد ثم بايع الناس لعمر في المسجد بيعة تامة جامعة طيبة بها النفوس لا يشوبها غش ولا يخالطها دنس . قال خالد وسمعت رجاء يقول لما تمت البيعة إني مهما شمسكسكت في شيء فاني لم أشك يوم البيعة لعمر بالنيابة والرحمة لسليمان إن شاء الله واستفتح عمر ولايته ببيع أموال سليمان ورباعه وكسوته وجميع ما كان يملكه فبلغ ذلك أربعة وعشرين ألف دينار فجمع ذلك كله وجعله في بيت المال ثم دخل على زوجته فاطمة ابنة عبد الملك فقال لها يا فاطمة فقالت لبيك يا أمير المؤمنين فيجعل ليكي وكان لها محبا وبها كفا ثم استفاق من بكائه فقال لها اختاريني أو اختارى التوب الذى عمله لك أبوك وكان قد عمل لها أبوها عبد الملك ثوبا منسوجا بالذهب منظوما بالدر والياقوت أنفق عليه مائة ألف دينار فقال لها إن اخترتيني فاني آخذ الثوب فأجعله في بيت المال وإن اخترت الثوب فلست لك بصاحب فقالت أعوذ بالله يا أمير المؤمنين من فراقك لاحاجة لي بالتوب فقال عمر وأنا أفعل بك خصلة أجعل التوب في آخر بيت المال وأنفق ما دونه فان وصلت اليه أنفقته في مصالح المسلمين وإنما هو من أموال المسلمين أنفقت فيه وإن بقي التوب ولم أحتج اليه فلعل أن يأتى بعدى من يرده اليك قالت افعل ما بدالك ثم دخل عليه ابن له وعليه قميص قد تذذع فقال له عمر رقع قميصك يا بني فوالله ما كنت قط بأحوج اليه منك اليوم

أبو بكر وقام عمر ورد تلك النساء والعزاري الى عشائرها فهل تبرأ عمر من
أبي بكر ولعنه بخلافته إياه قال لا قال فتولونهما على خلاف سيرتهما قالوا نعم
فقال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم في السيرة والأحكام لم يتبرأ بعضهم من
بعض ولا لعن بعضهم بعضاً وأنتم تتلونهم على خلاف سيرتهم فهل وسعكم في
دينكم ذلك ولا يسعني حين خالفت أهل بيتي في الأحكام والسيرة حتى ألعنهم
وأتبرأ منهم . أخبراني عن اللعن فرض على العباد قالوا نعم فقال عمر متى عهدك
بلعن فرعون قال ما بالي به من عهد منذ زمان قال عمر هذا رأس من رؤوس
الكفار ليس لك عهد بلعنه منذ زمان وأنا لا يسعني أن ألعن من خالفهم من
أهل بيتي ألستم أنتم الذين تؤمنون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفيه
وتخيفون من كان رسول الله يؤمله فقالوا لا تبرأ الى الله تعالى من هذه الصفة .
فقال بلى فأخبركم عن ذلك ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
والناس أهل كفر فدعاهم أن يقرؤا بالله ورسوله فمن أبي قاتله وخوفه ومن
أقر بهما أمته وكف عنه ؟ وأنتم اليوم من مر بكم مقرر بهما قتلتموه ومن لم يقر
بهما أمتمتموه وخليت سبيله فقال العربي تالله ما رأيت حجيجاً أقرب مأخذاً ولا
أوضح منهاجا منك أشهد أنك على الحق وأنا على الباطل وقال الآخر : لنند قلت
قولاً حسناً وما كنت لأقاتك على أصحابي حتى ألقاهم فلحق أصحابه وأقام الآخر
عند عمر فأجرى عليه العطاء والرزق حتى مات عنده

(وفاة عمر بن عبد العزيز)

وذكروا أن عبد الرحمن بن يزيد أخبرهم قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى
ابن أبي زكريا أما بعد فاذا نظرت في كتابي فأقدم مقدم عليه فقال مرحبا يا ابن
أبي زكريا قال وبك يا أمير المؤمنين قال حاجة لي قبلك قال بين الأثف والعين
حاجتك يا أمير المؤمنين ان قدرت عليها قال لست أكلفك إلا ما تقدر عليه

جرير فقال عمر ردوه على فلما رجع قال له عمر قد بقيت خصلة أخرى عندي نفقة وكسوة أعطيك بعضها ثم وصلها بأربعة دنانير فقال وأين تقع منى هذه يا أمير المؤمنين فقال أنها والله لمن خالص مالي ولقد أجهدت لك نفسى فقال جرير والله يا أمير المؤمنين أنها لأحب مال كسبته . ثم خرج فلقبه الناس فقالوا له ما وراءك قال : جئتكم من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإنى عنه لراض

(دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز)

وذكروا أن ابن حنظلة أخبرهم قال بعضنى وعون بن عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى خوارج خرجت عليهم بالحيرة رأسهم رجل من بنى شيان يقال له شوذب وكتب معنا كتابا إليهم فقدمنا عليهم فبعثوا معنا إليه رجلين أحدهما من العرب فأتينا بهما عمر فدخلا عليه وتركناهما بالباب قال فتشوهما ألا يكون معهما حديد أو شيء فقلنا ثم أننا أدخلناهما عليه . فلما دخلا قال السلام عليكم قال وعليكم السلام أجلسا فلما جلسا قال لهما عمر ما الذى أخرجكم علينا فقال العري وكان أشدهما كلاماً وأتمهما عقلاً أما أنا لم أنكر عليك عدلك ولا سيرتك ولكن بيننا وبينك أمر هو الذى يجمع ويفرق بيننا فان أعطيتناه فنحن منك وأنت منا وإن لم تعطناه فلنا منك ولست منا . فقال عمر فما هو فقال . خالفت أهل بيتك وسميتهم الظلمة وسميت أعمالهم المظالم فان زعجت أنك على الحق وأنهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فقال عمر . إنكم لم تتركوا الأهل والعشائر وتعرضهم للقتال إلا وأنتم فى أنفسكم مصيبون ولكنكم أخطأتم وخلتم تركتم الحق فأخبرانى عن الدين أو أحد أو اثنان قالوا بل واحد قال أفيسركم فى دينكم شيء يعجز عنى قال لا قال فأخبرانى عن أبى بكر وعمر ما حالهما عندهم قالوا أفضل الناس أبو بكر وعمر قال . ألتما تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى ارتدت العرب فقاتلهم أبو بكر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية قالوا بل قال عمر فلما توفى

ابن أبي طالب فقام فدخل فسا لبثت إلا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر
ابن عبد العزيز فتمت فدخلت فلما صرت في القصر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعثمان وعلى أمامه فقلت أين أقعد لا أقعد إلا
جانب عمر قال فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر شابا حسن الوجه
حسن الهيئة فقلت لعمر من هذا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام فسا لبثت
إلا قليلا حتى خرج عثمان بن عفان وهو يقول الحمد لله الذي نصرني ربّي ثم
خرج علي وهو يقول الحمد لله الذي غفر لي ربّي ثم نودى لي فقامت فصرت بين
يدي ربّي فأسألتني عن النقيير والقتيل والقطمير حتى خفت أن لا أنجو
ثم قتت فخرجت فقيل لي اثبت وتمسك علي ما أنت عليه فبينما أنا سائر فاذا بحيفة
قد علا تنمها الخلائق فضربت بها برجلي وقلت لمن هذه الجيفة فقيل لي هذا الحجاج
أبن يوسف فضربت به برجلي فقلت له ما فعل الله بك يا حجاج قال يا أمير المؤمنين
والله لقد قتلت بكل قيل قتلته قتلة بسيف من نار ولقد قتلت بسعيد بن جبير
اثنتين وسبعين قتلة . فقامت فأخر أمرك ما هو قال أنا ها هنا أنتظر ما ينتظر من
وحد الله وآمن برسوله . قالت فاطمة فلم يبق عمر بعد هذا الرؤيا إلا يسيرا حتى
مرض مرضه الذي مات فيه فدخل عليه مسلبة بن عبد الملك فقال له يا أمير
المؤمنين إنك لتترك ولدك عائلة على الناس فأوص بهم الي أ كففك أمرهم فانك
لم تمولهم شيئا ولم تطعمهم فقال عمر . يا أبا سعيد ان ولدي لهم الله الذي نزل الكتاب
وهو يقول الصالحين ثم دعاهم عمر وهم أربعة عشر غلاما فنظر اليهم عمر وقد
لبسوا الخشن من قباطي مصر فأغرورقت عيناه بالدموع . قال لهم أوصيكم بتقوى
الله العظيم وليجل صغيركم كبيركم وليرحم كبيركم صغيركم . ثم قال لمسلبة
يا أبا سعيد إنما ولدي على أحد أمرين اما عامل بطاعة الله فلن يضيعه الله واما
عامل بمعصيته فلا أحب أن يعينه بالمال قوموا عصمكم الله وفقكم . ثم دعا رجاء
ابن حيوة فخلا به فقال يا رجاء إن الموت قد نزل وأنا أعهد اليك عهدا لا أعده

قال منهم قال أحب أن تأتي على الله بمبلغ علمك حتى إذا فرغت سألت الله أن يقبض عمر فقال . « إنا لله وإنا إليه راجعون » بأس وافدأمة محمد أن هذا لا يحل لي قال فاني أعزم عليك بحق الله وبحق رسوله وبحق إن كان لي عليك حق إلا ما فعلته فبكى ثم استرجع ثم أقبل يثني على الله وإني أيسكني حتى إذا فرغ قال : اللهم ان عمر سألتني بحقك وبحق رسولك وبخفة على أن أدعوا في قبضه اليك فاقبض عمر اليك كما سألت ولا تبقى بعده وبياء حينئذ نبي لعمر فسقط في حجره فقال وهذا أي ربي معنا فاني أحبه . قال فما كانوا كخزوات في خيط فانتدلع الخيط فأتبع بعضها بالسقوط بعضا

(ذكر رؤيا عمر بن عبد العزيز)

وذكروا أن مزاحم مولى عمر قال أخبرني فاطمة ابنة عبد الملك امرأة عمر قالت كان لعمر بن عبد العزيز مكان يخلو فيه فأبطأ على ذات ليلة فقلت لآتيته فوجدته نائماً فهتته أن أيقظه فما لبث إلا قليلاً حتى رفع رأسه فقال من هذا فقلت أنا فاطمة فقال يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رأيت أحسن منها فقلت حدثني بها يا أمير المؤمنين قال . رأيت كأنني في أرض خضراء لم أر أحسن منها ورأيت في تلك الأرض قصرأ من زبرجد ورأيت جميع الخلائق حول ذلك القصر فما لبثت إلا قليلاً حتى خرج المنادي فقال أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبي عليه السلام فدخل القصر فقلت سبحان الله أنا في جمع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فما لبثت إلا قليلاً حتى خرج المنادي فنادي أين أبو بكر أين أبي قحافة فقام أبو بكر فدخل فما لبثت إلا قليلاً حتى خرج المنادي فنادي أين عمر بن الخطاب أين الفاروق فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله أنا في ملائ فيهم جدى لم أسلم عليه فما لبثت إلا قليلاً حتى خرج المنادي فقال أين عثمان بن عفان فقام عثمان فدخل فما لبثت إلا قليلاً حتى خرج المنادي فنادي أين علي

تغسل أشمها لترتدلى روحى قالت الهرة ما كنت لأخونهم أما ترى فمن أين أقيمت تشكو الكلال والجوع قال من الشام شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز وحضرت جنازته قالت إنا لله وإنا إليه راجعون نور كان فى الدنيا فطمس ثم زالت عنه وتنحت وفرت منه وهابته خوفاً من أن يعدو عليها ثم أنسل الكلب ذاهباً فلما أصبح الرجل جعل يقول للهرة أى جنة جزاك الله عنا خيراً قال فاستوبرت الهرة وذهبت فلم ترتعد فكاتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر فى ذلك اليوم

(ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان)

وذكروا أن الأمر صار بعد عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان أخيه بذلك الى عمر وكان يزيد قبل ولايته محبوباً فى قريش بمجمل مأخذه فى نفسه وهديه وتواضعه وقصده وكان الناس لا يشكون اذا صار اليه الأمر أن يسير بسيرة عمر لما ظهر منه فلما صارت اليه الخلافة حال عما كان يظن به وسار بسيرة الوليد أخيه واحتذى على مثاله وأخذ مأخذه حتى كاد الوليد لم يمت فغظم ذلك على الناس وساروا من ذلك الى أحوال يطول ذكرها حتى هموا بخلعهم وجاءهم بذلك قوم من أشراف قريش وخيار بنى أمية وكانت قلوبهم قد سكنت الى مدى عمر واطمأنت الى عدله بعد النفاق والانكار لسيرته وعاد ذلك من قلوبهم الى الرضا بأمره والتنوع بقصده عليهم وتقديره فى إدراك المطامع والتعالي علىهم واتهم منهم نفر بالخلع والخروج فأخذهم معه محمد بن مروان ابن الحكم فأسكنهم السجن عشرين شهراً ثم دس لهم السم فأتوا جميعاً وأقصى من سائر قريش ثلاثين رجلاً بعد أن أغرمهم مائة ألف الف ربيع وعقر أموالهم ورباعهم وحمل العذاب عليهم والنكال حتى أصارهم عائلة يتكففون الناس متفرقين فى كور الشام وآفاق البلاد وصلب من الناس جملة من ألف هؤلاء القوم واتهم بمصانعتهم ومصاحبتهم وكانت ولايته فى ربيع الأول سنة إحدى ومائة ومات سنة ست ومائة

الى غيرك إذا أنامت فكن من يقبرني فإذا سويت على اللبن فارفع لبتهم فأكشف وجهي وانظر اليه فاني قبرت ثلاثة رجال بسدي وكشفت عن وجوههم فنظرت وجوههم قد اسودت وعيونهم قد برزت من وجوههم فأكشف عن وجهي يا رجاء وانظر اليه فان رأيت شيئاً من هذا فاستر علي ولا تعلم به أحداً وان رأيت غير ذلك فاحمد الله عليه قال رجاء ففعلت ذلك فلما سويتا عليه اللبن رفعت لبتة وكشفت وجهه فإذا وجهه مثل القمر ليلة البدر وإذا على صدره صك فيه خط ليس من كتابة الآدميين . بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بالقلم الجليل من الله العزيز العليم براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الأليم .

(ما علم به موت عمر رحمه الله في الأمصار)

وذكروا أن رجلاً من أهل المدينة قال وفد قوم من أهل المدينة الى الشام فنزلوا برجل في أوائل الشام موسعا عليه إبل كثيرة وأبقار وأغنام فنزلوا شيء لا يعلمونه غير ما يعرفون من غفارة النيش إذ أقبل بعض رعاته فقال ان السبع عدا اليوم على غنمي فذهب منها بشارة فقال الرجل إنا لله وإنا اليه راجعون ثم جعل يأسف أسفا شديداً فقلنا بعضنا لبعض ما عند هذا خير يتأسف ويتوجع من شاة أكلها السبع فكلته بعض القوم قال له : إن الله تعالى قد وسع عليك فإنا هذا التوجع والتأسف قال إنه ليس مما ترون ولسكني أخشى أن يكون عمر بن العزيز قد توفي الليلة والله ما تعدى السبع على الشاة إلا لموته ذاقوا ذلك اليوم فإذا عمر توفي في ذلك اليوم وذكروا أنهم سمعوا رجلاً يحدث ويقول بينا رجل باليمن نائم على سطح ذات ليلة إذ سمور عليه كتاب فسمعه وهو يقول لهرة له أي جنة هل من شيء أحبه فازدأ كآل فتأملت له الشاة ما تم شيء لقد غرّبوا الأبناء واكفروا الصبيحة فوالله ما هذا من دجى أو فذللم

يوسف بن عمر الى هشام في وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج مستديبا في قرابته وأهله وحشمه وحاشيته من أهله الى بعض بوادي الرصافة فنزل في أرض قاع صحصح أفيح في عام قد بكر وسميه وقد ألبست الأرض أنواع زهرتها وأخرجت ألوان زيتها ، وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمن مزروعة بالذهب والفضة وضرب له فسطاطة في وسطه فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة خز أحمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده اشراف قریش وقد ضربت حجر بنيها وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه ثم أمر الريح حاجبه فأذن للناس إذنا عاما فدخلوا عليه وأخذ الناس مجالسهم قال خالد فأدخلت رأسي من ناحية السباط فأطرق ثم رفع رأسه ونظر الى شبه المستسکر وكنيت قد حليت عنده بلاغة وفهم وحكمة فقلت أقر الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وكرامته وسرغك شكره يا أمير المؤمنين ومدلك في المزيد بفضلته ثم وصلها بعد بطول العمر وتتابع السكرامة الباقية التي لا انتطاع لها ولا نفاذ لشيء منها حتى يكون أجل ذلك خيرا من عاجله وآخره أفضل من أوله وعاقبته خيرا من ابتدائه وما أجد يا أمير المؤمنين جعاني الله فداك شيئا أبلغ في حتمك وتوفير مجاسك إذ من الله علي بمجالستك والنظر الى وجهك مني وما أجد فيما أظهر ذلك إلا في هذا كرتك نعم الله التي أنعم بها عليك وأحن فيها اليك ونبك الى شكرها . ثم إني لا أجدر شيئا هو أبلغ في ذلك ولا أجمع من ذكر حديث للملك خلا من الملوك كان في سالف الأيام فان أذن أمير المؤمنين أكرمه الله حديثه قال وكان هشام متسكنا فاستوى جالسا وقال هات يا ابن الأهثم . قال : قلت يا أمير المؤمنين أن ملكا كان فيما خلا مجتمعا له فيها فناء السن واعتدال الطبائع وتمام الجلال وكثرة المال وتمكين الملك ، وكان له ذلك الى البطور والمرح داعيا وعلى الغفلة والذهول معينا فخرج منتزعا الى بعض منازل فوجد جوسدقاله فأشرف على أرض قد أخضها ربيع عامه كان شبيها بهامك هذا يا أمير المؤمنين في خصبه وعشبه وكثرة زهره وحسن منظره ، فنظر فرجع اليه بصره كيلا عن بلوغ أقصى أموره

(ولاية هشام بن عبد الملك)

وذكروا أن عبد الملك بن مروان بينهما هو بوما في بعض بوادي الشام يتطوف
إذ نظر الى ساع يسعي اليه فوقف منتظراً له فلما قارب له ما وراءك فقال ولدت
المخرومية غلاماً قال فما سمته قال هشاماً قال هثم الله رأسها فقال له قيسة بن
ذؤيب ولم يا أمير المؤمنين قال أخبرني أبي مروان أنه سمع بشرة بنت صفوان
تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : راحة أختاني مياوية ولا راحة لهم
بعد معاوية وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام . وذكروا أن هشاماً
صارت اليه الخلافة في سنة ست ومائة فكان محمود السيرة ميهون النقية وكان
الناس معه في دعة وسكون وراحة لم يخرج عليه خارج لم يقيم عليه قائم إلا
ما كان من قيام زيد بن علي بن الحسين في بعض نواحي الكوفة فبعث اليه ابن
هيرة وكان عامل الكوفة فأخذ زيد فأتى به ابن هيرة فأمر بقتله دون رأي هشام
فلما بلغ ذلك هشام عظم عليه قتله وأعظم فعل ابن هيرة واجترأه على قتل قرئى
دون مشورة حتى جعل يقول : مثل زيد بن علي في شرفه وفضله يقتله ابن هيرة
وما كان عليه من قيامه إن هذا هو البلاء المبين ما يزال ابن هيرة مبغضاً لأهل
هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب ووالله لا زلت لهم محباً حتى أموت ثم
عزل ابن هيرة عن الكوفة وأغرمه ألف ألف ولم يقل له شيئاً حتى مات وكانت
أيام هشام عشرين سنة وولى سنة ست ومائة وتوفي سنة ست وعشرين ومائة
يعد أن حج إحدى عشر حجة وهو خليفة

(قدوم بن صفوان بن الأهم على هشام)

وذكروا أن شبيب بن شبة أخبرهم عن خالد بن صفوان بن الأهم قال أوفدني

عنى فاني عاهدت الله ربى انى لا اخلو بملك إلا ذكرته الله ونهته ورشدته . ثم رجع خالد إلى فسطاطه كئيها حزينا متخوفا يظن انه هلك وكان للربيع صديقا فبينما هو كذلك إذ أتاه رسول الربيع فقال يا صفيوان يقول لك أخوك الربيع : من كان فى حاجة الله كان الله فى حاجته . إنك لمسا وليت أمير المؤمنين جعل يقول لله در ابن الأهمم أى رجل دنيا وأخرى مره ياربيع فليرفع حوائجه وليغد الينا بها نقضها له فقال الربيع فاغد علينا بحوائجك رحمك الله واحمده على ما صنع واذهب من مخافتك . فغدا عليه بحوائجه فقضيت . وذكر انه لم يكن فى بنى أمية ملك أعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا أعلى صوتاً منه دانت له البلاد وملك جميع العباد وأديت اليه الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والأفرنج والزنج . السند والهند وكان قريبا من الضعفاء مهتما باصلاح الادواء لم يجترىء أحد معه على ظلامته ولم يسالك أحد معه إلا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة أنيج من الأرض يبرز فيه فتضرب له السراقات فيكون فيه ستين بارزا للناس مباحا للخلق لا يفنى أيامه تلك الابرد المظالم والأخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد ويصل إلى مخاطبته بذلك الموضع داعي النوام والامة السوداء فن ذوبها . قد وكل رجالا أدباء عقلاء بادناء الضعفاء والنساء واليتامى منهم وأمرهم باقتضاء أهل القوة والسكينة عنه حتى يأتي على آخر ما يكون من أمره فبما يرفع اليه لا ينضم اليه رجل يريد الوصول اليه فينظروا أوضع منه إلا أدنوا الاوضع وأبعدوا الارفع حتى ينظر فى شأنه ويعرف أمره وينفذ فيه ما أمر ولا يرفع اليه ضعيف ولا امرأة أمراً وظلامه على غطريف من الناس مرتفع القدر ولا مستخدم به إلا أمر باقتضاء يمينه واغداه بمطلبه لا يقبل لهم حجة ولا يسمع لهم من بينة حتى لربما تمر به المرأة والرجل أو عابر سبيل لاحاجة له فيما مر به فيقال له ما حاجتك وما قصتك وما ظلامتك فيقوا ، إنما سلكت أريد موضع كذا أروم بلد كذا فيقول له لعلك ظلمك أحد من آل الخلفة

من الضياع والابل والحيل والنعم فقال لنفر من ناضيه لمن هذا قيل له لك فأعجبته نفسه وما بسط له من ذلك حتى أظهر فرحه وزهوه ثم قال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه أم هل أوتي أحد مثل ما أوتيت . وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والعلم والمضى على أدب الحق ومنهاج الصدق في الضمير والمقالة . وقد قيل أن الله الجليل لم يخل الأرض منذ أهبط آدم من قائم يقوم بحججه الله فيها وكانت ذلك الرجل مما يسامره قال . أيها الملك قد سألت عن أمر أفتأذن لي بالجواب فيه قال نعم قال : أرأيتك هذا الذي أعجبك مما عابسه إلهك نظرك واستمال ملكك وساطانك شيء لم يزل لك ولم يزل عنك أم شيء كان لغيرك فزال عنه إليك ثم هو صائر إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال الملك . بل كما ظننت ومنت قال : فاني أراك أعجبت بما يفنى وزهدت فيما يبقى وسررت بتقليل وحسابه غداً طويل قال ويحك فكيف المطلب وأين المهرب وما الحيلة في المخرج قال لإحدى خصالين إما أن تقيم في ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك وامضك وإما أن تضع تاجك ونجادك وتذكر ذنوبك وتالحق في الحلاء بمن يغفر لك فتعبد فيه ربك حتى يوافيك أجلك وتنقضى مدتك وأنت عامل لربك فيما ينطيك قال فإذا فعلت ذلك قال فقال ملك خالد لا يفنى ونعيم لا ينقضى ومزيد وكرامة وصحة لا تسقم أبداً وسرور لا ينصرم وشباب لا يشوبه هرم ، وقرار لا ينخاله هم قال الملك سأنظر إلى نفسي في الاختيار لما نما ذكرت لي فإذا كثر وقت السحر فافزع على بابي لتعرف رأي فاني مختار إحدى المنزلتين فإن أقت في ملكي واخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا تمصى وإن خلوت كنت رفيقاً لا يتعني فلما كان السحر قرع عليه بابه فإذا هو قد وضع تاجه ولبس أطواره فلحق بالجليل فلم يزلوا بهداه الله فيه حتى بلغ أجملها وانتضى عمرهما . فبكي هشام حتى بل لحبته ثم انكس بأسه طويلاً ثم أمر بنزع زينته واتهمه وأقبلت العامة من النوايا على ابن الأعمش فقالوا له ما أردت لأمر المؤمنين أفسدت عليه دنياه وانقضت عليه تروته وتدمرت ما أوتينا فيه . قال إليكم

(بدء الفتن والدولة العباسية)

وذكروا أن الهيثم بن عدى أخبرهم قال اختلفت روايات القوم الذين عنهم حملنا وروينا ذكر الدولة فحملنا عنها ما اختلفوا فيه والفناء فكان أول ما اختلفت فيه الرواية ولم تلائم الحكاية أشياء سندكرها في موضعها من هذا الكتاب إن شاء الله واقتصرنا على معانيها وقيد بعض الفاظها لطول أخبارها واجتنبنا الجزل السمين من اللفظ ورددنا هزيله لبرر فائدته وقلة عائدته وقد اختصرنا وأشبعنا إذ لم نترك من المعاني المتقدمة شيئاً والله الموفق للصواب . فكان مما الفنا بدءاً من ذكر الدولة ما أخبرنا عن الهيثم بن عدى عن الرجال الذين حدثوه قالوا : لما سلم الحسن بن علي الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان قامت الشيعة من أهل المدينة وأهل مكة وأهل الكوفة واليمن وأهل البصرة وأرض خراسان في ستر وكتان فاجتمعوا إلى محمد بن علي وهو محمد بن الحنفية فبايعوه علي طلب الخلافة إن أمكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهدته قبلها وولى على شيعة كل بلد رجلاً منهم وأمره باستدعاء من قبله منهم في سر وتوصية اليهم ألا يبيحوا بمكتومهم إلا لمن يوثق به حتى يرى للقيام موضعاً . فأقام محمد بن الحنفية إمام الشيعة قابضاً لزكاتهم حتى مات . فلما حضرته الوفاة ولى عبد الله ابنه من بعده وأمره بطلب الخلافة إن وجد إلى ذلك سبيلاً واعلم الشيعة بتوليته إياه فأقام عبد الله بن محمد بن علي وهو أمير الشيعة فبلغ ذلك مسلمان بن عبد الملك في أول خلافته أن الشيعة قد بايعت عبد الله بن محمد بن علي بعد أبيه فبعث إليه وقد أعد له في أفواه الطرق رجلاً معهم أشربة مسمومة وأمرهم إذا خرج من عنده أن يعرضوا عليه الشراب . فلما دخل على سليمان أجلسه إلى جانبه ثم قال له بلغني أن الشيعة بايعتك على هذا الأمر فجعله عبد الله وقال بلغك الباطل وما زال لنا أعداء يبلغون الأئمة قبلك عنا مثل ما بلغك ليغزوهم

الخليفة تهاب أمره وتوقع سطرته فذلك الذى منعك عن رفع ظلامتك إلى أمير المؤمنين فيقول لا والله لأبغى إلا ماقلت فيقال له اذهب بسلام . حتى لرهبما أنت عليه تارات من الليل وساعات من النهار لا ينظر فى شىء ولا يأتية أحد فى خصوصمة لاستغناء الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ووقاية من ستمواته وتخوفا من عقوبته وقد وسع العباد أمنه وأشعرهم عدله وصارت البلاد المتناثية الشاسعة كدار واحدة ترجع إلى حاكم قاضى يرقبه الناس فى المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون والجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد فى سائر الأمصار والبلدان يحصون أقوال الولاة والعمال ويحفظون أعمال الأخيار والأشرار قد صار هؤلاء أعقابا يتعاقبون ينهض قوم باخبار ماابوا فى المصر الذى كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مستترقين ويخرجون متفرقين لا يعلم منهم واحد ولا يرى لهم عابر فلا خبر يكون ولا قصة تحدث من مشرق الأرض ولا مخر بها إلا وهو يتحدث به فى الشام وينظر فيه هشام ، وقد أقصر نفسه على هذه الحال وحببت اليه هذه الافعال ، فكانت أيامه عند الناس أحمد أيام مرت بهم وأعفاها وأرجاها قد لبس جلباب الهيبة على أهل العنود والكمبود وارتدى برداء التواضع إلى أهل الخشوع والسكون ، وكان قد حجب اليه الكاثر من الدنيا والاستمتاع بالكساء لم يابس ثوبا قط يوما فعاد اليه حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لا يستقل بها ولا يحملها الا سبعائة بعير من أجساد ما يكون من الابل وأعظم ما يحمل عليه من الجبال وكان مع ذلك يتقللها وطالت أيامه واستبطأ صاحب العهد بموته فزاؤه وعاداه وانتقل عن الموضع الذى كان به هو والوليد بن يزيد ابن عبد الملك فسات هشام والوليد غائب فأتاه موته فأمر بقتل الخزان فلم يجدوا لهشام ما يكفونوه به واستؤذن الوليد فى اقباله فلم يدفن هشام حتى قدم الوليد وذلك فى ثلاثة أيام

(ولاية الوليد بن يزيد وقتن الدولة)

وذكروا أن الوليد بن يزيد لما تولى الأمر بعد هشام أساء السيرة وانتحى على أهله وجماعة قريش وأحدث الاحداث العظيمة وسفك الدماء وأباح الحرير وكانت ولايته في ست وعشرين ومائة فلما استوى على الأمر بعث الى أشرف الأجناد فقدموا عليه وقدم خالد فيمن قد قدم فلم يأذن لواحد منهم وكان مشغلا بلموه ولعبه ومرض خالد فاستؤذن له في الانصراف فأذن له فانصرف الى دمشق فأقام بها شهراً . ثم كتب اليه الوليد أن أمير المؤمنين قد علم الحسين ألف ألف التي تعلم فأقدم بها على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره أن لا يعجلك عن جهازك فبعث خالد الى عدة من ثماته فيهم عمارة بن أبي كلثوم فأقرأهم كتاب الوليد وقال أشيروا على رأيكم . فقالوا أن الوليد ليس بمأمون فالرأى أن تدخل مدينة دمشق فتأخذ بيوت الأموال وتدعو الى من أحببت والناس قومك ولن يختلف منا عليك إثنان فقال لهم وماذا قالوا تأخذ بيوت الأموال وتجمع اليك قومك حتى تتوثق لنفسك قال وماذا قالوا تنواري . فقال أما قولكم أن أدعو الى من أحببت فاني أكره أن تكون الفرقة على يدي وأما قولكم أن أخذ بيوت الأموال حتى أتوثق لنفسى فأتى لا بأمنوني عليها ولا ذنب لي فسكيف لي ترجون وفاء بما يطمئني وقد فعلت ما فعلت وأما قولكم في التواري فوالله ما فعلت رأسي خوفاً من أحد قط فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت ولسكني أمضني وأستعين بالله تعالى

(قتل خالد بن عبد الله القسري)

وذكروا أن خالد بن عبد الله القسري شخص الى الوليد بن يزيد حتى قدم على معسكره فلم يدع به الوليد ولم يكلمه وهو يخلف اليه غدوة وعشية حتى قدم برأس يحيى بن يزيد بن علي بن الحسين من خراسان فجمع الناس الاذن فحضر

بنا في دفع الله عنا كيد من ناوأنا وأنا بما يازمني من مؤتي أشنل متى بطلب هذا الأمر ثم خرج من عنده في وقت شديد الحر . فكان لا يمر بموضع إلا قام إليه الرجل بعد الرجل يقول له هل لك في شربة سويق اللوز وسويق كذا وكذا يا ابن بنت رسول الله ونفسه موجسة أنهم فيقول بارك الله لكم حتى إذا خرج إلى آخر الطريق خرج إليه رجل من خبائه ويده عس فقال هل لك في شربة من لبن يا ابن بنت رسول الله فوقع في نفسه أن اللبن مما لا يشم فنزب منه ثم مضى فلم يثبت إن وجد للسهم حسا فاستدل على الطريق إلى الحميعة وبها جماعة آل عباس وقال لمن معه ان مت في أهلي ثم توجه فزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فأخبره الخبر وقال له اليسك الأمر والطالب للخلافة بعدى فولاه وأشهد له من الشيعة رجالا ثم مات . فأقام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ودعوة الشيعة له حتى مات فلما حضرته الوفاة ولي محمد بن إبراهيم الأمر فأقام وهو أمير الشيعة وصاحب الدعوة بعد أبيه

(دخول محمد بن علي على هشام)

وذكروا أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس دخل وهو شيخ كبير قد غشى بصره على هشام بن عبد الملك متوكلنا على ولديه أبي العباس وأبي جعفر فلم يسم قال له هشام ما حاجتك ولم يأذن له في الباطن فذكر قرابته وحاجته ثم استجده . فقال له هشام ما هذا الذي بلغني عنكم يا بني العباس ثم يأتي أعظمكم وهو يرى أنه أحق بما في أيدينا منا وأنه لا أعظمتك شيئا فخرج محمد بن علي فقال هشام كالمستمرى أن هذا الشيخ يرى أن هذا الأمر سيكون لولده . هذين أو لأحدهما فرجع محمد نحوه فقال . اما والله إنى أرى ذلك على رغبة من رغب . فضحك هشام وقال أنصت بنا الشيخ ثم مضى محمد بن علي

ابن خالد قال نعم فبعث الوليد مولى له وأمره ان يكن النهار ويسير الليل حتى أتى دمشق ليلا ويزيد سخط بدمشق في منزل رجل عند باب السوق فاقتحم عليه المنزل فأخذه وشخص به من ساعته حتى قدم الوليد فأمر بالبعث به إلى يوسف بن عمر بالعراق قال له يزيد يا أمير المؤمنين أنا أدفع لك الجنتين ألف ألف التي طلبت من خالد في ثلاث سنين علي ان تكتب إلى الآفاق بأمان من كانت لي عنده ودعته وأمان فيها ذمتي وموالي فقبل منه الوليد ذلك فأمر بالكتب إلى العراق والحجاز وكور الشام في ذلك واجتس يزيده عنده وجعل عليه القيود والحرس ثم ارتحل الوليد ومعه خدمه وشرطته وتواعد أهل اليمن ان ينوروا إذا صلوا الجمعة في المسجد وكانت البلاة بينهم ان ياتمس أحدهم صاحبه فلما تفرق أهل المسجد خرجوا فاستخرجوا يزيد بن الوليد من منزله ثم أتوا به القصر وعلى دمشق يومئذ رجل من بني الحجاج وكان قد خرج من الطاعون واستخلف رجلا من قيس فدخلوا عليه فأوثقوه كتافا وأوثقوا كل من خافوا خلافه فنسل رجل حتى أتى الوليد بن يزيد فأخبره الخبر فلما أصبحوا غدوا إلى الوليد فبعث الوليد في طلب يزيد بن خالد وهو عنده في الحديد فقال له إن قومك قد خرجوا بين يدي الوليد فأرددهم عن أمير المؤمنين ولك علي ان أوليك العراق وأدفع اليك يوسف فقتله بأبك فقال له يزيد بن خالد وتوثفتي يا أمير المؤمنين قال نعم فتوثق به وحلف قال فارسلني إليهم حتى أردتهم عنك فقال له الوليد بل اكتب إليهم قال إن كتابي لا يغني شيئا وقد علموا اني في يدك وإني سأكتب بما تريد فأمر بالاطلاقه من الحديد وردة إلى حبسه وأمر الحرس يتحفظون به ثم ارتحل الوليد بيزيد بن خالد معه فلما كان الفجر صبحته أوائل الخيل خيل أهل اليمن فأرسل الوليد إلى يزيد بن خالد فقال له يزيد خل عني حتى أردتهم عنك فينما هم على ذلك إذ التقى القوم فشدت الميمنة وقد طاعت الشمس واختلط الناس وكثر القتل وتخلص يزيد بن خالد من الحرس فهرب فأتوه بهرذون من براذين الوليد وأتى بسيف

الاشراف وجلس الوليد وجاء خالد الى الحاجب فقال ان حالي كما ترى لا أقدر على المشى وإنما أعمل في السكسبي قال الحاجب ما يدخل أحد على أمير المؤمنين على هذه الحال ثم أذن له فحمل على كرسيه ثم دخل على الوليد وهو جالس في سريره والمائدة موضوعة فلما دخل عليه قال له الوليد أين ولدك يزيد بن خالد فقال قد أصاب من هشم ظفر فخلى سبيله ثم طلب فهرب فكننا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فقال له الوليد لكنك خلفته طالبا للنسبة فقال خالد قد علم أمير المؤمنين إنما أهل بيت طاعة أنا وأبي وجدى فقال له الوليد لتأتني بابنتك أو لأزهقن نفسك فقال له خالد : هذا الذي تدور عليه وهو الذي تريد والله لو كان ابني تحت قدمي ما رفعتهما لك فاصنع ما بدالك . فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه والاخذ له وقال له اسمعنى صوته فذهب به غيلان الى رحله فعذبه بالسلاسل والحديد فلم يتكلم بكلمة فرجع غيلان الى الوليد فقال له والله لا أعذب إنسانا لا يتكلم فقال له كف عنه واحتسبه ففعل فقام يوسف بن عمر فقال أنا أشتريه بخمسين ألف فأرسل الوليد الى خالد ان يوسف بن عمر قد سأل أن يشتريك بخمسين ألف فان ضمنها لأمرير المؤمنين وإلا دفعتك اليه . قال خالد ما عهدنا العرب تباع فدفعه الى يوسف بن عمر فنزع ثيابه وألبسه عباءة وألحقه أخرى وحمله على حمل ليس تحته وطاء فبسط عليه وعذبه وخالد لا يكلمه بكلمة ثم ارتحل حتى اذا كان ببعض الطريق عذبه يوما ثم وضع المصرمة على صدره فقتله في الليل فدفن في الحيرة وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة

(وثوب أهل دمشق على الوليد بن يزيد وقتله)

وذكروا أن يزيد بن خالد دب في أهله وتحمل في عشائره فاجتمع أمرهم على الوليد بن يزيد فيمنهم يدبرون أمرهم إذ انطلق ساعا الى الوليد قال له أدلك على يزيد

(خروج أبي مسلم الخراساني)

وذكروا أن الشيعة لما اجتمعت وغلظ أمرهم بخراسان قدم منهم سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب قال : فلقوا ابراهيم بمكة المشرفة فقالوا له قد قدمنا بمال قال : وكم هو ؟ قالوا : قدمنا بعشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم وبمسك ومتاع قال : ادفنوا إلى عروة مولى محمد بن علي ففعلوا فكان يحيى بن محمد يتبعهم ويسألهم فيقول ما قصتكم وفي أي شيء جئتم فلا يخبروه فذكر ذلك لابراهيم فقال احذروه فإنه قليل العقل ضعيف الرأي فجاء إلى ابراهيم فقال له أن علي ديناً وبالله لئن لم تعطني قضاء ديني لأرفعن أمرك إلى عبد العزيز بن عمر وهم يومئذ على الموسم فأعطاه خمسة آلاف درهم وقدموا بأبي مسلم معهم وقد خرج أصحابه من السجن فأعلموا ابراهيم أنه مولاه فقال لسليمان قدرني أمركم فانت على الناس فأخرج إلى خراسان وقد كان أبو مسلم قدم على ابراهيم قبل أن يصرف أصحابه فرأى عقله وظرفه . فكتب إلى أصحابه أني قد أمرته على خراسان وما غلب عليها فاتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة فأعلمهم أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه قال ابراهيم انه قد جمع رأيي على هذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال لأنى مسلم يا أبا عبد الرحمن انك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي : أنظر هذا الحى من المؤمنين فأكرمهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وانظر هذا الحى من ربيعة فانهم معهم وانظر هذا الحى من مضرفانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك منه تهمة . فقال أيها الادم فان وقع في أنفسنا من رجل هو على غير ذلك أحبس حتى تستبينه قال لا السيف السيف لالتقى العدو بطارف ثم قال للشيعة من أطاعني فليطع هذا يعنى أبا مسلم ومن عصاه فقد عصاني ثم قال له إن استطعت أن لاتدع بخراسان أرضاً فيها عربى فافعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله ولا تخاف هذا الشيخ يعنى سليمان ابن كثير ولا تعصه فتشخصوا إلى خراسان ووقعت العصبية بخراسان

فقتله ثم نادى مناديه من جاء برأس الوليد فله مائة ألف دينار ونودي في
العسكر من دخل رحله فهو آمن . فنادى الوليد يا أهل الشام ألم أحسن إليكم ألم
أفعل كذا فممدد إحسانه . فقال عبد السلام بلى قد فعلت وإيكنك عديت الى
شيخنا وسيدنا خالد بن عبد الله قد عزله الخليفة قبلك وأخذ أمواله ثم خلا عنه
فدفعته الى يوسف بن عمر بالبيع فأدبره ثم حمله على محمل بلا وطء ثم انطلق
به فمذبه حتى قتل شر قتل يكون فقال لهم الوليد فاخلعوا في قميصي هذا وولوا من
شئتم فانصرفوا الى قومهم فاعلموهم بما رضى من الخلع فقالوا لا إلا رأسه فندل
القوم إلى القصر وانتهى يزيد بن خالد إلى الباب وعليه سلسلة فأمر بها فكسرت
وكسر الباب وخرج الوليد يسعى حتى دخل بيتا من بيوت القصر ودخل عليه نحو
من ثلاثين رجلا وهو قائم بيده السيف منكسا رأسه لا ينظر إليهم وهو يذب عن
نفسه فضربه رجل ضربة ثم صرعه ثم اكب عليه فاحتز رأسه ثم فرج به وانصرف
الناس إلى دمشق . فبايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك وذلك في ذي الحجة
من سبع وعشرين ومائة فكان خليفة ستة أشهر ثم مات في جمادى الأولى ثم ولي
ابراهيم بن الوليد فبايع له في جمادى الأولى فسكن ثلاثة أشهر ثم خلع وشرب

(ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم)

وذكروا أنه لما خلع ابراهيم بن الوليد خرج مروان بن محمد في صفر سنة
تسبع وعشرين ومائة ومعه أهل الجزيرة وأهل حمص فدعا الى نفسه بالبيعة
ووعده الناس خيرا فرضى به أكثر الناس لشجاعة كانت فيه وسجاء يوصف به
فلك الشام واستقل له الأمر وغلب شأنه واستعلى سلالته وبايع له أهل العراق
والحجاز ومبايه الناس وخافوه واستعمل العمال في الآفاق والأحصار وكانت
الشيعة تتكلم على العتبات لذلك وتنتللق على السر فلما كانت سنة ثمان
اجتمعت الشيعة

يريك الله في اليمانية ما تحب ويرسل رسولا آخر يمثل ذلك على اليمانية فيقول مر
على المضربة فكان الفريقان جميعاً معه. وجعل يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرماني:
إن الامام قد أوصاني بكم ولست أعدوا رأيه فيكم فجعل نصر يقول. يا عباد الله هذه
والله الذلة رجل بين أظهرنا يكتب إلينا بمنل هذا لا نقدر له على ضرر ولا نفع فلما
تبين القوم أن لا نصير لهم كتب أبو مسلم إلى أصحابه في الكور أن أظهروا أمرهم
شركان أول الناس من سود أسيد بن عبد الله فنادى يا محمد يا منصور فتعود معه
الحكي وهقاتل بن حاكم وعمر بن غزوان وأقبل أبو مسلم حتى نزل الخندقين فها به
الفريقان جميعاً فقال لست أعرض لواحد منكم إنما ندعوا إلى آل محمد فمن تبعنا
فهو منا ومن عصانا فالله حسيده . فلما جعل أصحابه يكثرون عنده وهو يطمع
الفريقين جميعاً في نفسه كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يذكر استعلاء أمر
أبي مسلم ويعلمه بحاله وخروجه وكثرة شيعته وأنه قد خاف أن يستولى على خراسان
وأنه يدعو إلى ابراهيم بن محمد فأتى مروان الكتاب وقد أتمه رسول أبي مسلم
بجواب ابراهيم فأخذ جواب ابراهيم وفيه لعن ابراهيم لأبي مسلم حين ظفر بالرجلين
إلا يدع بخراسان عربياً إلا قتله فأنطلق الرسول بالكتاب إلى مروان فوضعه في يده .
فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية وهو على دمشق: أن أكتب إلى عاملك بالبقاء
فليأخذ ابراهيم بن محمد فليشده وثاقاً ثم يبعث به إليك ثم وجهه به إلى فأتى إليه وهو
جالس في مسجد القرية فأخذ إلى دمشق ودخل على مروان فأنبه وشتمه فاشتد
لسان ابراهيم عليه ثم قال يا أمير المؤمنين ما أظن ما يرى الناس عنك إلا حقاً في بعض
بنى هاسم فقال: أدركك الله بأعمالك إذهب به فإن الله لا يأخذ عبداً عند أول
ذنب إذهب به إلى السجن . فقال أبو عبيدة فكنت آتيه في السجن ومعه عبد الله
ابن عمر بن عبد العزيز فوالله أنى ذات ليلة في سقيفة السجن بين الزائم والقيطان
إذا مولى لمروان قد استفتح ومعه عشرون رجلاً من موالى مروان من الاعاجم
ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا وأصبحنا فإذا عبد الله بن عمر و ابراهيم

بين نصر بن سيار كان عامل مروان عليها وبين الكرماني فدخل على نصر بن سيار رجل فقال له أن مروان بن محمد قد خالف ما ظن به الناس وقد كان رجى وأمل وما أرى أمره إلا وقد انتقض واجترأت عليه الخوارج وانتقضت عليه البلاد وخرج عليه ثابت بن نعيم ورأى الاشتغال ببلذاته أهم عليه فلو اجتمعت كل بك مع الكرماني فاني خائف أن يوقعك هذا الخلاف فيما نكره وأنت شيخ العرب وسيدها وأرى والله في هذه الكور شيئاً وسمع أموراً أخاف أن تذهب أو تذهل منها العقول فقال نصر بن سيار والله ما أتهم عقلاً ولا نصيحتك ولكن أكذب عن هذا القول فلا يسمعن منك فالتحم ما بين الرجائين وهاجت الحرب وتقاتلوا وجعلت رجال الشيعة تجتمع في الكور الألف والآلاف فيجتمعون في المساجد ويتعدون أي يتعارفون بينهم فبلغ ذلك نصر واغتم لذلك وخاف أن وجد إليهم من يقاتلهم أن يتجاوزوا إلى الكرماني فلما استفحل أمر القوم وقام بأمرهم أبو مسلم الخراساني ثم اجتمعوا وأظهروا أمرهم . فكتب نصر بن سيار إلى مروان ابن محمد .

أرى خلل الرماد وميض نار * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكي * وأن الحرب أولها الكلام
أقول من التعجب ليت شعري * أليقظ أمية أم نيام
فان كانوا حينهم نياماً * قتل قوموا فقد حان القيام
فقرى عن رجالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فكتب إليه مروان : ان الشاهد يرى ما يرى النائب فقال نصر لما قرأ الكتاب أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده وجيل أبو مسلم يكتب الكتاب ثم يقول للرسول مروا بها على اليمانية فانهم يعرضون لكم يأخذون كتبكم فاذا رأوا فيها إني رأيت المنزلة لا وفاء لهم ولا خسر فيه فلا تنسوا ولا تقهروا إليهم فاني أرجو أن

لأوفاء لهم ولا ندرى ما تأتي به الأيام فإن أنت حدث عليك حادث بالروم ولا يحدث الأخير ضاع أهلك من بعدك ولكن أقطع الفرات ثم استدعى الشام جندا جنداً فانك في كنف وجماعة وعزة لك في كل جند صارم يسرون معك حتى تأتي مصر فانها أكثر أرض الله مالا ورجالا ثم الشام أمامك وأفريقية خلفك فإن رأيت ماتحب انصرفت الى الشام وإن كانت الأخرى مضيت الى افريقية قال صدقت ثم استخار الله وقطع الفرات فر بكور من كور الشام فوثبوا عليه فأخذوا مؤخر عسكره فاتتهبوه ثم مر بمحص فصنعوا له مثل ذلك ثم مر بأهل دمشق فوثبوا عليه ووثب به الوليد بن معاوية وكان عامل مروان على دمشق ثم مضى الى الأردن فوثب به هاشم بن عمر ثم مر بفلسطين فوثب به الحكم ثم مضى الى مصر فاتبعه الحجاج بن زمل السكسكى فقبل له أتبعه وقد عرفت بغضه لقومك فقال ويحكم أنه اكرمنى لمثل هذا اليوم لأخذله وتبعه أيضا أبو سلة الخلال وثعلبة بن سلامة وكان عامله على الأردن وتبعه أيضا الرماحس فقال إني لأسير مع مروان حيث جزنا فلسطين فقال يارماحس انفرجت عني قيس انفراج الرأس ما تبعني منهم أحد وذلك انا وضعنا الأمر في غير موضعه وأخرجناه من قوم أيدنا الله بهم وخصصنا به قوما والله ما رأينا لهم وفاء ولا شكراً

(تولية أبي مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان)

وذكروا أن الهيثم بن عدى أخبرهم عن رجال أدركوا الدولة وصحبوا أهلها قالوا : لما استولى أبو مسلم على خراسان وولى قحطبة الطائي قتال مروان بن محمد وبعث معه ثلاثين ألفاً من رجال الدين وأهل الشيعة وفرسان خراسان وخرج مروان وهو يريد أبا مسلم بخراسان ومعه مائة ألف فارس سوى أصحاب الجمولة فهرب من بين يديه أبو العباس وأبو جعفر وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس فلحقوا بالكوفة فبعث أبو العباس الى أبي سلة الخلال واسمه حفص بن سليمان

بن محمد ميثان فانكسر لذلك أبو مسلم بخراسان إذ بلغه موت ابراهيم وانكسرت الشيعة واستعلى أمر الكرماني فلما رأى أبو مسلم ذلك قال له أنا معك ثم دارت الأحوال بين نصر والكرماني حتى غدر نصر بالكرماني فقتله وصلبه بخاف نصر على نفسه من أبي مسلم

(ذكر ما أمال أصحاب الكرماني الى أبي مسلم)

وذكروا أن أبا مسلم كتب الى نصر: انه قد جاءنا من الامام كتاب فيه يعرضه عليك فان فيه بعض ما تحب فدخل عليه رجل فقال : أن الملاء ياتمون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين . فقال نصر ادخل فالبس ثيابي فدخل بستانا له وقد تقدم الى صاحب دوابه فأتاه بدواب فركب وهرب معه داود بن أبي داود وهرب معه بنوه وتفرق أصحابه وجاء القوم الى أبي مسلم فأعلموه انه خرج ولا يدرون أين توجه فاستولى أبو مسلم على خراسان فاستعمل عليها عماله ثم وجه أبا عون في ثلاثين ألفا الى مروان فلما بلغ مروان الخبر خرج حتى أتى حران فتحمل بعيلاله وبناته وأهله وقد كان يتعصب قبل بخفا أهل اليمن وأهل الشام وغيرهم وقتل ثابت ابن نعيم والسمط بن ثابت وهدم مدائن الشام وتحول الى الجزيرة . قال اسماعيل ابن عبد الله القسري . دعاني مروان فقال يا أبا هاشم وما كان تسكنني قبلها قد ترى ما حل من الأمر وأنت الموثوق به ولا تخفأ بعد بؤس ما الرأي فقلت يا أمير المؤمنين علي ما أجمعت قال علي أن ارتحل بموالي وعيالي وأموالي ومن تبعني من الناس حتى أقطع الدرب ثم أميل الى مدينة من مدائن الروم فانزلها وأكتب صاحب الروم واستوثق منه فما يزال يأتيني الخائف والطارب حتى ياتفت أمرى قال اسماعيل : وذلك والله الرأي فلما رأيت ما تجمع عليه ورأيت سوء آثاره في قومي ولأئته القبيح عندهم قلت له أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي أن تحك ذلك أهل الترك وفي بناتك وحيدات ومن الروم

(حرب مروان بن محمد وقتله)

وذكروا أن قحطبة بن شبيب لما انتهى إلى بعض كور الشام التقى بمروان فقاتله فانهزم مروان فاقحم قحطبة في طلب مروان فرسه في الفرات فحمله المساء فمات فيه وقد أصاب أهل عسكر قحطبة من أموال مروان وأمتعة عسكره مالا يحصى كثرة فتناول اللواء حميد بن قحطبة وعبر الفرات حتى الشام فقيل له أن مروان ترك الطريق إلى دمشق وذهب صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وكان بناحية من الشام وقد اجتمع اليه الناس لما علموا من قرابته لأمر المؤمنين فلبسوا اجتمع مع حميد بن قحطبة سلم اليه الأمر وقال الناس أنه خرج باظهار الدعوة لأبي العباس من غير أمره فلبس سلم الأمر إلى صالح بن علي أنه كتب إلى مسلم أن يرجع بن قحطبة ببعض عساكره إلى العراق فيكون فيها حتى ياتيه أمره فأبى صالح بن علي كتابته بأنه قد صير اليه الشام وما وراءها إلى المغرب ويأمره فيه ببعثه الجيوش في طلب مروان فولى صالح بن علي رجلاً من الأزد يقال له أباعون على مصر وأمره بطلب مروان في أرض المغرب وبعثه في عشرين ألفاً وبن سليمان بن هشام قد نافر مروان وقائه مراراً قبل أن يشتد أمر أبي مسلم فسار إليه في أربعة آلاف وذلك بعد خروج قحطبة من عند أبي مسلم فنزل به سليمان وكانت بينه وبين أبي العباس مودة قديمة فبايع أبا مسلم على طاعة أبي العباس فسر به أبو مسلم وشيخته ثم سيره في طلب قحطبة بمداً له وقد قاتل مروان قحطبة قبل قدوم سليمان بيومين فلما نظر مروان إلى دخول سليمان بن هشام في عسكر قحطبة وكثرة من جاء معه انهزم فضى سليمان مع حميد بن قحطبة في طلبه ولم يكن مروان انهزم عنه غلبة ولمكنه كان نظر في كتب الحدثنان فوجد فيها أن طاعة المسودة لا يتجاوز الزاب فقال ذلك لوزرائه فقال له ان بمصر زاباً آخر قال نالها نذهب إذا والزاب الذي أراد عليه هو بأرض المغرب فأقبل مروان وهو يريد

وكان والياً لآبراهيم بن محمد على الشيعة بالكوفة فأمره أن بلغه أمر فيه قوة لأبي مسلم بخراسان أن يظهر أمره بالكوفة ويدعو اليه ويناهض صاحب الكوفة ففعل ذلك أبو سلمة فلما غلظ أمر أبي مسلم بخراسان واستولى عليها وبعث الخبوش إلى مروان أظهر أمره بالكوفة وطرد عامل الكوفة فخرج هارباً .

(ذكر البيعة لأبي العباس بالكوفة)

وذكروا أن أبا مسلم لما بلغه أن أبا سلمة قد أظهر أمره بالكوفة ودعا إلى محمد وجه رجلاً من قواده إلى الكوفة في النبي فارس وأمره أن يسرع السير حتى يأتيها فأقبل ذلك القائد حتى دخل الكوفة فلقى غلاماً أسود لأبي العباس فقال له ابن مولك قال هو في دار هاهنا قال دلتني عليه فدلته على الدار فاستفتح الباب ثم دخل عليه فسلم عليه بالخلافة وكان أبو سلمة يريد صرف الخلافة إلى ولد علي بن أبي طالب وكان ينهى أبا العباس عن الخروج ويقول له أن الأمر لم يتم وإن هو إلى بني أمية قائمون بالحرب والأمر أشد مما كان فقال أبو العباس أن أبا سلمة منعني عن الخروج حتى يولى العمال ويعمل الخراج فقال القائد لعن الله أبا سلمة والله لا أجلس حتى تخرج إلى الناس فخرج له مع رجاله إلى المسجد ونودي الصلاة جامعة فصعد أبو العباس المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر بني أمية وسوء آثارهم وذكر العدل خفض عليه ووعد الناس خيراً ورجا لهم الإصلاح وفسمة النبي على وجهه ثم دخل دار الإمارة وجلس الناس فلما بلغ أبا سلمة خروجه أتاه يعتذر فقبل منه وأراه المكانة منه والخاصة به وقد كان علم أبو العباس الذي أراده أبو سلمة من صرفه الخلافة إلى ولد علي بن أبي طالب :

استأثر وكان فيمن أسر منهم عبد الحميد كاتبه وحكم المكي مؤذنه فاستبقاها
أبو عون وبعث بهما إلى صالح بن علي ثم أمر أبو عون بطلب جثة مروان على
شاطئ النيل فلما كان من الغد ركب أبو عون وسليمان بن هشام لينظر مروان
فغظروا إليه ثم تحول أبو عون إلى سليمان فقال . الحمد لله الذي شفي صدرك قبل
الموت من مروان فهل لك يا أبا أيوب أن تذهب إلى أمير المؤمنين بكتابي وبما
هيا الله على يديك وشفي به صدرك فيفعل بك خيراً ويعرف من قرابتك ونصحتك
ما أنت أهله فرضي بذلك سليمان فكتب وصار فلما قدم سليمان بن هشام على أبي
العباس أمير المؤمنين رحب به وقربه واستلطفه وأنزله بعض دور الكوفة وفعل
سببه ما لم يفعل بأحد سواه من البر والاكرام وكان سليمان يختلف إلى مائدة أبي
العباس في كل يوم فيتغدى معه ويتعشى وكان كأحد وزرائه وفوقهم وكان يجلس
أبا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره .

(قتل أبي سلمة الخلال)

وذكروا أن أبا العباس لما تمت له الأمور واستوثقت استشار وزراءه في
قتل أبي سلمة فأدار القوم الرأي فيه وكان أبو سلمة يظهر الأدلال والقدرة على
أمير المؤمنين وكان يقيم عنده في كل ليلة إلى حين من الليل فإذا أراد الخروج
والرجوع إلى منزله فربت إليه دابته إلى المجلس فيركب منه دون غيره ثم يخرج
إلى داره . فقالوا له أنك إن قتلته ارتاب أبو مسلم ولكن الرأي أن تكتب إليه
بأمره إليه فلما قدم الكتاب إلى أبي مسلم كتب إلى أبي العباس إن كان رأيك منه
ريب فاضرب عنقه فلما أتاها الكتاب قال له وزراءه لا تأمن أن يكون ذلك غدرًا
من أبي مسلم وأن يكون إنما يريد أن يحمي السبيل إلى ما تتخوف منه ولكن
اكتب إليه أن يبعث إليك برجل من قواده يضرب عنقه فكتب إليه بذلك وذكر
في كتابه أني لا أقدم ولا أؤخر إلا برأيك فبعث إليه برجل يقال مزار الضبي

مصر فالتفت الخيل فانهزم خيل أبي عون وأسر القوم وصاحب أبراهيم فأتى مروان بالأسارى فقال مروان شدوا أيديكم بالأسرى فقد أجنأ الليل وريات مسرورا فلما أصبح جعل يهيء أصحابه للقاء القوم فأقبل سليمان بن هشام وأبو عون وكان مروان قد أرخى حبال الجسر وتوسط أصحابه فيما هنالك وهم آمنون فقال أبو عون للقبض هل لهذا النهر من مخاضة فقالوا له ما علمنا ذلك ولا بلغنا أن أحدا خاضه قط فقطع عما قصد وأراه . فكتب إلى صالح بن علي بذلك ويسأله أن يبعث إليه بمرأى كساحل البحر عاجلا فينما هو في ذلك إذ أتاه رجل من القبط فقال له إن أبي كان يقرأ الكتاب وكان يحدثنا بأمور تكون بعده ويصف لنا موضوعا يجعله الله لكم تخوض فيه الخيل عند تلك الأمور وقد اختبرت ذلك الليلة فسر بذلك أبو عون ثم بعث معه الخيل إلى ذلك الموضع بعد أن وصله ووعده خيرا وكان مروان نظر إلى الرايات السود بناحية مصر ونظر إلى الخيل تعدو الزهر ولا يشك أنهم لا يجدون سبيلا إلى عبوره فلم ينشب أهل عسكر مروان أن يظفروا إلى خيل أبي عون قد جاوزت النيل فعبأ مروان أصحابه وأهل بيته ثم خطبهم وحضهم على الصبر وقال لهم . أن الجزع لا يزيد في الأجل وأن الصبر لا ينقص الأجل وأقبل القوم فاقتلوا من وقت صلاة الصبح إلى أن مالت الشمس فاصيب عبد الله ومحمد ابنا مروان وبنو أبيه أكثرهم وولد عبد العزيز وصابر القوم فلما لم يبق حوله إلا قدر الثلاثين حمل على القوم فأكردهم ورجع فجعل أصحابه يفترقون عنه . فلما رأى ذلك نزل عن فرسه وأنشأ يقول متملا

ذل الحياة وهو الممات وكلا أراه وخما وبلا

فان كان لابد من مية فسيرى إلى الموت سيراجيلا

فوثب رجل إلى فرسه فأخذه فقال له مروان أكرمه فإنه اشترى مروان ثم كسر غمد سيفه وقاتل قتالا شديدا ثم أصيب فنزل أبو عون فأمر بحرب قبابه وأمر سليمان بن هشام بطلب المنهزمين حتى أصيب عامتهم واسنائر منهم من

فقال له هشام وما الذى أبكاك يا أبا سعيد لهذا تبكى فقال: أبكى والله على نساء بنى أمية وصديانهم كأنى بهم والله وقد أبدلوا بعد أساورة الذهب والفضة والأغلال والحديد وبعد الطيب والدهن البقل والعقار وبعد العز النذل والصغار فقال هشام أحان زوال ملك بنى أمية يا أبا سعيد فقال مسلبة أى والله حان وإن هذا الغلام يعمر منهم ثم يصير الى المغرب فيملكها . فقال له الرجل فاقبض متى هذا المال واخرج بمن تثق به من غلمانك فقال عبد الرحمن والله إن هذا الوقت ما يثق فيه بأحد فولى ذاهباً وخرج لا يدري متى خرج فلحق بالمغرب وأقبل القوم من بنى أمية وقد أعد لهم السفاح مجلساً فيه أضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والأجرزة فأخرجهم عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم . واستعفى عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد قد بذ العابدين فى زمانه وسبق المجتهدين فى عصره فركب السفاح الى موالى عبد الواحد وكان عبد الواحد قد اتخذ أموالاً معجبة تطرد فيها المياه والعيون فأمره السفاح أن يصيرها اليه فأبى عليه واخفى منه فأخذ رجالاً من أهله فتواعدهم السفاح وأمر بحبسهم حتى دلوذ عليه فلما قبضه أمر بقتله ثم استقصى ماله فبلغ ذلك أبا العباس أمير المؤمنين وكان أبو العباس يعرفه قبل ذلك وكان عبد الفاضل أفضل قرشى كان فى زمانه عبادة وفضلاً . فقال أبو العباس رحم الله عبد الواحد أما والله كان يقاتل المقاتلة ولا يمن يشار اليه بفاحشة وما قبلته إلا أمواله ولو أن السفاح عمى وذمامه ورعاية حقه على واجب لأقادت منه وسكن الله طالبه وقد كنت أعرف عبد الواحد برأ تقيا صواماً قواماً . ثم كتب الى عمه السفاح ألا يقتل أحداً من بنى أمية حتى يعلم به أمير المؤمنين فكان هذا أول ما نقم به أبو العباس على عمه السفاح

(ذكر قتل سليمان بن هشام)

وذكروا أن عيسى بن عبد البر أخبرهم قال كان سليمان بن هشام أكرم الناس .

فلما قدم على أبا العباس أمر ذلك الصبي أن يقعد له في الظلمة في داخل دار الإمارة بالسكوفة فإذا خرج ضربه بالسيف ثم يأتيه برأسه ، فقتله ثم أمر بصلبه فلما أصبح الناس إذا هم بأبي سلة مصلوبا على دار الإمارة

(قتل رجال بني أمية بالشام)

وذكروا أن أبا العباس ولى عمه عبد الله بن علي الذي يقال له السفاح وأمره أن يسكن فلسطين وأن يحد السير نحوه وهناك بما أصاب من أموال بني أمية وكتب الى صالح بن علي أن يلحق بمصر والياً عليها . فقدم السفاح فلسطين وتقدم صالح الى مصر فأتاها بعد قتل مروان يومين وان السفاح بعث الى بني أمية وأظهر للناس أن أمير المؤمنين وصاه بهم وأمره بصلبهم والحقاقه في ديوانه ورد أموالهم عليهم فقدم عليه من أكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وكان فيهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وابان بن معاوية بن هشام وعبد الرحمن بن معاوية وغيرهم من صناديد بني أمية . فأما عبد الرحمن بن معاوية فلقبه رجل كان صنع به برأ وأسداء خيراً وأولاه جيلاً فقال له : أطلعني اليوم في كلبه ثم اعصني الى يوم القيامة . فقال له عبد الرحمن وما أطيعك فيه اليوم فقال له الرجل : أدرك موضع سلطانك وقاعدتك المغرب . النجا النجا فان هذا غدر من السفاح ويريد قتل من بقي من بني أمية فقال له عبد الرحمن ويحك إنه كتاب إلى العباس قدم عليه يأمره فيه بصلتنا ورد أموالنا إلينا وإلحاقنا بالعتاء الكامل والرزق الوافر . فقال له الرجل ويحك أتغفل والله لا يستقر منك بني العباس ولا يستولون على سلطان ومنكم عين تطرف . فقال له عبد الرحمن ذكرت وانا عالماً بهذا الأمر أما لئن قلت ذلك لقد وقفت بين يديه وأنا غلام يوم توفي أبي معاوية وهشام يومئذ خليفة فكشفت عن ظهري فغفر الى ما فعلت اليك فقال لهشام جدي وهو يبكي : هذا اليتيم يا أمير المؤمنين صاحب ملك المغرب

(خروج السفاح على أبي العباس وخلعه)

وذكروا أن الهيثم بن عدي أخبرهم قال لما تولى السفاح الشام واستصفي أموال بني أمية لنفسه أعجبت نفسه وحسد ابن أخيه على الخلافة فأظهر الطعن على أبي العباس والتقص له فلما بلغ ذلك أبا العباس كتب إليه يعاتبه على ما كان منه فزاده ذلك عجباً وحسداً بما فيه فحبس الخراج ودعا إلى نفسه وخلع طاعته ثم قرب موالى بني أمية وأطمعهم وسدد ثغورهم وأبدى العزم وأظهره على محاربة أبي العباس فلما انتهت أخباره إلى أبي العباس كتب إلى أبي مسلم يستغيثه ويذكر عظيم يده عنده ويسأله القدوم عليه لأمر السفاح فقدم أبو مسلم فأقام عنده أياماً ثم خرج إلى السفاح ومنه أجناده وقواده فلقى السفاح على الفرات فهزمه واستباح عسكره وأخذته أسيراً فقدم به على أبي العباس فلما قدم إليه وأدخل عليه قال : يا عمي احسنا وواسينا خسدت وبغيت وقد رأيت تعطفنا عليك وصلة لرحمتك إن أحبسك رقيقاً حتى تؤدب نفسك ويبدو ندمك ثم أمر فبنى له بيت جعل أساسه قطع الملح فخبسه فيه فلما كان بعض أيام أرسل الماء حول البيت فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات فيه ورد أبا مسلم إلى عمله بخراسان فأقام فيها بقية عامه ثم أخرج أبو العباس أبي جعفر واليا على الموسم وخرج أبو مسلم أيضاً حاجاً من خراسان

(اختلاف أبي مسلم على أبي العباس)

وذكروا أن أبي العباس وجه أبا جعفر في ثلاثين رجلاً إلى أبي مسلم وكان فيهم الحجاج بن ارطاة الفقيه والحسن بن الفضل الهاشمي وعبد الله بن الحسين فلما توجه أبو جعفر إلى أبي مسلم بخراسان وقدم عليه استخف به ببعض الاستخفاف ولم يزد الاجلال له وجعل يعظم في كلامه وفعله الخليفة ولم يزل أبو مسلم

على أبي العباس أمير المؤمنين لحسن بلائه مع قحطبة وقيامه معه على مروان ابن عمه وكان هو الذي تولى كبره وقتل على يديه فكان لذلك أخمص الناس بأبي العباس فينما هما يوما وقد تضاحكا وتداعبا إذ أتى رجل من موالى أبي العباس يقال له سديف فناول أبا العباس كتابا فيه :

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وباس
لا قتيلىن عبد شمس عثارا واقطعن كل نخلة وغراس
ذهبا أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاز سوائى قربهم من منابر وكراسى
أذكرن مقتل الحسين وزيدا وقتيلا بجانب المهراس

فقرأه أبو العباس ثم قال له نعم ونعم عين وكرامة سننظر فى حاجتك ثم ناول الكتاب أبا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ثم قام وخرج فطلع رجل من موالى بنى أمية كانت له خاصة وخدمة فى بنى العباس فعرف بعض مافى الكتاب فلما خرج من عند أمير المؤمنين مر بسليمان بن هاشم فى غرفة له بالكوفة فسلم ثم قال لسليمان من عندك يا أبا أيوب فقال له ما عندى غير ولدى فقال له : إن الملائم يأترون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناحيتين . فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض نواحى الجزيرة وكتب الى مواليه وصنائعه فاجتمع اليه منهم خلق كثير فبعث اليه أبو العباس بعثا يقاتله فانهزم ذلك البعث ثم بعث اليه بعثا آخر فهزمه أيضا قال فتثقل سليمان عن ذلك الموضع الى غيره ثم بعث اليه بعثا آخر فأمر سليمان وولده فأتى بهما أسيرين الى أبى العباس فأمر فقطعت لهما خشبتان وقدمتا اليهما فأمر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده تقدم يا بنى على مصيبتى بك فتقهقر الغلام ثم تقدم فقتل ثم قتل سليمان وصلبا على باب الأمانة بالكوفة

وبعضهم لنا وقالت القيسية لا والله لا نقاتل حتى يقاتل اليمانية فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة إلا صعاليك الناس وأهل العطاء . وكان من رأى ابن هبيرة أن لا يعطى طاعة لبني للعباس وكان رأيهم أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن الحسين فاطلع على ذلك أبو العباس وخاف أن يشور اليمانية مع ابن هبيرة في ذلك . فكاتبهم أبو جعفر وقال في كتابه لهم الساطان سلطانكم والدولة دولتكم وكتب إلى زياد بن صالح الحارثي بذلك وكان عامل ابن هبيرة في المدينة وكان عامله قبل ذلك على الكوفة فأجاب زياد ابن صالح وذلك لما خاف أن يدخل المدينة فيقتل بها فلما كان مغيب الشمس قاموا إليه فلما صلى المغرب ركب فطاف في مساحله وأبوابه فرجع عتمة فتمشى ثم صلى فأقبل علي ابن الهيثم فقال والله ما أتخاف غصه أعظم ولا أهم إلى منك لأنك مع هؤلاء ولست أدري ما يكون بعد اليوم وأرى الأمر قد استتب لهؤلاء القوم في المشرق والمغرب ولكن ان لقيت أبا العباس أعلمته من أمري قال ما أخاف تقصيرك ثم قال لست أثق بولد ولا بغيره ثقتي بك فيما أريد أن أوطده ، تأخذ مفاتيح هذه المدينة حتى تصبح فتأتي بها ابن هبيرة فقلت انظر ما تصنع في خروجك أثق بالقوم قال هم قد جرى بيني وبينهم ما أثق به وأتاني كتاب أبي العباس بكل ما أحب وكتاب أبي جعفر فقلت يا أبا الربيع أخاف أن لا يوفى لك . فلما أدهم الليل وانتصف قام فضلى ركعات وأمر غلمان فحملوا متاعه ثم أخرج أربعة غلمان له وابنه ثابت على برذون له وخرج وأغلق الباب فلما انتهى الخبر إلى ابن هبيرة بكى وقال ما يوثق بأحد بعد زياد بن صالح بعد إيثاري إياه وإكرامى وتفصيلي له وما صنعت به قلت هو هنا لك والله خير لك منه هاهنا . قال وترى ذلك ؟ قلت نعم ثم مشى الكتب الكتب والرسائل بينهم أى بين أبي جعفر وابن هبيرة حتى صار أمرهم إلى أن يلقاه ونهض ابن هبيرة لهم وتحلى بما بيده لهم .

(كتاب الأمان)

وذكروا أن رجلا من قيس يقال له أبو بكر بن مصعب العنيلي سعى في كتاب

يتخوف أن يصنع به مثل ما صنع بأبي سلمة الخلال وكان لا يظهر ذلك لأحد فلما قدم أبو جعفر عليه ومعه الثلاثون رجلاً وفيهم عبد الله بن الحسين قام إليه سليمان بن كثير فقال يا هذا إنا كنا نرجو أن يتم أمركم فإذا شئتم فادعوا إلى ما تريدون فظن أنه دسيس من أبي مسلم فخاف ذلك فبلغ أبا مسلم أن سليمان ابن كثير سامر عبد الله بن الحسين بن علي فقال لسليمان بلغني أنك سامرت هذا الفتى قال أجل له قرابة وحق علينا وحرمة فسكت فأتى عبد الله بن الحسين أبا مسلم فذكر له ذلك وظن أنه إن لم يفعل اغتاله أبو مسلم فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كثير فقال له اتحفظ قول الامام من اتهمته فاقتله قال نعم قال قد اتهمتك فقال ناشدتك الله قال لا تناشدني وأنت منطو على غش الامام فأمر فضربت عنقه وكتب أبو مسلم إلى محمد بن الأشعث أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم واستعمل أبو العباس عيسى بن علي على فارس فأخذه محمد فهم بقتله فقبل لمحمد إن هذا لا يسوغ لك قال أمرني أبو مسلم أن لا يقدم على أحد إلا ضربت عنقه فقال ما كان أبو مسلم ليفعل شيئاً إلا بأمر الامام فلما قدم أبو جعفر من عند أبي مسلم قال لأبي العباس لست بخليفة ولا آمر بك شيء إن لم تقتل أبا مسلم فقال أبو العباس وكيف ذلك قال لا والله ما يعجبنا ولا يصنع إلا ما يريد فقال له أبو العباس اسكت واكتمها

(قتال ابن هبيرة وأخذه)

وذكروا أن أبا العباس وجه أبا جعفر إلى مدينة واسط فقدم على الحسين بن قحطبة وهو على الناس وكتب أبو العباس إلى الحسين بن قحطبة أن العسكر عسكرك والقواد قوادك فإن أحببت أن يكون أخى حاضراً فأحسن مؤازرته ومكانته وكتب إلى أبي نصر مالك بن اليشتم مثل ذلك وذكروا أن ابن هبيرة كان قد نصب الجند ورعين المدينيين فقال اليمانية الذين مع ابن هبيرة لا والله لا مانع على دعوتنا أبداً ولا يدريهم فيما

عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة وجعلت لك أن لا ترى منى انقباضاً ولا مجانبة ولا ازوراراً ولا شيئاً تسكره في دخولك علي إلى مفارقتك إياي ولا ينال أحد معك أمراً يكرهه وأذنت لك ولهم في المسير والمقام . جعلت لهم أماناً صحيحاً وعهداً وثيقاً وإن عبد الله بن محمد أن نقض ما جعل لكم في أمانكم هذا فنسكت أو غدر بكم أو خالف إلى أمر تكرهه أو تابع على خلافة أحد من المخلوقين في سر أو علانية أو أضمر لك في نفسه غير ما أظهر لك أو ادخل عليك شيئاً في أمانه وما ذكر لك من تسليم أمير المؤمنين التماس الخديعة والمسكر بك وإدخال المكروه عليك أو نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك به فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وهو برىء من محمد بن علي وهو يخلع أمير المؤمنين ويتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذي هو به من مدينة واسط إلى بيت الله الحرام الذي بمكة حافياً راجلاً . وكل ملوك يملكه من اليوم إلى ثلاثين حجة بشراء أو هبة أحرار لوجه الله وكل امرأة له طالق ثلاثاً وكل ما يملكه من ذهب أو فضة أو متاع أو دابة أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه والله عليه فيما وكده جعل على نفسه في هذه الأيمان رافع وكفيل وكفى بالله شهيداً . قالوا وكان من رأى أبي جعفر الوفاء لابن هبيرة وأصحابه

(قدوم ابن هبيرة على أبي العباس)

وذكروا أن ابن هبيرة وأصحابه لما جاءهم الكتاب بالإيمان ترددوا فيه أربعين يوماً يتدبرونه ويستخيرون الله في الخروج إليهم ثم عزم الله له في القدوم على أبي العباس وأبي جعفر وكان أبو مسلم كثيراً ما كتب لأبي العباس إنه قل طريق سهل يلتقي فيه حجارة إلا ضر ذلك بأهله ولا والله يصلح طريق فيه ابن هبيرة وأصحابه . وكان أبو الجهم بن عطية عين أبي مسلم على أبي العباس فكان يكتب إليه بالأخبار

الصلح والأمان عند أبي جعفر حتى تم له فأتى به ابن هبيرة وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي أبي جعفر ولي أمر المسلمين يزيد بن هبيرة
ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة واسط وأرضها من المسلمين
والمعاهدين ومن معهم من وزراءهم . إني أمنتكم بأمان الله الذي لا إله إلا هو الذي
يعلم سرائر العباد ويعلم ما تخفي الصدور وإلى الأبد كلاً ، أماناً صادفاً لا يشوبه غش
ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذرائعكم وأموالكم وأعطيتم يزيد بن عمر بن هبيرة
ومن أمنتكم في أعلا كتابي هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي وثق
به الأمم الماضية من خلقه وأخذ عليهم به أمره عهداً خالصاً وذمة الله وذمة محمد
ومن مضى من خلفائه الصالحين وأسلافه الطيبين التي لا يسع العبادة تقضها ولا
تعطيل شيء منها ولا الاحتقار بها ، وبها قامت السموات والأرض والجبال فأبين
أن يحملنها وأشفقن بها تعظيماً لها وبها حققت الدماء ، وذمة روح الله وكلمته
عيسى بن مريم وذمة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسيباط وأعطيتمك
ما جعلت له من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين وأهل الذمة بعد
استئاري فيما جعلت لك منه عبد الله بن محمد أمير المؤمنين أعز الله نصره وأمر
بإنفاذه لكم . فاطمئن إلى ما جعلت لك من الأمان والعهود والمواثيق وثق بالله
وأمير المؤمنين فيما سلم منه ورضى به وجعلته لك ولمن معك على نفسه ولك على
الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشد ما أخذ الله وحرمه وما أنزل الله تبارك
وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فإنه جعله كتاباً مبيناً لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ونوراً وحجة على العباد حتى ألقى الله وأنا عليه ، وأنا
أشهد الله وملائكته ورسلك ومن قرئ عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين
بقبول هذه العهود والمواثيق وإقرارى بها على نفسه وتوكيدى فيها وعلى تسليدى
لك ما سألت ولا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك فيها ، وأدخلت في أمانات
هذا جميع من قبلي من شعبة أمير المؤمنين من أهل خراسان ومن الأئمة المؤمنين

هانريد بذلك استخفافاً بك ولكن أهل العسكر إذا رأوا جماعة من معك غنم ذلك فكانى هذا من الأمير نظراً لك فمكث طويلاً جالساً فى الرواق فقيل له أن الأمير يحتجم فانصرف راشداً فلم يزل يركب يوماً ويقيم آخر لايجىء إلا فى رجلين أو غلامه وقد ختموا على الخزائن ويوت الأموال وجعل القواد يدخلون على أبى جعفر فيقولون ما تنتظر به فيقول ما أريد إلا الوفاء له حتى إذا اجتمع أمرهم على قتله بعث إلى الحسين بن قحطبة فأتاه فقال لوسرت إلى هذا الرجل فأرحتنا منه فقال لانريد ذلك ولكن أبعث إليه رجلاً من قدمه من مضى حتى يقتله ففرق كلمتهم عند ذلك فدعا حازم بن حزيمة والهيثم بن شعبة قال لهم أبو جعفر اتوا إلى ابن هبيرة فجددوا على يوت المال الختم وعلى الخزائن وبعث معهما من المضربة والقيسية أن يحضروا الاذن وأريحونا من الرجل ففعلوا ثم دخلوا رحبة القصر فى مائة رجل فأرسلوا إلى ابن هبيرة إنا نريد حمل مابقى فى الخزائن فقال ادخلوا فدخلوا الخزائن فطافوا بها ساعة وجعلوا يخلفون عند كل باب عدة حتى دخلوا عليه فقالوا ارسل معنا من يدلنا على المواضع ويوت الأموال فقال يا عثمان ارسل معهم من يريدون فطاف حازم وأصحابه فى القصر ساعة وابن هبيرة عليه قبض له مصرى وملاءة مودة وهو مستند ظهره إلى حائط المسجد فى رحبة القصر ومعه ابنه داود وحاجبه وكاتبه عمر بن أيوب وعدة من مواله وبنيه وفى حجر ابن هبيرة ولد صغير . فلما توثقوا من كل شىء أقبلوا نحوه فلما رأهم قد أقبلوا إليه قال والله إن فى وجوه القوم لشرأ . فلما دنوا منه قام أبو عثمان فقال ماوراءكم فنصحه الهيثم بالسيف فأصاب جمل عاتقه فصرعه وقام ابنه داود فقاتل ففارقوا عليه فقتلوه ومواله ثم مضوا نحو ابن هبيرة فخر ساجداً وقال ويحكم النحو عنى هذا الصبي حتى لا يرى مصرعى قال فضرب حتى مات ساجداً ثم أخذوا رؤسهم فأتوا بها أبا جعفر ونادى المنادى بواسطة أمن الأمير خلق الله جميعاً إلا الحكم بن بشير وعمر بن ذر قال فضاعت على والله الأرض بما رحبت

وكان أبو العباس لا يقطع أمرا دون رأي أبي مسلم وقد كان ابن هبيرة في تلك الأربعين ليلة يجمع لذلك الكتاب من يعبر الكلام والفقه طار في النهار فيترددون فيه حتى بلغوا فيه الغاية التي يريدون . ثم خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة فلما قدم أراد أن يدخل دار الامارة علي دابته فقام الأذن فقال مرحبا بك أبا خالد انزل راشدا وقد طاف بالدار يومئذ نحو من عشرة آلاف رجل من أهل خراسان مستلثمين في السلاح أعينهم ترهوا من تحت المغافر على عواتقهم السيوف مشهورة وعمد الحديد بأيديهم . فأقن ابن هبيرة بوسادة فطرح له مجلس عليها ثم دعا الحاجب بالقواد فدخلوا على أبي جعفر ثم خرج سلام بن سلام فقال أدخل أبا خالد قال ومن همي ؟ قال إنما استأذنت لك فدخل فوضعت له وسادة فجلس فحدثه أبو جعفر طويلا ثم نهض فركب فاتبعه أبو جعفر ببصره حتى انصرف .

(قتل ابن هبيرة)

وذكروا أن أبا العباس كتب إلى أبي جعفر . أن اقتل ابن هبيرة فرأده أبو جعفر بالكتاب فكتب إليه أبو العباس . والله لتقتلنه أو لأبعثن اليك من يخرجك من عندك ويتولى ذلك عليك . وكان ابن هبيرة إذا ركب إلى أبي جعفر ركب في ثلاثمائة فارس وخمسمائة رجل فقدم يزيد بن حاتم على أبي جعفر فقال أسلح الله الأمير ماذهب من سلطان ابن هبيرة شيء يأتينا فيتضعضع به العسكر فقال أبو جعفر يا سلام قل لابن هبيرة يركب في مثل تلك الجماعة وليأتنا في حاشيته . قال عدى فأصبحنا فخرج ابن هبيرة أيضاً في مثل هذه الجماعة الذين كانوا يركبون معه فخرج إليه سلام فقال يقول لك الأمير ما هذه الجماعة لا تسير إلا في حاشيتك فنبر وجه ابن هبيرة فلما أصبح أتى في نحو من ثلاثين رجلا قال له ابن سلام كأنك إنما تأتينا مباهايا فقال ابن هبيرة ان أحببت ان نمشي إليكم فعلمنا فقال سلام

(اختلاف أبي مسلم على أبي العباس)

وذكروا أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه فقدم عليه فلقاه الناس جميعاً ومعه القواد والجماعة والخليل والنجائب ثم استأذن أبا العباس في الحج لولا أن أبا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم فقال أبو جعفر لأبي العباس اطعني واقتل أبا مسلم فوالله أن في رأسه لغدرة . فقال له أي أخي فذكرت ثلاثة وما كان منه فقال أبو جعفر هو أخطأ بذلك والله لو بعثت سنوراً مكانه لبلغ ما بلغ في مثل الدولة . قال أبو العباس كيف تقتله قال اذا دخل عليك لحادثه فاذا أقبل عليك دخلت فأيتت من خلفه فضربته ضربة آتى منها على نفسه فقال أبو العباس أي أخي فكيف تصنع بأصحابه الذين يؤثرونه على أنفسهم ودينهم قال يؤول ذلك الى خير والى ما تريد . قال يا أخي انى أريد أن تكف عن هذا فقال أبو جعفر أخاف إن لم تنفذه يتعشاك فقال أبو العباس فدونك يا أخي قال وكان مع أبي مسلم من أهل خراسان عشرة آلاف قد قدم بهم يأخذون العطاء عند غرة كل شهر أوفر ما يكون من الأرزاق سوى الأعاجم فلما دخل أبو مسلم على أبي العباس دعا أبو العباس خصياً له فقال إذهب فاعرف ما يصنع أبو جعفر فأتاه فوجده مختفياً بسيفه فقال أبو جعفر أجالس أمير المؤمنين فقال الوصيف قد تهيأ للجلوس ثم رجع الوصيف فذكر ذلك لأبي العباس فردّه أيضاً الى أبي جعفر وقال قل له عزمت عليك أن لا تنفذ الأمر الذى عزمت عليه فكف عن ذلك فسار الى مكة حاجاً وللبوسم . وخرج أبو مسلم فساكن اذا كتب الى أبي جعفر يبدأ بنفسه ثم يكتب اليه لايهولك ما فى صدر الكتاب فاني لك بحيث تحب ولكنى أحب أن يعلم أهل خراسان أن لى منزلة عند أمير المؤمنين

(كتاب أبى مسلم الى أبى جعفر وقد هم أن يخلع ويخالف)

وذكروا ان أبا مسلم لما رجع من عند أبى العباس وقد قيل له بالعراق أن القوم

حتى خرجت على دابتي مالى هجير إلا آية الكرسي أتلوها والله ما عرض لى أحد حتى تواريت فلم أزل خائفاً حتى استأمن لى زياد بن عبد الله بن العباس فأمنه . وهرب الحكم بن عبد الله بن بشير الى عسكره وضاعت بخالد بن مسلمة الأرض حتى أتى أبا جعفر فاستأذن عليه فأمنه . وبلغ ذلك أبا العباس فكتب الى أبي جعفر والله لو كانت له الف نفس لآتيت فاعليها أضرب عنقه فهرب أبو علافة الفزارى وهشام بن هبيرة وصفوان بن يزيد فلحقهم سعد بن شعيب فقتلهم وقبض على أصحاب ابن هبيرة فقتل من وجوههم نحواً من خمسين ثم أمن الناس جميعاً ونادى منادى أبى جعفر من أراد أن يقيم فليقيم بالجالية ومن أحب أن يشخص فليشخص وهرب القعقاع بن ضرار وحديد بن عتبة حتى أتوا زياد بن عبد الله فاستأمن لهم فأمنوا جميعاً وقوى ملك بنى العباس واستقرت قراىئهم فلما قتل ابن هبيرة ونودى فى أهل الشام الحقوا شامتكم فلا حاجة لنا بكم نثار أهل الشام حتى قدموا الكوفة منهم من قدم ومنهم من أخذ على عين الثمر ومنهم من أخذ على طريق المدائن ثم لحقوا بالشام على طريق الفرات واستعمل أبو جعفر على واسط ومن فيها الهيثم بن زياد وخلف معه خيلاً ثم انصرف أبو جعفر الى أبى العباس وهو يومئذ بالحيرة ثم وجه داود بن علي الى الحجاز فقتل من ظفر به من بنى أمية وغرهم فتوجه الى المنى بن زياد بن عيمر ابن هبيرة بالنامه فقتله وأصحابه ثم تبعهم محمد بن عتبة وكان على المائت فقتلهم وتحول أبو العباس من الحيرة الى الأنبار فأمر أبو العباس برأس ابن هبيرة فوضع بالحيرة على خشبة ومعه غيره من عمال مروان وبها رفع رأس مروان بن محمد وعن يمينه رأس نبله بن سلامة ورأس عثمان بن سعيد عن يساره واسمعت نسيعة بنى أمية وطلبوا تحت كل حجر ومدبر

بأنى مسلم يفعل هذا قلت نعم فأتى أخاف عليك منه يوم سوء فقال كذبت قال
اسحاق فسكت ثم لقيته بعد ذلك من الغد ولا والله ما عرفتها فيه وعاودنى بمثل
كلامه الأول فقلت له أكثر أم أقل أن لم تقتله والله يقتلك . قال فهل شاورت
في هذا أحدا قلت لا قال اسكت فسكت . فقدم الكوفة فإذا عيسى بن موسى قد
سبقه الى الأنبار وغلب على المدينة والحزائن ويوت الأموال والدواوين وخلع
عبد الله وتوثب على أنى جعفر ودعا أهل خراسان فألحقهم باليمن وجعل لهم
الجعائل الجليلة والعطايا الجزيلة . فلما قدم أبو جعفر سلم الأمر لعيسى بن موسى
وتوثب عبد الله بن علي على أهل خراسان فقتلهم ودعا الى نفسه وأتاه أبو ذئب
عبد الحميد بن ربحي فقال إن أردت أن يصنع لك الأمر فاقتل أهل خراسان
وابداً بي . فلما قدم أبو جعفر من مكة قال لأبي مسلم إنما هو أنا وأنت والأمر
أمرك فامض الى عبد الله بن علي وأهل الشام فلما سار اليه أبو مسلم سار معه
القواد وغيرهم فأتى عبد الله بن علي وأهل الشام فجزمهم وأسر عبد الله بن علي
وبعث به الى أبي جعفر فاستنكر قعود أبي مسلم عنه فبعث اليه يقطين بن موسى
ورجلا معه على القبض فقال أبو مسلم لا يوثق بهذا ونحوه فوثب وشم وقال
قولا قبيحا فقال له يقطين بن موسى جعلت فداك لا تدخل الغم على نفسك إن
أحببت رجعت الى أمير المؤمنين فإنه إن علم أن هذا يشق عليك لم يدخل عليك
مكروها . ثم قدم أبو جعفر من الأنبار حتى قدم المدائن وخرج أبو مسلم فأخذ
طريق خراسان مخالفا لأبي جعفر فكتب اليه أبو جعفر . قد أردت ماذا كنتك
في أشياء لم تحملها السكتب فأقبل فان مقامك عندنا قليل . فلم يلتفت أبو مسلم الى
كتابه فبعث اليه أبو جعفر جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي وكان
أبو مسلم يعرفه فقال له أيها الأمير ضربت الناس عن عرض أهل هذا البيت ثم
تنصرف عن مثل هذه الحال إن الأمر عند أمير المؤمنين لم يبلغ ما تكره ولا
أن تنصرف على هذه الحال فيقول أبو مسلم ويحك اني دليت بغرور وأخاف عدوه

أرادوك لولا ما توقعوا بمن معك من أهل خراسان فلما كان في بعض الطريق كتب الى أبي جعفر أما بعد فاني كنت اتخذت أخاك إماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان في محله من العلم وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان فقمعني بالفتنة واستجھلني بالقرآن خرفه عن مواضعه طمعا في قليل قد نعاه الله الى خلقه ففل الضلالة في صورة الهدى فكان كالذي ضل بغروره حتى وترت اهل الدين والدنيا في دينهم واستحللت بما كان من ذلك من الله النعمة وركبت المعصية في طاعتكم وتوطئة ساطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم وأوطأت غيركم العشواء بالظلم والعدوان حتى بلغت في مشيئة الله ما أحب ثم أن الله بمنه وكرمه أتاح لي الحسنة ونداركني بالرحمة واستغفرتني بالتوبة فان يغفر فقدما عرف بذلك وان يعاقب فما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد . فكتب اليه ابو جعفر . أروم مارمت وأزول حيث زلت ليس لي دونك مرمى ولا عنك مقصر الرأي مارأيت ان كنت انكرت من سيرته شيئا فانت الموفق للصواب والعالم بالارشاد انا من لا يعرف غير يديك ولم يتقلب الا في فتنك فانا غير كافر بنعمتك ولا منكرا لاحسانك لا تتحمل على أصر غيري ولا تلحق ماجناده سوى بي إن أمرتني أن أشخص اليك والحق بخراسان فقلت الأمر أمرك والسلطان سلطانك والسلام

(موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر)

وذكروا أن أبا جعفر لما انقضى الموسم وانصرف راجعا جاءه موت أبي العباس وكان بينه وبين أبي مسلم مرحلة . فكتب الى أبي مسلم أنه قد حدث حدث ليس ملك غائب عنه فالعجل العجل قال اسحاق ابن مسلم . فقلت لأبي جعفر وأنا أسايره ونحن مقبلون من مكة أيها الرجل لا ملك لك ولا سلطان مع هذا العبد فقال أبو جعفر . ظهر غشك وبدأ منك ما كنت تسكت

فطرح الى من بالباب من قواد أبي مسلم فجألوا جولة وهموا أن يسطوا سيوفهم على الناس ثم ردهم عن ذلك انقطاعهم من بلادهم وتغريبهم واحاطة العدو بهم : فأمر أبو جعفر بالعطاء لهم . قال فكأنها نار طفت فقالوا رضينا يا امير المؤمنين كلما فعلت فأنت الموفق فمنهم من رضى بالمقام معه ومنهم من لحق بخراسان

(ثورة عيسى بن زيد بن علي بن الحسين)

وذكروا أن أبا جعفر لما قتل أبو مسلم واستولى على ملك العراقيين والشام والحجاز وخراسان ومصر واليمن ثار عليه عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب فقاتله فيما بين الكوفة وبغداد ولقيه في جموع كثيرة نحواً من عشرين ومائة ألف فأقام أياماً يقاتله في كل يوم حتى هم أبو جعفر بالهزيمة وركب فرسه ليهرب ثم جعل يشجع أصحابه ويعدهم بالعطايا الواسعة والصلوات الجزيلة فقاتلوا ثم أن أبا جعفر غلبته عيناه وهو على فرسه فرأى في نومه أنه يمد يديه ورجليه على الأرض . فاستيقظ ودعا عياراً كان معه فأخبره بما رأى فقال له ابشريا أمير المؤمنين فان ساطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك وهذا الرجل منهزم فما كان بأسرع من أن نظر الى عيسى بن زيد منهزماً

بدره

(هروب مالك بن الهيثم)

وذكروا أن مالك بن الهيثم خرج هارباً حتى أتى همدان وعليها يومئذ زهير بن التركي مولى خزاعة . فكتب اليه أبو جعفر : إن الله مهرق دمك إن فاتك مالك فيجاء زهير بن التركي الى مالك بن الهيثم فقال له جعلت فداك قد أعددت لك طعاماً فلوأ كرمتي بدخولك منزلي فقال له نعم وكان قد هياً له زهير أربعين رجلاً فلما دخل مالك قال لزهير بجّل طعامك وقد توثق زهير من الباب وهياً أصحابه فخرج عليه الأربعون فشدوه وثاقاً ثم وضعوا القيود في رجله ثم قال أبا نصر جعلت فداك والله ما عرفت هذه الدعوة حتى أدخلتني فيها ودعوتني إليها الذي يخرجك منها

(قتل أبي مسلم)

وذكروا أن جريراً لم يزل يأتي مسلم حتى أقبل به . وكان أبو مسلم يقول والله لأقتلن في الروم فأقبل منصرفاً فلما قدم على أبي جعفر وهو يومئذ بالرومية من المدائن أمر الناس يتلقونه وأذن له فدخل على دابته ورحب به وعانقه ثم قال له انصرف وادخل الحمام ليذهب عنك كلال السفر وأكرمه بضع أيام ثم أقبل على التجنى . فأتى أبو مسلم عيسى بن موسى فقال اركب معي إلى أمير المؤمنين فاني قد أردت عتابه بمحضرك فقال عيسى أنت في ذمتي وركبوا حتى وصلوا إلى أمير المؤمنين وأراد أبو مسلم الدخول فقبل له أنزع سيفك فقال ما كان يصنع بي هذا فقبل وما عليك فنزع سيفه وعليه قباء أسود وتحت جبة خنز فدخل فسلم وجلس على وسادة ليس في المجلس خيرها وخلف ظهره القوم خلف ستر . فقال أبو مسلم صنع بي يا أمير المؤمنين ما لم يصنع بأحد نزع سيفي من عنقي قال ومن فعل ذلك قبحه الله ثم أقبل يعاتبه فعاتب وعاتب فقال يا أمير المؤمنين لم يقال هذا إلى بعد حسن بلائي وما كان مني ؟ فقال له أبو جعفر يا ابن الخيثة والله لو كانت أمة أن امرأة مكانك بلغت ما بلغت في دولتنا ولو كان ذلك إليك فتبلاً . ألسنت الكاتب إلى تبدأ بنفسك والكاتب إلى تخطب آمنة ابنة علي ابن عمي وتزعم أنك أبو مسلم بن سليل عن عبد الله بن العباس فلما رأى أبو مسلم غضبه قال . يا أمير المؤمنين لا تدخل على نفسك هذا الغم من أجل فاني قد رى أصغر مما بلغ منك هذا ، فصفق أبو جعفر يده فخرج عثمان بن تبيك فضربه ضربة خفيفة فأوما أبو مسلم إلى رجل أبي جعفر يقبلها ويقول : أنشدك يا أمير المؤمنين استبقني لأعدائك فدفعه برجله وضربه شديداً على حبل العاتق فأسرعت فيه فقال أبو مسلم : واتعساها ألا قوة ألا مغيث اضرب لأأم لك فاعتوره القوم بأسيا فهم فقتلوه فأمر به أبو جعفر فكفن بمسح ثم أمر أبو جعفر برأسه

أبو جعفر زياد بن صالح الخزاعي فقاتله شهوراً ونهى أبو جعفر أن يسبي أحد منهم أو يقتل أحد من رجالهم لأنه كان فيهم قوم أخيار ورجال أشراف وكان خروجهم ديانة وأنكالا للدماء وللعمل بغير الحق فلذلك لم يقتلوا . وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً وقد عفونا عنكم مرتكم هذه فإن الله على دمائكم فاحقوها .

(اجتماع شبيب بن شيبية مع أبي جعفر قبل ولايته وبعدها)

وذكروا أن شبيب بن شيبية قال حين جئت عام هلك هشام بن عبد الملك فيدنا أنا مريح ناحية المسجد إذ طلع علي من بعض أبوابه فتى أسمر رقيق السمرة موفر اللمة ، يعرف الشرف في تواضعه والعفو في صورته واللب في مشيئته فما ما سكنت نفسى أن نهضت في أثره سائلاً عن خبره فتحرم بالطواف . فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وأنا أراعه يبصرى ثم نهض منهضاً كأن عينا أصابته فكبا كبوة دميت منها أصابعه فدنوت منه متوجعاً لما ناله متصلاً به أمسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع علي ثم شققت حاشية ثوبي فعصبت على رجله فلم ينسكرك ذلك ثم نهض متوكئاً علي وأنقذت له حتى أتى بناء بأعلى مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما تنفرج من هيئته ففتحاً له الباب فدخل واجتذبنى فدخلت بدخوله نخلي يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين . ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال لم يخف على مكانك منذ اليوم فن تسكون ؟ فقات شبيب بن شيبية التميمي فقال ألاهنمى ؟ فقلت نعم فرحب وقرب ووصف قومي بأبين وصف وأفصح لسان . فقات أصلحك الله أحب المعرفة وأجل عن المسألة فتبسم وقال : لطف أهل العراق أن عبد الله ابن محمد بن علي بن عباس فقات بأبي أنت وأمي ما أشبهك وأدلك على سلفك قال لكن أرجو أن أراك وترانى قريباً إن شاء الله قالت عجل الله ذلك ووهب لي السلامة منكم فاني محبكم . فتبسم وقال ، لا بأس عليك ما أعاذك الله من ثلاثة قلت

والله ما أخليك حتى تزور أبا جعفر فبعث به اليه فعفا عنه أبو جعفر
وولاه الموصل .

(قصة سابور ملك فارس)

وذكروا أن أبا جعفر دعا إسحاق بن مسلم العقيلي فقال له حدثني عن الملك الذي
كنت حدثتني عنه بحران فقال : نعم أكرمك الله . أخبرني أبي عن حصين بن المنذر
أن ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الأكبر كان له وزير ناصح قد أخذ أدبا
من آداب الملوك وشاب ذلك يفهم في الدين فاتصف من أهلها فعلا وسناً فوجه
سابور داعية إلى أهل خراسان وكانوا قوما يعظمون الدنيا جهالة بالدين واستكانة
لحب الدنيا وذلا لجبارتها . فجمعهم على كلمة من الهدى يكيد بها مطالب الدنيا
وكان يقال . لكل ذليل دولة ولكل ضعيف صولة فلما استوثقت له البلاد جعل
إلى سابور أمرهم وأحال عليه طاعتهم قوما لا يرومونه إلى ما سبق إليهم قبله فلم
يتصف سابور من طاعتهم واستمالته أهوائهم مع ما لا يأمن من زوال القلوب
وغدرات الوزراء فاحتمل على قطع رجائه عن قلوبهم فصمم قتلهم ووقف بهم
بين الفرقة وتحطب الأعداء ، فنادى الرجعة واليأس من صاحبهم فأرأوا أن
يستتموا الدعوة في طاعة سابور ويتعرضوه من الفتنة فلكم ثمانين عاما فأطرق
أبو جعفر ثم قال متمتلا

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا : وما علم الإنسان إلا ليعلما

(خروج شريك بن عون على أبي جعفر وخلعه)

وذكروا أن أبا جعفر لما استقامت له الأمور واستولى على الملك خرج عليه
شريك بن عون الهمداني وقال ما علي هذا بايعنا آل محمد على أن يسفك الدماء
وأن يسلوا بغير الحق فخالف أبا جعفر وتبعه أكثر من ثلاثون ألفا فوجه إليه

(حج أبي جعفر وإتقانه مالك بن أنس وما قال له)

ذكروا أن أبا جعفر أمير المؤمنين لما استقامت له الأمور واستولى على السلطان خرج حاجا الى مكة وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائة فلما كان بمنى أتاه الناس يسلمون عليه ويهنئون به ما أنعم الله عليه وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم وعلمائهم ممن صاحبه وألفه معه على طلب العلم ورواية الحديث فكان فيمن دخل عليهم مالك بن أنس فقال له أبو جعفر يا أبا عبد الله إني رأيت رؤيا قال مالك يوفق الله أمير المؤمنين الى الصواب من الرأي ويلهمه الى الرشاد من القول ويعينه على خير الفعل فما رأى أمير المؤمنين فقال أبو جعفر : رأيت إني وجلسك في هذا البيت فتسكون من عمار بيت الله الحرام واحمل الناس على علمك أعهد الى أهل الأمصار يوفدون اليك وقدمهم ويرسلون اليك رسلهم في أيام حجهم لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحق إن شاء الله وإنما العلم علم أهل المدينة وأنت أعلمهم فقال مالك : أمير المؤمنين أعلا عينا وأرشد رأيا وأعلم بما يأتي وما يدر وإن أذن لي أقول قلت ، فقال أبو جعفر فنعم فحقيق أنت أن يسمع منك ويصدر عن رأيك فقال مالك يا أمير المؤمنين ان أهل العراق قد قالوا قولا تعدوا فيه طورهم ورأيت إني خاطرت بقولي لأنهم أهل ناحية وأما أهل مكة فليس بها أحد وإنما العلم علم أهل المدينة كما قال الأمير وإن لكل قوما سلفا وأئمة . فان رأى أمير المؤمنين أعز الله نصره قرارهم على حالهم فليفعل فقال أبو جعفر أما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرفا ولا عدلا وإنما العلم علم أهل المدينة وقد علمنا أنك إنما أردت خلاص نفسك ونجاتها فقال مالك اجل يا أمير المؤمنين فاعفني بعفو الله عنك فقال أبو جعفر قد أعفاك أمير المؤمنين وأيم الله ما أجد بهد يا أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه

وما هي ؟ قال قدح في الدين وهتك للبلوك وتهمة في حرمة واحفظ عني ما أقول
لك أصدق وإن ضرك الصديق وأنصح وإن باعدك النصيح ولا تخالطن لنا عدوآ
وإن أحظينا ، فانه مخذول ولا تخذلن وليآ وإن أقصينا وأصبحنا بترك الماكرة
وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تسخف فيمقتوك ولا تنقبض
فيحتشموك ولا تخطب الأعمال ولا تتعرض للأموال وأنا رايح من عشيتي هذه
فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته ثم قلت أوقت لظهور الأمر ؟ ومتى قال :
الله الموقت والمندر فخرجت من عنده فاذا هو له يتبعني فأتاني بكسوة من كسوته
وقال لي يأمرك أبو جعفر أن تصلي في هذه ثم افترقنا فوالله ما رأيته إلا وحرسيان
قابضان علي يدفعا نى الى بيعتى في جماعة من قوم لنبايعه . فلما نظر الى أئبتى وقال
للحرسيان : خليا عن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم حرمة وأخذت بيعته فأكبر
الناس ذلك من قوله ، ثم قال لى أين كنت أيام أبي العباس أخى فذهبت أعذر
بقال : امسك فان لكل شىء وقتا لا يعدم ، وإن ينوتاك إن شاء الله حفظ مودتك
وحق مشايعتك واختر منى رزقا يسعك أو خبطة ترفعك أو عملا ينهضك . فقلت
إنى لوصيتك حافظ فقال وأنا لها أحفظ إنى إنما نيتك أن تنظب الأعمال ولم
أنهك عن قبولها إن أعرضت عليك . فقلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب
إلى فقال وذلك أحب إلى لك وهو اجم لتبلك وأودع لك وأعني إن شاء الله فهل
زدت أحدا فى عيالك بعد . وقد كان سألنى عنهم فعبجت من حفظه فقلت زدت
الفرس والخادم فقال قد ألحقنا عيالك بمائة أو خادمتك بخدمة ما ولولم يسعنى حملت
لك على بيت المال فهل تحملك مائة دينار لكل غرة أو نزيدك فقلت يا أمير المؤمنين
ان شطرها ليحملنى العامين قال فانها لك فى كى غرة فأبضها من عاملى فى أى بلد
أحببت وإن شئت فقد خيمت لك الى الشهدى فانه أفرغ لك منى وأرضاه لك
إن شاء الله

الرجل فوالله ما أعلم احداً احق بالقتل منه فقال ابو جعفر : اسكت يا انوك فوالله
ما بقي على الأرض احد اليوم يستحي منه غير هذا ومالك بن انس

(دخول ابي ذؤيب ومالك بن أنس وابن سمعان على أبي جعفر)

وذكروا أن مالك بن أنس قال: لما ولي أبو جعفر الخلافة ورقي اليه الملاقون والمشاورون
بالنيمة أعنى بكلام كان قد حفظ على ما فاتني رسوله ليلا قال أجب أمير المؤمنين وذلك بعد
مفارقتي له وخروجه عن يميني فلم أشك انه القتل ففرغت من عهدي واغتست وتوضأت
ولبست ثياب كفي وتحنطت ثم نهضت فدخلت عليه في السراقد وهو قاعد على فراش
قد نظم بالدر الأبيض والياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، حكى لي انه كان من فرش
هشام بن عبد الملك كان قد أهده اليه صاحب القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدري ما قيمته
والشمع يخترق بين يديه وابن أبي ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه وهو ينظر في
صحيفة في يده فلما صرت بين يديه سلبت فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم فتبسم المغضب ثم
رمى بالصحيفة وأشار لي الى موضع عن يمينه أقعد فيه فلما قعدت وأخذت مقعدى وسكن
روعى رفعت رأسى أنظر تلقائى فاذا أنا بواقف عليه درع ويده سيف قد شهره
يلعب له ما حوله فالتفت عن يميني فاذا أنا بواقف عليه جزر من حديد ثم التفت عن
يسارى فاذا أنا بواقف عليه درع ويده سيف قد شهره وهم أجمعون قد صغوا اليه ورققوا
بأبصارهم خوفا منهم أن يأمر في أحد أمراً فيجده غافلاً. ثم التفت يمينا قال: أما بعد معشر
الفقهاء فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره وضاق به ذرعه ، وكنتم أحق الناس
بالكف من ألسنتكم والأخذ بما يشبهكم وأولى الناس بلزوم الطاعة والمنحاجة في
السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم . قال، مالك فقلت : يا أمير المؤمنين قال الله
تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة
فتصيبوا على ما فعلتم نادمين » فقال أبو جعفر على ذلكم أى الرجال انا عندكم من
أئمة العدل أم من أئمة الجور ؟ فقال مالك فقلت يا أمير المؤمنين أنا متوسل

(دخول سفيان الثوري وسليمان الخواص على أبي جعفر وما قالاه)

وذكروا أنه لما كان أبو جعفر بمنى في العام الذي صحب فيه سفيان الثوري وسليمان الخواص قال أحدهما لصاحبه ألا ندخل على هذا الطاغى الذي زاحمنا بالأمس في مجالس العلم عند منصور والزهرى فنكلمه ونأمره بحق ونهيه عن باطل فافعل كلامنا أن يقع منه موقعا ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه فقال سليمان الخواص إني لأخشى أن يأتي علينا منه يوم سوء فقال الثوري : ما أخاف ذلك فإن شئت فادخل وإن شئت دخلت . فدخل سليمان الخواص فأمره ونهيه ووعظه وذكروه الله وما هو صائر إليه ومسؤول عنه . فقال أبو جعفر أنت مقتول ما تقول في كذا وكذا لشيء سأله عنه من باب العلم فأجابه . فإخرج قال سفيان الثوري ماذا صنعت قال أمرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضا كان في رقابنا أدينه مع أنه لا يقبل وسألني عن مسألة فأجبت قال سفيان ما صنعت شيئا فدخل سفيان الثوري فأمره ونهيه فقال له هاهنا أبا عبد الله إلى أين منى فقال إني لا أطأ مالا أملك ولا تملك فقال أبو جعفر يا غلام ادرج البساط وارفع الوطاء فتقدم سفيان فصار بين يديه وقدم ليس بينه وبين الأرض شيء وهو يقول (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فندمعت عيناه جعفر ثم تكلم سفيان دون أن يستأذن فوعظ وأمر ونهى وذكر واعتلج في قوله فقال له الحاجب أيها الرجل أنت مقتول فقال سفيان وإن كنت مقتول ؛ لساعة فسأله أبو جعفر مسألة فأجابه . ثم قال سفيان : فما تقول يا أمير المؤمنين فيما انفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير إذنهم وقد قال عمر في حجة حجها وقد اتفق ستة عشر دينارا هو ومن معه ما أرانا إلا وقد اجحفنا بيت المال ، فقال له أبو عبد الله الكاتب : أأمر المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فقال له سفيان اسكت فانما اهلك فرعون هاهنا وهامان فرعون . ثم خرج سفيان فقال أبو عبد الله الكاتب : ألا تأمر بقتل هذا

حاج فإذلك تخلف ولا والله ما زاده ذلك عندى إلا شرفا ورفعة وانى من التوقير به والاجلال له بحال لا أخال أحداً من الناس بذلك لشرفه فى قریش وعظم منزلته من هذا الأمر والموضع الذى جعله الله فيه والمكان الذى أنزله به . فلما قدم أبو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبد الله العمرى فيه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أبى جعفر أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التى اتسجت فوسجت من شاء . أما بعد فانى عهدتك وأمر نفسك لك مهم وقد أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحرها واسودها وأبيضها وشريفها ووضعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف أنت عند الله يا أبا جعفر ، وانى أحذرك يوماً تفى فيه الوجوه والقلوب وتقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته وأذلهم بسلطانه والخلق ذاخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه ، وانا كنا نتحدث ان أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة وانى أعوذ بالله أن تنزل كتابى سوء المنزل إنما كتبت به نصيحة والسلام .

(فأجابه أبو جعفر المنصور)

من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين الى عبيد الله بن عمر بن حفص سلام عليك أما بعد فانك كتبت الى تذكر أنك عهدتني وأمر نفسي الى مهم فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة بأسرها وكتبت تذكر أنه بلغك أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولمست إن شاء من أولئك وليس هذا زمان ذلك إنما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض ، صلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم وكتبت تحذرنى ما حذرت به الأهم من قبلى وقد ما كان يقال اختلاف الليل والنهار

إليك بالله تعالى وأنشفع إليك بمحمد صلى الله عليه وسلم وبقرابتك منه إلا ما أعفيتني من الكلام في هذا قال قد أعفاناك أمير المؤمنين . ثم التفت إلى ابن سمعان فقال له أيها القاضي ناشدتك الله تعالى أي الرجال أيا عدلك فقال ابن سمعان أنت والله خير الرجال والله يا أمير المؤمنين تتجسس بيت الله الحرام وتجاهد العدو وتؤمن السبل وتؤمن الضعيف بك أن يأكله القوى وبك قوام الدين فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة ثم التفت إلى ابن أبي ذؤيب فقال له ناشدتك الله أي الرجال أنا عندك ؟ قال . أنت والله عندي تتر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وأهل بيتك الضعيف وأتعبت القوى وأمسكت أموالهم فما حجتك غداً بين يدي الله . فقال له أبو جعفر ويحك ما تقول أتعقل أنظر ما أمامك قال . نعم قد رأيت أسيفاً وثابت هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله . ثم خرجا وجلست قال لي لأمر ربيعة أنخوض عليك قلت أجل لما نعى إليك عني ما نعى وجامعاً رسولك في الناس سبناه فاعفست وتطيت ولبست ثياب كذني فقال أبو جعفر سبحان الله ما كتب لأهل الإسلام وأسعى في نقضه أو ما تراني أسعى في أوامير الإسلام والله الذي عاهدنا به ما قلت يا أبا عبد الله انصرف إلى قصرك واشد مهدياً ولا تجبت ما عدنا ففتح من لا يؤثر عليك أحداً ولا يعادل بك محمود . ثم سأل أبو جعفر متوجهاً إلى العراق

(كتاب عبيد الله الأسيرى إلى أبي جعفر)

وذكروا أن أبا جعفر لما فعل من حجة سنة ثمان وأربعين ومائة سأل عن عبيد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو النخعي المعروف بالحمرى فقبل له لأنه لم يخرج العلم الأمم المؤمنين ولا خرج الحق أول داخل عليك فلا تقبل عليه أحداً ولا بدع فيه . قلت يا أمير المؤمنين كيف كان من علمت . فقال أبو جعفر والله قد تمت من هذا في بلاد المسلمين وأنه بأني

الى بغداد فسيجنه بالنهار وسامره بالليل وأنت أحق من أخذ هديه واحتذى علي مثاله وورث كراماته ، فحمله المهدي معه فمات ببغداد رحمه الله

(ذكر مانال مالك بن انس من جعفر بن سليمان)

وذكروا أنه هاج بالمدينة هيح في ابتداء أيام أبي جعفر فبعت اليها أبو جعفر ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيجهما وفتنها ويجدد بيعة أهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً على أهل الخلاف لهم فاطهر الخلطة والشددة وسطاً بكل من ألد في سلطانهم وأشار الى المنازعة لهم وأخذ الناس بالبيعة وكان مالك بن أنس رحمه الله لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه في علمه أو عمله أو فهمه أو ورعه فكيف بمن جمع الله ذلك فيه ، ولم يزل منذ نشأ كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم واللب والنبل ووصل له ذلك بالدين والفضل عرف منه ذلك صغيراً وظهر فيه كبيراً ، واستتب الرئاسة بمن كان قد سبقه اليها بظهور نعمة الله عليه وسموها به علي كل سام فاستدعى ذلك منهم الحسد له والجأهم ذلك الى البغي عليه ، فلدسوا الى جعفر بن سليمان من قال له أن مالكا يفتي الناس بأن إيمان البيعة لا تحل ولا تلزمهم لمخافتك واستسكراهم إياهم عليها وزعموا انه يفتي بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه . فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف ان ينحل عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة وهم أن يبدر فيه بما عافاه الله منه وأنعم على المسلمين ببقائه فقيل له : لا تبدر فيه ببادرة فانه من أكرم الناس على أمير المؤمنين وآثرهم عند الله ولا بأس عليك منه فلا تحدث شيئاً إلا بأمر أمير المؤمنين أو يستحق ذلك عندنا بأمر لا يخفى على أهل المدينة فلدس اليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالكا يخشى أن يؤتى من قبله ولا من منه يؤتى الحذر فسأله عن الإيمان في البيعة فافتاه مالك بذلك

يقربان كل بعيد ويبلغان كل جديد ويأتیان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار وكتبت تنهوذ بالله أن تنزل كتابك سوء المنزل وانك إنما كتبت به نصيحة ، فصدقت وبررت فلا تدع الكتب الى فاته لا غنى بي عن ذلك والسلام

(اجتماع أبي جعفر عبد الله بن مرزوق)

وذكروا أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين لما حج ودخل بالطواف بالبيت الحرام أمر بالناس فتحو عن البيت ثم طاف أسبوعه فوثب اليه عبد الله بن مرزوق وقال . من جرأك على هذا فليبه بردائه وهزه وقال له : من جعلك حق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنهيهم عنه ؟ فنظر أبو جعفر في وجهه فعرفه فقال عبد الله بن مرزوق ؟ فقال نعم . فقال من جرأك على هذا ومن أقدمك عليه فقال عبد الله بن مرزوق . وما تصنع بي بيدك ضراؤ نفع ، والله ما اخاف ضرك ولا ارجو نفعك حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه وبإمرك الى فعله . فقال له ابو جعفر انك احللت بنفسك واهلكتها فقال عبد الله بن مرزوق : اللهم إن كان بيد أبي جعفر ضرى فلا تدع من الضر شيئا إلا انزلته على وإن كان بيده منفعى فاقطع عني كل منفعة منه . أنت يارب بيدي كل شيء وأنت مالك كل شيء . فأمر به أبو جعفر فحمل الى بغداد فسجنه بها وكان يسجنه بالنهار ويبعث اليه بالليل بيت عنده ويسامره يلبث نهاره بالسجن اجمع ثم يسامره بالليل ليظهر للناس انه سجن من اعترض عليه لئلا يجترىء الجاهل فيقول قد وسع عفو أمير المؤمنين فلانا أفلا يسعني . فكان دأبه هذا معه زمنا طويلا حتى نسي أمره وانقطع خبره ثم خلى سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات أبو جعفر وولى ابنه المهدي فلما حج المهدي فعل مثل ذلك ففعل به عبد الله بن مرزوق مثل ذلك أيضا فاراد قتله فقيل له : يا أمير المؤمنين إنه قد فعل ههنا بأبيك فكان من صنيعه أن حملة

ثياب مثله تواضعا لدخولي عليه وليس معي في القبة إلا قائم على راسه بسيف صلت . فلما دنوت منه ركب بي وقرب ثم قال ها هنا إلى فاوميت للجلوس فقال ها هنا فلم يزل يدنيني حتى اجلسني اليه ولصقت ركبتي بركبته . ثم كان اول ما تكلم به ان قال الله الذي لا إله إلا هو يا أبا عبد الله ما امرت بالذي كان ولا علمته قبل ان يكون ولا رضيته إذ بلغني (يعني الضرب) قال مالك فحمدت الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نزهته عن الأمر بذلك والرضا به ثم قال يا أبا عبد الله لا يزال اهل الحرمين بخير ما كنت بين اظهرهم وإن اخلالك أمانا علم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة فانهم ما علمت اسرع الى الفتن واضعفهم عنها قاتلهم الله اني يؤفكون . وقد امرت ان يؤتى بعد والله من المدينة على قتب وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة في امتنانه . ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضغاف ما نالك منه . فقلت له عافى الله أمير المؤمنين وأكرم منواه قد عفوت عنه لقربائه من رسول الله ثم منك قال أبو جعفر وأنت فعني الله عنك ووصلك . قال مالك ثم فاتحنى فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته أعلم الناس بالناس ثم فاتحنى في العلم والفقهاء فوجدته أعلم الناس بما اجتمع عليه وأعرفهم بما اختلفوا فيه حافظاً لما روى واعيا لما سمع . ثم قال لي : يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتباً وتجنب شذائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله ابن عباس وشوار بن مسعود وأقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضى الله عنهم لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك ونلتها في الأمصار ونعهد اليهم أن لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها . فقلت له أصلح الله الأمير إن أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في علمهم رأينا فقال أبو جعفر يحملون عليه وتضرب عليه هاماتهم بالسيف وتقطع طي ظهورهم بالسياط فتعجل بذلك وضعها فسيأتيك محمد بن المهدي العام القابل إن شاء الله إلى المدينة ليسمعها منك فيجداك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله قال مالك فبينما نحن قعود إذ طلع

طماأينة اليه وحسنة فيه . فلم يشعر مالك إلا ورسول جعفر بن سليمان فيه فاتوا به اليه منتبهك الحرمه مزال الهيبة فأمر به فضرب سبعين سوطاً فلما سكن الطهيح بالمدينة وتمت له البيعة بلغ بمالك ألم الضرب حتى أضجعه .

(انكار ابى جعفر المنصور لضرب مالك)

وذكروا أنه لما بلغ أبو جعفر ضرب مالك بن أنس وما أنزل به جعفر بن سليمان أعظم ذلك أعظماً شديداً وأنكره ولم يرضه وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به الى بغداد على قتب ، وولى على المدينة رجلاً من قريش من بنى مخزوم وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء وذلك في شهر رمضان من سنة إحدى وستين ومائة . وكتب أبو جعفر الى مالك بن أنس ليستقدمه الى نفسه ببغداد فأبى مالك وكتب الى أبى جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له ببعض العذر اليه . فكتب أبو جعفر اليه أن وافى بالموسم العام القابل إن شاء الله فافى خارج الى الموسم

(دخول مالك على أبى جعفر بنى)

وذكروا أن مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى أبى جعفر بنى أيام منى فذكروا أن مدبراً أخبرهم وكان من كبار أصحاب مالك قال . قال لى مالك لما صرت بمنى أتيت السراذق فاذنت بنفسى فاذن لى ثم خرج لى الأذن من عنده فادخلنى فقلت للأذن اذا انتهيت لى الى القبة التى يكون فيها أمير المؤمنين فاعلمنى فربى من سرادق الى سرادق ومن قبة الى أخرى فى كلها اصناف من الرجال بأيديهم السيوف المشدورة والاجزرة المرفوعة حتى قال لى الأذن مر فى تلك القبة ثم تركنى الأذن وتأخر عني فنهبت حتى انتهت الى القبة التى هو فيها ثم نهبت لى عن مجلسه الذى يكون فيه الى المسامحة لى دونه ولى هو دونه لى رزقه لى لى

المهدي بن أبي جعفر فسأله عن صنع فيما أمره به أبو جعفر فأتاه بالكتاب وهي كتب الموطأ فأمر المهدي بانتساخها وقرئت على مالك فلما تم قراءتها أمر له بأربعة آلاف دينار ولابنه بألف دينار

(موت أبي جعفر المنصور واستخلاف المهدي)

وذكروا أنه لما كانت سنة ست وستين ومائة قدم أبو جعفر مكة فلما قضى حجه احتضر ثلاثة أيام ثم توفي في اليوم الرابع وولى ابنه محمد المهدي وكان معه يومئذ بمكة أخوه جعفر ببغداد وكان قد عهد إليه أبو جعفر فلما قفل المهدي إلى بغداد أتاه رجل فقال له أدرك أخاك جعفر فإنه قد هم بمنازعتك وهو يريد خلعتك فأخذ في السير ومعه الجنود والأموال وصناديد الرجال من العراق ورجال العرب ووجوه قريش . فلما قدم العراق اعتذر إليه جعفر مما رفع إليه عنه وحلف له أنه مانوى ولا أراد منازعته ولا أشار إلى خلافة ولا هم بها فتقبل منه المهدي ذلك وعفي عنه وكان كريماً سخياً حلماً : فلما كانت سنة سبع وستين ومائة قدم حاجاً فدخل المدينة زائراً لقي رسول الله فدخل عليه مالك فخصه على الاحسان إلى أهل المدينة وحديثه بفضلهما وفضل أهلها ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : امرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب « وهي المدينة » تنق الناس كما ينق الكبر خبث الحديد ثم قال يا امير المؤمنين افليس هؤلاء اهلا ان يعانوا على الصبر عليا وعلى جوار رسول الله فقال المهدي بلى والله يا ابا عبد الله حتى لا اجد إلا مثل هذا ومد يده ليأخذ من الأرض شيئاً فلم يجده ثم قال صدقت فيهم وبررت وحضنت على الرشد فأنت أهل إن يطاع امرك ويسمع قولك فأمر له بخمسة آيات مال والبيت عندهم خمسمائة ألف وأمر مالكا ان يختار من تلامذته رجالاتا يثق بهم ويعتمد عليهم يقسمونها على أهل المدينة ويوثرون أهل بيت رسول الله

له بنى صغير من قبة يظهر التي كنا فيها فلما نظر إلى الصبي فزع ثم تقهقر فلم يتقدم فقال له أبو جعفر تقدم يا حبيبي إنما هو أبو عبد الله فقيه أهل الحجاز ثم التفت إلى فقال يا أبا عبد الله أتدري لما فزع الصبي ولم يتقدم فقلت لا فقال والله استنكر قرب مجلسك مني إذ لم يره به أحداً غيرك فقلت فذلك قهقر قال مالك : ثم أمر لي بألف دينار عينا ذهباً وكسوة عظيمة وأمر لابني بألف دينار ثم استأذنته فأذن لي فقممت فودعني ودعا لي ثم مشيت متطافاً فاحقة في الخصى بالكسوة فوضعها على منكبى وكذلك يفعلون بمن كسوه وأنت عظم قدره فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يسلمها إلى غلامه : فلما وضع الخصى الكسوة على منكبى انخبت عنها بمنكبى كراهة احتمالها وتبرأ من ذلك فاداه أبو جعفر بلغها رجل أبي عبد الله .

(ما قال أبو جعفر لعبد العزيز بن أبي رواد)

وذكروا أن أبا جعفر لما دخل في الطواف بالبيت لقي عبد العزيز بن أبي رواد في الطواف فقبض على يده ثم قال له أتعرفني قال لا إلا أن قبضتك قبضة جبار فقال له أنا أبو جعفر أدير المؤمنين فسأني من حوائجك ما شئت أقضيها قال أسألك برب هذا البيت أن لا ترسل إلي بشي، حتى آتاك طوعاً فقال له أبو جعفر ذلك لك فأقبل يمشي بمشيه في طوافه وكان شيخاً كبيراً ضعيفاً شعثاً بقربه وثقل عليه كلامه فقال أسألك بحرمة هذا البيت ألا تنحيت عنى فتتجى عنه أبو جعفر وخطى سبيله . وكان عبد العزيز بن أبي رواد هذا لا يرفع رأسه إلى السماء تخشعاً لله فأقام كذلك أربعين سنة

(قدوم المهدي إلى المدينة)

وذكروا أن مالك بن أنس لما أخذ في تدوين كتبه ووضع عليه قدم عليه

يأتيك الربح من غير تجارة . أوصيك بأخوتك خيراً وأهل بيت رسول الله أقبل
حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم واغفر زلاتهم وأوصيك بأهل الحرمين خيراً فقد
علت من هم وأبناء من هم أجزل لهم العطاء واحسن لهم الجزاء يكافئك الله في
الآخرة والأولى : ثم توفي المهدي من يومه ذاك واستخلف الرشيد وخرج الى
الناس يبايعهم بوجه طاق ولسان سلط فبايعوه ببغداد وذلك يوم الخميس من
المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وتمت له البيعة يوم الجمعة في المسجد الجامع فلم
يختلف عليه أحد ولا كره خلافته مخلوق فأحسن السيرة واحكم أهل الرعية وكان
أوحد أهل بيته ولم يشبهه أحد من الخلفاء . من أهله رحمه الله

(قدوم هارون الرشيد المدينة)

وذكروا أنه لما كانت سنة أربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجاً الى
مكة فقدم المدينة زائراً قبر النبي عليه السلام فبعث الى مالك بن أنس فأتاه فسمع
منه كتاب الموطأ وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ولم
يختلف منهم أحد إلا وحضر الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطأه
الذي وضع وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد . فلما تم قراءته قال هارون
لفقهاء الحجاز والعراق : هل أنكرتم شيئاً من هذا العلم ؟ قالوا ما أنكرنا شيئاً
إلا ما ذكر من أمر الدماء والتدمية في القتل فان هذا من أنكر ما يكون من العلم
وأبطله . يقول الرجل قتلت فلان فيقبل منه ويحلف أولياؤه على القاتل خمسين
يميناً ثم يقتل ولعل أولياؤه لم يحضروا ولم يكونوا بمصره فيعرض بهم الحث في
الايمان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبل في ربع دائق يدعيه إلا بينة
تقوم إن هذا هو الضلال وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي
رواه ابن عباس حيث قال : لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء قوم
وأموالهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر قال الرشيد ويحكم إن

واهل بيت ابى بكر وعمر وعثمان ثم اهل المهاجرين والانصار ثم الذين اتبعوهم
باحسان ففعل فأغنى اهل المدينة عامهم ذلك

(ذكر استخلاف هارون الرشيد)

وذكروا انه لما كانت ثلاث وسبعين ومائة توفى المهدي وذلك انه خرج
يوما إلى بعض المنازل ومعه اهله وبعض بنيهم وكان قد ذكر ان يستخلف ابنه
عبد الله بعده ثم غفل عن ذلك وتركه لحمل عبد الله الحرص والتأنيش إلى ان
دس على بعض الجوارى المتكبرات منه سمه وبذل لها على ذلك الاموال
ومناها امانى الغرور . فلما سمته ووصل اليه السم عرف المهدي انه قد قتل فدعا
كاتبه فقال له بجل واكتب عهد هارون الرشيد وخذ بيعة الجند وامراء الأجناد
واكتب بذلك إلى ولاية الأمصار وكان الرشيد اصغر بنيه وكان ابن أمة لا يطمع
خلافة ولا يظن بها فأدخله على نفسه وهو يتوب بها والرشيد لا يعلم أنه مستخلف
فقال له المهدي أى بنى والله ما أردت استخلافك ولا سممت به لحداثة سنك وقد
كان قال لى جدك أبو جعفر وأنت يومئذ قد عرفت فى أول رؤيتك : إن ابنى
هذا الاعين سبلى هذا الأمر ويسير فيه بغيره صالحة فقلت يا أبت أظن ذلك
قال ما هو بالظن ولسكنه البقين ويكون ملكا بضعا وتمريرين سنة وتقتله الحى
الربع فاندفع الرشيد باكيا فقال له ما يبكيك يا بنى قال : يا أبت إنك والله نعت
لى نفسى وعرفتني متى أموت وبما أموت قل هو ذاك دشعر واجتهد وجد وأخذ
بالحزم والكرم ودع الاحن وانظر أخاك عبادته فلا يناله منك مكروه فقد
عقوت عنه فقال الرشيد يا أبت وعدو عدو وقد أتى ما ذكرت وصنع ما وصفت
فقال يا بنى وما على أن أعفو عنك أكبر من أن أعف عنك وأرجو أن يغفر لى
بصنيعته بى إن شاء الله عليك يا بنى بتوفى الله العظيم وماله فأنفذها بضاعة

مال ضعفي ما امر لهم المهدى. وكان أبو يوسف القاضي مع الرشيد يومئذ فسأله أن يجمع بينه وبين مالك ليحكمه في الفقه فقال الرشيد لمالك كلمه فأنتف من ذلك مالك وتزهر عنه وقال لهارون هاهنا من فتیان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة أمير المؤمنين ويخصمه فيما يتكلم به ويذهب اليه فسر ذلك الرشيد حين أضاف ذلك الى قريش فقال من هو فقال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي فبعث اليه الرشيد فقال له كلمني بما بدالك أجابك فقال أبو يوسف القاضي يا أمير المؤمنين ان هؤلاء يعني مالك وأصحابه يقضون بغير ما في كتاب الله يقول الله عز وجل « واشهدوا ذوى عدل منكم » وقال « وأشهدوا شهيدين من رجالكم » وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا تسمع أن الله تعالى ذكر إلا شاهدين وأربعة شهداء ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى به وإنما يدور هذا الحديث الذي روى فيه سهيل عن أبي صالح عن أبيه ثم نسب سهيل فكان يحدث ويقول حدثني ربيعة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسب سهيل بطل الخبر وأثبت أصله فلا معنى لذكره قال المغيرة قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى به علي بالكوفة ، فقال أبو يوسف : أنا أكلمك بالقرآن وأنت تكلمني بأفعال الناس أترأك تعرفني بهذا وبما قضى به علي وغيره فقال المغيرة فأنت كافر بنبي قضى باليمين مع الشاهد أو مؤمن به فسكت أبو يوسف فخججه المغيرة فسر بذلك الرشيد وأمر للمغيرة بألف دينار . ثم أرسل الرشيد الى مالك فقال ما تقول في هذا المنبر فأتى أريد أن أنزع ما زاد فيه معاوية بن أبي سفيان وأرده الى الثلاث درجات التي كانت بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فانما هو من عود ضعيف قد تحرمت المسامير قال نقضته تفكك وذهب أكثره ومع هذا يا أمير المؤمنين لو أعدته الى ثلاث درجات لم آمن عليه ان ينتقل عن المدينة يأتي بعدك أحد فيقول او يقال له ينبغي لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون معك حيث كنت فانما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل من المدينة كلما كان بها من

في كتاب الله ما يصدق ذلك ولا أخال أبا عبد الله أخذه إلا من كتاب الله فاستتبوه فأرسل اليه فأقبل فقال هارون يا أبا عبد الله إن أصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم اثنان في الانكار عليك فيما وضعت في موطأك من التهمة وتصديق قول من ادعى وأنت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعى على رجل دانق إلا بينة تقوم له فاخبر القوم وأوضح لهم حججك في ذلك وأنا معك عليهم فاني لا أعلم بعد أمير المؤمنين أحدا أعلم منك فقال مالك يا أمير المؤمنين إن ما يصدق القسامة ما في كتاب الله من القتل والاخذ بالدم الذي كان في بني اسرائيل قال الله عز وجل «ضربوه ببعض» فذهب البقرة ثم ضربوه ببعض من أعضائها فخي القتل ثم تكلم فقال فلان قتلني فقتله موسى بن عمران عليه السلام بقوله ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النديون الذين أسلموا فابنوا أسلموا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله في الميراث اليهودي الذي زنا فرجحه رسول الله وقد ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهوديا لقي جارية من جوارى الأنصار في بعض أقباب المدينة وعياها أوضاع من ذهب وورق فأخذ الأوضاع منها وشدخ رأسها بين حجرين فأدركت الجارية وبها رمق فاتهم بها اليهود فأتي بهم فعرضوا عليها رجلا رجلا وهي لا تتكلم حتى أتى بصاحبها الذي قتلها فعرفته فقيل لها هذا الذي قتلت فأومأت برأسها أي نعم فأمر رسول الله بشدخ رأسه بين حجرين فهدنا يا أمير المؤمنين حكم الدماء والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله وأصحابه تقدموا منه بشدخ وصاروا الى الرضاء بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتأويل ما تأول من القرآن الكريم ثم قال له مالك ان أباك يا أمير المؤمنين بعث الى في هندا المجلس بنا بعث الى وحدثته بما حدثتك به في شأن أهل المدينة وما يصيرون عليه من البلاء وشدة الزمان وغلاء الأسعار صبرا على ذلك واختيارا الجوار قهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هارون ذلك أبي وانا ابوه ووف افعله وافعل وامر لأهل المدينة بحشرة ريات

وصاحبي فقال بن المبارك ومن منا يدخل فقال الفضل ومن معك قال رجل من قريش فقال الفضل لا إذن ولا حاجة لي برؤية أحد من قريش فقال له ابن المبارك إنه من العلم والعناية والفقه فيه بمكان فقال له الفضل أو ما علمت أن إبليس افقه الناس فقال له ابن المبارك إنه سيد قريش في زمانه هذا وفوقهم وإنما عن أنه فوقهم في الدنيا وسيدهم فقال له الفضل فإن كان كما تقول فليدخل فدخل الرشيد فسلم عليه ثم جلس بين يديه فتحدثوا ساعة فقال له ابن المبارك يا أبا الحسن تدرى من هذا قال لا أدري فقال له هذا هارون بن محمد الرشيد أمير المؤمنين فنظر إليه الفضل ابن عياض ساعة ثم قال هذا الوجه الجميل يسأل غداً عن أمة محمد ويؤاخذ بها لأن كان العفو والغفران يسمعك مع ما أنت فيه إن هذا هو الفضل المبين . وكان الرشيد من أجمل الناس خلقاً وأحسنهم نظفاً وأبلغهم لساناً وأعذبهم كلاماً وأكثرهم علماً وفهماً . ثم جعل الفضل بن عياض يحفظه ويخوفه حتى بكى هارون بكاء شديداً قال ابن المبارك ما رأيت أحداً يبكي بكاء الرشيد يومئذ ثم أفاق من بكائه فجعل ابن الفضل يذكر مثالبه ومثالب أهل بيته ورداء سيرتهم وخلافهم الحق ثم لم يدع شيئاً يعيبه به ولا أمراً ينتقصه فيه إلا واستقبله به فقال له الرشيد يا أبا الحسن أما لك ذنوب تخاف أن تهلك بها إن لم يغفرها الله لك فقال الفضل بلى فقال الرشيد فما جعلك بأحق أن ترجو المغفرة مني وأنا على دين يقبل الله فيه الحسنات ويغفروا عن السيئات ومع ذلك فاني والله ما كنت لأخبر بين شيء وبين الله إلا اخترت الله تعالى على ما سواه والله الشاهد على قولي والمطلع على نيتي وضميري وكفي بالله شهيداً وأنا مع هذا إلى من الإصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا تليه أنت فسا جء لك أحق أن ترجو المغفرة مني فسكت الفضل ساعة ثم قال ما ظلمك من حبيبك ثم قام هارون للخروج فقال الفضل يا أمير المؤمنين إني أخشى أن يكون لعلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد أجل أنه ما قلت فلما تدم الرشيد العراق كان أول ما ابتدأ فيه النظر أن كتب إلى

آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعلم انه ترك له عليه الصلاة والسلام بها
لأنل ولا شعر ولا فراش ولا عصاة ولا قدح لاشيء مما كان له هاهنا من آثاره
إلا وقد انتقل . فأطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك برأى مالك بن أنس وكان ذلك
رحمة من الله لأهل المدينة وثبتنا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين أظهرهم

(مسير الرشيد الى فضل بن عياض)

وذكروا ان الرشيد كان كثيراً ما يتأثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف.
وكان قد قسم الأيام والليالي على سبع ليالٍ : فليلة لأوزراء يذاكرهم أمور الناس
ويشاورهم في المهم وليلة للكتاب يحمل عليه الدعوى وينحاسبهم عما لهم من أموال
المسلمين ويرتب لهم ما ظهر من صلاح أمور المسلمين وليلة للعواد وأمراء الأجناد
يذاكرهم أمر الأمصار ويسألهم عن الأخبار ويقفهم على ما تبين له من صلاح الكور
وسد النور وليلة للعلماء والنقهاء يذاكرهم العلوم وينسبهم الفضل وكان من أعلمهم.
وليلة للفقراء والعباد ينصفح وجوههم ويتعشّب ثوبهم ويستسمع لمواعظهم ويرفق
قلبه بكلامهم وليلة لنسائه وأهله ولذاته ينسب نسائه ويأنس بنسائه . وليلة يخلو
فيها بنفسه لا يعلم أحد قرب أو بعده . ينصنع ولا يترك أحد أن ينالو فيها ربه يسأله
خلاص نفسه وفكاك رقبه . فيذبح هو يرمي في يمينه من السماك وقد قصد لرؤيته
يسمع لموعظته ولا يعلم أحد بمكانه فسمع من الخبير بن بكر الفضل بن عياض
وبصف فضله وعبادته وعامه وورعه فأنتهى "عزالي" وندت نفسه الى رؤيته
ومحادثته فوجه من من العراق الى الحجاز فامسأ "ابن ربيعة" عبد الله بن المبارك فقيه
أهل بغداد وعالمهم وكان الفضل بن عياض - يكنى العراق - قد قرب من موضعه قال
عبد الله بن المبارك يا أمير المؤمنين ان الفضل بن عياض - يكنى العراق - قد قرب من موضعه قال
ويسفر عنك فقال عمارون أسأذن انت عابسه وتحيي مكاني عنه حتى يأذن بالدخول
فأسأذن عليه ابن المبارك قال "فضل من باب ذل" ابن المبارك قال مرحبا يا أخي

هذا رجل شجاع وإن قعد معك أذاك فلم يلتفت اليه وأمرت الغلمان فأدخلوه
فقعده فلما حضر الغداء دعوته فكان يأكل أكل جائع بنهماة إلا أنه نظيف الأكل
فلما رفع الطعام أردت أن يقوم ويغسل يديه في ناحية فلم يفعل فعمزه الغلمان فلم
يفعل فتشاغلت عنه ليقوم ثم قلت له يا هذا ما صناعتك قال لي حائك فقلت في
نفسى هذه شر من الأولى ما ألوم غير نفسى إذ لم أقبل من نصحنى وصرت أوكل
الحوكة فقلت توضاً يا أخى فتوضاً ثم قال لي جعلت فداك قد سألتني عن صناعتي
فما صناعتك أنت فقلت في نفسى هذه شر من الأولى وكرهت أن أذكر الوزارة وقلت
أقتصر على السكتابة فقلت له كاتب فقال أن السكتابة على خمسة أصناف كاتب
رسائل يحتاج أن يعرف الفصّل من الوصل والصدور ورقق الكلام والتهانى والتعازى
والترهيب والترغيب والمقصود والمعدود وجملا من العربية وكاتب جند يحتاج الى
أن يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس ونفوتهم وكاتب قاضى يحتاج
أن يكون عالماً بالشروط والأحكام عارفاً بالناسخ والمنسوخ من القرآن والحلال من
الحرام والفروع والمواريث وكاتب شرعة يحتاج أن يكون عالماً بالجرّوح والقصاص
والديات فقيهاً فى أحكام الدماء عارفاً بدعوى التعدى وكاتب خراج يحتاج أن
يعرف الزرع والمساحة وضروب الحساب فأبهم أنت أعزك الله ؟ قلت : فوالله
ما قضى كلامه حتى صار أعظم الناس فى نفسى وأحبهم إلى وصار كلامه عندي
أشهى من الماء البارد العذب على الظمآن . فقلت له أصلحك الله تقدم إلى وأدن
منى أكلبك وأقعدك المقعد الذى يقعده مثلك فلولاً أن من البر يكون عقوقاً لأقعدتك
مقعدي هذا . قال مقعدي الذى أنا به أولى بي فقلت أمتعك الله به أنا كاتب
رسائل قال فاخبرني لو كان لك صديق تسكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع
الأسباب فتزوجت أمه كيف كنت تسكتب اليه تهنته أم تعزيه ؟ قلت . والله
ما أدري كيف الوجه فى هذا وهو بالتعزية أولى منه بالتهنتة قال صدقت كيف
كنت تعزيه فقلت والله ما أقف على ما تقول قال . فلست بكاتب رسائل فأبهم

خمساً من الابل وفي المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثلاثاً فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلاثاً . فقلت أصلحك الله فيما أتى بك ها هنا قال ابن عم لي كان عاملاً على ناحية فخرجت اليه فألقيته معزولاً فقطع بي فأنا خارج اضطررت في المعاش قلت ألسنت قد ذكرت أنك حائك ؟ فقال . جعلت فداك إنما احوك الكلام ولست بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فأخذ من شعره وأدخل الحمام وطرحته عليه من ثيابه فلما صرت الى الاهواز كتبت فيه الرجى فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي فلما صرت الى أمير المؤمنين ألقىته قد توقد على ناراً وامتلأ غيظاً وقد حلف بالمشى الى الكعبة أن ينالني منه يوم سوء لطول مقامى واشتغالى عنه بالرجل فلما دخلت عليه قال ما كان من خبرك في طريقك وما الذى شغلك بعد امرى لك أن لا تلبث ببغداد إلا يوماً واحداً ويمينك على ذلك ؟ فأخبرته خبرى حتى حدثته بحديث الرجل وقصتي معه قال لقد جئتني بأعظم الفوائد فلائى شىء يصلح ويحك قلت هو والله يا أمير المؤمنين اعلم الناس بالفقه والعلم والحلال والحرام والهندسة والفلسفة والحساب والكتابة . فولاه هارون البناء والمرمة والمهم من الامور وأولاه على عمال الخراج يتقاضاهم ويحاسبههم فكنت والله ألقاه فى المواعيد العظيمة فينحط عن دابته ساعياً حتى يقبل على يدي يقبلها فأحلف عليه فيقول سبحان الله إنما هذه نعمتك وبك نلتها ويقول :

فلو أن للناس شخصاً يرى اذا ما تأمله الناظر

لمناته لك حتى ترى فتعلم انى امرؤ شاكراً

قال عمرو بن مسعدة : ثم قال لى هارون ويحك لما أبطأت على حلفت بالمشى الى الكعبة أن ينالك منى يوم سوء ولا والله ما هذا جزاؤك لدى فما رأى فقلت يا أمير المؤمنين أنت أعلى عيناً وأولى من بر يمينه فقال والله ما أريد ذلك قلت فليكفر أمير المؤمنين يمينه فان النبى عليه السلام قال : من حلف على يمين فرأى خيراً منها أفليكفر وليأت الذى هو خير . فقال : ويحك إن العلماء لم يروا الكفارة

أنت ؟ قلت كاتب خراج قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا
فبئس عمالك فيه فجاء قوم يتطلبون من بعض عمالك فأردت أن تنظر في أمرهم
وتنصفهم إذا كنت تحب العدل وتؤثر حسن الأعدوة وحب الذكر وكان لأحدهم
براج فأردت مساحته كيف كنت تمسحه قلت اضرب العطوف في العمود وانظر إلى
مقدار ذلك قال إذا تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة قال إذا تظلم السلطان
قلت والله ما أدرى قال لست بكاتب خراج فأبهم أنت قالت كاتب جند قال فما تقول في
رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر متنوع
الشفة السفلى كيف كنت تتعتهما وتحليهما فقلت . كنت أكتب أحمد الأعم وأحمد
الأعلم قال فكيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق ذلك ألف درهم فيتبض
هذا عطاء ذاك وذاك عطاء هذا فتظلم صاحب الألف قلت والله ما أدرى قال فليست
بكاتب جند فأبهم أنت قلت قاضي قال فما تقول في رجل خاف سرية
وزوجة وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان تلك الليلة أتت بنت
أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابتها مكانه فتنازعتا فيه فقالت هذا ابني
وقالت هذه بنتي كيف كنت تحكم بينهما وأنت خليفة لهما : فقلت والله ما أدرى
قال فليست بكاتب قاضي فأبهم أنت فقلت كاتب امرأة قال فما تقول في رجل
وثب على رجل فشججه شجرة موضحة فوثب عليه المرحوب فشججه شجرة مأمومة
كيف كنت تفتي بينهما فقلت ما أعلم قال فليست بكاتب سرية فقلت : أصلحك
الله قد سألت ففسر لي ما ذكرت قال : أما الذي تزوجت أمه . فليست بكاتب إليه : أما
بعد فإن أحكام الله تجري بغير محاب الخلقين والله يبارك لعبد يذار الله في دينها
إليه فإن التقى أكرم لها والسلام . وأما البراج فتضرب واما في مساحته
العطوف فمن ثم بابه . وأما أحمد واحد فكتب عليه المتنوع : الله العلي أحمد
الأعلم والمقطوع الشفة السفلى أحمد الأعم . وأما المرأة فوزن من هذه وزن
هذه فأبهم كان أخف فكتب عليه : أنت . وأما صاحب " الج " قال في الموضحة

يأمر فيه بإيصاله لحيث شاء من الأماكن مسيرة الأيام والليالي فيأتيه الجواب من قومه على النجائب من مسيرة ثمانية أيام ويأتيه الجواب من يومه من مسيرة شهر ونحوه على أجنحة الحمام ، يعلق الكتاب في جناحه فيرتفع في الجو ارتفاعا يغيب شخصه عن من في الأرض وينقض على وطنه وموضع فراخه فإذا نزل لا يستقر نزوله حتى يؤخذ الكتاب من جناحه فيجواب بما أحب ثم يسرح غيره فيرتفع في الجو حتى يوازي وطنه وموضع من بعد تلك الأماكن التي عليها طريق أمير المؤمنين فيؤخذ الجواب منه وقد صار الموكلون بذلك لا يهتمون بغير ما قلدوا ولا يتشغلون بغير ما حملوا فلم يزل كذلك ما شيا حتى وصل إلى مكة في ثلاثة أشهر فقصي حجه وشهد مناسكه ومشاعره ثم انصرف قافلا إلى بغداد وذلك في آخر شهر ذي الحجة من سنة ثمانين ومائة . فلما هم بالانصراف وذكروا القبول إلى العراق رفع إليه أهل مكة كتابا يسألونه فيه أن يولي عليهم قاضيا عدلا فأدخلهم على نفسه فقال إن شئتم فاختاروا منكم رجلا صالحا أوليه قضاءكم وإن أحببتم بعثت إليكم من العراق رجلا لا أولوكم فيه إلا خيرا فخرجوا فاختاروا رجلا فاختاروه فيه فاختارت طائفة منهم رجلا واختارت أخرى رجلا آخر فلما اختلفوا ارتفعوا إلى الرشيد يذكرون اختلافهم فقال لهم هارون ادخلوا على هذين الرجلين الذين اختلفتم فيهما فإذا برجلين أحدهما شيخ من قریش والآخر غلام حدث من الموالي فلما نظر إليهما الرشيد قال للشيخ أدن مني فدنا منه فقال الرشيد أيها القاضي إن بني وبين وزيرى هذا خصومة وتنازعا فاقض بالحق بيننا فقال الشيخ : قصا علي قصتكما فقصا عليه فقال الشيخ تقيم البيئة يا أمير المؤمنين على ما ذكرته أو يختلف وزيرك هذا فقال له هارون أن أخى لا بدافنى ما أقول ولا ينكر إلا قليلا مما أدعى فلم يزل لا يترددان القول بينهما ويتنازعان حتى قضى القاضي لأمر المؤمنين على الوزير فقال له قم فقام عنه . ثم دعا بالغلام الحدث الذى دعت الطائفة الأخرى فدخل عليه فقال أدن مني فدنا منه فقال له هارون إن بني وبين وزيرى تنازعا

فلم يزل بها قاضيا حتى توفي وذلك بعد ثلاثة أعوام من توليته . فلما توفي اغتم الرشيد وشق عليه فجعل الناس يعزونه فيه علما منهم بما بلغ منه الغم اليه . فسأل عن قاضى يوليه قاضى القضاة والعراق بعد ذلك فرفعت اليه تسمية عشر رجال من خيار الناس وعلماهم وأشرفهم فلما رفعت اليه التسمية أمر بهم فأدخلوا عليه رجلا رجلا ليتفرس فيهم من يوليه القضاء فنظر الى رجل منهم توسم فيه الخير والعلم فأمر به فقدم اليه فلما صار بين يديه قال له . ما اسمك ؟ قال معشوق قال فما كنيثك قال . أبو الهوى : قال فما نقش خاتمك قال . دام الحب دام وعلى الله التمام . فقال له قم لاقت ثم دعا بالآخر وكان قد تفرس فيه ما تفرس فى صاحبه فقال له ما نقش خاتمك فقال « ه الى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين » فقال له أخرج . فدعا الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكان بمن رفع اليه أسماءهم فعنفه بهم وقال رفعت إلى أسماء المجانين قال له والله ما فى العراقيين أعقل من الرجلين اللذين سألت ولا أفضل منهما فقال ويحك إني اخترت منهما جونا قال يحيى انهما كانا كارهين لمادعوتهما اليه وإنما أراد التخلص منك قال ويحك أعدهما علي فطلبنا فلم يوجد

(ذكر الاعرابى مع هارون الرشيد)

وذكروا أن إعرابيا قدم على هارون الرشيد مستجديا فأراد الدخول عليه فلم يمكنه ذلك فلما رأى أنه لم يؤذن له أتى عبد الملك بن الفضل الخاجب فقال له توصل كتنابى هذا الى أمير المؤمنين وكان الرشيد قد عهد الى حاجبه أن لا يحبس عليه كتاب أحد قرب أو بعد فأعطاه الإعرابى كتابا فيه أربعة أسطر . السطر الاول فيه . الضرورة والامل قاذبانى اليك . والثانى العدم يمنع من الصبر . والثالث . الانقلاب عنك بلا فائدة شماتة الاعداء . والرابع . فأما نعم منمرة وآمالا ياتسة مريخة . فلما وصل الكتاب الى الرشيد قال . هذا رجل قد ساقته الحاجة ووصلت اليه الفاقة فليدخل فدخل فقال له الرشيد ارفع حاجتك وحويجاتك

وخصومة فاسمع منا قولنا ثم اقض بيننا بالحق . قال لها : ان متعلكما مختلف
ومجلسكما متتائي وأخشي اذا اختلف مجلسكما أن يختلف قولكما فإذا تفاضل مجلس
الخصوم اختلف بينهما القول وكان صاحب المجلس الارفع الحق بعفته وادحتش
الحجة صاحبه وكان إعطاء هذا كرم الى صاحب المجلس الارفع أكثر . واليه أميل
ولكن تقومان من مجلسكما هذا الذي قد استعليتا فيه فتجلسا بين يدي ثم لا أبالي
على من دار منكما . فقال الرشيد صدقت وبررت في قولك فقام الرشيد وقام
عمرو بن مسعدة حتى صارا بين يديه جالسين فلما جلسا بين يديه ذهب الرشيد
ليتكلم فقال له القاضي لو تركت هذا يتكلم فانه اسن منك فقال الرشيد ان الحق
اسن منه فقال القاضي بلى ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحويصه
ومحيصة كبر كبر . يريد ليتكلم عمكما لأنه اسن منكما وأكبر فتكلم عمرو بن مسعدة
ثم تكلم الرشيد وتنازعا الخصومة وترافعا الحجة بينهما حتى رأى القاضي ان الحق
لعمره ف قضى له به على الرشيد فلما قضى عليه قال لها عودا الى مجلسكما فعادة
فعجب الرشيد من قضاؤه وعدله واحتفافه وقلة ميله فالتفت الى عمرو فقال ان
هذا أحق بقضاء القضاة من الذي استقضيناك فقال عمرو بلى والله ولكن القوم
أحق بقاضيتهم إلا أن يأذنوا فيه فدعا الرشيد رجال مكة وأدخلهم على نفسه وأجرل
لهم العطاء وأحسن على قاضيتهم النساء ثم قال لهم هل لكم أن تأذروا أوليه قضاء
القضاة فيسير الى العراق يقتضى بينهم فقالوا نعم يا أمير المؤمنين أنت أحق به تؤثر
على أنفسنا . فأرسل اليه الرشيد فقال إني قد ولنت قضاء القضاة نسرا الى العراق
لتقضى بينهم وتولى القضاة في البلدان والأحصان من تحت يدي وتوليهم البك
وعز لهم عليك فقال القاضي أن يجبرني أمير المؤمنين عن ذلك فسدما وطاعة وأن
يخبرني في نفسي اخترت العافية وجوار هذا البيت الحرام فقال الرشيد ما ينبغي
أن ادع المسلمين وفيهم مشاكلا أو يملأ عليهم شدة على نداء فانه مباح على ظن إن شاء
الله . فخرج الرشيد ومعه التي حزمه العراق فرمته القضاة وجعلوا يؤمناء القضاة

الغرماء وهذه لك فقال الاعرابي هذه لضعفاء أهلى يصلهم بها أمير المؤمنين فما
أوسع على نفسى فأمر له الرشيد بمائة ألف ثلاثة فليل له هذه مائة ألف ثلاثة
توسع بها على نفسك فى معيشتك أرضيت يا اعرابى فقال نعم ثم انصرف
الاعرابى راجدا الى الحجاز بأموال عظيمة لا يوصف أكثرها ولا يعرف أقلها
وكل هذا يقل عما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه

(قتل جعفر بن يحيى بن برمك)

قال عمرو بن بحر الجاحظ حدثنى سهل بن هارون . قال : والله كان سجاحو
الخطيب ومحبرو القريض أميالا على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى .
ولو كان كلام يمشور درأ ، ويحمله المنطق السرى جوهرأ لكان كلامهما والمتقى
من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد فى بديته وتوقيعاته فى أسافل
كتبه عين . ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم وكرم أعزافهم وسعة آفاقهم
ورفق ميثاقهم ومعمول مناقبهم وسناشراهم ونقاوة أعراضهم وطيب أغراضهم
واكتمال خلال الخير فيهم الى ملء الأرض منابهم فى حب محاسن المأهون كالنقطة فى
البحر ، وكالحزرة فى المهمة القدر . قال سهل انى لمحصل أرزاق العامة بين يدي يحيى بن
خالد فى داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقعة وهو يعقد بها جملا بكفه إذ غشيت
سماة وأخذته سنة فغلبته عيناه فقال ويحك يا سهل طرق النوم شفى عيني
وأطلت السنة خراطرى فماذا ذاك ؟ قلت طيف كريم إن أقصيته أدركك وإن
غلبته غلبك وإن قربته روحك وإن منعتك عنك وإن طردت طلبك : فنام أقل
من فواق بكية أو نزح ركية ثم انتبه مذعورا فقال يا سهل لأمر كان ذهب والله
ملكنا وذل عزنا وانظفت أيام دولتنا فقلت وما ذاك أصالح الله الوزير . قال
كان منشدا أنشدنى .

تقضى كلها فقال الاعرابي : تأمر لي يا أمير المؤمنين بكلب أصيد به فضحك الرشيد ثم قال له قد أمرنا لك بكلب تصيد به فقال تأمر لي يا أمير المؤمنين بدابة أركبها فقال له الرشيد قد أمرنا لك بدابة تركبها فقال تأمر لي يا أمير المؤمنين بغلام يخدم الدابة فقال له الرشيد قد أمرنا لك بغلام . قال الاعرابي : تأمر لي يا أمير المؤمنين بجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه فقال الرشيد قد أمرنا لك بجاريتين جارية تؤنسك وجارية تخدمك فقال الاعرابي لا بد طؤلاء من دار يسكنونها فقال له الرشيد قد أمرنا لك بدار قال الاعرابي يا أمير المؤمنين يصيرون فيها عالقو على كلاله لا بد لحم من ضيعة تقيمهم فقال له الرشيد قد اقتطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة فقال الاعرابي وما الغامرة يا أمير المؤمنين قال الرشيد غير معمورة تأمر بعمارتها فقال الاعرابي أنا أقطعتك ألف ألف جريب من أرض اخوالى بنى أسد بالحجاز تأمر بعمارتها فضحك الرشيد وقال قد اقتطعتك عامرة كلها ثم قال الرشيد تمت حوائجك كلها يا اعرابي . فقال نعم وبقيت حاجتي العظمى فقال له الرشيد ارفعها نقضى فقال أقبل رأسك يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد هذا لا سبيل اليه فقال الاعرابي أتمنى حقاً هو لي وتدفنى عما بدأت لي يا أمير المؤمنين فقال الرشيد هذا الأمر لا يكون يا اعرابي ولا سبيل الى مثل هذا فقال الاعرابي لا بد من أن أصل الى حق إلا أن أغضبه فقال له الرشيد يا اعرابي اشترى منك هذا الحق الذي وجب لك فقال له الاعرابي هذا الحق مما لا يشتري وهل في الأرض من المال ما يكون ثمناً لهذا أو عوضاً منه لا والذي نفسي بيده هاني الدنيا صفراء ولا يبيضها يث ترى بها هذا فقال الرشيد تدينه ببعض ما تراء من الثمن فانه لا يكون ولا يتوصل اليه فقال له الاعرابي فاذا قد أبيت فاعطني مما أعطاك الله فأمر له بمائة الف دينار فأتى بها اليه فقال الاعرابي ما هذه فقيل له هذه مائة ألف دينار تأخذها فقال الاعرابي هي للغرماء على وهم أولى بها مني فضحك الرشيد ثم أمر له بمائة ألف أخرى فقال ما هذه فقيل له مائة الف ثانية والاولى

من لم يؤدبه الجليل ففي عقوبته صلاحه
قال سهل . فوالله ما أعلمني اني عيت بجواب أحد قط غير جواب الرشيد يومئذ
فما عولت في شكره والثناء عليه إلا على تقبيل يديه وباطن رجليه . ثم قال لي : اذهب
فقد أحللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ماضته ابنته وحوى سرادقه فاقبض
الدواوين واحص جباؤه وجباة جعفر لنا أمرك بقبضه إن شاء الله . قال سهل فكنت
كن نشر عن كفن وأخرج من حبس فأعصيت جباؤه فوجدت عشرين ألف ألف
دينار . ثم قفل الى بغداد راجعا وفرق البرد الى الأمصار بقبض أهوالهم وغلاتهم
وأمر بحيفة جعفر فنصبت مقصلة على ثلاثة جذوع رأسه في جذع على رأس الجسر
مستقبل الصراط وبعض جسده في جذع آخر في آخر الجسر الأول وأول الجسر
الثاني وباقيه في جذع على آخر الجسر الثاني مما يلي بغداد . قال سهل فلما دنونا من
بغداد طلع الجسر الذي فيه وجه جعفر لنا أولا واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس
فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه وأنا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل عن يساره
فلما نظر اليه الرشيد كأنه قتي شعره وطللى بنور بشره أربد وجهه وأغضى بصره
قال عبد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو أمير المؤمنين فقال الرشيد .
وأغرورت عيناه حتى لعرفنا الجهش في صدره من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه
ومن أراد فهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحلته . على بالنضاحات قال سهل فنضح عليها
حتى احترقت عن آخرها وهو يقول : أما والله لئن ذهب أثرك لقد بقي خبرك ولئن حط
قدرك لقد على ذكرك . قال سهل وأمر بضم أهوالهم فوجد من العشرين ألف التي كانت
مبلغ جباهم اثني عشر ألف ألف مكتوب على بدورها صكوك محتومة تفسيرها
رقيا جوابها فما كان منها جباة على عريسة أو استطراف ملحقة تصدق يحيى بها
وأثبت ذلك في ديوانها على تواريخ أيامها وساعات عطياتها فكان ديوان اتفاق
واكتساب فائدة وقبض من سائر أموالهم ثلاثين ألف ألف وستمائة ألف وستين
ألفا الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم ورياشهم والدقيق والجليل من

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمى بمكة سامر
فأجبتة عن غير روية ولا إجابة فسكر .

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوثر
فوالله ما زلت أعرفها فيه وأراها ظاهرة منه الى الثالث من يومه وانى لني
مقعدى ذلك بين يديه أكتب توقعات فى أسفل كتبه لطالاب الحوائج اليه قد
كلفنى لإكمال معانيها باقامة الوزن فيها إذ وجدت رجلا ساعيا اليه حتى أوما مكبا
عليه فرفع رأسه وقال مهلا ويحك ما أكتبتم خيراً ولا أستر شراً قال له قتل أمير
المؤمنين الساعة جعفرأ قال أو فعل قال نعم فما زاد أن رمى بالقلم من يده وقال
هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل فلو انكفأت السماء على الأرض ما تبرا منهم
الحميم أو استبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم
الدنيا فلا لسان يخطر بذكركم الا طرف ناظر يشير اليهم . وضم يحيى وبقية ولده
والفضل ومحمداً وخالدأ بنوه وعبد الملك ويحيى وخالدأ بنى جعفر بن يحيى . والعاصي
وزيدأ ومعمراً بنى الفضل بن يحيى ويحيى وجعفرأ وزيد بنى محمد بن يحيى وابراهيم
ومالكأ وجعفرأ وعمر بنى خالد بن يحيى ومن لف لفهم أو هجس بنفسه أهل
فيهم . قال سهل وبعث الى الرشيد فوالله لقد أعجبت عن النظر فدخات ولبست
ثياب أحزاني وأعظم رغبتى الى الله إلا راحة بالسيف وإلا نعت كما نعى جعفر .
فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر فى تعرض ريقى والتمايد فى طريقى وشخصوى
الى السيف المشهور بصرى فقال هارون : أيها يسهل من غمط نعمتى واعتدى
وصيتى وجانب موافقتى أجملة عقوبتى . فوالله ما وجدت جوابها حتى قال ليفرخ
روعك وليسكن جأشك ولتطب نفسك ولتطمئن حواسك . فان الحاجة اليك
قربت منك وأبقت عليك بما يبسط من قبضك ويطلق معة وراك ، فاقتصر على
الإشارة قبل اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الفاصل وأشار الى مصرع
جعفر وهو يقول

بعد أبك ولا أرشحه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفافه عليه وتعوذه للتحف في شأن موسى أخيه فقال يا أم الرشيد قدر سبق وقضاء حيم وغضب من الله نزل قالت يا أمير المؤمنين يحجو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . فقال الرشيد صدقت فهذا مما لا يحجوه الله فقالت الغيب محبوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين . قال سهل فأطرق الرشيد يسيراً ثم قال .

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألقيت كل ثمينة لا تنفع

فقالت بنير روية ما أنا ليحيى بنميمه يا أمير المؤمنين وقد قيل .

وإذا افقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

هنا بعد قول الله « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »

فأطرق هارون قليلاً ثم قال

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تسكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا أمير المؤمنين وهو يقول

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني يمينك فانظر أي كف تبدل

قال الرشيد رضيت فقالت يا أمير المؤمنين فببه لله تعالى فقد قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من ترك شيئاً لله لم يوجده الله ، ذاك الرشيد ما يما ثم رفع

رأسه وهو يقول لله الأمر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنين وقال عز وجل

« وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال تعالى « وأوفوا بعهدي الله إذا

عاهدتم » فقال لها وما ذاك يا أم الرشيد قالت ما أقسمت لي به يا أمير المؤمنين

أن لا يحجبك عنى حاجب فقال لها يا أم الرشيد أحب أن تشتريه بحكمة فيه قالت

أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقبلة لك ولا راجعة عنك قال بهم

قالت برضاك عن من لم يستخطك قال : يا أم الرشيد أما لي عليك من الحى مثل

الذى لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين إنك لأدز على وهم أحب إل . قال إذا

فضحكى في ثمنه بنيرهم قالت بلى قد وهبتك وجعلتك في حل منه وقامت عنه فبى

مواهبهم فإنه لا يصف أقله ولا يعرف أكثره إلا من أحصى الأعمال وعرف
منتهى الآجال . وأبرزت حرمه الى دار البانوقة ابنة المهدي فوالله ما علمته عاش
ولا عشن إلا من صدقات من لم يزل متصادقا عليه وصار من موجدة الرشيد
فما لم يعلم من ملك قبله على آخر ملكه . وكانت أم جعفر بن يحيى فاطمة بنت
محمد بن الحسن بن الحسن بن قحطبة بن شبيب قد أوضعت الرشيد مع جعفر
وكان ربي في حجرها وغذى برساها لأن أمه ماتت عن مهده فكان الرشيد
يشاورها مظهراً لا كرامها والتبرك برأيها وكان قد آلى على نفسه وهو في كفالتها
أن لا يحجبها وان لا تستشفعه لأحد إلا شفيعها وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت
عليه إلا مؤذناً لها ولا تشفع لأحد لغرض دنيا . قال سهل فكم أسير فكنت
ومهم عنده فتحت ومتخلى منه فرجت . قال واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت
الاذن عليه من دار البانوقة ومنيت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا أمر بشيء فيها
فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضحة لملها محتفية في مشيتها حتى صارت
بباب قصر الرشيد ندخل عبد الملك بن الفضل الحاجب . فقال ظن أمير المؤمنين
بالباب في حالة قلب شامة الحاسد الى حنين الوالد وشفقة أم الواحد فقال له
الرشيد ويحك يا ابن الفضل أو ساعة فقال نعم أصلح الله أمير المؤمنين حافية
فقال : ادخلها يا عبد الملك قرب كبد كريم عندها وكرمة كاشفتها وفرجة فرجتها
وعورة سترتها . قال سهل فوالله ما شككت في شيء قط ما شككت يومئذ في
طلابها واسعافها بحاجتها . فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية قام محتفياً حتى
تلقاها بين عمد المجلس فأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم أجلسها معه
فقال يا أمير المؤمنين أيعبدوا علينا الزمان ويمنون خوفاً لك الأعوان يحردك
بنا البهتان ويوسوس لك بأذانا الشيطان وقد ربيتك وأخذت برضاعي لك الأمان
من دهرى ، فقال لها وهذا ذلك يا أم الرشيد . قال سهل : فأيسنى من رأفته وترد
كنيتها آخر ما كان اصمغني منه في برده بها أولاً . قالت له ظنك يميني وأبوك

وان الرشيد أراد أن يؤثر الجواب عنه . قال سهل قلت لبعض من أثق بوفائه واعتقد صدق أخائه من خصيان القصر المتقدمين عند أمير المؤمنين والمتمكنين من كل ما يكون لديه . ما الذى يعنى جعفر بن يحيى وذويه عند أمير المؤمنين وما كان من ذنبه الذى لم يسعه عفوه ولم يأت عليه رضاه ؟ فقال : لم يكن له جرم ولا لديه ذنب كان والله جعفر على ما عرفته عليه وفهمته عنه من اكتمال خصال الخير ونزاهة النفس من كل مكروه ومحدور إلا أن القضاء السابق والقدر النافذ لابد منه كان من أكرم الخلق على أمير المؤمنين وأقربهم منه وكان أعظمهم قدراً وأوجبهم حقاً فلما علم ذلك من حسن رأى أمير المؤمنين فيه وشديد محبته له استأذنته أخته فأخته بنت المهدي شقيقته فى اتحاف جعفر ومهاداته فأذن لها وكانت قد استعدت له بالحوارى الرائعات والفتيات الفاتنات قتهدى له كل جمعة بكراً يفتضها الى ما يصنع له من ألوان الطعام والشراب والفاكهة وأنواع الكسوة والطيب كل ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه فاستمرت بذلك زمناً ومضت به أعواماً فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى استعدت له ولم يرع جعفر إلا بنفخته ابنة المهدي فى القصر كأنها جارية من الجوارى اللاتن كن يهدين له فأصاب منها لذته وقضى منها حاجته ولا علم له بذلك . فلما كان المساء وهم بالانصراف أعلنته بنفسها وعرفته بأمرها وأطلعته على شديد هواها وأفراط محبتها له فأزداد بها كلفاً وبها حاسماً استغناها من المعاودة الى ذلك وانقبض عما أن يناله منها من جوارىها واعتذر بالعادة والمرض فأعلم جعفر أباه يحيى فقال له يا بني أعلم أمير المؤمنين ما كان معجلاً وإلا فائذنلى فاعلمه فانى أخاف علينا يوم سوء أن تأخر هذا وبلغه من غيرنا وإعلامك له فى هذا الوقت يسقط عنا ذلك الذنب فبى أحق بالعقوبة منك قال جعفر لا والله لا أعلنته به أبداً فالموت على أيسر منه وأرجو الله أن لا يطلع عليه فقال له يحيى لا تظن هذا يخفى عليه نأطخى اليوم وأعلمه فقال جعفر والله لا أفعل هذا أبداً ولا أتكلم به وبالله أستعين فلم يرع الرشيد أن رفعت اليه جارية من جوارىها رقعة

الرشيد مهوتا ما يحير لفضلة قال سهل وخرجت عنه فلم تعد اليه ولا والله ان رأيت
عيني لعمري عبرة ولا سمعت أذني لعمري آفة . قال سهل وكان الأمين رضيع يحيى
ابن جعفر فمت اليه يحيى بن خالد بذلك فوعده استهبأ أمه إياهم ثم شغله الله
عنهم . فكتب اليه يحيى وقيل أنها لسليمان الأعشى أخى مسلم بن الوليد
يا ملأذى وعصمتى وعمادى ومحيرى من الخطوب الشداد
بك قام الرجا فى كل قاب زاد فيه البلاء كل مزاد
إنما أنت نعمة أعقبها أنعم نفعها لكل العباد
وعد مولاك أتمننه فابهى الد ر مازين الحسنة بانعقاد
ما أظلت سحائب اليأس إلا خات فى كشفها عليك اعتمادى
إن تراخت يدك عنى فواقا أكلنى الأيام أكل الجراد

وبعث بها اليه فبعها الأمين الى أمه زبيدة فأعطتها الرشيد وهو فى موضع
لذاته وفى إقبال من أريحته وتميأت للاستشفاع وهيأت جواربها ومغنياتها
وأمرتهن بالقيام اليه معها فلما فرغ الرشيد من فراستها لم ينفض جهوته حتى وقع
فى أسفلها . عظيم ذنبك ألمات خواطر العفو عنك . ورمى بها الى زبيدة فلما رأته
توقعه علمت أنه لا يرجع عنه قال واعتل يحيى فلما أشقى دعا برقعة فسكتب فى
عنوانها ينفذ أمير المؤمنين الرشيد أبقاء الله عهد مولا يحيى بن خالد وفيه :
بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم لموضع الفصل وأنت على الاثر والله
الحكم العدل . فلما ثقل قال للسجنان هذا عهدى نوصله الى أمير المؤمنين فإنه ولى
نعمتى وأحق من نفذ وصيتى . فلما مات أوصل السجنان عهد يحيى الى الرشيد فلما
قرأه استمد فسكتب ولا أدري لمن الرقعة . فقات يا أمير المؤمنين ألا اكفيك قال كلا انى
أخاف عادة الراحة أن يقوى سلطان العجز فبحكمى الغفلة ويقضى بالبلادة . قال سهل
فوقع فيها الحكم الذى رضيت به فى الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك فى الدنيا
وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد ضأه ثم رمى السجنان الى فلما رأته علمت أنه ليحيى

زينة في عينك ما يزين الولد في عين الأبوين فأتق الله فوالله أن ابنك لأحب إلى
 إلا ان الخلافة لا تصلح إلا لمن كان لها أهلا وبها مستحقا ونحن مسئولون عن
 هذا الخلق وماخوذون بهذا الأنام فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم وتقلب إليه
 بأنهم فاقعدى حتى أعرض عليك ما بين ابني وابنك . فقعدت معه على الفراش
 فدعا ابنه عبد الله المأمون فلما صار بياب المجلس سلم على أبيه بالخلافة فأذن له
 بالجلوس فجلس وأمر له فمكلم فحمد الله على ما من به عليه من رؤية أبيه ويرغب
 إليه في تعجيل الفرج بما به ثم استأذن في الدنو من أبيه فدنا منه وجعل يلثم أسفاله
 قدميه ويقبل باطن راحتيه ثم انشئ ساعيا إلى زبيدة فأقبل على تقبيل رأسها
 ومواضع ثديها ثم انحنى إلى قدميها ثم رجع إلى مجلسه فقال الرشيد : يا بني إنى
 أريد أن أعهد إليك عهد الامامة وأقعدك مقعد الخلافة فأنى قد رأيتك لها أهلا
 وبها حقيقا فاستعبر عبد الله المأمون باكيا وصاح مستجبا يسأل الله العافية من ذلك
 ويرغب إليه أن لا يريه فقد أبيه فقال له يا بني إنى أراى لما نى وأنت أحق وسلم
 الأمر لله وأرض به واسأله العون عليه فلا بد من عهدى يكون في يومى هذا
 فقال عبد الله المأمون يا أبتاه أخى أحق منى وابن سيدتى ولا أحال إلا إنه أقوى
 على هذا الأمر منى ثم أذن له فقام خارجا ثم دعا هارون بابنه محمد فأقبل يحجر
 ذيله ويتبختر في مشيته فشئى داخلنا بنمايه قد نسى السلام وذهل عن الكلام بخوة
 وتخير وتعظيما وإعجابا فشئى حتى صار مستويا مع أبيه على الفراش فقال هارون
 وما تقول أى ابني فأنى أريد أن أعهد إليك ؟ فقال يا أمير المؤمنين ومن أحق
 بذلك منى وأنا اسن ولدك وابن قررة عينك فقال هارون أخرج يا بني ثم قال
 لزبيدة كيف رأيت ما بين ابني وابنك ؟ فقالت ابنك أحق بما تريد فكسبت عهد
 عبد الله المأمون ثم محمد الأمين بعده فلما كان سنة خمس وتسعين ومائة توفى
 الرشيد رحمه الله وعبد الله المأمون - خارج عن العراق وكان وجهه أبوه باليرش
 إلى بعض الفرس لشئ بلغه عنهم فأخذ بمحمد الأمين قروم من شرار أهل العراق

وأعلنت ذلك فيها فاستحق ذلك عند الرشيد باستغفاء جعفر لما كان من اتخافها واعتذاره بالعلة من غير مرض ينهكه ففعل عنه الرشيد ولم ير لذلك جفوة ولا زاد له إلا كرامة ولا لديه إلا حرمة ورفعة حتى قرب وقت الهلاك ودنى منقلب الختف والله أعلم

فتم بعون الله تعالى ما به ابتدأنا وكل وصف ما قصصنا من أيام خلفائنا وخير أئمتنا وفتن زمانهم وحروب أيامهم وانتهينا إلى أيام الرشيد ووقفنا عند انقضاء دولته إذ لم يكن في اقتصاص أخبار من بعده ونقل حديث ما دار على أئمتهم وما كان في زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة وذلك لما انتقض أمرهم وصار ملكهم إلى صيدية أعمار غلب عليهم زنادقة العراق فصرفوهم إلى كل جنون ودخاوم إلى الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة واشتغلوا بملوهم واستغنوا برأيهم وكان الرشيد مع عظم ملكه وقدر شأنه معظما للخير وأهله محبا لله ورسوله ولما دخلت عليه سنة تسعين ومائة أخذته اخي التي أخبر بها جده أبو جعفر المنصور وهو في المهدي صغيراً فعرف أنه قد دنى أجله وحان هلاكه فاجتمع إليه أطباء العراق يعالجونه ثم استعان بأطباء الروم والهند واستأجبتهم من الآفاق فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة أيام أعوان ولا قامت عنه ولا يزيده العلاج إلا شدة فلما دخلت سنة أربع وتسعين ومائة أثرت به وأنهكت بدنه وانهدم ألمه وتمادى به وجهه فذكر البيعة لابنه المأمون فلما سمعت بذلك زبيدة وكانت ابناً منه محمد الأمين هجرته وتغاضت عنه وأكرهها ذلك وغمها حتى ظهر ذلك عليها وأثر الغم في وجهها ودخلت عليه تعاتبة في ذلك أشد المعاتبة وتواخذه أعنف المؤاخذه . فقال لها الرشيد : ويحك إنما هي أمة محمد ورعاية من استرعاني والله تعالى مطوقا بعنقي وقد عرفت ما بن ابني وابنتك ليس ابلك يا زبيدة أمل للخلافة ولا يصلح للرعاية . قالت ابني والله خير من ابنتك وأسماح لما تريد ليس بكبير سنه ، ولا صغير فقيه ، وأنسى من ابنتك نفسها وأجمع نأبها . فقال شارون : ويحك إن ابنتك قد

فهرست الجزء الاول

صفحة	صفحة
١	فضل أبي بكر وعمر
٢	استخلاف رسول الله أبا بكر
٤	ذكر السقيفة
٨	مخالفة قيس بن سعد
٩	بيعة أبي بكر رضى الله عنه
١٠	تخلف سعد بن عباد عن البيعة ٤٥
١١	إبانة على بيعة أبي بكر
١٢	كيف كانت بيعة علي لأبي بكر
١٦	خطبة أبي بكر الصديق
١٨	مرض أبي بكر واستخلافه عمر
٢٠	ولاية عمر بن الخطاب
٢١	قتل عمر بن الخطاب
٢٢	تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى
٢٥	وعهده اليهم
٢٥	ذكر الشورى وبيعة عثمان
٢٧	ذكر الانكار على عثمان
٢٩	ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية
٣١	ما أنكر الناس على عثمان
٣٤	حصار عثمان
٣٦	تولية محمد بن أبي بكر على مصر
٣٧	حصار أهل مصر والكوفة عثمان
٤٢	خطبة عثمان من أعلى القصر طلحة وأهل الكوفة وغيرهم
٤٤	قتل عثمان رضى الله عنه وكيف كان
٤٥	دفن عثمان رضى الله عنه
٥٠	بيعة علي وكيف كانت
٥١	خطبة علي بن أبي طالب
٥٢	اختلاف الزبير وطلحة على علي
٥٣	خلاف عائشة على علي
٥٥	اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وشهد بن أبي مسلمة عن مشاهدة علي وحروبه
٥٦	هروب مروان بن الحكم من المدينة
٥٧	خروج علي من المدينة
٥٨	كتاب أم مسلمة إلى عائشة
٥٩	استنفار عدي بن حاتم قومه لنصرة علي
٦٠	استنفار زفر بن زيد قومه لنصرة علي
٦١	توجه عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة
٦٢	نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة
٦٣	نزول علي بن أبي طالب الكوفة

فقل له معك الأموال والرجال والقصور فادفع في نحر أخيك المأمون فانك أحق بهذا الأمر منه وأعاتته على ذلك أمه زبيدة فقدم أخوه عبد الله من بغداد ومعه الجيوش قد أخذ يبعثهم فنهض إليه الأمين قاصداً ومعه الجيوش فلم يرجع ولم يمانع ولم يختلف عليه أحد ثم انه غدر بأخيه الأمين لما بلغه عنه فنهض المأمون الى القصر فدخله فأخذ أخاه وشد وثاقه وحبسسه وأشار الى أمه لما أعاتته عليه فأقرب محمد من الحبس فبعث المأمون في طلبه فأخذ وقتل والله تعالى أعلم

{ تمت }

صفحة	صفحة
٩٧	كتاب معاوية الى ابن أبي وقاص ١١١ خطبة على كرم الله وجهه
٩٨	كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة ١١١ قدوم ابن أبي محجم على معاوية
	١١٢ رفع أهل الشام المصاحف
٩٩	كتاب معاوية الى علي - جوابه
١٠٠	قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية
	١١٣ ماخطب به عتبة بن أبي سفيان وأهل العراق
١٠١	تعبئة معاوية أهل الشام لقتال علي
	١١٤ الأشعث بن قيس
١٠٢	منع معاوية الماء من أصحاب علي
	كتاب معاوية الى علي
	غلبة أصحاب علي على الماء
١٠٣	دعاء علي معاوية الى البراز
١٠٤	براز عمرو بن العاص لعلي
١٠٤	قطع المبرة من اهل العراق
١٠٥	قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء
	علي معاوية وعلي
١٠٦	وقوع عمرو بن العاص في علي
١٠٦	كتاب معاوية الى أبي أيوب
	١١٧ ما قال الحصين بن المنذر
	١١٨ ما قال عثمان بن حنيف
	١١٩ ما قال عدى بن حاتم
١٠٧	ماخاطب به الزبير بن عتيق قيس
	١١٩ ما قال صعصعة بن صوحان
١٠٨	كتاب عمرو الى ابن عباس - جوابه
١٠٩	أمر معاوية مردان بحرب الأشتر
	كتاب معاوية الى ابن عباس

صفحة	صفحة
٦٦	دخول طلحة والزبير وعائشة ٨٧
٦٧	الْبصرة ٨٨
٦٨	كتاب علي الى جرير بن عبد الله
٦٩	خطبة زفر بن قيس
٧٠	خطبة جرير بن عبد الله البجلي
٧١	كتاب علي الى الأشعث بن قيس
٧٢	خطبة زياد بن كعب
٧٣	خطبة الأشعث بن قيس
٧٤	مشورة الأشعث ثقاته في المحروق
٧٥	معاوية الى الشام
٧٦	كتاب جرير الى الأشعث
٧٧	ارسال علي جريرا الى معاوية
٧٨	قدوم عقيل بن أبي طالب علي معاوية
٧٩	قدوم جرير الى معاوية
٨٠	نعي عثمان بن عفان الى معاوية
٨١	اشارة الناس على علي بالمفام بالسكوفة
٨٢	مشورة معاوية أهل نقتة
٨٣	قدوم ابن عم عدي بن حاتم بالشام
٨٤	استعمال علي عبد الله بن عباس
٨٥	علي البصرة
٨٦	ما أشار به الأحنف بن قيس على علي
٨٧	كتاب الأحنف الى قومه يدعونه
٨٨	به الى نصرة علي
٨٩	كتاب أهل العراف الى مصقلة
٩٠	جواب مصقلة الى قومه
٩١	الحوق عبد الله بن عامر بالشام
٩٢	ما أشار به عمار بن ياسر على علي
٩٣	ما أشار به الأشتر على علي
٩٤	كتاب معاوية الى جرير بن عبد الله
٩٥	استشارة عمرو بن العاص أبيه
٩٦	ومواله
٩٧	قدوم عمرو الى معاوية
٩٨	مسودة معاوية عمرو رضى الله عنه
٩٩	كتاب معاوية الى أهل مكة والمدينة
١٠٠	كتاب معاوية الى ابن سنان

صفحة	صفحة
١٤٤	قتل الخوارج
١٤٥	خطبة علي كرم الله وجهه
١٤٩	ما كتب علي لأهل العراق
١٥٣	مقتل علي رضي الله عنه
١٥٧	بيعة الحسن رضي الله عنه معاوية
١٥٩	إنكار سلمان بن صرد للبيعة
١٦٠	كراهية الحسين رضي الله عنه للبيعة
١٦٢	ما أشار به المغيرة على معاوية من
١٦٤	البيعة ليزيد ما حاول معاوية في
١٦٦	بيعة يزيد
١٦٧	ما تكلم به الضحاك بن
١٦٨	مارد الضحاك بن قيس
١٦٩	قدوم معاوية المدينة وما فرض
١٧١	فيه العبادة
١٧٢	موت الحسن بن علي رضي الله عنهما
١٧٣	بيعة معاوية ليزيد بالانام والحد
١٧٤	أهل المدينة
١٧٥	عزل مردان بن المدينة
١٧٦	كراهية أهل المدينة للبيعة وردهم لها
١٧٧	ما أجابه القوم به رضي الله عنهم
١٧٨	قتل الخوارج
١٧٩	خطبة علي كرم الله وجهه
١٨٠	ما قال عبد الله بن الزبير لمعاوية
١٨٢	ما قال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية
١٨٤	قدوم أبي الطفيل على معاوية
١٨٥	ما حاول معاوية من تزويج يزيد
١٨٦	وفاة معاوية رحمه الله
١٨٧	كتاب يزيد بالبيعة إلى أهل الشام
١٨٨	إجابة القوم المتمنعين عن البيعة
١٨٩	خاخ أهل المدينة يزيد
١٩٠	كتاب يزيد إلى أهل المدينة
١٩١	ما أجمع عليه أهل المدينة وراود
١٩٢	من إخراج بني أمية
١٩٣	ارسال يزيد للجيش عليهم
١٩٤	قدوم الجيش إلى المدينة
١٩٥	غلبة أهل الشام على أهل المدينة
١٩٦	عدة من قتل من الصحابة وغيرهم
١٩٧	كتاب مسلم بن عقبة إلى يزيد
١٩٨	موت مسلم بن عقبة ونبيه
١٩٩	نضائل قتلى أهل الحرة

صفحة

صفحة

١٢٩	ما وصى به شريح بن هانيء أبا موسى الأشعري	١٢٠	ما قال علي بن أبي طالب نداء أهل الشام واستغاثتهم عليا
	ما وصى به الأخنف بن قيس أبا موسى الأشعري		ما أشار به عدى بن حاتم
١٣٠	ما قال معاوية لعمر	١٢١	ما قال الأشتر وأشار به
	ما قال معاوية لعمر		ما قال عمرو بن الحقيق
١٣٠	« شرحبيل »		ما قال الأشعث بن قيس
١٣١	اجتماع أبي موسى وعمر		ما قال عبد الرحمن بن حارث
	ما قال سعيد بن قيس الحكيم		ما قال علي كرم الله وجهه
	ما قال عدى بن حاتم لعمر	١٢٢	ما قال عمار بن ياسر
	ما قال عمرو لأبي موسى		قتل عمار بن ياسر
١٣٤	كتاب بن عمرو إلى أبي موسى	١٢٣	هزيمة أهل الشام
١٣٥	كتاب معاوية إلى أبي موسى	١٢٤	ما قال الأشعث بن قيس
	كتاب علي إلى أبي موسى		ما قال القراء
١٣٦	ذكر قيام الخوارج على علي		ما قال عثمان بن حنيف
١٣٨	خطبة علي كرم الله وجهه	١٣٥	ما قال الأشتر وقيس بن سعد
	كتاب علي للخوارج		ذكر الاتفاق على الصلح
١٣٩	كتاب علي إلى ابن عباس	١٣٦	اختلاف أهل العراق في الحكمين
	ما قال ابن عباس إلى أهل البصرة	١٣٧	ما قال أهل الشام لأهل العراق
١٤٠	« علي لأهل الكوفة »		ما قال الأخنف بن قيس لابي
١٤١	« في الخوارج »		ما قال علي كرم الله وجهه
	اجتماع علي لأهله	١٢٧	الاختلاف في كتاب صحيفة الصالح
١٤٣	مسير علي إلى الخوارج - داهلهم		

صفحة	صفحة
٦٨	٨٩
٦٨	٩٠
٦٩	٩٣
٧١	٩٤
٧٢	٩٧
٧٣	٩٩
٧٤	١٠٣
٧٦	١٠٨
٧٧	١٠٩
٧٨	١١٠
٧٩	١١١
٨١	١١٢
٨٣	١١٤
٨٤	١١٥
٨٥	١١٦
٨٦	١٢١
	١٢٢
	١٢٣

فهرست الجزء الثانى

صفحة	صفحة
٢	ذكر اختلاف الرواة فى وقعة ٢٥
٣	الحرة وخبر يزيد ٢٦
٥	ولاية الوليد المدنية وخروج ٢٧
٦	الحسين بن على ٢٩
٧	قتال عمرو بن سعيد الحسين وقتله ٣٠
١٠	قدوم من أسر من آل على ٣٤
١١	على يزيد ٤٨
١٢	اخراج بنى أمية عن المدينة وذكر ٥١
١٣	قتال أهل الحرة
١٤	حرب ابن الزبير ٥٣
١٥	خلافة معاوية يزيد ٥٥
١٦	غلبة ابن الزبير ظهوره ٥٦
١٧	حريق الكعبة ٥٧
١٨	اختلاف أهل الشام على ابن الزبير ٥٨
١٩	بيعة أهل الشام مروان بن الحكم ٥٩
٢٠	موت مروان بن الحكم ٦٠
٢١	بيعة عبد الملك بن مروان وولايته ٦٠
٢٢	غلبة ابن الزبير على العراقيين وبيعهم ٦١
٢٣	بيعة أهل الكوفة لابن الزبير ٦١
٢٤	وخروج ابن زياد عنها ٦٢
٢٥	قتل المختار عمرو بن سعيد ٦٣
٢٦	قتل ابن الزبير المختار بن أبي عبيد الله ٦٥
٢٧	خلع ابن الزبير ٦٦
٢٨	قتل عبد الملك عمرو بن سعيد ٦٧
٢٩	مسير عبد الملك الى العراق وقتله
٣٠	قتل معصب بن الزبير
٣١	ذكرى حرب ابن الزبير وقتله
٣٢	ولاية الحجاج على العراقيين
٣٣	خروج ابن الاشعث على الحجاج
٣٤	حرب الحجاج بن الاشعث وقتله
٣٥	ذكر قتل سعيد بن جبير
٣٦	ذكر بيعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك
٣٧	موت عبد الملك وبيعة الوليد
٣٨	تولية موسى بن نصير على البصرة
٣٩	دخول ابن نصير على عبد الملك
٤٠	تولية موسى بن نصير على إفريقية
٤١	دخول موسى ابن نصير إفريقية
٤٢	خطبته بإفريقية
٤٣	فتح زعوان
٤٤	قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز
٤٥	إنكار عبد الملك تولية موسى - كتاب
٤٦	عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك
٤٧	فتح هورة . وزناته . وكتامة
٤٨	فتح صنهجة . وسجوما
٤٩	قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان
٥٠	غزوة موسى فى البحر
٥١	غزوة السويس الاقصى

صفحة	موضوع	صفحة
١٢٣	قتل خالد بن عبد الله القسري	١٥٢ قصة سابور ملك فارس
١٢٤	وثوب أهل دمشق على الوليد وقتله	١٥٢ خروج ابن عون على أبي جعفر وخلعه
١٢٦	ولاية مروان بن محمد بن مروان	١٥٣ اجتماع شبيب بن شيبة مع أبي جعفر قبل ولايته وبعدها
١٢٧	خروج أبي مسلم الخراساني	١٥٥ حج أبي جعفر ولقائه مالك
١٣٠	ذكر ما أُمال أصحاب الكرماني	١٥٦ دخول سفيان الثوري وسليمان إلى أبي مسلم
١٣١	تولية أبي مسلم قحطبة بن شبيب	١٥٧ اخواص على أبي جعفر
١٣٢	قتال مروان	١٥٧ دخول أبي ذؤيب ومالك بن أنس وابن سفيان على أبي جعفر
١٣٣	ذكر البيعة لأبي عباس بالكوفة	١٥٨ كتاب عبد الله العمري إلى أبي جعفر
١٣٤	حرب مروان بن محمد وقتله	١٥٩ فأجاب أبو جعفر المنصور
١٣٥	قتل أبي مسلمة الخلال	١٦٠ اجتماع أبي جعفر عبد الله بن مرزوق
١٣٦	« رجال بني أمية بالشام »	١٦١ ذكر ما نال ابن أنس من جعفر
١٣٧	ذكر قتل سلمان بن هشام	١٦٢ إنكار أبو جعفر لضرب مالك
١٣٩	خروج السفاح على أبي العباس	١٦٣ دخول مالك على أبي جعفر بمصر
١٤٠	اختلاف أبي مسلم على أبي العباس	١٦٤ ماقال أبو جعفر لعبد العزيز بن قتال ابن هيرة وأخذه
١٤١	كتاب الامان	١٦٥ أبي رواد - قدوم المهدي إلى المدينة
١٤٢	قدوم ابن هيرة على أبي العباس	١٦٥ موت أبي جعفر المنصور واستخلاف المهدي
١٤٤	قتل ابن هيرة	١٦٦ ذكر استخلاف هرون الرشيد
١٤٧	اختلاف أبي مسلم على أبي العباس	١٦٧ قدوم هرون الرشيد إلى المدينة
١٤٨	موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر	١٧٠ مسير الرشيد إلى فضل بن عياض
١٥٠	قتل أبي مسلم	١٧١ ذكر الحائك المنظف
١٥١	ثورة عيسى بن زيد بن علي بن الحسين	١٧٢ ذكر الاعرابي مع هرون الرشيد
	هروب مالك بن الهيثم	١٧٣ قتل جعفر بن يحيى بن برمك